٣٠١٠٢٠٠٠٠٣٤٠٦

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب

عماد الدين خليل

حياته ورؤاه النقدية

رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعداد الطالب

عبد الحكيم بن راشد بن إبراهيم الشبرمي

إشراف

سعادة الدكتور/عبد الله بن إبراهيم الزهراني

١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

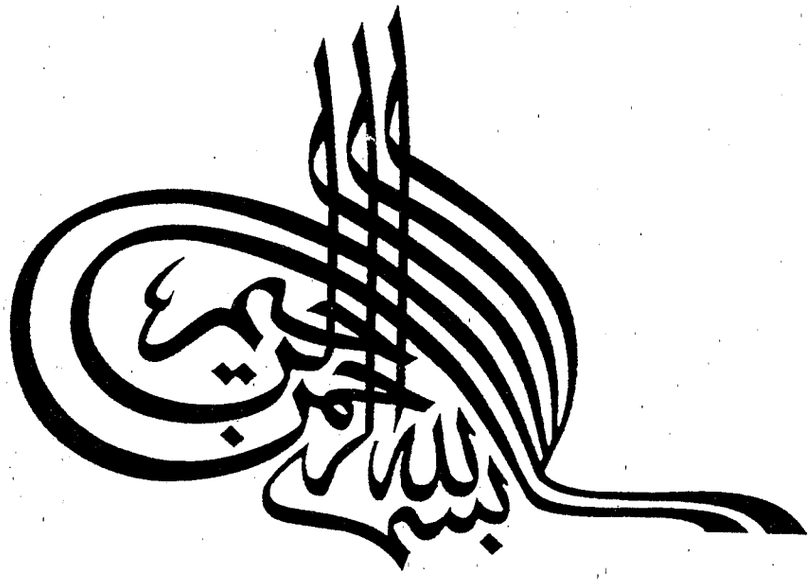
بسم الله الرحمن الرحيم

((ملخّص الرسالة))

العنوان : (عمـــاد الـــديـــن خـــلـــيل : حياته ورؤاه النقديـــّة) .

تتناول هذه الأطروحة دراسة شخصيّة نقديّة إسلاميّة متميّزة بطرحها الخاص ، وفق تصوّر فكريّ مســـتقيم ، وبأسلوبها المتأنق المتفنّن .. رائقِ الديباجة ، أنيقِ الوشي ، حسنِ التحبير .

ومما كشفته هذه الدراسة تجلية صورةِ هذا الأديب الناقد ، وبيان أثره وتأثيره ضمن دائرة (الأدب الإسلامي) خلال مسيرته الحياتية ؛ حيث لم يُكشف للناس منها إلا جزء يسير ، وعبر مستويات الطرح والتأصيل لهـــذه الدائرة.

وهذا كله يحتاج إلى جهد ووقت في التصفح والتأمل ، والتنقير والتدبر ، وطول الأناة وما يتذرع لـــه المـــرء بذرائعه .

وقد نسقت هذه الدراسة في بابين مسبوقين بمقدمة وتمهيد ، ومردفين بخاتمة . أبَنْتُ في المقدمة أسباب اختيـــار الموضوع للدراسة ، ومنها الكشف المشار إليه عن هذه الشخصية ، وبيان فاعليتها في الطرح ، وعرض بعـــض المواقف تجاه قضايا نقدية عديدة حول قيمة المصطلح ومسائل إجراءاته ، وتصوير موقف الأســـتاذ الدكتـــور (عماد الدين خليل) منها ، كما بينت منهج الدراسة والصعوبات المواجهة .

أما الباب الأول فقد حفل بدراسة الشخصية عبر مؤثراتها ومعالمها من الإنصاف والحركة والنظرة الجماعيـــة والبعد عن المهاترات ، وبعد النظر ، والنظرة الخاصة للحياة والموازنة .

ثم أردفت ذلك بنظرات بعض الشخصيات المعاصرة حول (عماد الدين) وعطاءاته . وفي الباب الثاني الـــرؤى النقدية بين النظرية والتطبيق تناولت في الفصل الأول جانب النظرية والتنظير حول أربـــع قضايـــا : (الأدب الإسلامي : المصطلح والواقع ، الالتزام وموقف الأديب ، التحديث والحداثة ، المذاهب الأدبية) .

أما الفصل الثاني فكان في تطبيق هذه الرؤى خلال نماذج مختارة لدراسات (عماد الدين) لنصوص إبداعيـة في الرواية والمسرح والشعر والقصة ، من نتاج غيره من المبدعين ، وتناولتـــها أطروحاته بالتقويم والدرس .

ثم كانت خاتمة البحث ونتائجه مردفة بقائمة المصادر والمراجع والصحف والمجـــلات الســـيارة ، ثم فـــهرس الموضوعات .

وبالجملة فإن هذه الدراسة قد أبرزت المكانة الرائدة لهذه الشخصية ، وأثرها في الدراسات النقدية الإســـلامية المعاصرة التي شاعت وذاعت ، وفشت وتفشت بعد أن خاض فيها الدارسون ، فأصبحت أسيـــر في الآفـــاق من مـــثل ، وما يوم حليمة بسر ، ونسأل الله التوفيق والسداد فيما نرجـــي ونـــرتجي .

الباحث	المشرف	عميد الكلية
عبد الحكيم بن راشد الشبرمي	د . عبد الله بن إبراهيم الزهراني	أ . د محمد صالح جمال بدوي

إهداء

إلى نعم الجليس .. ونعم الأنيس ساعات الوحدة ..

إلى الذي لم ينطق إلا بما أهوى وأعتقد ..

إلى الرفيق الأطوع .. الذي لايَقْلي ..

واللّسان الناطق الذي بالحقّ يفري ..

إليه ـ وقد أَريته السُّهَى وأراني القمر ـ ..

إلى .. (قلم الرصاص) الذي عشت معه وعاش معي

خلال مسيرتي هذه ..

المقدِّمة

الحمد لله ، جَلَّ ربا .. وعزّ ملكًا .. وتعالى إلها ..

والصلاة والسلام على سيّدنا محمد ، صاحب اللواء المعقود ، والمقام المحمود والحوض المورود .. وعلى آله وصحبه ، ومن سار على سَننهم إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن سبر أغوار الشخوص الأدبية أمرٌ ذو بال ؛ حيث تستنطق ذواتُهم وتُجْلى إنجازاتهم ، ويقتدى بفعالهم .

ينظر الدارس إلى رؤاهم .. نقدا لعمل ، أو بيانا وكشفا لحقيقة تستكّن في آخر ، أو فكرا يؤصّل مبدأ ، ويبني توجها .

وإذا كانت الشخصية المتناولة ، ذات تميّز في جوانبَ عديدة ؛ فإن هذا يثري دائرة التناول ويفيد من الدارسين عددا أكبر ، ويكون إضافة منتظرة في حقول معرفية كثيرة .

الأدب .. النقد .. الفكر .. التاريخ .. الإصلاح الاجتماعي .. حقول ودوائر برَّز فيها صاحبنا الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل الناقد الإسلاميّ المعاصر والأديب المتميّز بطرحه الخاص ، ذي النكهة الخاصة .

وعبر رحلة مضنية ترحّلْت فيها ـ حاملا ضمن زادي قرابة تسعة وستين[1] نوعا من طعام ـ كشفت عن حياة هذا الأديب الناقد ، وقد عزَّ ماكتب عنه ؛ حيث لايوجد إلا صفحات يسيرة وأسطر مقتضبة ، تحكي صفاته وشخصيته ، وتظهر جهده ونتاجه .

فكان لابد من السبر وإبراز معالم النفس وظلالها ، وحكاية الصفات والجهد لشخصية من الشخصيات المبرّزة في الدائرة الإسلامية المعاصرة .

ومما سعى بي إلى اختيار هذا الموضوع ، وطرْحِ هذه الدراسة أمورٌ وجواذب منها :

---

(١) مجموع ماألّفه (عماد الدين) كما سيأتي تفصيله .

أولا : الكشف عن قيمة الشخصية المعاصرة ، وتمثّل الاقتداء بها ، عبر مكاشفة نتاجها . وتزداد درجة ذلك إذا كانت متحلّية بالانضباط الفكري ، والتوازن والشمول ، والنماء والعطاء ، ولعلّ الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل ممّن يمثل ذلك ـ ولانزكّي على الله أحدا ـ بسمته وطيب سيرته ، وجودة أطروحاته.

ولعل في ذلك إثراء للساحة ، والدراسات العلمية الجادّة .

وقد عاب عماد الدين خليل على الأمة شعار "اقتله بالصمت"[1] في تركها توجيه الطاقات المعطلّة .

ثانيا : بيان الموقف تجاه قضايا عديدة ، منها إجلاء قيمة "الأدب الإسلامي" وماستطاع أن يخترق من جدر خاصّة ، حتى علت أعلامه منارات الدراسات العالية ، وسارت ركابه خلال أروقة الجامعات .

ومنها مسائل الالتزام والمذاهب الأدبية ومصطلح "الحداثة" في الأدب وإنارات عماد الدين في ذلك تضيف لبنة إلى بناء النقد الحديث .

ثالثا : محاولة تصوير رؤى هذا الناقد ، وترتيب أُطروحاته لشذاة العلم ودارسي الأدب ، المهتمين بقضية الأدب الإسلامي ، ومايدور في فلكه .

رابعا : متابعة الحقول النظرية التي تطرح هنا أو هناك ، وتقريب صوتها من خلال النماذج التطبيقية ، والدراسات التفصيلية التي مُثِّل بنماذج منها ؛ لتكون شاهدا للناقد على تمثله هذه الرؤى النظرية في حقل الدرس والتطبيق ، وقد عُني الفصل الأخير من هذه الدراسة بذلك ، وحاول تجليته .

خامسا : مشاركة الساحة العلمية ، بدراسة فاحصة ، ومحاولة في بداية الطريق ، وطلاب العلم شركاء في ذلك ، متنافسون في ميدانه ، يحدوهم الأمل ، ويبصرهم نور العلم ، ويفيد بعضهم من بعض .

---

(١) انظر : ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (ص١٢) .

أما الدراسات السابقة :

فلم نجدْ ـ خلال مسيرة هذا البحث ـ من تناول بفحص عامّ أو خاصّ ، هذه الشخصيّة ، وأبان صفاتها وجهودها ومعالم حياتها الخاصة والعامة .

ورقة أو ورقتان .. مبحث صغير هنا أو هناك .. دراسة خاصّة لأحد أعمال عماد الدين ، هذا ماوجدناه خلال بحثنا في الساحة .

وقد تقدّم الباحث الدكتور سعيد الغزاوي برسالة علمية ، عنوانها "المداولة في أدب عماد الدين خليل" عام ١٤١٦هـ/١٩٩٦م إلى جامعة الحسن الثاني ـ عين الشق ـ بالدار البيضاء بالمغرب ، وقد أشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور محمد خليل .

لكن كشفا يسيرا لهذه الرسالة يظهر لنا وجهة هذه الأُطروحة واختلافها ؛ حيث توضح التفاعل والحوار بين الفكر والتاريخ والأدب ، ومدى بيان نتاجه للفكر الإسلامي الأصيل . وهذا مسار يختلف عما تَبَنّته هذه الدراسة التي نتقدّم بها.

ولم أجد ـ بعد ذلك ـ من نحا نحو طرحنا هذا ، وذلك بالرجوع إلى قوائم الدراسات الجامعية في الأزهر والجامعة الأردنية وجامعة اليرموك وقوائم جامعات المملكة ، وبسؤال مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

فعقدت العزم حينذاك ، والتمست من المولى السداد والرشاد .

ولكلٍّ طريق وعورة ، وفي كلّ سبيل عقبات ، وشأن البحث العلمي لايخلو من ذلك .

أما ماكان من صعوبات فإنني أجملها فيما يأتي :

(١) شحُّ المصادر الرأْسية المباشرة في الموضوع ، وهذا يُلجئ للغوص كثيرا ، وجمع الشتات ، والتأليف والتوفيق ؛ مما شغل وقتا طويلا في جمع المادة العلمية لكلِّ مبحث ، مع الإشارة إلى صعوبة التعامل مع مخطوطات كُتبت بخطّ يده ؛ مما يحتاج القارئ معه إلى دقّة وأناة قد لايضطر إليها حين قراءة النصوص الأخرى في الكتب المطبوعة ، وخاصّة أن هذه المخطوطات قد اتّكأتْ عليها استخراجات نقديّة كثيرة في جانب النظرية والتطبيق ، كما كان التعامل معها في زمن طويل من مدّة هذه الدراسة .

(٢) صعوبة الاتصال ، إن لم يكن انعدامه بين الباحث وهذه الشخصية المدروسة وللاتصال أثر بالغ في كشف بعض النصوص والسؤال عن بعض الحقائق والمعلومات ؛ مما حداني إلى الوصول بعناء إلى لقاء الأستاذ عماد الدين في أرض الأردنّ في شهر شعبان من عام ١٤١٨هـ .

وقد كان لقاء لايُنسى محبة وثراء ، وأيّامًا لِطافًا طيبة الذكرى ، وكان لزاما أن أقوم بنقل هذه المقابلة في صفحات مقروءة بعد أن كانت صوتا وصورة ثم خطوت خطوات أخرى بمقابلة هذين النوعين ؛ مما أخذ مني وقتا وجهدا مضنيا يتلاءم ـ حسب نظري ـ وقيمة هذه المقابلة في هذه الدراسة . وقد أفردت ذلك كلّه في الملحق الخاصّ بالحوار المسمى (لقاء الأردنّ) .

(٣) تبعثر كتب الأستاذ بين عدّة دول سبّب عقبات كثيرة ؛ حيث اضطررت إلى جلبها من مكتبات مختلفة في كلّ من : السعودية ، مصر ، الأردن ، الكويت قطر ، اليمن ، سوريا ، ماليزيا ، وغيرها . كما لم أجد بعضا منها بسبب نفاده ، إلا في المكتبات الخاصة لبعض الأساتذة والأدباء داخل بلادنا العزيزة أو أمدّني بها بعض الزملاء الكرام ـ حفظهم الله ـ وجمع لهم شملهم .

(٤) اختلاط المادة المطروحة في نتاجه بين الفكر والأدب والتقويم النقديّ وغير ذلك ؛ مما ألزمنا وجوب الاستعراض السريع لبعض هذه الأطروحات وتملّي بعضها وقراءته بتأمل . ينضاف إلى ذلك تكرار يستعمله هنا وهناك .

(٥) غرابة بعض مصطلحات الكتابة لديه ؛ نظرا لثقافته الموسوعية ؛ وهذا ماجعل الرجوع إلى مصادر خارجية ـ ذكر بعضها و لم يذكر جزء كبير آخر ـــ أمرا ثابتا .

هذا وقد جعلت الدراسة في مقدّمة وتمهيد ، وبابين يتضمنان فصولا أربعة وجعلت كلّ فصل في مباحث تفصيليّة .

وقد حفل الباب الأول منها بدراسة الشخصية عبر مؤثّراتها ومعالمها ، أما الآخر فقام على الرؤى النقدية بين النظرية والتطبيق ، وكان الفصل الأول منه في النظرية ، والآخر في تطبيقها من خلال نماذج مختارة لدراسات عماد الدين لنصوص إبداعية في الرواية والمسرح والشعر والقصة طرحها مبدعون آخرون ، وتناولَتْها أطروحات الأستاذ عماد الدين بالتقويم والدرس .

ثم كانت خاتمة البحث ونتائجه مردفةً بملحق مستقّل للحوار الذي تمّ بين الباحث والأستاذ عماد الدين .

وبعدها ذكرت مراجع البحث وفهارسه .

وقد كانت خطة البحث على النحو الآتي :

- المقدّمة .
- التمهيد .

الباب الأول : الشخصيّة : مؤثّرات ومعالم .

الفصل الأول : السيرة : مصادر .. ومؤثرات .. ومعالم .

* في البدء .

المبحث الأول : مصادر المعالم .

أولا : الحياة وحركتها .

ثانيا : الوثائق والكتابات .

ثالثا : الحوار واللقاء .

رابعا : مصادر أخرى .

المبحث الثاني : المؤثرات :

أ- التشكّل الاجتماعي وآثاره .

ب- التشكّل الثقافي والعشق القديم .

ج- التشكّل النفسيّ والحساسية .

د- بناء الأستاذ .. وواقع التأثّر .

هـ- الموصل .. وظِلالُ المكان في النفس .

و- الزمن ومواقف الحياة .

ز- الأمّة .. آمال ومصير .

ح- المرجعية التأصيليّة والسياق .

* وبعد .

الفصل الثاني : معالم الشخصية :

* لوحة عامة .

* مؤلفاته ونتاجه .

المعلم الأول : الإنصاف .
المعلم الثاني : الحركة وحب الجديد .
المعلم الثالث : النظرة الجماعيّة وحقيقة الأخوة .
المعلم الرابع : البعد عن المهاترات ، والاحتفاءُ بالعمل .
المعلم الخامس : بعد النظر .
المعلم السادس : الحياة .. نظرة وطابع .
المعلم السابع : الموازنة .
* عماد الدين في مرآة الآخرين .
الباب الثاني : الرؤى النقديّة بين النظريّة والتطبيق .
الفصل الأول : النظرية .
المبحث الأول : الأدب الإسلامي .. المصطلح والواقع .
المبحث الثاني : الالتزام وموقف الأديب .
المبحث الثالث : التحديث والحداثة .
المبحث الرابع : المذاهب الأدبية .
الفصل الثاني : المنظور النقديّ والأعمال الإبداعية .
أولا : في الرواية : من خلال نموذج مختار لنقده .
ثانيا : في المسرحية : من خلال نموذج مختار لنقده .
ثالثا : في الشعر : من خلال نموذج مختار لنقده .
رابعا : في القصّة : من خلال نموذج مختار لنقده .
* خاتمة البحث ونتائجه .
* المراجع .
* الفهرس .

أما منهجي في البحث فأجمله في النقاط الآتية :

أولا : لم أكثر من تفصيل التقسيم رغبة في ترابط البحث وتكامل صورته .

ثانيا : حاولت ـ مااستطعت إلى ذلك سبيلا ـ أن أناقش المسائل العلمية باستفاضة ، وأن أورد من الأقوال مايدعم الموقف بعد تحرير موطن المسألة ومايتفرّع عنها . وقد استبعدت كثيرا من النصوص رغبة في عدم الإطالة .

ثالثا : أقوم بفرش المسألة وعرضها بانتقاء وموازنة ، مراعيا ظهور "شخصية الباحث" في ذلك من خلال تبنّي الرأي وعرضه ، والتأشير على الآراء المخالفة ببيان مواطن الخلل . كما أستدرك الهنات اللغوية والنحوية والشرعية إذا رأيت في ذلك حاجة ، لكنني لاأكرّر الإشارة إلى ذلك رغبة في عدم ضغط الحواشي .

رابعا : ترجمت للأعلام الواردة في الرسالة ، عدا الأعلام الأجنبية ؛ لأنني لم أر حاجة إلى ذلك حيث تتّفق ملّتهم أو تتشابه ، وإذا اتّحد المصدر فلا يُسأل عن الصَّادر ، ثم إن ذلك كان طلبا للإيجاز والاختصار ، كما لايخفى أن الأعلام الأجنبيّة لايخلو ذكرهم في المتن من إشارة إليهم ، كقولنا الروائيّ الأمريكيّ فلان وهكذا .

خامسا : قمت بعزو الآيات إلى محلّها ذاكرا اسم السورة ورقم الآية ، كما خرّجت الأحاديث الواردة ، وأحلت الشواهد الشعرية والعبارات والمقولات إلى مظانّها .

سادسا : سننت في الحاشية منهجا ثابتا وفق مايأتي :

(أ) حينما أشير إلى المرجع فذاك دليل كون الكلام معزوّا بنصّه التام إليه .

(ب) وحين أشير إلى المرجع بـ(انظر) فهذا يعني الإحالة إلى الفكرة العامة ، ويكون الكلام من إنشائي ، أو قد أستعمل هذين الرمزين في الإحالة للاستزادة .

(ج) تكون أول إحالة بذكر المرجع والصفحة ، ثم أذكر المرجع ـ لو تكرّر مباشرة ـ بعبارة "المرجع نفسه ، الصفحة نفسها" ، فإذا تكرّر ثالثة ذكرته على حالين : فإن كان المحلّ ذاته أشير بقولي "نفسه" ، وإن كان باختلاف الصفحة كرّرت عبارة "المرجع نفسه" مع بيان رقم الصفحة الجديدة .

(د) أذكر المرجع والمؤلّف والصفحة ، فإذا تكـرّر الكتـاب في الصفحـة نفسـها ، فإنني لاأكرر ذكر المؤلّف اختصارا ، كما إنني أكتفي بذكر الكتاب في المتن أحيانا ، مع الإحالة إلى رقم الصفحة في الهامش .

وإذا كـان المؤلّـف أجنبيّـا فـإنني أذكـر بعـده اسـم المـترجم قبـل الإحالـة إلى الصفحات .

سابعا : إذا أتيت بكلام من وضعي فـإنني أردف ذلـك بعبـارة ــ البـاحث ــ هكذا ، وقد راعيت الحفاظ على شكل نصّ (عماد الدين) عدا مايلزم التعديـل مـع الإشارة إلى ذلك في الهامش .

ثامنا : أحاول ـ جاهدا ـ أن أستعمل عبـارات طـلاب العلـم ، بعـدم تجريـح الآخرين ، وعدم نسبة الكلام بجزم وقطع .

فألزمت نفسي (لعلّ) ، و(ربّما) ، و(كثير من) .

كما كنت أترحّم على مَنْ توفّاهم الله مـن الشـخصيات الإسـلاميّة المؤثّـرة ؛ وفاء بحقّهم على طلاب العلم وتأدّبًا حين يذكرون . والله من وراء القصد .

تاسعا : كان هدفي من نقل نصوص من كـلام (عمـاد الديـن) في المسـائل ــ النظريـة أو التطبيقيـة أو الحياتيّـة والعلميّـة ــ إبانـة مـاعنده مـن تصـوّر تجـاه القضيّـة المدروسة أو النقطة المطروحة ؛ ولعّل في هذا ـ كذلـك ــ إظهـارًا لأسـلوب الرجـل وتعامله مع اللّفظ ، وطريقة إلباسه المعنى حلّة اللّفظ ، وهو مايُعدّ جزءًا مـن دراسـة شخصيتّه وتأثيراته .

وفي ختام الحديث ، لايسعني إلا أن أشكر المولى ـ عزّ في علاه ــ وهـو أهـل الحمد والثناء ، صاحب الكرم والمنّ والعطاء ؛ حيث يسّـر العسير وسـهّل الصعـب وشحذ الهمّة ، ووفّق وأعان .

فسبحانه من إله ، خيره إلينا نازل وشرّنا إليه صاعد .

ثم أتوجّه بالشكر والثناء والمحبة والدعاء لوالديّ الكريمين ، وأنـا منهمـا محـلّ الرأفة والرحمة ، والدعاء والرعاية ، فكم صبرا وصبرا!

ولعلّ فرحتهما بإنجازي هذا تُكفّر عني بعدي عنهما لإتمام هذا المراد وتحقيق أملهما فيه ، فأسأل الله تعالى أن يلبسهما لباس الصحة والعافية ، وأن يحييني وإخوتي بارّين بهما ، وأن يجمعني بهم في جناته .. في الفردوس الأعلى من الجنة .. اللّهم آمين .

ثم إنني لاأجد من العبارات ماأزجي به الشكر والثناء لمن كان لها أثر لايُنْسى في تهيئة جّو العلم وسبيله ، وشحذ الهمة ومدّ يد العون .. فأشكر زوجي الكريمة بنتَ الكرام "أمّ عبد الرحمن" جزاء ماتحمّلت وصبرت ، حتى كان هذا البحث سارقا من وقتها وأوقات أبنائي : عبد الرحمن وأختيه (بشرى وذكرى) .

أما أستاذ المشرف على مسيرة هذا البحث ، سعادة الدكتور عبد الله بن إبراهيم الزهراني ، رئيس قسم الأدب بالكلّية ، فصادق الدعوات تتبعه أنّى توجّه .

لقد كان نعم الأستاذ .. نعم المشرف .. نعم الأخ .. نعم الموجِّه ؛ إذ لم يبخل عليّ بوقته وجهده وتوجيهه ، وإشاراته ، وفكره المتميّز ، وخلقه الذي يشهد له بحسنه وتمامه زملاؤه وطلابه ، ومحبوه .

فأسأل الله تعالى أن يصلح نيته وذرّيته ، وأن ينفع بعلمه السائرين في درب العلم ، وأن يثيبه جزاء ماقدّم وأفاد .

كما أتقدّم بالشكر لجامعتي العزيزة جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تلك المنارة المضيئة التي نَهَلَتْ من معين العلم فيها أجيال وأجيال .

وأشكر كلّية اللغة العربية ممثلة في إدارتها وأساتذتها وقسم الدراسات العليا بشموخه وأصالته .

كما أشكر كلّية المعلمين بمحافظة جدة إذْ سهلت لنا طريق الابتعاث وعلى رأس هذه الكلّية يقف عميدها سعادة الأستاذ الدكتور إبراهيم بن محمد مناع ووكيلاه والزملاء الكرام في قسم اللغة العربية وغيرهم .

وممن لاأنساهم بالشكر والثناء والدعاء كلٌّ من الإخوة :

أولا : الأستاذ شعيب بن أحمد الغزالي ، المحاضر بقسم البلاغة والنقد بجامعة أم القرى ؛ حيث رافقني في رحلاتي العلمية إلى الأردنّ وسوريا ولبنان ، وكان نعم الرفيق والمعين .

ثانيا : الأستاذ رمزي بن علي الأهدل والأستاذ رمزي بن محمد الجديبي والأستاذ أحمد قشّوع ؛ جزاء مابذلوا معي في كتابة الملحق والمقابلة بين مخطوط الكتابة وغيره من النصوص .

ثالثا : الإخوة : منصور بن ناجي القش ، وهاني المحمادي ، وأسلم المحمدي وإيهاب الفقيه ، وأخصّ منهم زميل الدراسة ورفيق الدرب أخي الأستاذ منصورا ؛ حيث كنا على اتصال دائم نشحذ به الهمم ونتواصى بالإنجاز .

كما أشكر كلّ من قدّم لي في هذا البحث معروفا ؛ بإعارة أو تسجيل أو سؤال أو اطمئنان ، أشكرهم جميعا دون تحديد للأسماء ؛ لأن ذلك يطول ولايكفيه المقام ، ولكنني أخصّهم بالدعاء في ظهر الغيب وهذا أقلّ ماأقدّمه . وأشكر ـ أخيرا وليس آخرا ـ أخي سعادة الأستاذ/طارق شكري طابع هذه الرسالة على جهده المتميّز ، وقدرته الظاهرة ، وأسأل الله أن يزيده من فضله وكرمه .

وأخيرا فإنني لاأزعم الكمال في هذه المحاولة العلمية ؛ لأن طبيعة البشر شاهد ضعفهم وقصورهم .

فما كان من صواب فمن الله وكرمه ، وماكان من سهو وهنات ، فمن نفسي والشيطان ، ورحم الله امرءا رأى فستر وأرشد ، والمؤمن مرآة أخيه .

ومَنْ ذا الذي تُرضَى سجاياه كلُّها كفى المرء نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ معايبُه

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التمهيد

التمهيد

بات مسلَّما لدى الباحثين في مجالات الدرس الأدبيّ والنقديّ ، أنْ ليس الغوص في مجاهيل الشخوص أمراً هيّنا ؛ لما يتبع ذلك من حاجة أكيدة إلى لمِّ الشعث ، ورأب الصّدع ، والتأليف بين المتوافقات ، والجمع بين المتخالفات ، وتفسير الأحداث بما يوافق البعد بآفاقه المتعدّدة حول هذه الشخصية أو تلك .

والحديث عن السيرة الذاتية ـ فنّا من فنون الإبداع ـ شحيح نادر ، وكأنّ الرهبة تلفّ قاصده حتى لايستطيع له طلبا ، كشَرَّاب بأَنْقُع[١] ، يخشى الموارد ، ويحذر الوارد .

وليس بخاف علينا أنه "بمقدور المرء أن يجد قبالة كلّ عشرين ديوانا أو ثلاثين عملا روائيا أو مسرحيّا واحدا! أما السيرة الذاتية[٢] فقد كانت إلى عهد قريب تكاد تكون غائبة إلا في حالات استثنائية ، ولكنها غدت ـ عبر العقدين الأخيرين ـ تزداد عددا"[٣] .

وعين الناقد تَلْحظ بتوازن ونَصَف لايشتطّ به بعيدا ؛ لتقيس هذه الشخوص من حولها بانضباط وتوازن ، فلا تراخي في نظراتها ، ولااشتداد ينفّر من حولها بل ميزان دقيق ، يأخذ ويذر .

ولعل الندرة التي تستمسك بهذا الفن تنسحب على غيره من الفنون[٤] ، كأدب الرحلات الذي هو شحيح كذلك في المكتبة المعاصرة ، رغم ماقدّمه

---

(١) مثل أصل أن الطائر إذا كان حذرا لم يَرِد مشارع الماء ، ولكنه يأتي المناقع والفلوات حيث لايبلغ القَناص ، ولاتنصب له الشّراك .
انظر في هذا : الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية ، د. عبد المجيد قطامش (ص٢٦٠) .

(٢) والغيرية أو (الموضوعية) كذلك ـ الباحث ـ .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر : وقفة لمراجعة الحساب ، د. عماد الدين خليل (ص٢٠) ورقة عمل تقدّم بها إلى مؤتمر بماليزيا في نهاية شهر رجب ١٤١٨هـ قبل لقاء الباحث بأيام قلائل ، وقد تحصّل الباحث على نسخة منها .

(٤) يرى الدكتور أحمد جاسم النجدي أن مصطلح (السيرة) بمعنى الترجمة عرف منذ القرن السابع فما تلاه . انظر : مجلة الموارد العراقية ج(٩) ، ع(٤) ، (ص٢٣٦) ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

السابقون فيه حيث "كانوا يجوبون الآفاق على ظهور الجمال والبغال ، أو صهوات الخيول ، ويهدرون أعمارهم المحدودة قبل أن يؤوبوا إلى ديارهم لكي يعكفوا على تدوين رحلاتهم ، ويقدموا للأجيال حصائد تجوالهم المترع بالرؤى والخبرات"[١] .

وأدب الرحلات يعكس صورة الشخص ويبين رؤيته ومايختلج في نفسه من تصوّرات تظهر من خلال يراعه ، وتنعكس بمرآة الحرف ؛ ليراها من أراد سبر هذه الشخصية .

لكننا نجد الباحثين والنقّاد يخشون صعوبة إطلاق تعريف يخصّ (أدب الرحلات) ويميّزه غير مختلط بالسيرة في بعض أنواعها ، فنرى أحد الباحثين يذهب إلى تصوّر هذه الصعوبة وتأسيسها ؛ لأن "تعريف أي نوع أدبي بدرجة كافية من الدقة أمر متعذر لأن لكل عمل أدبي شخصية متميزة ترفض الخضوع للتصنيفات الجامدة"[٢] .

والرحّالة يختلفون في صياغة الأحداث دقيقها وجليلها ، مما يلقاهم في رحلاتهم وهو اختلاف أسلوب ومضمون ، ونلقى هذا خاصّة في الكتب الأجنبية[٣] ، ولكن لكلٍّ طعمه الخاصّ في تذوّقه مايمر به ويصوّره نتاجه ؛ ولذا نرى الاختلاف بيّنًا في أدب الرحّالة القدماء من العرب وغيرهم[٤] .

ولهذا فإن جمال وقدرة الكاتب تكمن في التصوير والتمثّل ، وكأنه يتحدّث لنا عن "جوّ المكان الذي يصفه والإيهام بواقعيته بحيث يشعر القارئ وهو يتابع الرحلة أنه يبحر في المحيط الأطلنطي بحثا عن أرض جديدة ، أو يفاوض قبيلة أفريقية يحاول الحصول منها على أكبر قدر ممكن من الذهب في مقابل بضعة حبات من الزجاج الملوّن"[٥] .

---

(١) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص٣) ، وهو مخطوط كتاب تحصّل الباحث على نسخة منه ولمّا ينشر .

(٢) دراسات في الرواية الإنجليزية ، د. أنجيل بطرس سمعان (ص١٢٥) .

(٣) لكثرة مايسجّل بها من هذا الفن .

(٤) انظر في هذا : دراسات في الأدب العربي والتاريخ ، محمد عبد الغني حسن (ص٨٤-٨٥) .

(٥) دراسات في الرواية الإنجليزية ، د. أنجيل بطرس (ص١٢٧) .

وفن الرحلات موغل في القدم حيث عرفه الفراعنة والفينيقيّون والرومان والإغريق ثم رحّالة العرب[١] .

وتصوير الشخصية وسيرتها من خلال هذا الفن يكون معتمدا على الصياغة الأدبية وماتمليه مصادر المبدع من المشاهدة والسماع والآثار الكتابية والرحلات الأخرى والشعر والكتب العربية والأجنبية والصحف ؛ لتكون عونا على تبيّن هذه السيرة[٢] .

ولعلّنا حين نفتّش في تراث أمتنا الإسلامية والعربية نجد شيئا من هذه المحاولات وهي جادّة فاعلة ، ذات طابع خاص ، يتميز به الحرف العربي مشكّلا كلمات وجملا خاصة في تأثيرها وسحرها وبيانها .

ومن أوائل هذه الرحلات التي أسهمت في تفعيل هذا الجانب من السيرة ماكتبه أبو حامد الأندلسي[٣] وسمّاه (تحفة الأصحاب ونخبة الأعجاب) حين زار إفريقية الشمالية وصقلية ومصر والشام والعراق ، والبحر الأسود وبلاد البلغار وغيرها[٤] ، ويُغفله كثير ممن كتب عن بدايات هذا الفن عند العرب .

كما نرى الدكتور شوقي ضيف يضرب أمثلة غيرها عبر أنواع الرحلات : الجغرافية والبحرية ، ورحلات الأمم والبلدان ، ثم يفرد مقاما تفصيليا لرحلتين يتناولهما بإجادة[٥] .

وقد يخصص بعض الباحثين كتابا مستقلاّ للحديث عن السيرة من خلال الرحلات في مسار خاص بها[٦] .

---

(١) انظر : تطور النثر الجزائري الحديث ، د. عبد الله ركيبي (ص٤٨) .

(٢) انظر تفصيل ذلك في : أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة ، محمد الهادي المطوي (ص٣٥٦-٣٦٠) .

(٣) رحالة أندلسي عاش أكثر حياته في القرن السادس الهجري (٤٧٤-٥٦٤هـ) وشغف بالرحلة ، وله كتاب (المعرب في عجائب المغرب) .
انظر : الرحلات ، د. شوقي ضيف (ص٥١) .

(٤) نفسه .

(٥) للتفصيل انظر : المرجع نفسه (ص١١-١٢٢) .

(٦) تمثيلا لذلك انظر : أدب البحر ، أحمد محمد عطية ، وتناول فيه خمسة نماذج ، اثنان منهامن القديم ، وثلاثة من العصر الحاضر ، وقد أفرد الباحث فصلا سابعا يتحدث فيه عن (الرواية البحرية) فراجعه لتفرّده .

ولانرى من تحدّث عن أدب الرحلات إلا وقد أفرد حديثا عن السيرة الذاتية من خلال كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ[١] ورحلته في بلاد العرب والجزيرة ووصفه الصليبيين بموهبة قصصية فريدة[٢] .

والقلم حين يستطيع تصوير الأحداث من حوله ، بنسق جميل مؤثر ، يكون قد اختطّ لنفسه المجد ، وبنى لها العلياء ، حيث يصوّر المواقف كما يصوّر الأماكن .. وهنا يكمن الجمال! ويبرز الإبداع ذو الألق ، إذ يرى بعض الباحثين أنه بمقدورنا أن نترجم للمدن والممالك لتغدو وكأنها نماء في كائنات حية ، ومثل لها بترجمة (إميل لدفيج) للنيل ، وأنها لاتقل روعة وجمالا عن ترجمته لشخصية نابليون[٣] .

وفي هذا يقول أحد الأدباء ، ساحبا ذلك على غيره :

"لو استطاعت الشجرة أن تدوّن ترجمة لحياتها لما اختلفت ترجمتها عن تاريخ أية أمة من الأمم"[٤] .

وفن السيرة "وهو نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي . يراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصه"[٥] ، فن قديم وإن لم ينضج بعد في الأدب العربي بتقسيمه وتوصيفه وسماته .

ويعزو الدكتور أنيس المقدسي فقدان التراجم القديمة قيمتها لما يصحبها من تكلّف في الصنعة البديعية ، فلا تعدو أن تكون تنميقا وسجعا يشوّه كثيرا من الحقائق مما يوقع القارئ في حيرة حين يذهب إلى المقارنة بين شخص وآخر[٦] .

---

(١) أحد أبطال المعارك الصليبية ، كان أديبا شاعرا ، عمّر طويلا (٤٨٨-٥٨٤هـ) وكان آباؤه أمراء قلعة (شيزر) شمالي الشام ، ولهم مع الصليبيين صولات وجولات .
انظر : الرحلات ، د. شوقي ضيف (ص٥٦) .

(٢) انظر : المدخل إلى التاريخ الإسلامي ، د. محمد فتحي عثمان (ص٦٣٩-٦٤٤) ، الرحلات ، د. شوقي ضيف (ص٥٦-٦٠) .

(٣) انظر : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب (ص٩١) .

(٤) رمل وزبد ، جبران خليل جبران (ص١٧) .

(٥) الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، د. أنيس المقدسي (ص٥٤٧) .

(٦) انظر : المرجع نفسه (ص٥٤٨) بتصرّف .

ويضرب على ذلك مثالا حين يعدّ من ذلك (يتيمة الدهر) و(الخريدة) ، مستشهدا على مراده بأمثلة منهما[١] .

ويعرّج الدكتور أنيس على ماكتبه ابن منقذ من أسفاره وأخباره ، ويشير إلى طرافته وتنوع ثقافته وحسن أدائه ، ويضرب على نسقه أمثلة أخرى ، ككتاب (التعريف عن ابن خلدون)[٢] وهو مذيّل بتاريخه المشهور ، أو مايسمى (المقدّمة) .. وإن لم يكن ابن خلدون خارجا عن نطاق التاريخ إلا في مواطن يسيرة .

وهذا ماسجّله قبله أبو حامد الغزالي[٣] في (المنقذ من الضلال)[٤] ، ويشير إلى طريقته في تدوين سيرة نفسه وجلالتها .

ثم يمثل الدكتور أنيس بستّ تراجم وسير حديثة يذكرها بملامح سريعة يضيئها هنا وهناك[٥] .

---

(١) المرجع السابق (ص٥٤٨-٥٥٠) ، وانظر في قيمتهما : قراءات نقدية ، د. يوسف بكار (ص٩-٣٢) .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ، ولد عام (٧٣٢هـ/١٣٣٢م) ، أصله من إشبيلية ومولده ونشأته بتونس ، ولما وشي به خرج إلى مصر قاضيا للمالكية ، ثم عزل ، توفي فجأة بالقاهرة ، كان فصيحا صادق اللهجة جميل الصورة ، اشتهر بكتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات أولها (المقدّمة) المشهورة ، وقد ترجمت إلى الفرنسية وغيرها ، وله شعر وكتب أخرى ، توفي عام (٨٠٨هـ/١٤٠٦م) .
انظر : الأعلام ، الزركلي (٣٣٠/٣) .

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، حجة الإسلام ، فيلسوف متصوّف ، له نحو مائتي مصنف ، مولده ووفاته بطوس في خراسان ، له رحلات عديدة ، يقال الغزّالي نسبة إلى الغَزْل ، والغَزَالي بالتخفيف نسبة إلى البلدة (غَزَالة) ، ولد عام (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، وتوفي عام (٥٠٥هـ/١١١١م) .
انظر : الأعلام ، الزركلي (٢٢/٧) ، الإمام الغزالي بين مادحيه وقادحيه ، د. يوسف القرضاوي (ب) ، وأحصى السبكي مايقرب من ألف حديث في (الإحياء) لم يجد لها أصلا ، نقلا عن "مختصر منهاج القاصدين" ، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ص١٧) .

(٤) يرى الدكتور إحسان عباس أنه لايُعَدّ سيرةً ذاتيّة محضة ؛ لتصويره جانبا من أزمة روحية فحسب دون نظر إلى ماعداها ، ولكنه يرى أن الغزالي رسم هذا الجانب بدقة .
انظر : فنّ السيرة (ص١٢٦) .

(٥) انظر : الفنون الأدبية (ص٥٥٥-٥٦١) .

والحديث المنطلق من خلال السير الأدبية حديث تكتنفه الصعوبة وتدور حوله التساؤلات ؛ ولذا نرى كثيرا من النقاد والأدباء يميلون إلى هذا الرأي ويعلنونه[١] .

والأديب حين يرسم شخصيته بإلقاء الضوء على سيرته وكشفها للناس يؤسّس هذه الصعوبة ، ويرفع بين الناس رايتها ؛ ولهذا يرى بعضهم أنه لايستطيع أن يرسم وجه الأديب مثل نفسه ؛ فهو أعرف بها وأبصر بدواخلها .

أما الدكتور محمد مصطفى هدّارة فيرى أن السيرة الذاتية لحمة من الماديّات الأولية من الحقائق المجتمعة ، التي تفسّر بعد جمعها وتحليلها ؛ لتبرز صورة هذه الشخصية بجلاء ، ويرى أن صاحب السيرة نفسه قد يستتر بإبراز جوانب وإخفاء أخرى ؛ ولهذا لايمكن أن يُستأنس بصفة عامة بتفسيره وتحليله ، وتشريحه لذاته ، ويرى أن في هذا موضوعية وواقعية ، والأديب إذا تولّى كتابة سيرته بنفسه فإنه يسلّم نفسه بشدة لمباضع الناقدين ، فلماذا يرى هذه الصعوبة ويتخوّف هذا المسلك؟[٢]

ولعلّ نرجسية الأديب ، وتخطيه إبراز الجوانب السلبية في حياته ، الكامنة في الظل أمر يعضد القول بهذه الصعوبة ويؤكّدها ، وفي هذا يقول الدكتور عزّ الدين إسماعيل : "رضا الفنان عن نفسه (أي نرجسيته) لايستمد من إعجاب خاصّ بذاته نتيجة حلم يقظة كان هو فارسه ، بل يستمد من بطولة عمله ـ إذا صح التعبير ـ ؛ وهذا يفسّر لنا لماذا يحب الفنان دائما أن يتوارى خلف عمله الفني . إنه لايريدنا أن نراه هو ، وإنما يريدنا أن نرى هذا العمل"[٣] .

---

(١) ممن مال إليه : د. شوقي ضيف في كتابه القيم "في النقد الأدبي" (ص٥٨) ، والدكتور منصور الحازمي في كتابه "مواقف نقدية" (ص١١٦) حين تحدث عن أيام السباعي ـ رحمه الله ـ والدكتورة نعمات أحمد فؤاد في كتابها "قمم أدبية" (ص١١) .

(٢) انظر : دراسات في الشعر العربي ، د. محمد مصطفى هدّارة (١٢٠/٢) .

(٣) التفسير النفسي للأدب ، د. عزّ الدين إسماعيل (ص٢٦) .

ويعزو بعض النقاد عدم استواء (السيرة) في الأدب العربي قديمه وحديثه ، إلى ظهور نقاط الضعف فيها ، ومافيها من تضخيم ، وأنها متخوَّنة من جهة المناخ الخارجي للإبداع ولهذا يقف أهل هذا الرأي من (أيام) طه حسين[١] موقفا ناقدا ، وأنها لم تف بما في نفسه كما هي عند غيره!

ولايقف بعض من هؤلاء النقاد عند هذا ؛ ولكنه ينطلق بتعميم فيه شئ من التشاؤم يمتد إلى ملاحظة البهرجة وتضخيم ونفخ هذه السير ، والقول بذلك على وجه العموم! ولعل ردة الفعل لذلك ، أن نجد من هؤلاء الدكتور (يوسف بكار) الذي يدعو إلى أن تنقل سيرنا الخطوط المتعرّجة في الحياة ، فتظهر فيها الشخصيات برجالها وأبطالها وصعاليكها ، ويظهر فيها الحب والجنس[٢] والموت .. والبطولة

---

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) لعلنا نخالف الناقد الدكتور يوسف بكّار في ذلك ؛ لأن الحرج إذا كان يضبط الكاتب كيلا يقع في بؤرة الواقعية المظلمة فهو حرج مقصود ، وضبط متزّن ، على نحو مارآه الدكتور جعفر ماجد في كتابه "فصول في الأدب والثقافة" (ص٢٢٦) ، وهو حرج في دائرة الحديث عن "الجنس" وغيره . وقد نهج هذا وضده جمهرة من الأدباء ، فالعقاد اعترف بانطوائه بلا عقد نفسية ، واعترف بعناده وإن رآها عزيمة وصدق إرادة ، وبقراءته لنفسه لا لغيره وحبه للشهرة بلا خفض للكرامة . انظر : المجموعة الكاملة (٢٢/٢٤٥-٢٤٩) . ولعل الدكتور طه حسين في (الأيام) ممن يمثلون ذلك حيث تحرج فاستخدم غير ضمير المتكلم ، بل الحكاية عن الصبي . الأيام (ص١٣٧) وغيرها . ويقول في "أديب" (ص١١) : "وكان حياؤه يمنعه من إظهار عقله وقلبه ، كما يمنعه من عرض جسمه عاريا على الناس" .

أما الدكتور محمد عابد الجابري ، فيتجاوز الحد المطلوب من هذه الجرأة ورفع الحرج ، بل يُسِفّ في كثير من مواطن حفرياته في الذاكرة ، ولكنه يراها قطعا أثرية باقية ، مع تحفظه في بعض المواطن ، ولكن "حفريات في الذاكرة من بعيد" تظهر بصورة الواقعية المظلمة بحق ، انظر (ص١١-١٥) مثالا عليها في سيرته "حفريات في الذاكرة من بعيد" .

ولعل من الشواهد على هذا الرفع غير المنضبط للحرج ، مانلمحه من فلسفة نزار قباني للفضيحة من خلال سيرته وأنه ضدّ (الشرعية) ، وأن نظرته للجنس كارتشاف فنجان قهوة! مما جعله ينزل بسريره إلى الشارع ، ومغامرته أو (معاركه) مع النساء والنهود عنا ببعيد وكيف ذكر هو نفسه أن قصيدة (نهداك) أسكرت شباب العراق ولبنان ، ولكن لعل الدكتور هدّارة يبالغ في انتقاد واقعية نزار وإبراز تناقضاته . انظر ماجاء في كتابه "دراسات في الشعر العربي" (٢/١٢٠-١٣٨) ، وانظر ماسماه د. محمود عباس عبد الواحد (السيرة العارية) في كتابه مهارات في فنون الأدب والمراسلات (ص٢٣) ومابعدها .

والجرأة ؛ لأنها بدون ذلك تكون أقرب إلى هوامش السيرة التي لاتحترم أمانة نقل التجربة الحية . ويعدل عن تشاؤمه الذي بدأ به حديثه ، فلا يوصل الأمر إلى قول من يرى أن كل السير الذاتية أكاذيب! حيث نراه يشيد ببعض السير الذاتية ، ويطلب فيها وفي غيرها الطرح الواقعي المبني ، الذي يجعل منه نصّا جريئا وجميلا ، يفضح الواقع .. ويعرِّيه .. ويكسر خوف الأدباء ، وينقل عن أحد رؤساء وزراء بريطانيا أنه قال : "لاتقرأ التاريخ . اقرأ السيرة الذاتية"[١] .

مع أنا لانشك في أن الأديب يرتضي عدم البوح بكل خلجات نفسه ، وقد تنكشف بتدبيج اليراع أمور يسيرة من لمحات الحياة ، ولكن يبقى أن الأديب يرغب عَنْ كشف الأسرار الخاصة[٢] .

وتجدر الإشارة إلى أن نرجسية الأديب تحول دون تلمس هذه الدقائق من الحياة كما تحول دون الحقيقة حين يثبت الأديب لنفسه ماليس لها ، أو ينفي عنها ماهو من صميم طباعها .

ومن ذلك نرجسية (نزار قباني)[٣] التي يظهر فيها الانشغال بالنفس ، مما جعل الدكتور هدّارة يبالغ حين يلمز نزارا ؛ لأنه وضع صورته بخطوط جبهته المتجعدة على الغلاف الأمامي لسيرته ، وصورته ـ وهو طفل غرير ـ على الغلاف الخلفي![٤]

لكنه يحسن حين يشير إلى نرجسية نزار من خلال نظرته إلى عظيم مكانته ، التي تفوق ـ حسب رؤيته ـ منزلة النبلاء والرؤساء بين شعوبهم ، وأنه تحيط به الخرافات والأساطير من كل جانب ، وأنه استطاع أن يصدر دهشة وفرقعة في

---

(١) في النقد الأدبي إضاءات وحفريات ، د. يوسف بكار (ص١٥٣-١٥٥) بتصرّف .

(٢) مالت إلى هذا الدكتورة هدى شوكت بهنام في "النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقّري" (ص٩٢-١٠٣) ، ولعل اطلاعا على رواية مثل "الشميسي" للكاتب د. تركي الحمد يبرز عاقبة الخلود إلى البوح المفضوح ، والسيرة العارية تماما ، وهي الواقعية المزعومة التي يدعو لها كثير من الكتاب ـ الباحث ـ

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) لعل هذا عائد إلى فلسفة خاصة لكل مؤلف ، ويصعب التنبؤ بها ـ الباحث ـ .

المجتمعات ، بل يعجب من إخفاء نزار بعض الحقائق في سيرته تلك ، ويظهر هذا من خلال بعض سطورها[١] .

وإذا كانت اعترافات الأديب منضبطة متزّنة ، فإنها تكون جسرا إلى ذاته .

بل يرى بعض الباحثين أن من العوامل المساندة التي أثْرتْ كتابة التراجم والسير وجود هذه (الاعترافات) ؛ لأنها "نبهت كتّاب التراجم إلى قيمة الغوص في أعماق النفس الإنسانية واستبطانها .. قيمة الاستشفاف والتأمل والتحليل والتعليل والتقاط اللفتات الإنسانية والنفاذ منها إلى معان كبيرة هي خطوط بارزة في صورة الشخصية المرسومة"[٢] .

ومن يدعم مثل هذه الرؤى يميل إلى ذلك ؛ لما يجده من الاستبطان للنفس خلف السطور ، ومايراه جليّا ظاهرا ، حين يؤلّف بين أجزائه التي يحبكها ويخرجها صورةً تمثّله .

والدكتور (علي جواد الطاهر) [٣] ممن أبان بوح الاعترافات لما يثقل الضمير من الأعمال والأقوال غير المرضيّ عنها! حيث يثبتها الكاتب بقلمه ، وضرب لها أمثلة من اعترافات بعض النصارى[٤] .

ولكننا نجد بعض الأدباء حين يسجّل اعترافاته يرّد اعتقاد الناس شرط كونها فيما يكره ويجب كتمانه ، ويرى ذلك مغالطة عرفية لمصطلح (الاعترافات) ؛ لأنه يرى في اعترافاته تسجيلا لذاته[٥] .

---

(١) انظر : دراسات في الشعر العربي ، د. هدّارة (٢/١٢٠-١٢٣) بتصرّف .

(٢) قمم أدبية ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص٨) .

(٣) انظر : الثقافة الإسلامية للطالب ، د. علي جواد (ص١٠٨) بتصرّف ، وانظر : مواقف نقدية ، د. منصور الحازمي (ص٤١١) .

(٤) من عقائد النصارى الباطلة أن الاعتراف بين يدي القساوسة يغفر الذنب ويمحو الحوب ويرضون من ذلك بصكوك الغفران المزعومة ! ـ الباحث ـ .

(٥) من هؤلاء : العقاد . انظر : المجموعة الكاملة (٢٢/٢٤٤-٢٤٥) .

ولذا ترى إحدى الأدبيات[١] ، أن كتاباتها شهادة عن الواقع والأفق ، فمن أرض الواقع بل من رحمها تنبثق الكتابة ، ويظهر التسجيل ، فالكتابة عندها بحث عن جوّ للانبعاث والتشكّل ، وليس صنبور مياه يفتح كلّ يوم ليخرج قصة جديدة متكاملة متناسقة! بل الكتابة جزء من بيان مافي النفس ، وعبور في تلافيف الروح ، والقصة التي تكتبها تولد كما يولد الطفل .. تقتنص شرارتها ثم يكون التوالد .

إنها تلمح الذات ومايدور في الخوالج من خلال النصّ المكتوب ، وخاصة مايكون منه بضمير المتكلم[٢] .

بل إنها تصور الواقع المحيط بهذا الفرد ؛ مما يجعلها تباريح حياتية واجتماعية وثقافية وسلوكية وعقدية وكتابية[٣] ، تجلو الواقع ، وترسم صوره ؛ لأن الحديث عن النفس ومايحيط بها جنس من الرسم ، وفي هذا يقول طاغور[٤] :

"دعاني سؤال شخص منذ سنوات خلت عن أحداث حياتي الماضية ، لاكتشاف حُجْرة الرسومات هذه ... تبيّن لي أن الذكريات ليست تاريخا ، بل إبداعات أصيلة للفنان غير المنظور"[٥] .

ويخلص الدكتور شوقي ضيف إلى أن رسم الشخصيات الأدبية أعمق وأشدّ عسرا من رسومات الرسّامين من جهة تصوير الأول أفذاذا من الناس وأسباب نبوغهم وعواطفهم ومشاعرهم ، دون أن يكون لديه المواد الأوّلية للوحته ؛ خلافا

---

(١) وهي شريفة الشملان .

(٢) بتصرّف : مجلة قوافل ، القصة نافذة على داخلي ، أ. شريفة الشملان (ص١٥٠-١٥٢) ، ع(٥) ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، السنة الثالثة ، م(٣) .

(٣) في تصوير شئ من الحياة بمثل هذا التقسيم ، انظر : شئ من التباريح سيرة ذاتية .. وهموم ثقافية ، أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، وفي قراءتنا للسير قراءة لأنفسنا وهو الأدب الحق كما سماه الأستاذ علي بن محمد العمير في كتابه "على الماشي" (ص٤٧) .

(٤) هو رابندرانات طاغور ، فيلسوف وشاعر ومؤلفّ قصصيّ وموسيقيّ هندي ، تحصّل على جائزة نوبل في الآداب ، حارب الاستعمار البريطاني ، ولد في مدينة "كلكتّا" سنة ١٨٦١م وكان والده ثريّا ، رأى والده رؤيا حسنة عنه قبل ولادته ، أنشأ مدرسة سمّاها (مقرّ السلام) . انظر : طاغور ، محمد كامل المحامي (ص١٢،١٥) وغيرهما .

(٥) ذكريات ، رابندرانات طاغور ، ترجمة صلاح صلاح (ص٣-٤) .

لناقل الصور الواقعية عبر لوحة تشكيلية ملونة منقوشة بريشة الفنان[١] .

وفي الشخصية وانبثاقات يراعها ملامح عامة من سمات الجسم والعقل والشعور ؛ ولذا يعظم الأمر في نظر مصطفى السحرتي[٢] إذا تمكّنت هذه الشخصية من التوازن بين هذه الصفات ، فقد تبدو ذات حكمة في التفكير ، أو في الشعور والخلق ، أو في حدّة الذهن وعذوبة الحديث وقوة الشخصية ، ويراها شخصيات نادرة تبعث الجمال حين نغوص في سيرها .

بل إننا نرى عجيب صنع الله في نفوسنا حين نتملّى هذه السير وأحداثها ، كما قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣] .

إن الأديب ليذهب في الناس باثًا سيرته بينهم .. يلتمسون العبرة فيها ، ويستجلون العظة في بواطنها مختلطة مع القصة والحكاية والمذكرات ، ويحفلون بما يرونه من آراء ومنهج وطريقة تفكير[٤] .

فنحن حين نغوص في مجاهيل الشخوص وخفايا حياتهم ، ومامرّ بهم من أحداث نقوم بتحليل الميول والفِطَر ونطلع على التأثرّ والتأثير لديهم ، استعانة بفهم النفسيات ونحوها[٥] .

والمستقرُّ في نفوسنا أن من يتناول الشخصيات لايرنو إلى "أن يتجنى عليها أو أن يسوي منها مثلا أعلى للفضيلة والمزايا البشرية ، ليست غايته أن يشوه أو يحسن أو بعبارة أخرى ليست غايته أن يضع عليها أكداسا من تراب ولا أن يزيل عنها كل غبار"[٦] .

---

(١) انظر : في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص٥٨) بتصرّف .

(٢) الأصالة الأدبية ، مصطفى السحرتي (ص٩٧) بتصرّف .

(٣) سورة فصلت : آية ٥٣ .

(٤) ممن كتب سيرته لذلك الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي ـ رحمه الله ـ . انظر ذلك في كتابه النفيس : في مسيرة الحياة (١/٢١-٢٥) ، وهو في ثلاثة مجلدات ، قال عنه الأستاذ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ : "كتاب تاريخ ، وكتاب أدب ، فيه وصف للأمكنة كأنك تراها" . انظر (ص٩) .

(٥) انظر : الكامل في النقد الأدبي ، كمال أبو مصلح (ص١٣٨) .

(٦) في النقد الأدبي (ص٦٢) .

وحين يُعنَى الكاتب بتصوير نفسه أو غيره ، فالذي يعنيه هو تصوير هذه الشخوص كما يصوّرها غيره ، ساعين في ذلك "حتى يجلوا على الناس شرارة نبوغهم الذي يروعهم ، وحتى يكشفوا لهم عن مواهبهم ومايحوطها من السحر والجاذبية التي تجعلهم يتعلقون بها ... (و) [١] لابد إذن أن تكون الشخصية الأدبية المصوّرة ذات تفاصيل كثيرة بحيث تستطيع أن تمدّ مصورها بمواد وافرة كي يسوي منها صورته"[٢] .

واتصال أيِّ شخصية بالأحداث أو الحركات التاريخية ظاهر ؛ مما يمنح القيمة لهذه الشخصيات وإبداعاتها ، ويعظم الهدف وتنضج الثمرة ، إذا كانت هذه الشخصيات ذات أثر بالغ في هذه الأحداث حركة وسكونا ، أو تكون وجهات نظرها ذات دلالة على رؤية معينة ، وخاصة من الزاوية التي يعرض فيها مايكتب[٣].

وتزداد أهمية البحث في هذه الشخوص إذا كانت صفحات سيرهم مجهولة للقراء بحيث لايعرف منها إلا النزر القليل ، مع أن بواطن تجاربهم في الحياة ، قد تحمل في طيَّاتها قبسا للمبتدئين ، ومنارا للسائرين ، الذين يهمّهم أن يبصروا فلسفات هؤلاء في قضايا الحياة وعوارضها وعوائقها ، بعيدا عن حماس الشباب ، قريبا من حكمة أولي البصيرة ممن حَطَمَتْهم أحداث الحياة ، فكانت لهم أمامها تُرسات بالعقل ، وحماية بالصبر ، وعمل باليقين والهدوء[٤] .

والدكتور عزّ الدين إسماعيل ممن يرون الحاجة قائمةً إلى عدم إصدار الأحكام إلا في التراجم الذاتية[٥] ؛ لأنه يحتاج إلى أمانة وصدق ، ويكتفي الدكتور عزّ الدين إسماعيل بالدعوة إلى مجرّد الاهتمام بهذه الشخصية أو تلك ، بيد أنه يرى أنَّ مَن يكتب عن شخصه قد يظن نفسه قادرا على فهم نفسه وشخصيته بينما يكون غيره

---

(١) زيدت لاقتضاء السياق بعد الحذف ـ الباحث ـ .

(٢) المرجع السابق (ص٦٦-٦٧) .

(٣) انظر : دليل الناقد الأدبي ، د. نبيل راغب (ص١٢٢-١٢٣) بتصرّف .

(٤) نشير هنا إلى أن مجموع ماكتب عن سيرة د. عماد الدين خليل لايتجاوز صفحاتٍ يسيرة جدّا ـ الباحث ـ .

(٥) الأدب وفنونه دراسة ونقد ، د. عزّ الدين إسماعيل (ص٢٨٠-٢٨٦) بتصرّف .

أكثر منه قدرة على ذلك ، وقد تندُّ عنه أحداث صغيرة من حياته يكون لها أثر كبير في سيره ومسيرته ، إلا إذا لجأ إلى مدوَّناته خارجا ـ مع ذلك ــ عن هوى نفسه ، وينبغي أن يكون في ذلك شجاعا .

ولهذا يؤكّد بعض النقاد وجوب الموضوعية في التناول وإلغاء مناهج التعاطف والصداقة أو مناهج الخصومة[١] ؛ لأن هذا يؤثر في سير الترجمة وتفسير الأحداث مما يلغي مبدأ العدل وجدية الطرح والتناول ، ويعلي من شأن أشخاص لايستحقون ذلك ، ويخفض آخرين وهم في القمم[٢] .

ودراسة الشخصيات الأدبية والنقدية تضفي على مجال الكتابة ألوانا من التجدّد والحيوية ، بما تحمله هذه الكتابات من صفات وميزات متعدّدة ، تجعل لها هذه الأهمية ، وتجعلها مستطابة لدى القراء .

ويبرز الدكتور السيد تقيّ الدين السيد مايميز هذه السير ، ويضفي عليها هذا الرونق ، بما تحمله جنباتها من التخيّل ، كطبيعة الفنان ذاته ، فينطلق الكاتب لها بجمع الحقائق التاريخية ووضعها في موطنها الذي يجب أن تكون فيه ، مبرزا أثر الهدف وهو الحدث المراد إثباته ، وهو مقدّم على الزمن ذاته ؛ إذ تعلُّق الناس إنما يكون بالحدث العظيم ، والأهداف العظام[٣] .

ومما يميزّها كذلك أنها "أحفل من التاريخ العام بالعواطف الزاخرة الجيَّاشة ، والأحاسيس النابضة لأنها تعرض من سيرة الفرد لجوانب حياته المختلفة حتى تتجلى مقوِّمات شخصيته وتبرز معالم حياته لتفصح عن سر نبوغه وتفرُّده إذ لاتحفل السير

---

(١) مثّل الأستاذ أنور الجندي في كتابه "صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر" (ص٢٥٧) بما كتبه الدكتور زكي مبارك في خصومته مع الدكتور طه حسين ، وأن مباركا كان يورد من وقائع صلته مايستدلّ به لفكرته ، فكان يوردها مما دار بينهما يوم كان مديرا لأعمال الدكتور طه.

(٢) ماأحوج الأوساطَ الثقافية عامة إلى النَّصَفِ في القول ، وإلغاء المهاترات "النقدية" التي تعتمد في كثير من أحوالها المعرفة والصداقة! ـ الباحث ـ .

(٣) انظر : أبي حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد ، د. السيّد تقيّ الدين السيّد (ص٢٣١) بتصرّف .

إلا بكل نابغة فريد"[١] ، وحياة النابغين تحمل هذه العواطف ، وتجعل لها خصوصيتها[٢] .

ومما يميز السيرة ـ إضافة إلى ذلك ـ ويؤسس أهمية الصدق فيها ، أنها "أكثر نبضا بالحياة من التاريخ ففيها نلمس الإنسان مباشرة ، أما في التاريخ فإننا نلمس الإنسان عن طريق الأحداث التاريخية التي أحاطت به"[٣] .

ومن تلمس كتابة سير ذاتية أو غيرية بانت له حاجة ضبط الخطوات بروح الموضوعية والصدق ، وخاصة أن عصرنا عصر السيرة والعلم ، والروح العلمية تكاد تخترق كلّ دراسة ، بل هي كذلك ، "والسيرة أقرب الفنون الأدبية للروح العلمية من حيث البحث عن الحقيقة"[٤] .

فإن لم يتناول الدارسون ـ وقبل ذلك كاتبو السير ذاتها ـ هذا الأمر بهذه الطريقة ويسترشدوا بما ذكر ، فإن سيرهم سيكون متخبطا في دياجير لايظهر فيها الهدى ، بل ترتفع فيها الرايات المعميّة ، التي تبعد السائر عن الهدف المنشود .

ولهذا كلّه فكاتب الترجمة "يطلب منه فوق نزاهة القاضي سماحة الصديق . إذا استوفت الترجمة غايتها من هذا كلّه غدت بما فيها من صدق وفهم ونقد رفيع وواقعية ونبض وحياة ورفرفة وحنان ، عزيزة على القارئ يفرغ منها إلى غيرها"[٥] .

ومن الروح العلمية الواجب تتبُّعها ، والاسترشاد بها صحة المسار التاريخي للشخصية وعدم تزييف الحقائق ، خاصة إذا غابت مع الزمن ، وفي هذا يقول الدكتور إحسان عباس : "ولاأظنُّني متشائما أو غاليا حين أقرّر أن كتابة سيرة لأحد

---

(١) المرجع السابق (ص٢٣٣) .

(٢) قد يكتب بعضهم سيرته بنفسه ، لحاجة في نفس يعقوب! ، مع أن معالم حياته ، وطبيعة تجربته لاتكاد تحمل في طيّاتها نبوغا أو تفرّدا ، ولكن قد تكون هذه طبيعة المرحلة التي نعيشها اليوم ، أن يتزبب المرء قبل أن يتحصرم ، وانظر المقال الجميل "مذكرات رجل مغمور" للدكتور منصور الحازمي في كتابه "مواقف نقدية" (ص٤٠٢-٤٠٥) تجد فيه شيئا عن هذا .

(٣) أبي حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد ، د. السيد تقيّ الدين السيد (ص٢٣٩) .

(٤) المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية ، إصدار قسم اللغة العربية بكلية اللسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر (ص١٠٦) .

(٥) قمم أدبية ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص١١) .

الأقدمين عندنا تعدّ أمرا معجزا ، وأن أكثر مايحاوله الكتاب اليوم ليس إلا جهدا مبذولا لترتيب بعض الروايات أو تصحيحها فليس لدينا الشواهد الضرورية من رسائل ومذكرات ، وهناك اضطراب في الأخبار تبعا لاختلاف الميول عند أصحابها وأخذ هذه الأخبار دون تعيين التيارات التي تحركها في الخفاء ــ أو في العلن ــ أمر يقضي على الصحة التاريخية المنشودة في كتابة السيرة . ومن هذه الناحية ، يكاد الصدق التاريخي يبدو أمرا مستحيلا"[١] .

ولعلّه يعني بذلك مصداقيّة التسلسل التاريخي المؤثّر في السيرة الذاتية للشخصية المرادة ؛ مما يجعل خفايا نفسيته غير ظاهرة لمن أراد استظهارها . غير أنّا واجدون من يستنبط سيرة من ملامحها المختلفة ، وإن كَثُرَ ــ حقّا ــ التناول بالأسلوب الذي لم يرتضه الدكتور إحسان .

ولعل هذا النضج المقصود وطلبه سبب في قلّة السير ـ فنّا من فنون الإبداع ــ لدينا ، فهي لاتتعدّى كونها محاولات تؤكّد هذا النقص في صورة التراجم والسير في أدبنا العربي ، بمصطلحها الكامل الذي نراه أو نرغبه .

ويرى بعض الباحثين أن السيرة لم تتّضح كما اتضحت وتميزت في الأدب الإنجليزي بدرجتها الفنية ، وهذا دليل حداثة نشأتها ، وأبعد نماذجها يرجع إلى القرن الثامن عشر ، وهو مابين الحروب الأهلية الإنجليزية والثورة الفرنسية[٢] .

ولو نظرنا في سير القدامى والمحدثين ؛ لرأينا أنهم أصناف في تسجيلهم[٣] :

---

(١) فن السيرة ، د. إحسان عباس (ص٧٤) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص٣٧) ، ويذكر الدكتور علي جواد الطاهر أن من أشهر مايذكر من الكتب القديمة في موضوع السيرة كتابا ألفه يونانيّ (ولد أواسط القرن الأول للميلاد ، وعاش نحوا من خمسة وسبعين عاما) اسمه بلوتارك ، واسم كتابه : "سير متوازية" ، فيه ستّ وأربعون سيرة ، كلّ شخصية يونانية منها تقابلها شخصية رومانية .
انظر : الثقافة الأدبية للطالب (ص١٠٢) ، ومن السير الرائعة ماكتبه (أندريه جيد) عن الأديب الروسي دوستويفسكي في كتابه "دوستويفسكي .. مقالات ومحاضرات" ، ترجمة إلياس حنا وعرض له من خلال رسائله في قرابة خمسين صفحة ، وانظر في أثر النصرانية في السير : دليل الناقد الأدبي ، د. نبيل راغب (ص١٢٣) .

(٣) ممن ذكر شيئا من هذه التصنيفات الدكتور نبيل راغب في كتابه "دليل الناقد الأدبي" ، انظر (ص١٢٣-١٢٤) بتصرّف .

فمنهم من جرّب نظرية جديدة ، أو اعتنق عقيدة جديدة ، يسجل تحوّله إليها وإيمانه بها ، ومنهم من عانى من الاضطهاد ، فلجأ إلى الدفاع عن نفسه بهذه الكتابة ، ومنهم من كان عسكريا أو رياضيا أو بحارا مغامرا أو صحفيا رائدا ، وهؤلاء ـ في الغالب ـ يسجلون غرائب المواقف وعجائبها ، ومنهم ـ كذلك ـ من يقدّم خبرته في الحياة على اختلاف مجالاتها ، ومنهم من عاش مناسبة تاريخية مميّزة ، أو بالقرب من شخصيات مؤثرة ، وغيرها .. وغيرها ، من التصنيفات التي تدقّ كلما تفرّع الحديث عنها .

ويلحظ الدكتور نبيل راغب أن تطوّر السيرة منذ القرن الثامن عشر كان لظهور مايسمى (السيرة الشعبية) والتي "تدور حول أبناء الشعب العاديين نتيجة لنموّ الروح (الديمقراطية) الجديدة ، وأصبحت السيرة تهدف إلى التسلية والإثارة حتى ولو كان الكاتب يتناول سيرة جاره بالكتابة ، وتناولت حياة الذين حققوا نجاحا تجاريا أو الذين ارتكبوا من الجرائم ماتقشعرّ له الأبدان ، وغير ذلك من الموضوعات التي أقبل عليها القراء في نهم ، وتطرقت السيرة إلى كتابة الفضائح ، وحلت المغامرات محل المثاليات ، واختلط الحابل بالنابل"[١] .

وإن كنا نرى بعض الباحثين حين يتناول بداية هذا الفن ونشأته في الأدب العربي ، يذهب بعيدا إلى اعتبار السيرة النبوية من هذا المجال ، مع كونها غير مقصودة لذلك ؛ بل هي سلسلة من الأحداث تتناول ماوقع للمصطفى ﷺ[٢] ، والحق أننا إذا عرضنا هذه الأحداث عرضا روائيّا أدبيّا ، فإن لبوس هذا العرض مصطلح (فن السيرة) يكون ظاهرا ، فيلحق حينها ــ فحسب ــ بدائرة الأدب[٣] . وهذا ماجعل بعضهم يدخل في فنّ السيرة ماليس منه ، كما فعل الدكتور السيد تقي الدين السيد ؛ حيث ساق الحديث عن كتب الأنساب وروايات المؤرّخين

---

(١) المرجع السابق (ص١٢٨-١٢٩) .

(٢) يأتي عمر أبو رشية شاعر حلب في مقدمة من جمع السيرة النبوية في صورة شعرية كاملة وهي "ملحمة محمد" في أربعة آلاف بيت . انظر : أثر الإسلام في الشعر الحديث في سوريا ، محمد علي الهاشمي (ص٥٥) .

(٣) وممن مال إلى ذلك الدكتور ماهر حسن فهمي ، المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية ، إصدار قسم اللغة العربية ، جامعة قطر (ص٩٣) .

للحوادث التاريخية[١] ورواية الأدب والأشعار ، ولكنا نجد لهذا الحديث عذرا إذا كان مقصده منه ذكر التراجم والسير بصفة عامة ، خلافا لتخصيص هذا المصطلح بالتناول خاصة وأنا نجده يقول : "السيرة لاتحتل مكانها الحقيقي في مدونة التاريخ ، ما لم تكن هي نفسها تعبيرا عن الحقيقة التاريخية ... الحقيقة التاريخية التي تجمع بين البطل والقوى الاجتماعية التي تتجاوب معه وتحدوه إلى الغاية التي تنشدها"[٢] . فكأنه يبين هنا تأثر الشخصية بما يدور حولها من أحداث وفق صراع (دراميّ) متميِّز ، يجعل من سياق مجريات أحداثها لوحة فنية رائعة للعرض ، لامجرد عرض لتفصيلات الأحداث والتاريخ دون ربط أو استلهام ؛ لأن الخوض في هذه التفصيلات "لغو لاغناء فيه ، وزحمة تكظّ الفراغ ، وتغطي على الخطوط الرئيسية في الصورة"[٣] ، والتاريخ ـ حاضره وماضيه ـ داعم للمسيرة في ذلك .

وحين نلتمس الإبداع في أيّ شخصية نجد أنه "سرد معلن للكوامن المتواترة لتفاصيل شتى وتخرصات زمنية وانبعاثات حضارية متلاحقة ، فأنت لست محصلة أناكّ مفردةً في فراغ ، بل اختزال لإرث فكري وحضاري ضارب في الزمن وحصيلة وعي جمعيّ متراكم"[٤] .

---

(١) يذهب الدكتور ماهر إلى أن مصطلح (السيرة) أقدم من (الترجمة) ، ويرى استخدام المعاجم المعاصرة كلمة (الترجمة) دلالة على (السيرة) ، ويحصر الفرق في أن (السيرة) حياة مسهبة ، بينما (الترجمة) موجزة . انظر : المرجع السابق (ص٥٥) .

(٢) أبي حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد ، د. السيد تقيّ الدين السيد (ص٢٢٨) .

(٣) كتب وشخصيات ، الأستاذ سيد قطب رحمه الله (ص٣٠٢) .

(٤) سوق عكاظ : ملف ثقافي صادر عن نادي الطائف الأدبي ، مقال الكاتبة اعتدال عطيوي "تفاصيل سيرة ذاتية معلنة" (ص٢٤٣) ، على اختلافنا مع الكاتبة في بعض مصطلحاتها ذاتِ المرجعية الفكرية المشتطّة بعيدا كدعوى انتشال النفس من "جليدية التلقين ، والبئر العميقة ، ووأد القيود الواهية" ونحوها من الكلمات الرمزية المنابذة للتراث والتوازن الفكري ـ الباحث ـ.

ومما يذكره النقاد والدارسون من نماذج السير الأدبية ماكتبه د. طه حسين[١] في كتابه الذي يمثل سيرته ، وهو (الأيام) [٢] ، وقد استخدم فيه غير ضمير المتكلّم الذي استخدمه كثيرا في كتابه الآخر (أديب) [٣] .

وطه حسين في (أيامه) ينقل بريشته الرائعة صورة حياته وماعاش فيها من تقلُّبات وتحولات أثّرت في نفسيته ومواجهاته وطبيعته ، ولعل من قرأ (الأيام) ووجد ضنك العيش الذي مرَّ به طه حسين عرف طرفا من أسباب ثوريته العجيبة .

أما محاولته (مع المتنبي) فيرى بعض الباحثين أنها ليست (ترجمة) خالصة ، ولابحثا أدبيا خالصا ، ولكنها بين بين ، تحت مايسمى (الاستعراض التصويري) [٤] .

وقبل أن نمضي في بيان شئ من أمثلة (السيرة) في أدبنا العربي نشير إلى أن بعض الباحثين يشدِّد الخناق في النظر إلى تكامل سيرة ما ، فلا تجده إلا معرِّضا بجوانب النقص على اختلاف في وجهات النظر ، حتى قال بعضهم : "ولدينا في اللغة العربية عدة نماذج للتراجم ، ليست واحدة منها مما ينطبق عليه نصّ الاصطلاح الحرفي : (ترجمة)" [٥] .

---

(١) هو طه بن حسين بن علي بن سلامة ، ولد عام (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) ، أحدث ضجة في عالم الأدب بفكره المتحرّر ، ولد في قرية (الكيلو) بالصعيد ، وكُفّ بصره في الثالثة من عمره ، درس في الأزهر وله فيه مواقف أثرت في فكره ورميه الأزهر بالجمود ، تخرج بالسّوربون (١٩١٨م) ثم عاد إلى مصر ، ثم صار وزيرا للمعارف فجعل التعليم الثانوي والمهني مجانا ، له "في الأدب الجاهلي" ، و"حديث الأربعاء" ، و"أنا" وغيرها ، حاول إقامة دائرة معارف عربية فلم ينجح ، توفي بالقاهرة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) .
انظر : الأعلام ، الزركلي (٢٣١/٣) ، مع نثار من قلم الباحث .

(٢) ويقع في ثلاثة أجزاء من القطع المتوسط ، طبعة دار المعارف ، كلّ منها في قرابة ثمانين ومائة صفحة أو ستين ومائة ـ الباحث ـ .

(٣) نشرته دار المعارف كذلك ، وطبعته السابعة من القطع المتوسط قرابة ثلاث وثمانين ومائة صفحة ـ الباحث ـ .

(٤) انظر في هذا : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، الأستاذ سيد قطب (ص٩٢-٩٣) ، وكتابه : كتب وشخصيات (ص٣٠٠) .

(٥) النقد الأدبي أصوله ومناهجه (ص٩١) .

ولعلّ في هذا شيئا من المبالغة ؛ إذ إننا حين نقارن سيرة عربية وأخرى أجنبية نرى اكتمال التجربة الشعورية والطريقة التعبيرية الفنية عن هذه التجربة ، بما لايفرق عن مثيلتها الأجنبية ، بل قد يفوقها .

إن (الأيام) ـ مثلا ــ استطاعت أن ترسم سيرة ذاتية بمزايا عديدة منها : "الطريقة البارعة في القصّ ، والأسلوب الجميل ، والعاطفة الكامنة في ثناياه المستعلنة أحيانا حتى تطغى على السطح ؛ وتلك اللمسات الفنية في رسم بعض الصور الكاملة للأشخاص ، والقدرة على السخرية اللاذعة في ثوب جادّ حتى تظهر وكأنها غير مقصودة"[١] . وعبقريات العقاد[٢] تسير على النسق ذاته ، إلا أنها تفقد كمال التصوير ، وتتّسم بعدم تحرير النصوص المؤثرة في الأحداث ؛ مما يسبب غبشا في الرؤية[٣] .

وقد ظهر كتاب "الساق على الساق" قبل ذلك زمنا ، وهو نموذج للفن القصصيّ ، والسيرة الذاتية في نفس الوقت ، بل يعدّه الدكتور محمد الهادي المطوي رواية ، ولكنه أقرب إلى السيرة الذاتية ، ويستشهد الدكتور المطوي على

---

(١) فن السيرة ، د. إحسان عباس (ص١٣١) .

(٢) هو عباس بن محمود بن إبراهيم العقاد ، إمام في الأدب ، أصله من دمياط ، أجد أجداده كان يعمل في (عقادة) الحرير فلقب بذلك ، أمه كردية ، ولد عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٩م) ، شغف بالمطالعة ، ونشأ عليها ، عمل موظفا بالسكة الحديدية ووزارة الأوقاف ثم معلّما ثم انقطع للكتابة والصحافة ، أجاد الإنجليزية ثم الألمانية والفرنسية ، صنف ثلاثة وثمانين كتابا ، صدر منها "أنا" بعد وفاته ، كان عضوا في المجامع العربية الثلاثة (دمشق ، القاهرة ، بغداد) له شِعر جيد ، وكان أجشَّ الصوت طويل القامة نعت بالعملاق ، توفي بالقاهرة ودفن بأسوان عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) .
انظر : الأعلام ، الزركلي (٣/٢٦٦-٢٦٧) .

(٣) انظر : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، الأستاذ سيد قطب رحمه الله (ص٩٢) بتصرّف .
ويمتدح الأستاذ سيد (العقاد) كثيرا ؛ بل يسميه "دارس الشخصيات الأول إلى اليوم" ، ويراه أهلا لرسم الصورة وإعطائنا مفتاح الشخصية ، كما يمتدح الدكتور طه حسين في تحليله وطريقة تصويره . وانظر في كل ماسبق :كتب وشخصيات ، سيد قطب (ص٢٩٨-٣٠٦) .
بينما لايعد الدكتور إحسان عباس العبقريات من السيرة الأدبية بمعناها الدقيق ؛ ولهذا يراه مخففا . انظر : فن السيرة (ص٥٨-٦٢) مختصرا .

ذلك بقول الشدياق[١] على لسان بطله (الفارياق) : "أنا العبد الحقير كاتب سيرته"[٢] .

ولئن كانت هذه المحاولة أول سيرة ذاتية ظهرت في العصر الحديث ، فإنها لاتعدو ـ كما يراها الدكتور إحسان عباس ـــ ذكر التنقلات والأحوال باستطراد وترادف وسخرية ومجون ، مع رحابة صدر الكاتب لتلقيّ المدنية الحديثة ، ونظرته إلى المرأة ، وسخريته برجال الدين[٣] ، ويؤخذ عليها الانقياد لطبيعة المقامة وكثرة التورية والتلميحات ؛ مما أفسد استرساله ، وأعاق متعة السرد ، وأغرق في الخيال وصنع المشاهد ، مما جعل الدكتور إحسان عباس لايعده ـ إذا قورن بأيام طه حسين ـ سيرة ذاتية بالمعنى الفني الدقيق[٤] ، بينما يرى محاولة أخرى أكثر استيفاء لعناصر السيرة الفنية ببراعتها وصراحتها وفنية بنائها،وجمال تصويرها النفسي للحدث؛تلكم هي محاولة (نعيمة)[٥]

---

(١) هو أحمد بن فارس الشدياق ، عالم باللغة والأدب ، ولد عام (١٢١٩هـ/١٨٠٤م) بلبنان ، من أبوين مارونيين سمّياه فارسا ، تلقى عن علماء مصر وتنقل في أوروبا ، ثم سافر إلى تونس فأسلم وتسمى (أحمد فارس) ، أصدر جريدة (الجوائب) واستمرت (٢٣) سنة ، توفي بالآستانة ونقل جثمانه إلى لبنان عام (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م) ، له مؤلفات عديدة ، منها : "الجاسوس على القاموس" ، و"الساق على الساق" ، و"غنية الطالب" وغيرها .
انظر : الأعلام ، للزركلي (١/١٩٣) .

(٢) أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة ، د. محمد الهادي المطوي (ص٤٠٧-٤٠٨) بتصرّف .

(٣) مصطلحنا ـ أهل الإسلام ـ هو العلماء ، أما (رجال الدين) فيقرب أن يكون مصطلحا نصرانيا ـ الباحث ـ .

(٤) انظر : فن السيرة ، د. إحسان عباس (ص١٣٠-١٣١) .

(٥) هو ميخائيل نعيمة ، ولد بلبنان سنة (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) ، شاعر مهجري ، تعلم بفلسطين وأوكرانيا ، هاجر إلى أمريكا ، وأنهى دراسة الحقوق والآداب في جامعة واشنطن ، ودخل الجيش الأمريكي ، ثم أرسل إلى الجبهة الفرنسية في الحرب العالمية الأولى ، حرر في صحيفة (الفنون) و(السائح) ، من مؤسسي الرابطة القلمية ، عاد إلى لبنان و لم ينظم الشعر بعد عودته كان أرثوذكسيا يؤمن بالتناسخ ووحدة الوجود وكان يضيق بالنقد ، وكأنه لم يتزوج ، له "الغربال" ، و"زاد المعاد" ، و"سبعون" وغيرها .
انظر : ذيل الأعلام ، أحمد العلاونة (ص٢١٣) .

في سيرة (جبران) [١] ، وكتابه الآخر (سبعون) الذي تحدث فيه عن سيرته الذاتية في ثلاثة أجزاء ، ويمثل كل منها مرحلة من مراحل حياته .

لكننا نجد الباحثين يطرون سيرة (جبران) ، بينما قد لايذكرون الكتاب الآخر ولعلّ ذلك راجع إلى قيمة هذا الكتاب لديهم وطريقة أدائه وخياله الخصب ، وتنوّع الأسلوب وتحليل أعمال جبران ونقدها ، وتعرية شخصيته[٢] .

بل إننا نجد الدكتور إحسان عباس يزجي الثناء العاطر ، ويدبّج المديح لهذه السيرة التي أخرجها نعيمة ففيها "اكتمل للسيرة وجودها في الأدب العربي الحديث من حيث الغاية والتطبيق"[٣] ؛ ويعزو ذلك لصراحته فيها تصويرا للصديق ، وكشفا للصراع مع الحياة ، وعرضا لجبران في مرحلة الضعف والقلق ، ونقدا ساخرا من متناقضاته ، مع جمال فني وحيوية وتدرُّج تامّ في النموّ والكمال ، مع كون هذا البناء قد لاتشوبه إلا بعض المقدّمات التي تورّط فيها العقاد إلى درجة الإملال! [٤]

وقد أسرف نعيمة في الحوار كثيرا ، محاولا محاكاة طريقة جبران نفسه في ذلك[٥] . ولكنه كان شجاعا صريحا ، تبدو الحماسة كامنة في إخلاصه ، وهو ناقد قبل أن يكون فنّانا ، وإنما قدر على التصوير بهذه الطريقة لمتانة الصلة بينه وجبران "ولعله لايبلغ هذه القدرة لو حاول أن يكتب سيرة شخص آخر"[٦] .

---

(١) هو جبران خليل جبران ، شاعر ناثر من لبنان ، اغترب في أمريكا وفرنسا ، كان رفيقا لنعيمة في الرابطة القلمية بنيويورك ، وكان مولده عام ١٨٨٣م ، ماتت أخته ثم أمه ثم أخوه ، وكان عميدا للرابطة ، وظلّ يكتب ويصنف حتى وافته منيته بعد معاناة شديدة مع مرض السّلّ الذي أهلك أهله كذلك من قبله ، وكانت وفاته عام ١٩٣١م .
انظر : جبران خليل جبران ، د. فوزي عطوي (ص١٣) ومابعدها .

(٢) انظر في هذا : ميخائيل نعيمة .. منهجه في النقد واتجاهه في الأدب ، د. شفيع السيد (ص٣٥٧-٣٧٩) .

(٣) فن السيرة ، د. إحسان عباس (ص٦٣) .

(٤) نفسه .

(٥) المرجع نفسه (ص٦٤-٦٥) .

(٦) المرجع نفسه (ص٦٧) .

ولاندري لم هذه النظـرة المتشـائمة مـن الدكتـور عبـاس لمـا كتبـه العقـاد في عبقرياته الفذّة ، حيث لم يقدّم مبرّرات نقديةً كاملـة تؤسّـس اكتمـال هـذه النظـرة وإنما نجده يفزع إلى القول بإخفاق العقـاد في قصتـه إذ يقـول : "والعقـاد أخفـق في كتابة القصة حين أنشأ "سارة" ، فعزف عنها ، ووجد خياله الذهـني ــ إن صحـت التسمية ـ مجاله الرحب في التراجم والمحاكمات العقلية"[١] .

فهذا النظر من الدكتور فيه عموم لاضابط له ، ويحتاج ـ حسب علمي ــ إلى وضع النقاط على الحروف ، وبيان أسبابِ ومقدّمات هذه النتيجة .

ولعلّ من نماذج السيرة المتقنـة (أيـامي) [٢] ، وهـو نمـوذج للسـيرة في جانبهـا التعليمي[٣] والإصلاحي على وجه الخصوص[٤] . وقد جمع فيه بين الحقيقـة والخيـال مرسلا حديثه ببوح صادق لاتكلّف فيه ولاتقعّر ، مع واقعية الشخصيّات ، وهـو في كلّ هذا يتخلّى عن تقمُّص شخصية المؤرخ ؛ ليلبس ماياسب شـخصية الفنـان المبدع[٥] .

وقد يسجل غيرها من السير في أدبنا السعودي الحديث ، خاصة مـع انتشـار الكتابة في هذا المجال الإبداعي ، وإن لم يكن وفق الصورة المنشودة[٦] .

وقد يتناثر بعض السير من خلال القصص ؛ حيث هي رافـد تستجلى منـه ، بل يرى بعض النقاد أن السيرة والقصة صنوان متماثلان ، فالسيرة لدى هـؤلاء نمـط

---

(١) المرجع السابق (ص٦٦) .

(٢) وقد كتبها الأستاذ الأديب أحمد السباعي رحمه الله .

(٣) هناك مايسمى (تراجم التفسير الأدبي) ويركز فيها الكاتب على رحلته الفنية ومراحلها وتطور قدراته .
انظر بـالتفصيل : الأدب العربـي الحديـث ، د. محمـد صـالح الشـنطي (ص٣٤١) ومابعدهـا ، بتصرّف .

(٤) انظر : فن الرواية في المملكة العربيـة السعودية بـين النشـأة والتطـور ، د. السيّد محمـد ديـب (ص١٠٦) .

(٥) انظر : مواقف نقدية ، د. منصور الحازمي (ص١١٥-١١٩) مختصرا .

(٦) ذكر د. يحيى محمود ساعاتي في كتابه "الأدب العربي في المملكة العربية السعودية" مثالا على ذلك وهي أحد عشر عملا من أعمال (السيرة الذاتية) في المملكة ، وثلاثة من أعمال الدارسين حول واحدة من هذه السير . انظر (ص٤١-٤٣) .

من أنماط الأدب القصصي ، وإن كان ثمة خلاف يسير في (توصيف) المصطلحين[١].

وحين قدم العقاد لكتابه (عالم السدود والحدود) جاء في مقدمته تلك أنه يرى الكتاب خلاصة مارآه وأحس به وفكّر فيه خلال سجنه ، وهي في نظره تشبه القصة ، قريبة من البحث في الإصلاح الاجتماعي ومن شكل الرحلة ، وأن غرضه فيه أن يستعرض القارئ عالم السجن كما استعرضه هو ، فكأنه يعيش القصة ولكن دون أن يقيم في السجن تسعة أشهر![٢]

وتؤكد الدكتورة نعمات أحمد فؤاد أن كتابة القصة والرواية وتفاعلهما أثّر تأثيرا بالغا في كتابة التراجم[٣] .

ولاتكتفي بهذا العامل مؤثرا في كتابة التراجم ؛ بل تضيف إليه عامل المجتمع والظواهر التاريخية والأنظمة السياسية والاقتصادية وعامل المناخ والجنس (النوع) ، و"اليد الصَّنَاعُ وحدها هي التي تعرف كيف تحركها في مهارة فائقة فلا تتشابك ولاتتعقّد بل تتوازى أو تلتقي في سهولة وفن تشهد لصاحبها بالبراعة ، ولعمله بالأصالة والتميز وعمق الإحساس"[٤] .

بل ترمي الدكتورة نعمات إلى أبعد من ذلك ؛ حيث تصل بين العلوم الطبية والسيرة ودراستها فتشير إلى إلماحة (السحرتي) عن أثر دراسة الشخصية من خلال الطب ؛ إذ نقل خبرا عن نابليون وضعف غدّته النخامية ، وآثار ذلك في جسده ونفسيته عبر مقال له عن الانتحار[٥] .

ولاننكر مثل هذه الآثار ـ ولاشك ـ ؛ ولكن لانميل إلى المبالغة وتضخيم هذا الجانب ؛ حيث إن لهذه العلوم طبيعتها ومبالغتها في ناحية الحيطة الطبية مما قد ينتج عنه تهويل للأمر ، وتزيّد فيه ؛ وإلا فلا غرو في أثر بعض الدراسات الحديثة في ذلك إذ يؤكد الدكتور نبيل راغب تجدّد السيرة بذلك ، وتنوّعها وطرائقها ، وتناولها للأحداث والأشخاص حسب إملاء العصر وتجدّده ؛ حيث يراها قد أفادت من

---

(١) انظر : طه حسين أديبا وناقدا ، د. يحيى شامي (ص٣٤) .

(٢) انظر : المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، عباس محمود العقاد (٢٣/١١-١٢) .

(٣) انظر : قمم أدبية ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص١٠) .

(٤) نفسه .

(٥) المرجع نفسه (ص٨-٩) .

تجارب الحياة وأحداث التاريخ واكتشافات التفسير ودراسة النفس ، ونظريات الجمال والأدب والفن[١] .

ولعل كاتب السيرة الموضوعية (الغيرية) يُعنى بمراعاة ذلك أكثر من غيره حيث هو قاصد له ؛ لما له من أثر وتأثير .

وكاتب السيرة (الذاتية) [٢] يساير ذلك في كتابته وتشخيصه ولو لم يقصد أو يراع الأخذ ؛ لأنه متأثر به ، بل هي خليط أمشاجه وتجاربه وإنما يركز عنايته ومراداته في تصوير نفسه أكثر مما يقصد غير ذلك . بل قد يصدر عنه هذا في مقالة

---

(١) انظر : دليل الناقد الأدبي (ص١٣١) ، وللتفصيل انظر : من الوجهة النفسية في دراسة الأدب د. محمد خلف الله أحمد (ص٢١٩-٢٢٠) ، وقد ضرب أمثلة عديدة يحسن الرجوع إليها هناك . وانظر : في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص٦٢-٦٣) .

(٢) يقسم الدكتور عبد العزيز شرف السيرة إلى (ذاتية) و(غيرية) ، ويُنقل عن بعض الباحثين عدم التفريق بينهما غاية وشكلا ومضمونا ؛ عدا كون أولاهما بلغة المتكلم ، والأخرى بصيغة الغائب ، ويرى شرف أن (الذاتية) صورة من صور الاتصال الذاتي (Intra Personal) بين الفرد ونفسه انظر : دراسات تطبيقية حول التفسير الإعلامي الحديث (ص٢٣٠-٢٤٠) .
ويفرق الدكتور ماهر فهمي تفريقا جميلا بينهما ؛ حيث يرى أن الذاتية تحليلية ، والغيرية تركيبية وكاتب الأولى يقدّم الشخصية من الداخل إلى الخارج ، أما الآخر فمن الأحداث يتعمق في الداخل ؛ ولذا رأى من الطريف ملاحظة نقص الأولى وكمال الثانية ؛ لكمال صورتها وتقديم حياة كاملة . انظر : المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية (ص١٢٠-١٢١).
ويرى أنيس المقدسي في كتابه "الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة" (ص٥٥١) أن الغيرية تحتفظ بمسمى (السيرة) إن كانت تفسيرا للحياة الشخصية في جوّها التاريخي .
ويذهب الدكتور نبيل راغب إلى أن التفريق بينهما إنما يكون ظاهرا بوضوح في الآداب الأوروبية ومصطلحات اللغة فيها ، ولكنه قد لايكون هكذا في بيئتنا ؛ ويؤسّس هذا الخلاف بين (السيرة الذاتية Autobiography) و(السيرة الغيرية ـ الأخرى ـ Biography) . انظر : دليل الناقد الأدبي (ص١٢١) .
ويقسمها الدكتور محمود عباس عبد الواحد في كتابه "مهارات في فنون الأدب والمراسلات" (ص١٦-١٧) إلى تاريخية وأخلاقية وقصصية وغيرها .

أو غيرها من فنون الأدب ، مما تستنطق حروفه لتشي بطرف من خبايا النفس وسبر أغوارها[١] .

وتناول سير المعاصرين فيه نوع من عنصر التشويق لايخفى ؛ حيث يطّلع القارئ على ظلال شخصيات قد لايتسنى له أن يسلّط الأضواء عليها دون استرشاد بهذه السير ، التي لم تتناول إلا من خلال مصادرها المثبتة .

"والمعاصرون هم الذين نستطيع أن نطلع على حياتهم بجميع صغائرها ودقائقها إذ تغمرهم أضواء تكشفهم لمن يكتب عنهم كشفا تاما ، وخاصة إذا كان من أصدقائهم . أما القدماء فإن حياتهم غابت عنا ، ومهما جهد من يصوِّرهم فإن صورهم تظل ناقصة ، لأنه لايملك الوسائل الكافية كي يستبين حياتهم ، وخاصة إذا أوغلوا في القدم ، ولم تعطه المصادر المعلومات الكاملة عنهم . ومن ثم كان لابد أن يستعين بخياله في تصويرهم ليستكمل به مامحاه الزمن من حياتهم ، فإن حياتهم تبدو كتماثيل مهشّمة"[٢] .

ولابد من الإشارة هنا إلى وجوب عرض هذه الشخصيات من زواياها العديدة ، فلا يكتفى باللمحات العامة المقتضبة ؛ بل على من نذر نفسه لتتبع سير هذه الشخوص ، وإفرادها بالتناول والتصوير أن يكون ميدان عمله رحبا غنيًا بهذه الشمولية ، موضوعيا صادقا ؛ لأن الصدق فوق الأشخاص وذواتهم .

ويبقى أن "السيرة عملية بوح تركّز على النجاح ولاتلتفت إلى النهاية بالموت ولكنها توقف القراء على قيمة الأثر في الحياة ومدى جهد الشخصية في حياتها لتحقيق مراداتها"[٣] .

---

(١) يطلق الدكتور محمد يوسف نجم مصطلح (مقالة الصورة الشخصية) على ماكان يُظهر الكاتب فيها تجاربه وتحليلاته للحياة ، ويرى فيها بوحا وفكاهة واعترافا ، ولانعدم أن نجد (السيرة الذاتية) مبثوثة هنا ، وقد تتكامل أجزاؤها من هنا وهناك ، ويرى فيها كشفا للنفس خلافا للسيرة المحضة التي قد يحاول كاتبها الاختفاء قليلا ، ويرى النسبة بين هذا النوع من المقالة والسيرة الكبيرة ـ كما سمّاها ـ كالنسبة بين الأقصوصة والقصة .
انظر : فن المقالة (ص١٠٢-١١٩) .

(٢) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص٦٣) .

(٣) المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية ، قسم اللغة العربية بكلية اللسانيات ، جامعة قطر ، بحث د. ماهر فهمي (ص١٠٤) بتصرّف .

ولعل الذين ينظرون إلى الحديث عن الشخصيات المعاصرة بصورة كالحة ، هي صورة التخوُّن ، والنظر من خلال هذه الخلفية المتوجّسة ؛ ينطلقون من رؤيتهم النقص في هذه الموضوعية ، وركوب سبيل الإطراء والمزايدة على حساب العلم والمنهج ؛ وإلا "فمن المؤكد أن رؤية بطل السيرة والتعرف عليه أثناء حياته له فائدة كبيرة"(١) .

ويبقى متتبع هذه السير محتاجا إلى هذه الموضوعية ـ كما أشرنا ـ وذلك ديدنه ومنهجه ؛ "حتى لايسقط خيط من خيوط التعصب إلى أحكامه . إن كل مايطلب منه أن يعبر تعبيرا دقيقا عن العلاقة بين آثار أدبية معينة وبين أديب صَنَعَها له حياتُه العامة والخاصة في وسط تكوَّن فيه . ومهمته أن يرينا هذه الحياة في أضواء قوية تكشف عن انسجامها الكلي مع تلك الآثار ، بالرغم مما فيها من نشاز ، بل إن النشاز أحيانا يكمّلها ويؤلّف خصائصها"(٢) .

وقد يجد بعد حين أن عليه أن يعيد الكتابة عن شخصيته تلك لاكتشاف أمر جدّ في ذلك ، من تأمّل ورجوع في النظر ، أو قد يكون ذلك من توافر مصادر أخرى .

يقول أندريه موروا : "ينبغي أن أعيد الكتابة عن الشاعر الإنجليزي (شيلّي) فإن بعض ماكتبته عنه سنة ١٩٢٣ غير حقيقي بعد اكتشاف خطاباته عام ١٩٣١ ؛ وقد تغيَّرت تبعا لذلك الشخصية"(٣) .

نعم .. إنها ـ بحق ـ لمسؤولية عظيمة يحتملها الكاتب معه ، وينبغي أن تكون معه على ذكر وتأمل دائمين .

حتى لو كانت سجلاّ سطّره كاتب عن نفسه عبر ماسمّيناه (السيرة الذاتية) فهو مطالب بالقيام بذلك كلّه ؛ "لهذا كانت كتابة السير أمرا غير يسير لايقدر عليه إلا من أربى على قدرة المؤرخ وإحساس الأديب معا ، فالسيرة ليست سجلا لحياة

---

(١) المرجع السابق (ص٩٤-٩٥) .

(٢) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص٦١) ، وانظر : فصول في التفكير الموضوعي ، د. عبد الكريم بكار (ص٧٩، ١٧٣، ٢٠٨، ٢٣٥) .

(٣) المدخل لدراسة الفنون الأدبية ، إصدار قسم اللغة العربية بكلية اللسانيات ، جامعة قطر ، بحث د. ماهر حسن فهمي (ص٩٧) .

فرد من مولده إلى مماته ، ولكنها قصة إنسان فذ أو متميز بكل ماينبض به قلب هذا الإنسان من أحاسيس وعواطف وماعتور عقله من فلتات الذكاء الفذ والخيال الجامح ، وأبرز مافي السيرة هو العمل الكبير الذي قام به صاحبها والأثر الفعال الذي تركه بعمله في الحياة الإنسانية ، وبقدر مايعظم هذا العمل ويعظم تأثيره ، بقدر مايحفل به التاريخ فيقص خبره ويروي سيرة صاحبه"[١] .

---

(١) أبي حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد ، د. السيد تقي الدين السيد (ص٢٣٣) .

الباب الأول

الفصل الأول

السيرة

مؤثرات .. ومعالم

في البدء :

كتب العقاد في إحدى مقدمات شخصياته وعبقرياته فقال : "والصفحات التالية صور متتابعة لهذه الشخصية أو لهذه العبقرية ، لم نحفل فيها بسجلّ الأرقام ولا بإحصاء الأيام ، ولم نكتبها لنبدأ فيها بسنة الولادة ، ونختمها بسنة الوفاة ، ونمضي فيها مع التقويم شهرا بعد شهر وعاما بعد عام ، ولكننا كتبناها كما نكتب تراجمنا عامة لنعرض فيها لمحة بعد لمحة تتم بها ملامح الصورة بعد الفراغ من النظر إليها ، وقد يتابعها القارئ فلا يفوته مع ذلك سجل الأرقام ولا إحصاء الأيام ، وإنما يلمّ بها حيث يعبرها في طريقه ، ويستغني عنها بعد ذلك إذا شاء ، أو يبقيها على حدٍّ سواء"[١] .

إن الشخصية لتظهر بجلاء خلفياتها ومرجعياتها حين يتلمس المرء معالمها من قرب ؛ ليصل إلى غايته كما أراد ، وليمد الحبل إلى المعرفة متلمسا كل جديد ومفيد والأستاذ الدكتور (عماد الدين خليل)[٢] أنموذج لشخصية فريدة في هذا العصر تتدفق عطاء وحيوية كلما نظرت في كتاباته أو جلست معه مسامرا ومتحاورا .. مما يحدو المرء إلى استجلاء هذه الشخصية وإبراز معالمها للناس .

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، عباس محمود العقاد (١٥/٢١) .

(٢) نشير هنا إلى أن ماكتب عنه ـ حسب اطلاعنا ـ لايتعدى صفحات يسيرة هنا أو هناك مما جعل الغاية قائمة لجمع هذا الشتات ولمّ هذا الشعث من خلال مصادر عديدة وطول نظر في نصوصه المكتوبة ، أو تسجيل لبعض الحوارات التي أجراها معه بعض الصحفيين ، أو لقاء تم بينه والباحث على أرض عمان بالأردن عام ١٤١٨هـ مع عدم إغفال أثر النصوص المكتوبة على وجه الخصوص ، ففيها دلالات وتوثيقات أكيدة .. وسوف نشير إلى ذلك بتفصيله عند الحديث عن مصادر كتابتنا لملامح ومعالم سيرته ، والمؤثرات التي أثرت في حياته اليومية والعلمية والفنية ـ الباحث ـ .

المبحث الأول
مصادر المعالم

ربما تكون الصفحة التي يتحدث فيها عن سيرته ، وتستفتح بها كتبه في أغلفتها الداخلية غير كافية لذلك ؛ بل هي كذلك ـ ولاشك ـ فكان لزاما أن نقوم بمسح لهذه المعالم من خلال مصادر كثيرة ؛ لنستنبط منها صفة خُلقيّة أو عادة اجتماعية أو نفسية وهكذا .

ومصادر استجلاء هذه المعالم على النحو الآتي :

أولا : الحياة وحركتها :

فالحياة حركة تجلو النفوس ، وتبين ملامحها ، وتكشف أسرارها ، بكلّ مافيها من معالم التاريخ وآثاره في الأفراد .

والسيرة إذا ارتيدت لذلك جَلَتْ هذه الأحداث وجمعتها ؛ لما بينهما من عظيم الصلة وإن كانت منفصلة عن التاريخ بصفته علما له حدُّه ونظامه وطبيعته .

لكننا نجد هذه الأحداث تدخل دائرة الأدب من باب الطاقة الشعورية التي يبثها الأديب في موضوعه ، والقيم الفنية التي يضمنها تعبيره .

وهذه الأحداث مادة خام نصنع منها الترجمة ؛ ولذا تحتاج إلى من ينفخ فيها الحياة لتستحيل سيرة وترجمة رائعة[١] .

وهكذا ينطلق الكاتب عن غيره حين يتملّى أحداث حياته ؛ ليربط بينها ، ويقوم بذلك ؛ "ليلتقط الأحداث والمواقف في مستواها الأفقي الممتد على خط الزمن ، ولكنه في عملية التفسير لحدث من الحوادث أو موقف من مواقف التاريخ تراه مضطرا إلى التوقف عند إشارات تتقاطع رأسيا على هذا الخط لتعين الكاتب على كشف جوانب الشخصية"[٢] .

---

(١) انظر : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب (ص٩٠-٩١) .

(٢) مهارات في فنون الأدب والمراسلات ، د. محمود عباس عبد الواحد (ص٢٠) .

ولهذا لم يكن الدكتور طه حسين مؤرِّخا في ترجمة حياته ، يحشد الأحداث التاريخية والحقائق الزمنية ، بل كان مفسرا ومحللا وخبيرا في رسم الصور للمواقف والأشخاص بحيث يستقبل القارئ وقعها في نفسه على الوجه الذي يريده الكاتب[١].

وقد يبدأ بعضهم تسلسل الحدث بطريقة جديدة مخالفة ؛ ليؤكّد أن المراد الحقيقي من كتابة هذه السير و(المعالم) إنما هو الوقوف على نتاج هذه الشخوص وآثار الاقتداء بها ، وتقديم تجاربها في الحياة ؛ ليفيد القراء من ذلك كلّه ، على نحو مافعل (نعيمة) حين ابتدأ سيرة (جبران) بتصوير فراش الموت ومرض السلِّ حين أحاط به[٢] .

وأحداث الحياة وتأريخها ذات طابع خاصّ في أي شخصية ، بل قد تكون جزئيات منها نقشا في ذاكرة الإنسان ، تعكس توجّهه أو تطلّعاته ونفسيته ، بل يرى الدكتور ماهر فهمي أن (الصور الفوتغرافية) قد تتلمس منها هذه المعالم النفسية ، وتظهر طريقة الشخصية في الحياة .. في اللباس .. في الهوايات .. في الذوق ؛ لتعكس ذلك كلّه بكل مافيه من ظهور الصفات واتساقها على اختلاف الأحداث التي تمر بها ، فقد تظهر جزئية ماأخفته أخرى ، وقد تبدو فيه سجيّة هنا لم تبد هناك ، وهكذا[٣] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، وقد استدرك المؤلف على صاحب الأيام حيرته في تذكر أحداث حياته وروحه الاستعلائية الظاهرة ، ومن قرأ الأيام وجد ذلك من خلال التردّد في ذكر الحدث أو الأسماء ونحوها ، ومن جهة الطموح الذي أحدث استعلاء صاحب الأيام وحنقه من المجتمع ، مع اختلافنا وإيّاه حول بعض القضايا الفكرية ـ الباحث ـ .
أما التردد فيرجع إلى (الذاكرة) وقد أخذ على السابقين ، انظر ـ مثلا ـ : منهج البحث الأدبي عند ابن خلكان ، فخر الدين محمد يوسف عامر (ص٢٤١) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص٢٠) ، وانظر ـ كذلك ـ : المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية ، إصدار قسم اللغة العربية بكلية اللسانيات ، جامعة قطر ، بحث د. ماهر حسن فهمي (ص١٠٢) .

(٣) انظر : المدخل ، قسم اللغة ، جامعة قطر ، د. ماهر حسن فهمي (ص٩٨) .
وقد لاتعد بعض الأعمال الفنية للشخصية وثائق تاريخية على أصحابها ، كشعر شوقي في النسيب مثلا من خلال مدائحه ، ولكننا لن نعدم ظلالا من هذه الأحداث عن الشخصية ـ الباحث ـ .

ويرى الدكتور عز الدين إسماعيل أن سعينا هذا يربط عمل المؤرخ وبيان البيئة وعمل المصوّر الفنان ، ويرى فيه نفعا عظيما ؛ شريطة ألاّ تنكفئ الشخصية على ذاتها ، ولهذا كله يمتدح استغلال هذه الأحداث في استجلاء صورة الشخصية كما امتدح ترجمة الكاتب الشاعر الإنجليزي المعاصر (استيفن اسبندر) حين سمّاها (حياة خلال حياة Life Within Life) [١] .

فالسيرة ومعالمها إذن تتميز بتجلية هذه الحياة ، وتتميز عنها بنفخ الروح في الشخصية وبعثها لتعيش مرة أخرى في إطار واقعها الزماني والمكاني ، وتشخص الظروف والوقائع التي لابستها ، وآثارها عليها[٢] .

فدراسة النفس من خلال سيرتها في الحياة مصدر من المصادر المهمة للباحث كما لاحظتها الدكتورة هدى بهنام في كتاب (النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقّري) حين تلمست ذلك من خلال مقدرة مصنف الكتاب الفائقة على إرسال سيرته من خلال الأحداث بأسلوب أدبي متميز[٣] .

ولاشك في أن الباحث ينظر في هذه الأحداث مبديا وجهة نظره ؛ ليمنحها بعدا فكريًا مهمًا يزيد من خصوبتها ، ويكشف كلّ زواياها ، ويمنحها قوة الإقناع والتأثير[٤] .

ويؤكّد (جان نويل) أن الحاجة إلى ماسماها (النظرة التحلينفسية) قائمة حيث نبحث في التاريخ والتجربة الواقعية للشخصية تأثرا وتأثيرا ، ولكن لابد أن نغوص في الداخل[٥] .

---

(١) انظر : الأدب وفنونه دراسة ونقد (ص٢٧٧-٢٧٩) .

(٢) انظر : ميخائيل نعيمة ، منهجه في النقد واتجاهه في الأدب ، د. شفيع السيد (ص٣٦١) .

(٣) انظر : (ص٩٢) ومابعدهامن الكتاب ذاته .

(٤) انظر : المدخل ، قسم اللغة العربية ، جامعة قطر ، د. ماهر حسن فهمي (ص١٠١) .
حتى ولو كانت أحداثا يسيرة بل نكتا وطرائف وحوادث عابرة ، فقد يكون لها أثر أكبر من حدث بارز .
انظر في هذا : صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر ، أنور الجندي (ص٢٦١) .

(٥) انظر : التحليل النفسي والأدب ، تعريب د. عبد الوهاب ترودار (ص٩٦) .

وهو مارآه ريتشارد س.لازاروس في كتابه (الشخصية) ؛ حيث يدعو إلى أن تدرس السيرة بدراسة الشخصية ومامر بها من أحداث ووصفها "ووصف أبنية النظام الذي تعالجه ... وتكوين صورة "سيكولوجية" للناس بعامة ، ولشخص معين بالذات"[١] .

وأرجو أن أكون موفقا بجمع هذه الأحداث المؤثرة في مسيرة الأديب الناقد الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل من خلال مقالاته المتنوعة ، وحواراته الصحفية التي جمعها في مخطوط يعدّه للنشر تحت عنوان : "ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية"[٢] ، ومن خلال الحوار الذي أجريته معه في أرض (الأردن) في شهر شعبان عام ١٤١٨هـ منذ بدايات هذا البحث المتواضع[٢] . [٣]

---

(١) الشخصية ، ريتشارد لازاروس ، ترجمة د. سيد محمد غنيم (ص٥١) .

(٢) وقد تحصلت على نسخة منه عن طريق مقابلة الدكتور عماد في الأردن ، ولله الحمد .

(٣) وهو ماأشير إليه بعبارة (لقاء الأردن) .

ثانيا : الوثائق والكتابات :

تعدّ الوثائق والكتابات من أهم مصادر الحديث عن الشخوص على اختلافها.

والوثائق والكتابات المثبتة ، التي عشت معها زمنا ليس بالقصير في ردهات المكتبات داخل البلاد وخارجها[١] ، وماقمت بتصويره من هنا أو هناك كان لها أثر في صورة هذا البحث .

والوثائق[٢] دليل إلى الترجمة ، ولها مصداقية لاتنكر ، ومنها الحوارات والخطابات والسجلات .

ولعل خير مأفدت منه في ذلك مخطوط "ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية" ، و(لقاء الأردن) الذي التقيت فيه الأديب الناقد الدكتور عماد الدين خليل في أربعة أيام متتابعة .

ونعني بالكتابات كلّ ماسطّره الدكتور عماد الدين في كتبه المختلفة ، متعدّدة الاتجاهات ، بين كتابات فكرية واجتماعية وتاريخية وأدبية ونقدية ، فلم أجد الأمر مستقيما لي إلا بالخوض في ذلك ؛ لتكون صورة الاستجلاء قريبة من التمام ، على أنني لاأدّعي ذلك ، ولكني أصبو إليه .

فكنت أنقب في هذه الكتب التي جمعتها لديّ من شتى البلدان[٣] ، حتى بلغ ماجمعته منها مايزيد عن ستين كتابا مختلفة الهدف والمنحى .

لكنني أستطيع الإشارة هنا إلى أهم هذه الكتب بعد أن أشير إلى مخطوط نفيس تحصلت عليه من الأستاذ الدكتور عماد الدين ، وقد وضع له عنوان :

---

(١) خاصة في الأردن وسوريا ولبنان ، ومكتبات جدة ومكة والمدينة ، والرياض والمنطقة الشرقية .

(٢) يدعو جان بلامان نويل في كتابه "التحليل النفسي والأدب" إلى ماسماه (علم نفس السيرة) ووجوب الأخذ بنتاج الأديب كلّه ، والوثائق الخارجية عن حياته وإبداعه ؛ كي تكون السيرة متماسكة ؛ لذا يجب أن نطالعها بوعي تام ، ويرى النصّ نفسه في المشهد تمثيلا لهذا الإنسان . انظر : التحليل النفسي والأدب (ص٨٦-٩٩) بإيجاز .

(٣) انظر مقدّمة الرسالة .

(من أدب الرحلات) [١] يذكر فيه أطرافا من رحلاته إلى تركيا والسودان بأسلوب ساحر .

ومن هذه الكتب التي أفدت منها كثيرا في استجلاء شخصية عماد الدين خليل :

- الرؤية الإسلامية
- مؤشرات إسلامية في زمن السرعة
- آفاق قرآنية
- حوار في المعمار الكوني
- حول إعادة تشكيل العقل المسلم
- جداول الحب واليقين (ديوان شعر)
- الإعصار والمئذنة (رواية)
- الفن والعقيدة

ومن هذه المصادر التي تبين جوانب من صفاته وحركته وحبه النظام والعمل والبرامج العملية ، وسعة أفقه وبعد نظره ، ماسطّره في ورقة العمل التي تقدّم بها إلى مؤتمر بماليزيا ، وقد شارك فيه قبل لقائي إيّاه في الأردن . وكانت الورقة بعنوان : (حول حركة الأدب الإسلامي المعاصرة : وقفة لمراجعة الحسابات) ، ومحاضرة له بعنوان : (تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر) وقد ألقاها في نادي المدينة الأدبي عام ١٤١٠هـ .

ومنها ماتكون فيه إشارة من ثناء على شخصه أو صفة محمودة فيه .

ومن أمثلته ماسجله الدكتور عمر عبيد حسنة[٢] في مقدّمة "حول تشكيل العقل المسلم"[٣] للدكتور ، ومنها مقالاته وكتاباته في المجلات المختلفة ، وقد بذلت جهدا ربما أرضى عنه في جمعها وتصنيفها والإفادة منها ـ بإذن الله ـ حيث تحصّلت عليها من مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، ومكتبة جامعة أم القرى بمكة ، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، وعن طريق بعض مراكز المعلومات المصغّرة كوكالة روناء بمدينة الرياض .

---

(١) مخطوط لمّا ينشر ، وقد تحصّل الباحث على نسخة منه في لقاء (عماد الدين) في الأردن .

(٢) ولد في سورية عام ١٣٥٣هـ ، وأدار مجلة (حضارة الإسلام) الدمشقية قرابة خمسة عشر عاما ثم مجلة (الأمة) القطرية قرابة خمس سنوات ، ويشرف على كتاب (الأمة) التابع لمركز البحوث والمعلومات في قطر ، وللدكتور عمر مؤلفات عديدة ومقالات فكرية واجتماعية . انظر : مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، له ، الغلاف الداخلي .

(٣) حول تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل (المقدّمة ص٢٦-٢٩) .

ثالثا : الحوار واللقاء :

ولقد كان لالتقائي الأستاذ عماد الدين أثر بالغ في نفسي وسيري في البحث حيث أفدت من لقائه كثيرا بمعرفته عن قرب ، والعيش معه طيلة أربعة أيام في الأردن ، حتى نشأت بيننا علاقة وطيدة ، لكأنها من عشرات السنين ولايحول بيني وبينه إلا إجرام طاغية العراق ـ عليه من الله مايستحق ـ .

التقيته في مطار عمَّان مستقبلا إياه بعد عودته من ماليزيا ، ثم توجهنا إلى مقرّ الإقامة ، ودارت حوارات مكثفة منذ اليوم الثاني من الشهر الثامن لعام ١٤١٨هـ ، بدت لي فيها ملامح عديدة لم أكن لأجدها في غير هذا المظنّ ، وقد أثبتُّ هذا اللقاء تصويرا حيّا وتسجيلا كاملا فكان ـ بحق ـ قيمة علمية أعتزّ بها كثيرا ، وأَأْرز إليها كلّما أردت إثبات فكرة ما ، أو أردت أن أذكر تلك الأطياف العلمية الندية .

يقول أحد الباحثين عن (الشخصيات) : "الواجب العلمي والأدبي والتاريخي يقتضي أن نظفر بما يمكن الظفر به من دقائق حياتهم مما له اتصال بأدبهم ومما له اتصال بتاريخ الحياة الأدبية . وقد سمعت من بعض رجالنا الأعلام أثناء ترجمتي لهم مالايمكن أن نعثر عليه في كتبهم أو فيما كتب عنهم . وهنا فضل المعاصرة والمقابلة الشخصية التي لايغني غناءها ملءُ النماذج مهما كانت مفصلة .

إن اللقاء الشخصي يضفي جوًّا من الثقة والطمأنينة ، ويفتح كثيرا من الموضوعات وكثيرا من مغاليق النفوس أيضا ، هذا فضلا عن عامل الوقت والسرعة في الموضوع ، على أن حصاد المقابلة الشخصية سوف يدرس ويمحّص بعد التثبت من الحقائق في مظانها المختلفة"[١] .

---

(١) قمم أدبية ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص١٣-١٤) .

رابعا : مصادر أخرى :

وكلّ شخصية من الشخصيات المختلفة ، تستطيع أن تسبر أغوارها بتهيئة وسائل عديدة ، كالسماع مثلا وانتشار طيب الذكر لدى الآخرين[١] ، وأخذ شهاداتهم .

كما نستطيع ذلك من خلال ماكتب عن الآخرين ، ومحاولة المقارنة بينهما في الرؤية وجمع النقاط المتفقة للخروج بصورة مقاربة ، مما قد يكون موجزا أو طويلا . وقد يكون منها تذكر موقف أو صفة معينة لوحظت في هذه الشخصية الأدبية ويكون لها دلالاتها المختلفة[٢] .

ولو استطاع الباحث أن يتحصّل على (مذكّرات) كتبتها تلك الشخصيات ؛ فإن هذا يعدّ كنزا ثمينا بحق ؛ فالمذكرات تصوير دقيق صادق ـ في غالبه ــ فالأديب حريص على تسجيل مايراه في يومه ، وينثره قطعة أدبية مسبوكة محبوكة .

هاهو الدكتور طه حسين يخبرنا عن حال (أديبه) مصوّرا مسلكه في الليل والنهار ، إذ يحكي عنه عجبا فيقول : "وكان يقضي نهاره في السعي والعمل والحديث حتى إذا انقضى النهار ، وتقدم الليل وفرغ من أهله ومن الناس وخلا إلى نفسه ، أسرع إلى قلمه وقرطاسه وأخذ يكتب ويكتب ويكتب ، حتى يبلغ منه الإعياء وتضطرب يده على القرطاس بما لايعلم ولايفهم ، وتختلط الحروف أمام عينيه الزائغتين ، ويأخذه دوار ، فإذا القلم قد سقط من يده ، وإذا هو مضطر إلى أن يأوي إلى مضجعه ليستريح . ولم يكن نومه بأهدأ من يقظته ، فقد كان يكتب نائما كما كان يكتب يقظا ، وماكانت أحلامه في الليل إلا فصولا ومقالات ، وخطبا ومحاضرات"[٣] .

---

(١) وقد كان هذا الثناء من كثيرين ، منهم : أ.د. عبد القدوس أبو صالح ــ وقد زرته في منزله بالرياض ـ وأ.د. عبد الباسط بدر ـ وقد زرته في المدينة ــ والدكتور مصطفى عليان ، وقد التقيته في الأردن ، والأستاذ أحمد الجدع كذلك ، وآخرون ـ الباحث ـ .

(٢) أشار إلى مثل ذلك الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه "الأدب وفنونه ــ دراسة ونقد" (ص٢٨٢) .

(٣) أديب ، د. طه حسين (ص٩) ، ولعل الدكتور طه في "أديب" كان صريحا عن نفسه وكشف بعض ملامحها أكثر منه في أجزاء "الأيام" الثلاثة ـ الباحث ـ .

والأديب حين يستعرض ذكرياته ، لايكون مجرد ناقل لتقلّبات الحياة ، ومايواجهه فيها ؛ لكنه يعرض ذلك كلّه بصورة مؤثرة جاذبة ، ذات وقع لدى المتلقي .

قال أحد الأدباء عن مذكراته : "ليس في ذكرياتي من حدث يستحق الحفظ للأبد ، القيمة الأدبية لاتقوم على أهمية موضوع ، إذا استطعنا جعل كلّ مانشعر به بصدق معقولا للآخرين ، فإنه يحظى بالاحترام دائما ، إذا تأتّى لنا التعبير بالكلمات عن الصور التي تكونت في الذاكرة ، تستحق عندها مكانة في الأدب"[١] .

وعلى الباحث النظر إلى هذه المذكرات[٢] بعين البَصَر والتدقيق ، فقد يجد فيها ماليس في غيرها ، والسطر المنثور من الصدر له قيمته .

ويردّ الدكتور نبيل راغب على من يخلطون بين (المذكّرات) و(السيرة الذاتية) ويرى الفرق ظاهرا في طريقة استخدام الشخصيات مراعاة للأحداث المؤثرة فيها ، فالمذكّرات تركز على الشخصيات ، أما الانطباعات والتأملات فتظهر في الثانية بجلاء[٣] .

وإذا مانَدَّتْ أحداث عن الأديب فإنه يندم على عدم تسجيلها .

تراه لايحفل بالطعام والشراب ، لكنه يرنو إلى تسجيل المؤثِّرات من الأحداث.

والأديب يوصي كلّ قارئ أن يكون له حظّ من هذا التسجيل والتدوين .. تسجيل الخواطر والأفكار ، والعواطف والنظرات ، لا لنشرها من كلّ أحد ؛ ولكن

---

(١) ذكرياتي ، رابندرانات طاغور ، ترجمة صلاح صلاح (٤/٥) .

(٢) يعبر عنها بعض الأدباء بالذكريات لا المذكرات ، تواضعا ، بل نرى ثروت أباظة يصنف مذكراته تحت عنوان "ذكريات لا مذكرات" وإن كان قد ركز فيها على مواقف وشخصيات ورآها صورا فوتغرافية . انظر : ذكريات لا مذكرات (ص٣) .
وإن كانت هذه الذكريات والمذكرات واليوميات والاعترافات أشكالا تجتمع وتفترق في الملامح الفنية ولكنها ذات نكهة خاصة حين يكون الصدق الفني وجودة الصياغة والروح القصصية والعفوية .
انظر : في الفكر والأدب دراسات وذكريات ، د. حسن بن فهد الهويمل (ص١٨٤) .

(٣) انظر : دليل الناقد الأدبي (ص١٢١) ومايليها .

ليجد فيها المرء يوما نفسه التي فقدها مع الزمن[١] .

والأستاذ الدكتور عماد الدين خليل ممن اعتاد هذا التسجيل ، و لم يتوان فيه أبدا ، و لم يغفل عن كتابة مذكراته الخاصة ، بل نراه يسعى حثيثا إلى ذلك ، وبلهف شديد ، بل يسأل ربه بشوق وأمل عميقين حيث يقول : "إذا أعانتني الظروف الصحية والوظيفية فلسوف أتفرغ بعون الله ـ سبحانه ـ عبر السنوات القادمة لإنجاز الجزء الأول من (السيرة الذاتية) ، والذي يتناول السنوات (١٩٣٩-١٩٦٩م) .

لقد اختمرت لديّ التصورات التفصيلية للعمل ، واجتمعت بين يدي مادته الأولية .. راجيا أن يكون واحدا من أكثر أعمالي أهمية بسبب من تأسيساته التاريخية وعمقه الانطباعي ، فضلا عن كونه محاولة لإغناء هذا النوع الأدبي بعمل يتجاوز المنهج السردي للسيرة إلى الإفادة من الخبرة الغربية الأكثر حيوية وخصبا في هذا المجال ، وتوظيفها "إسلاميا" .. سأحاول ـ بإذن الله ـ أن أرمي ثقلي في هذا المشروع ، وأن أتعامل معه بعشق ؛ فلعلّ ذلك يجعله أكثر إقناعا بالنسبة لي على الأقل"[٢] .

ولئن لم تر هذه المذكّرات النور بعد ، فإن مانجده في (ريبورتاج) و(من أدب الرحلات) على وجه الخصوص ، يعطي خطوطا عريضة عن هذه الحياة ، وخاصّة إذا انضاف إليه الحوار الذي أجريناه معه وسميناه (لقاء الأردن) .

وقد اعتاد الأستاذ عماد الدين في رحلاته وزياراته العديدة تدوين مايراه ويستوقف نظراته حيث يقول : "لقد أتيح لي ـ بفضل من الله ونعمة ـ أن أرحل إلى بلدان عديدة ، وديار شتى وأن أدوّن مشاهداتي وأرسم انطباعات الأشياء على صفحات العقل والحس والوجدان"[٣] .

---

(١) انظر : ذكريات ، الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى (٩/١) بتصرّف واختصار .

(٢) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل ، وهو مخطوط كتاب لمّا ينشر (ص٧٥) .

(٣) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص٣) .

مما جعله معينا لنا على رسم صورة عن نفسه وانطباعات الأشياء على صفحات عقله ووجدانه ؛ حيث يستشعر أن لهذه النظرات أثرها العظيم في النفس ، حتى جعله ذلك صارما في حديث النفس للنفس ، فها هو يقول عن مداخلة النفس إنها "تفسد أحيانا قدرة هذا الدفق الإلهي العجيب على المضي إلى أهدافه"[١] .

ولما جاء عام ١٩٥٩م ـ وكان إذ ذاك طالبا في الصف الأول في كلية التربية في جامعة بغداد ـ وقع عماد الدين في يوم من أيام ذلك العام على مايسمى بالمفكرة العراقية ـ وهو دفتر صغير بحجم كفّ اليد ، مكتوبة فيه أيام السنة وشهورها متوالية فألزم نفسه أن يملأ كلّ يوم صفحة واحدة ؛ مما يدور له ومايسجله من ملحوظات وتعليقات على كل كتاب يطلع عليه ، بصورة ساذجة بسيطة ـ كما يرى ذلك بنفسه ـ واستمرت عادته هذه أربع سنوات على مدى دراسته الجامعية ، يسجّل فيها ملحوظاته من خبرات الحياة مضافا إليها أيّ كتاب يطّلع عليه فيدوّن ملحوظاته عنه[٢] .

ومع أن مخطوطيه (من أدب الرحلات) و(ريبورتاج) والحوار الذي أجريناه ، تؤسّس نطاقا واسعا من حياته وتفصيلاتها وأحداثها ؛ إلا إن مشروع المذكرات تنقيحا وإخراجا يعدّ أملا منتظرا من جملة المثقفين ، الحريصين على هذا الدفق الشعوري الثرّ .

غير أننا واجدون ـ كما سلف ـ خطوطا ومفاتيح لهذه الشخصية ، والمرء لايعدم أن يجد ثنايا هنا وهناك ، فيجمع متناثرها ؛ لتخرج الصورة كاملة أو شبها من ذلك ، بل قد يجد في مواطن لم تكن في حسبانه قبسا يهديه في الطريق[٣] .

ونجده في سيرته وحديثه عن نفسه ذاكرا بعض المواقف الحسّاسة من حياته ليفاد منها ؛ فهاهو يقول عن خبراته النقدية متأملا بقوله : "الحديث عن خبرة

---

(١) المرجع السابق (ص٤٧) .

(٢) انظر : تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر (ص٣٣) ، وهي محاضرة له ألقيت بتاريخ ١٤١٠/٨/٢٣هـ في النادي الأدبي بالمدينة النبوية ، (ج٥) رقم الكتاب (٩٣) بتصرّف .

(٣) وقد وجدنا شيئا غير يسير من ذلك ـ ولله الحمد ـ عبر مضامين خطاباته الفكرية ، وأطروحاته التاريخية والاجتماعية ونحوها مما سيثبت لاحقا بإذن الله ـ الباحث ـ .

إنسان ما في الجانب النقدي هو جزء من نمط معروف في الأدب ، هو السيرة الذاتية التي تختلط فيها الخبرة المعرفية بالتجربة الحياتية وبالذات في نهاية الأمر .

وكما تعرفون في هذه المسألة حساسية خاصة ، وربما كانت هذه الحساسية السبب وراء ندرة هذا النمط الأدبي في معطياتنا الأدبية المعاصرة وحتى التراثية"[١][٢]

هذه مصادر سيرتنا هذه ، بل معالمنا التي تلقي الضوء على ظلال هذه الشخصية وتبين (ملامح) من الحياة ؛ علّ الصورة تخرج قريبة من الكمال .

ولئن كانت هذه الكتابات بحاجة إلى قدرات موهوبة مزودة بآلات التصوير المتقن ، القادر على الاختيار ، محفوفة بالمصابرة على الاطّلاع والتنقيب ؛ فإن هذه (المعالم) ملامح وخطوط عريضة ، قد تنسج على نسق خاص بعد حين[٣] .

و"عندما يتناول كاتب أو عدد من الكتاب شخصية من الشخصيات ، ويتتبعون مادقّ من خصوصياتها ، لايتوقع أيضا أن يحيطوا بكل صغيرة وكبيرة عنها"[٤] .

ولئن قامت سوق البحث وإجراءاته العلمية والفنية عن هذه الشخصية أو تلك ، فهي محاولات قد تحتاج إلى شئ من إعادة النظر كلّ حين .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٩) .

(٢) مما يلاحظه الناظر في واقع الحياة الثقافية اليوم ، أن كثيرا من المثقفين حين يلجون الساحة ويكون لهم فيها مشاركات وحوارات وكتابات ، يصلون إليها محمّلين بنرجسياتهم ونظراتهم للذوات تغليبا لها على مستوى الطرح وجدّيته! ولم يكن ذلك في مستوى حوارات النقد ـ التي تظهر فيها هذه الظاهرة بجلاء ـ ولكنه انسحب إلى مستويات الكتابات الإبداعية ـ وخاصة السّير على ندرتها ـ فيتحرك الكاتب فيها بظلال شخصيته ، وكأنه يريد أن يصبغ بألوان فكره (المستنير!) كلّ مايواجهه ، وهؤلاء خدّاعون ختّالون ، مخدوعون بذواتهم ـ الباحث ـ .

(٣) النية معقودة ـ بإذن الله ـ على إخراج "سيرة" أو قريبا من ذلك بعد حين ، تعكس حياة هذا الرجل ، وهي محاولة في بداية الطريق ، أرجو الله أن لاتعثر خطواتها ، ولاتوأد في مهدها ـ الباحث ـ .

(٤) قمم أدبية ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص١٢) .

و"مهما جمعنا من مادة ، فإن بعض الفجوات تبقى دائما في حياة صاحب السيرة ؛ لأن المادة لايمكن أن تغطي كلّ يوم من حياة الإنسان"[١] .

قَلِيْلٌ غَنَاءُ الكُثْرِ في غير قلّةٍ وقِلّةُ ماقَرَّتْ به العَيْنُ صالحُ[٢]

ولأنّا أردناها (معالم) فإنا سنذكرها حياة وصفات ظاهرة ونتاجا ورؤى والله الموفق ، وعليه التكلان .

---

(١) المدخل لدراسة الفنون ، قسم اللغة بجامعة قطر ، د. ماهر فهمي (ص٩٩) .

(٢) جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري (١١٩/٢) .

المبحث الثاني
المؤثرات

المكان .. الزمان .. الأسرة .. طبيعة الطفولة .. الأصحاب .. الموجِّهون والمعلّمون هذه وغيرها مؤثّرات تعمل في النفس عملها ، وتثير كوامنها ، تبعث الساكن فتحيله متحرّكا ، وتحرك التفكير ، وترسل الخيال منسابا مصوّرا ، وبصورة مختصرة تكوِّن (الأديب) القادر ، والمبدع المتميّز .

وإن لم يصل الباحث بين هذه المؤثرات والأديب "كان مثله مثل الفلكي الذي يتكلم عن الجبال والأنهار والسهول والغابات دون الوَصْل بينها وبين الكائنات الحية التي تضطرب فيها"[١] .

والبحث في هذه المؤثرات مما يعين على فهم النفسيات ، وتفسير بعض النتاج ومعرفة كثير من مقاصد الأديب وأهدافه .

وقد استهوى ذلك كثيرا من الدارسين والباحثين[٢]، الذين أرادوا الظفر بهذه الفوائد في دراسة الشخوص ، أو بشئ منها ، مما كتب لهذه الدراسات الظهور وقد كان لها ـ بحق ـ وجود وتميّز وبروز .

ودارس الشخوص لابد أن يتتبَّع (الحافز) الذي تمحورت حوله أو فيه هذه الشخصية أو تلك ، ويربط بينها لتكون جملة الحوافز مبرزة هذا الأثر . ولو أقام دراسته ، أو ألّف نصّه ـ إن كان رواية ونحوها ـ على غير هدى من هذا الأمر ؛ كانت محاولة ناقصة ، والنتاج الأدبي الذي أظهره للناس نتاجا غير ناضج .

"وكل ماعداه من جوانب السيرة الأخرى كالنشأة والتربية والحياة العامة التي يحياها صاحب السيرة ، ماهي إلا منافذ ينفذ منها كاتب السيرة ... سرد لحياة تبدو

---

(١) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص٥٨-٥٩) .

(٢) ذكرت الباحثة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد في ذلك أمثال : (أميل لودفج) مؤلّف "العبقرية والشخصية" ، و(كرتشمر) مؤلّف "الجنس والعبقرية" ، و"سيكولوجية العباقرة" ، و(برمان) مؤلّف "الغدد المنظمة للشخصية" ، و(كوب) صاحب كتاب "غدد الحظ" .
انظر : قمم أدبية (ص٧) .

عادية إذا جردناها من هذا العمل الذي يشدّ التاريخ إلى صاحبه"[١] .

ويرى الدكتور السيد تقي الدين أن الموهبة تسبق (الحافز) الذي هو ردّ فعل لها ، وأن "الذي يعنينا من العمل في كتابة سيرة من السير هو هذا العمل الفذ الذي حمل صاحب السيرة إلى رحاب التاريخ وميزه على غيره من البشر إذ أن[٢] التاريخ لايعنى بغير المتميزين الذين تركوا طابعهم على صفحاته"[٣] .

حقا "أن أدب الأديب ثمرة لشجرة كبيرة تضرب بجذورها في الحياة الإنسانية"[٤] .

فغزل هذه الخيوط الدقيقة في حياة الشخص ، ينسج ـ في النهاية ـ بطانة للرداء الذي يرتديه أمام الناس في الحياة .

وإحصاء هذه الخيوط وسبر تفاعلاتها يقرب الصورة ، ويجلو الشخصية من خلال الأحداث التي ترمز إلى الصفات والخلال ؛ ولذا قال العقاد إن "الطفل أبو الرجل"[٥] ، والنهايات تتأثر بالبدايات .

وللبيئة أثر بالغ في صياغة وتشكيل الاهتمامات ، وبناء وتأسيس التصوّرات لأي شخصية[٦] .

ألم يقل جبران "الطبيعة أُمُّنا ، ونحن جميعا نحاول أن نتعلم من أمنا لعلنا نستطيع الاقتراب من أبينا"؟[٧]

---

(١) أبي حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد ، د. السيد تقي الدين السيد (ص٢٣٣) .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب بكسرها ـ الباحث ـ .

(٣) المرجع نفسه (ص٢٣٥) .

(٤) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص٦١) .

(٥) المجموعة الكاملة لمؤلّفات الأستاذ عباس محود العقاد ، العقاد (١٧/٢٤٤) .

(٦) ومن طريف ماذكره الأقدمون ماسطّره ابن خلدون في "المقدمة" تحت عنوان : "المقدّمة الثالثة" "في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم" ، وفيه كلام نفيس فليراجع .
انظر : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د. درويش الجويدي (ص٧٩-٨٢) .

(٧) النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة ، د. ريموند قبعين (ص١٩) . والتعبير عن الله بالأبوّة فيه نظر ووصف ينزه الله ـ جلّ في علاه ـ عنه ، وهي زلّة الأديب والخلفية الفكرية العقدية المنحرفة ـ الباحث ـ .

ثم ألم يقل ـ كذلك ـ مخاطبا الأرض :

"ماأجملَكِ أيّتها الأرضُ وماأبهاك!

ماأتمَّ امتثالكِ للنور وأنبلَ خضوعَك للشمس!

ماأظرفَكِ متشحةً بالظِّلِّ وماأملحَ وجهَكِ مقنّعًا بالدُّجَى!

ماأعذبَ أغاني فجرك وماأهولَ تهاليلَ مسائِك!

ماأكملَكِ أيّتها الأرضُ وماأسناك!

لقد سرت في سهولك ، وصعدت على جبالك ، وهبطت إلى أوديتك ، وتسلّقت صخورك ، ودخلت كهوفك ، فعرفت حِلْمَك في السهل ، وأنفَتَكِ في الجبل ، وهدوءك في الوادي ، وعزمك في الصخر ، وتكتمك في الكهف ، فأنت أنت المنبسطة بقوتها ، المتعالية بتواضعها ، المنخفضة بعلوها ، اللينة بصلابتها ، الواضحة بأَسرارها ومكنوناتها"[١] .

بل إننا إذا رجعنا إلى تراثنا ؛ وجدنا أثر البيئة يعمل في تقسيم الشعر والشعراء[٢] ورأينا (الطبيعة) من حولنا ، وكيف يقع أثرها في نفوس الناس عامة ، وفي انطواءات نفوس الأدباء خاصة[٣] .

ولاريب في تصور هذه الآثار وانعكاساتها التأملية في هذا الكون وكتابه المفتوح ؛ حيث يفتح الأديب عينيه المبدعتين ؛ ليعكس هذه الصور ، التي قد تمر على غيره من الناس فلا تقع منه موقعها من الأديب ، الذي يملك هذا الفاصل الشعوري ، والامتداد التأثّري ،ويميّزه عن غيره من الناس .

---

(١) البدائع والطرائف ، جبران خليل جبران (ص٤٠) .

(٢) كما في تقسيم ابن سلام في (طبقاته) إلى بادين وحاضرين ، وفي قصره الطبقات على البادية . وانظر في هذا : طبقات الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، مع تمهيد للألماني جوزيف هل ، ودراسة الدكتور طه أحمد إبراهيم رحمه الله (ص٢١) .

(٣) انظر في أثر الطبيعة الكتاب النفيس "شعر الطبيعة في الأدب المصري" ، عوض علي الغباري ، وانظر ـ كذلك ـ للتوسع : كتب وشخصيات ، سيد قطب (ص٥٨) ومابعدها ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، د. نوري حمودي القيسي ، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي ، د. سعدي ضناوي ، وخاصة الفصل الثالث عن الإنسان ، وانظر : ابن شهيد الأندلسي أديبا وناقدا ، محمد سعيد محمد ، وماأجمل ماسطّره د. عبد المحسن طه بدر من آثار الأرض في الأديب الروائيّ في كتابه "الروائي والأرض" .

وإذا كان الدكتور عماد الدين خليل متيَّما بحب الموصل ، ذاكرا لها كلّ حين فإن هذا مثال للانعكاس المؤثر في الأديب .

يقول في ذلك : "كنت أخرج إما للدراسة ، أو للتدريس ، أو إلقاء المحاضرات ، وحضور الندوات والمؤتمرات ، وعرضت عليّ فرص عديدة للعمل خارج العراق ؛ لكنّ عشقي لهذه المدينة وميلي الشديد إليها جعلني أرفض كل هذه العروض وأعود ثانية إليها"[١] .

ومن قبله خرج أبو العلاء[٢] من بغداد فأعلن حزنه على الفراق والمغادرة للفقر ولمرض أمه ، كما يعلي من حزنه على (المعرَّة) من ذي قبل ، فيبكي على ذكر بغداد كما بكى غيره ، "وكأن بغداد في ذلك العصر ، كانت تفيض منها تلك العين القصصية التي لايشرب منها شارب إلا كلف بقربها"[٣] .

وهكذا يكون أثر المكان والموطن على الأديب بميله الفطري ، وتجاربه المستوحاة من تربته تلك ، ومامرَّ عليه فيها من أطياف الذكرى الساحبة ظلالها في نفسه ، الحافرة حبَّها في فؤاده[٤] .

---

(١) لقاء الأردن (ص١٣) .

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرّي ، شاعر فيلسوف ، ولد عام (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) ولد ومات في معرة النعمان ، وعمي وعمره أربع سنوات ، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، من بيت علم ، رحل إلى بغداد ورثاه لما مات (٨٤) شاعرا وقفوا على قبره ، يلعب الشطرنج والنرد ، ولم يأكل اللحم خمسا وأربعين سنة ، يلبس خشن الثياب ، له شعر حكمة وفلسفة في "لزوم مالايلزم" ، و"سقط الزند" ، و"ضوء السقط" ترجم شعره إلى غير العربية وله كتب أخرى ، توفي عام (٤٤٩هـ/١٠٥٧م) .
انظر : الأعلام ، للزركلي (١/١٥٧) .

(٣) تجديد ذكرى أبي العلاء ، د. طه حسين (ص١٤٨) .

(٤) انظر في حب المواطن والبقاع : أنا والشعر ، د. شفيق جبري (ص٣٦-٤١) وفيه نماذج رائعة تحسن مراجعتها .

ولايذكر الباحثون المكان ، إلا ويردفونه ذكر الزمان ؛ لما بينهما من مزاوجة في أداء الأثر وتأسيسه ، وإخراج الانعكاسات بارزة في صفحة النتاج الأدبي[١] .

حقّا .. إن هذا الكون الفسيح مأرز الأديب ، وبرّيّات الصحراء عزلته إن أراد .. والصلة بينهما قائمة كما بين الطفل وأمه ، يقول فيها الأديب :

"مأوى في بَرِّيّةٍ فسيحة
وظلالٌ متّصلة لاتحدُّها حدود
وحيث شائعات الاضطهاد والخداع
والحروب الخاسرة أو الرابحة
لايمكن أن تبلغني أبدا!"[٢]

ولعلّ من المهم في خاتمة حديثنا عن المؤثرات في سياق الحياة الأدبية والثقافية للشخوص أن نشير إلى أنه قد يكون من المبالغة التعمق في إسقاط النظريات النفسية ـ بخلفياتها وحدودها ـ على دراسة الشخوص والنتاج ؛ إلا ماكان منضبطا غير مبالغ فيه ولامتكلّف ؛ لأن لهذه التأصيلات النفسية طرائقها وجذورها التي قد لاتتّحد في حالات كثيرة بهذه الدراسات المرادة للشخوص أو الإبداع ، أو لهما معا.

---

(١) توافر ذلك في مصادر كثيرة منها ، ـ على سبيل المثال ـ :
- الزمن في الأدب ، هانزميرهوف ، ترجمة د. أسعدمرزوق (ص٣٣) ومايليها .
- التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل (ص٤٧-٦٨) .
- قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر ، د. عز الدين إسماعيل (ص٢٢٥-٢٦٨) .
- أصول النقد الأدبي ، د. أحمد الشايب (ص٨٣-٨٥) .
- الزيات ناقدا ، علي عبد المطلب الهوني (ص٣٤-٣٦،٤٤-٤٨) .
- الصورة الشعرية ، د. ساسين عسّاف (ص٣٤-٣٧) .
وانظر ـ في التطبيق ـ مبحث "المكان والزمان في بعض أعمال طه حسين الروائية" للدكتورة أنجيل بطرس سمعان في كتابها "دراسات في الرواية العربية" (ص٣٧-٧١) لاستجلاء هذه الانعكاسات وتأثيراتها العديدة .

(٢) البيئة والإنسان عبر العصور ، إيان ج. سيمونز ، ترجمة السيّد محمد عثمان (ص٢٢٨) .

وقد حذّر كارلوني وفيللو في كتاب (النقد الأدبي) [١] من دراسات فرويد وتلاميذه ، وأنهم ذهبوا إلى التنقيب والحكم بواسطة الأثر ، ولم ينتهوا إلى تقدير نقديّ مفيد! فكان نقدهم تحليلا نفسيا لامجرد نقد أدبي [٢] .

ومن نظر في آراء فرويد أيقن جنوحه وشططه في التفكير عبر هذه المنطلقات [٣] .

ونحن حين نبحث عن آثار (البيئة) المحيطة بالدكتور عماد الدين نتلمس هذا في مؤثّرات عديدة ، تحيط بنفسه من الداخل والخارج .

وللبيئة أثرها في الأدب ذاته وفي الأديب ، فالبيئة تطبع الأديب "فيجفو ويبس أو يرقّ ويلين ثم ينتج فنرى في إنتاجه لونه وشكله وطبعه" [٤] .

---

(١) ترجمة كيتي سالم (ص١٢٠) .

(٢) لاشك في أن موضوع الأدب هو النفس الإنسانية ذاتها ، والصلة بين الأدب والنفس ظاهرة ، لكن الانغماس في هذا التقريب قد يكون فيه نوع من التكلّف الإجرائي في بعض تعرّجاته ـ الباحث ـ وممن أثبت هذه العلاقة د. عز الدين إسماعيل في "التفسير النفسي للأدب" (ص٥-٨) .

(٣) بدأ فرويد علميا ـ بالمعنى الكامل ـ بدراساته النفسية عام ١٨٩٩م حين نشر كتابه "تفسير الأحلام" ومابين فيه من علاقة الشاعر بأحلام اليقظة ، ومافيه من الكبت والعُقَد! والمرض المفضي إلى إشباع شبقه الجنسي المكظوم المكبوت منذ الطفولة في "أوديب" للذكر و"إليكترا" للأنثى! ويمثل ذلك في دراساته الرسام الإيطالي (دافنشي) والقصّاص الروسي (دوستويفسكي) وتبعه تلاميذ من أمثال : (أوتورانك) ، و(شارل بودوان) ، و(رينيه لافورج) ، وبرزت قضية النرجسية وأسطورتها اليونانية القديمة الملتحمة بقضية الجنس والإغراق في الفتون الجسدي بالذات .

انظر ـ بالتفصيل ـ البحث الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص١٠٥-١١٨) ، أما الدكتور فتحي أحمد عامر ، فيرى أن الأقدمين سبقوا إلى بعض هذه النظريات النفسية التحليلية ــ مع بعض الانحراف التطبيقي فيها ــ غير أنها لاتصل إلى تشوّهات نظريات فرويد وتلاميذه ، فهي لاتتعدى ـ مثلا ـ عند ابن قتيبة تأمّله حول فكرة (الدوافع) ولم يرد بها نظرية نفسية ، ولكن أراد بيان الصلة بين الأدب والنفس ـ فحسب ــ . انظر : من قضايا التراث العربي (ص٩-١٠).

(٤) النقد الأدبي في المغرب العربي ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة (ص٣٧٤) .

والبيئة مؤثرات عديدة ، فالأب الذي يقسو على كبار أبنائه ، يعدّ بيئة مختلفة مع إخوانهم الصغار الذين يدلّلون وهم في البيئة نفسها ؛ لاختلاف الحالين[١] .

ويشير الدكتور عماد الدين خليل إلى بيان أثر شئ من هذه العوامل ، ممثّلا له في بعث رسولنا عليه الصلاة والسلام ، روح الإنتاج والعطاء في نفوس أصحابه ـ على اختلاف في توجيههم ـ حيث نرى تأثيره في أبي بكر رضي الله عنه "محركا فيه صفاته الخاصة ، وصدقه الباطني ، وإيمانه العجيب المطلق بكل مايمس الرسالة والرسول ، غير ماقاله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مفجرا فيه إمكاناته الذاتية ، وحدسه العميق ، ورغبته الدائبة في استعلاء المجتمع الذي ينتمي إليه ، وقدرته على تحدي الغموض ، وسعيه الدائم للوصول إلى الهدف على الخط المستقيم"[٢] .

ولكلّ ماسبق ذكره ؛ فإن دراسة أيّ فرد لابد وأن تضع في حسبانها مكونات مجتمعه المحلّي من خلال مفهوم (الحيّز الاجتماعي) والخلفية الاجتماعية للأفراد ، والأنماط الثقافية الظاهرة ، والتفاعل الفردي والاجتماعي ، وتوزيع القوة والأنساق الاجتماعية وغيرها[٣] .

---

(١) انظر : كيف تتكامل الشخصية ، هيلين شاكتر ، ترجمة أحمد زكي وداود حلمي (ص٣٣-٣٥) .
ويرى يوسف ميخائيل أسعد أن المؤثرات البيئية تتفاعل مع الشخصية باستمرار ودون شعور ، بل بديناميكية غير إرادية . انظر : سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب (ص١٧٤) ، وانظر المبحث الرائع في أثر البيئة في الأدب في نظر القاضي الجرجاني في كتاب الدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة "القاضي الجرجاني والنقد الأدبي" (ص٢٩٢-٢٩٧) .

(٢) حضارة الإسلام ، س(١١) ، ع(٤) ، (ص١٣) ، مقال بعنوان "عوامل الإبداع" .

(٣) انظر في هذا : مناهج البحث العلمي ، د. محمد الجوهري وآخر (٢٦٨/٢) ومايليها .
وانظر ـ كذلك ـ تطبيقات آثار البيئة والمجتمع في الشخوص عند يوسف ميخائيل أسعد في كتابه "سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب" (ص٢٧٢-٢٩١) .

ولعل من قديم بيان هذا التأثر ، مايذهب إليه بعض النقـاد ، مـن أثـر تفـاعل (الأعشى)[١] وبيئته وقبيلته ـ على وجه الخصوص ـ ؛ حيث نشأ في واحة "منفوحة" باليمامة في أطراف هضبة نجد ، فذكر الوادي وزرعـه ونخيلـه ، ونحوهـا كمـا ذكـر قبيلته (قيس بن ثعلبة) وفاخر بها ، فكان شعره سجلَّ القبيلة الحافل بأمجادها ، حتى قال فيها :

ونَحنُ أُناسٌ عُوْدُنا عُوْدُ نِبْعَة إذا انتسَب الحيَّان بَكْرٌ وتَغْلبُ[٢]

حقًّا "لكل ندرس نتاج الأديب علينا أن نفهمه كإنسان أوّلا[٣] ، لأن العلاقـة بين النصّ والتجربة الشعورية التي خلقته[٤] علاقة جدلية دائما"[٥] .

أما المؤثّرات التي كان لها وقع وتأثير في حياة الأستاذ الدكتور (عمـاد الديـن) فنستطيع أن نجعلها في ثمانية محاور رئيسة :

(١) التشكّل الاجتماعي وآثاره .
(٢) التشكّل الثقافي والعشق[٦] القديم .
(٣) التشكّل النفسي والحساسية .
(٤) بناء الأستاذ .. وواقع التأثّر .

---

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل ، من بني بكر بن وائل ويقال لـه (الأعشى الكبـير) مـن شـعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وله المعلّقة المعروفة ، كثير الوفود على الملوك كثير الشعر حتى فـاق من قبله ، ويغنّي بشعره ، فسمي "صناجة العرب" ولكـثرة وفـوده علـى ملـوك فـارس كـثرت الفارسية في شعره ، أدرك الإسـلام و لم يسـلم ، وعمـي في أواخـر عمـره ، داره في منفوحـة بالرياض ، ترجم بعض شعره إلى الألمانية المستشرق جاير Geyer .
انظر : الأعلام ، للزركلي (٣٤١/٧) .

(٢) انظر : عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى ، د. عباس بيومي عجلان (ص١٥-٢٩) .

(٣) لعل "كاف" التشبيه ليست في محلّها هنا ، فلو قال "أن نفهمه إنسانا أولا" كان أولى ـ الباحث

(٤) أتوقف كثيرا عند كلمة (الخلق) وفي النفس منها شـئ ، ولـو تركناهـا إلى غيرهـا كـان حسـنا ـ الباحث ـ .

(٥) آداب الرافدين ، ع(٨) ، شعبان ١٣٩٧هـ/آب ١٩٧٧م ، مقال "نفسية البارودي مـن خـلال شعره" د. عمر محمد (ص٢٨٣) .

(٦) لعل هذا العشق من نوع خاصّ ، سيأتي معنا لاحقا ـ بإذن الله ـ (الباحث) .

(٥) "الموصل" وظلال المكان في النفس .
(٦) "الزمن" ومواقف الحياة .
(٧) الأُمّة .. آمال ومصير .
(٨) المرجعّية التأصيليّة والسياق .

وقد استقيناها من خلال المواقف والأحداث ، والكتابات والحوارات .

وإنما كانت هذه المحاور لبروزها في تشكيل هـذه الشـخصية وصياغتهـا وفـق هذا البناء الإسلاميّ الأصيل .

وسوف نورد كل محور من هذه المحاور ، مثبتا بشـواهد مـن السـيرة الخاصّـة بالأستاذ ، مدعوما بآراء غيره عن هذا الأثر بصفة عامة وبما يتيسر مـن الشـواهد في تنوّعها .

أولا : التشكُّل الاجتماعيّ وآثاره :

ماكانت قصيدتا أبي العلاء في "سقط الزند" ــ في فراق أُمّه ــ إلا تصويرا لعظيم أثر الأم ، حيث بلغه نعيها ؛ فحزن لذلك كثيرا ، ولزمه الحزن بقية حياته "لزمه فمثل له الأشياء كلّها سيئة بشعة ، وملأ قلبه صدوفا عن الدنيا ، وتزهدا في ملاذها ، بل مَقْتًا لها ، وسخطا عليها"[١] .

فللأم مكانتها الخاصة في النفس ، ولايوازيها في ذلك أحد ، كما قال الشاعر[٢] :

أُمِّيْ ولستُ أرى في الأرض قاطبةً ... أعزَّ منكِ عَلَى الأسماع والبَصَر
ناديتُك اليومَ ، لاحِسٌّ ولاخَبَرٌ ... فأينَ منكِ دَويُّ الحِسِّ والخَبَر
غادَرْتِ في القلبِ جُرْحاكلما هَدَأَتْ ... آلامُهُ اتّقَدَتْ في القَلْبِ كَالشَّرَر
لَوْ تَسمحينَ جَعَلْتُ الصدْرَ مُتّكَأً ... لِرَأْسِكِ الطّهْر في الظَّلْمَاء والحُفَر

ويرى عماد الدين خليل في أمه الدفق الوجداني المتميز ، والأثر البالغ في النفس منذ فلتات الصبا وذكرياته[٣] .

وتنتمي والدته إلى الشاعر الموصليّ المعروف ـ وكان جدَّها ــ الشاعر (المُلا حسن أفندي البزَّاز) صاحبِ القصائد العذبة في مدح الرسول ﷺ ، وهو من شعراء الموصل المبرّزين ، وكان ذا عاطفة جيّاشة ، ربما كانت سببا في استنزافه مبكّرا ؛ حيث مات ولم يجاوز الخامسة والثلاثين من عمره .

وكان لعاطفته انتقال طبعي إلى ابنته والدة عماد الدين ، التي تملك حساسية عجيبة تجاه ماحولها ، يقول عن ذلك :

---

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ، د. طه حسين (ص١٥٠) ، ومرثيات السقط قصائد سبع ، لأم أبي العلاء منها اثنتان ، من جملة قصائد سقط الزند الثمانية والثمانين ، انظر : المرجع نفسه (ص١٩٨) ، وشروح سقط الزند ، مجموعة محققين بإشراف الدكتور طه حسن .

(٢) أنا والشعر ، شفيق جبري (ص٤٩) .

(٣) توفيت ـ رحمها الله ـ قبل أشهر قلائل من لقاء الأستاذ بالأردن ـ الباحث ـ .

"كانت تملك حساسية مدهشة أمام الأشياء ، وربما تكون حساسيتها هذه قد نقلت وراثيا[١] إلى أبنائها من بعدها .

فأتذكر أن الشئ الذي تلقيته من أمي هو عشقها لكل ماهو جميل ، وحساسيتها الزائدة ، وأذنها المرهفة لالتقاط الأصوات ... وكانت تقرأ كثيرا ، وهي التي علمتنا القراءة"[٢] .

وقد كان لوالده "بصمات" خاصة كذلك ؛ فاجتمع لعماد الدين هذا الوعي من والديه ؛ حيث نظرا في توجيه سلوكه ،وتقويم العود وهو طريّ . وهو ماسماه عماد الدين : (التأثير الوراثي) "الذي يجئ عن طريق الأب والأم إذا كانا يتميزان بحساسية مفرطة تجاه العالم والأشياء"[٣] .

ومنذ أنْ ولد (عماد الدين) في مدينة الموصل عام (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م)[٤] ، وهو يرى البيت من حوله يتسامى في علياء القراءة والتحصيل ، وتربية الصغير على القرب من الكتاب ، والاستنارة بقبسه المنير كلّ حين .

وقد كان عماد الدين وإخوته ينعمون في ظلال والديهم ، وهما يحثّانهم على إشعال فتائل المعرفة في نفوسهم ؛ بالاطلاع والقراءة بنهم .

يقول عن نفسه وإخوانه ـ متحدّثا عن هذا الحس العميق ـ : "وجدته لدى أبوي في قراءة القصص خاصة في ليالي العطل الشتوية في الأيام الممطرة ، حيث نسهر الساعات الطوال ، نستمع إليهما وهما يقرءان بصوت عال هذه القصة أو تلك ، أو يحدّثاننا عن قصص ، مما نسميه الموروث الشعبي وهو غنيّ غزير ذو خيال خصب"[٥] .

---

(١) أساس اختلاف الشخصيات عدم التماثل التامّ بين شخصين في الصفات الوراثية واختلاف البيئة بينهما ـ مهما كان الأمر ـ . انظر : كيف تتكامل الشخصية ، هيلين شاكتر ، ترجمة أحمد زكي محمد وآخر (ص٢٩) .

(٢) لقاء الأردن (ص١٢) .

(٣) المرجع نفسه (ص٢) .

(٤) انظر : مبحث "لوحة عامة" الفصل الأول من هذا البحث ، لقاء الأردن (ص٢) ، شعراء الدعوة في العصر الحديث ، أحمد الجدع وحسني جرّار (٨٣/٢) .

(٥) لقاء الأردن (ص٢-٣) .

وقد تمكّن حب والده من قلبه ؛ حتى ربط اسمه ـ بقية عمره ـ باسم والـده ، ولم يقفز إلى لقب العائلة ، وسبب هذا ـ في نظره العشق الشديد للأب ، والرغبة في إظهار شئ من الوفاء معه ؛ لما عرف من إيمان والده ، وتقواه والتزامه ، وثقافته الشعبية ، وتأثيره الإيجابي في التربية[١] .

وحين بلغ والده قرابة التسعين من عمره[٢] كانت عيناه قد كلّتا ؛ لنهمه في القراءة فقد كان يجلس في محلّه التجاري ليزاول بيعه وشراءه ، ولايكتفي بذلك بل يتناول وجبات القراءة ؛ حيث يطلب الكتب من ابنه عماد الدين ؛ مما كاد أن يكون سببا في فقدان البصر[٣] .

ويمتدّ وفاؤه مع والديه حديثا وعملا .. فها نحن نراه يهديهما ـ مُفْرَدَيْن ـ باكورة إنتاجه (الأكاديمي) في كتابه (عماد الدين زنكي) الذي يمثّل رسالة (الماجستير) [٤] .

وهنا نلمح الحصر بمعانيه ودلالاته ، من خلال بطانة اختصار لفظه إذ يقول : "إلى أبي وأمي"[٥] ، وهو وفاء لازم ، يدين المرء به لأقرب الناس إليه ..

﴿وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٦] .

وممن يبصر عماد الدين فيهم السند الحقيقي له زوجه ، التي تُرجع مايدور في حياتها إلى المعايير الإسلامية دوما ، وذلك من خلال اطلاعها وقراءاتها المتعدّدة ، إذ "تقرأ كثيرا وتعشق المطالعة ، وتتابع العديد من الإصدارات بشغف ، وتملك القدرة على حوار الآخرين وإقناعهم بمرئياتها الإيمانية"[٧] .

---

(١) المرجع السابق (ص١٠) .

(٢) توفي عام ١٩٩٤م . انظر : المرجع نفسه (ص١١) .

(٣) انظر : نفسه .

(٤) نوقشت عام ١٩٦٥م في معهد الدراسات العليا في جامعة بغداد ، وقد طبعت مرتين ـ حسب اطلاعي ـ وكانت ثانيتهما عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ـ الباحث ـ .

(٥) عماد الدين زنكي (ص٥) .

(٦) سورة الإسراء : آية ٢٤ .

(٧) لقاء الأردن (ص١٣) .

ولاشك أن لزوج مثقفة واعية أثرا غير يسير في النفس والحياة ، فهي السكن الذي يأرز إليه المرء ، ويجد فيه المستراح من كدّ هذه الحياة ؛ مما يكون له أثر بالغ في النتاج والتفاعل مع الحياة بسكون وهدوء ، وهو ماكان يبتهج به الأدباء والمفكرون ومن هؤلاء (طه حسين) حيث انشغل "بالمرأة المثقفة الواعية ، واقعا احتك به ، وأملا يفكر فيه ، وزوجا يحلم بها"[١] .

وتأثر النفس بالمحيط ظاهر غير منكر ولامتردد فيه ؛ من سلسلة الأجداد والآباء إلى سلسلة المعاصرين من الأسرة قريبها وبعيدها[٢] .

ويعلن الدكتور عماد الدين أنه لايحفل كثيرا بالمناسبات الاجتماعية ، واللّقاءات العائلية ـ فضلا عن غيرها ـ ؛ لما تحمله من إرغامه على الإقلال من القراءة والكتابة ؛ وهما غنيته وزاده .

بل يشعر بالاختناق حين يجلس بينهم ، وهم لايتحدثون إلا في الماديّات وأمور الحياة بمنظار ضيّق فيقول : "مفارقة كانت تعذبني كثيرا ، أن معظم أقربائي كانوا من التجار أو المحاسبين ، يتعاملون مع الأرقام ومع الأشياء ، وكنت أجد نفسي مرغما على أن أجلس معهم أيام الجمع والأمسيات العائلية ، وكنت أحسّ باختناق! وأشعر أني محاصر تماما وأنا أجلس الساعات الطوال أمام أناس لايتحدثون إلا في عالم الأشياء والتجارة والبيع والشراء!!" [٣] .

فقد كان يزعجه عدم انشغال هؤلاء بالأدب والمعرفة ، ويزعجه ـ كذلك ـ مايتحدّثون به عن عالم الحسابات وهموم أصحاب رؤوس الأموال وأرباب التجارة وهذا يجعله حريصا على الإفادة من وقته ، وعدم الإكثار من هذه الجلسات .

---

(١) طه حسين مبصرا ، د. محمد صادق الكاشف (ص٧١) .

(٢) في أثر الأسرة وتأثيرها انظر ـ للاستزادة والتمثيل ـ :
- شيللر حياته وأعماله ، د. مصطفى ماهر (ص٣٦-٤٥) .
- أحمد فارس الشدياق ، د. محمد المطوي (١/٤٥-٥٩) .
- فلسفة ميخائيل نعيمة ، د. محمد شفيق شيّا (ص٢٩٧-٢٩٩) .
- الشخصية ، ريتشارد س.لازاروس ، ترجمة د. سيد محمد غنيم (ص١٧٦-١٨٨) .

(٣) لقاء الأردن (ص١٥) .

ولهذا إيجابية بارزة ، حيث يقول : "فهذه المفارقة عذّبتني وفي نفس الوقت حصّنتني من الاندفاع ـ وهذا ردّ الفعل المبكر ـ تجاه عالم الأشياء ، فحصّنتني من الاندفاع وراء إغراءات الأشياء ، والاندماج فيها ، والتشبّث ـ أكثر فأكثر ـ بالمعاني المجردة وبالكلمات"[١] .

وهذا ماجعله يربي على حب القراءة أبناءه الثلاثة ، بل إنه ليوقفهم أحيانا عن القراءة خشية على أبصارهم من الأذى! [٢] .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع نفسه (ص١٤) .

ثانيا : التشكُّل الثقافي والعشق القديم :

كان عماد الدين قد نشأ في هذه البيئة التي يسَّرت له سبيل الانكفاء على القراءة وحبَّها إلى درجة (العشق) ؛ مما جعله يراها ملح الحياة ، بل الزاد الذي لايمضي المرء بدونه ، ومَنْ جمع التدوين المنضبط والقراءة الناقدة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وفي هذا يقول : "وهذا التدوين كان يدفعني إلى أن أعبر عن نفسي حينا من خلال الخبرات اليومية ومايجري في الكليّة والعائلة وهكذا ، وحينا آخر أن أتابع بعض الكتب التي أقرؤها فأتعامل معها تعاملا نقديّا أوّليا[١] ... وهذا مكّنني من اثنتين : أن الكتابة ليست انتظارا كسولا للحظة الوحي ... وأعطتني فرصة للمحاولات النقدية المبكرة .. كلما قرأت كتابا ، وجدت نفسي ملزما بالتعقيب عليه أو التعليق عليه ، وهذه نويّات تشكُّل للحسّ النقدي والرؤيا النقدية لدى أي إنسان"[٢] .

وقد حمل هذا الهم والدعوة إليه كلّ حين ، فكان له توسّع في الانطلاق العلمي ، والازدياد المعرفي الذي لايعرف التوقف ، خاصة في ظلّ الانفجار المعرفي الحديث .

وهو في هذه الانطلاقة ، يدعو إلى القراءة الواعية ؛ مما يجعلنا إذا قلّبنا مؤلّفاته ونظرنا في كتاباته ، علمنا جلده في القراءة واصطباره عليها ، ورأينا "دلالة واضحة على الاهتمامات المتنوعة التي يعيشها .... والحقيقة التي لابد من تسجيلها أنه يتمتع بمعدة هاضمة قادرة على التمثل الثقافي .. الأمر الذي لم يقتصر في كثير من الأحيان على الفكر العربي والإسلامي ، وإنما تجاوز ذلك إلى تقديم نماذج من الفكر الأوروبي بشقيه الشيوعي والرأسمالي من خلال منظور إسلامي"[٣] .

إنه يرى في القراءة معينا لاينضب .. ويدعو إلى أن تكون نَفَسًا للإنسان ، لايهنأ إلا إذا قرأ!

---

(١) ممن سار على هذا النقد الأوليّ وسمّاه (مطالعات) يوسف الشاروني . انظر : نماذج من الرواية المصرية (ص٧-٨) .

(٢) المرجع نفسه (ص٦-٧) .

(٣) جزء من تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنة لكتاب الدكتور عماد الدين "حول تشكيل العقل المسلم" (ص٢٩) .

إنها "القراءة والقراءة والقراءة حتى اللحظة الأخيرة .. تلك هي الصيحة التي يجب أن نرفعها قبالة أنفسنا وإزاء كل حملة الأقلام من علماء وأدباء الإسلام .. إنها الكلمة الأولى .. كلمة البدء التي تنزّل بها كتاب الله[١] ، والفعل الذي يتحتم أن يكون الخبز اليومي للمثقف المسلم .. طعامه وشرابه"[٢] .

وحريّ أن تكون هذه الأمة على مستوى هذا التكريم ؛ بأن يبدأ وحي نبيها بهذه الكلمة ، وحينها "نلتقي بحركة التحوّل المعرفي هذه : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾[٣] .. وعبر المسيرة الطويلة ، مسيرة الاثنتين والعشرين سنة ، حيث كانت آيات القرآن تتنزل بين الحين والحين ، استمر (التأكيد) نفسه لتعميق الاتجاه ، وتعزيزه ، والتمكين للنقلة ، وتحويلها إلى واقع يومي معاش .. إن نداءات القرآن المنبثقة من فعل القراءة والتفكير والتعقل والتفقه والتدبر .. إلى آخره .. منبثقة في نسيج كتاب الله .. لم تخفت نبرتها أبدا هناك في العصر المكّيّ ، أو هنا في العصر المدني"[٤] .

بل بَعُدُّ القراءة (حُمَّى) وألّمًا يقيم المرء ولايقعده .. حُمّى "تجعل المرء لايرتاح إلا بأن يدفن رأسه في بحر الكلمة لكي يتعلم الكثير"[٥] .

ويراها زهرة يهديها كلّ من يستنصحه من زملائه وتلاميذه ؛ لأن (القراءة) زاد عظيم .. "وكما قادت المسلم أول مرة إلى تشكيل فعله الحضاري المتميز ، فإنها قديرة على أن تقودنا كرة أخرى إلى استئناف الدور"[٦] .

---

(١) وقع خلاف بين علماء التفسير هل نزلت (اقرأ) أولا أم (ياأيها المدّثر)؟ والصواب الأول وعليه ظاهر حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم ، وعليه جماهير قول السلف ، و﴿ياأيها المدّثر﴾ هي أول مانزل بعد الوحي .
انظر في هذا ـ للتوسّع ـ : صحيح مسلم بشرح النووي ، للإمام النووي (١٩٩/٢) ، وأكّده في (٢٠٧/٢) ، وانظر : فتح الباري ، للإمام ابن حجر العسقلاني (٣٠/١) .

(٢) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٤٨) .

(٣) سورة العلق : آية ١-٥ .

(٤) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص١٦٨-١٦٩) .

(٥) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٧٦) .

(٦) المرجع نفسه (ص٩٩) .

وحين كان عماد الدين في مراحله الأولى من الحياة ، كانت القراءة تكبر معه كل حين فمنذ أيام الدراسة الابتدائية كان والداه يقصّان عليه وعلى إخوته القصص المسلّية خاصة في ليالي الشتاء ، حيث يقضون وقتا طويلا في ذلك ، وقد كانا ـ حينا ـ يحدِّثانهم ـ من واقع الذاكرة ـ عن شئ من هذه القصص .

وكان ينظّم وقت قراءاته الخاصّة وقت الصيف ـ لطول الإجازة ـ فيجدول الزمن ؛ ليتناسب مع طموحاته ورغباته ، ويروي عن ذلك فيقول :

"كنت أقسم الفقرات الزمانية للعطلة لقراءة خمسة أعمال روائية ، وخمسة أعمال لمجموعات من القصة القصيرة ، وخمسة أعمال نقدية ، ثم أتحول بعد ذلك لقراءة خمسة كتب من علم النفس أو علم الاجتماع أو التاريخ أو فلسفة التاريخ ...الخ أو الفكر الإسلامي ؛ مما يعطي الحس الأدبي المادة الكافية الفكرية التي تمكّن من التعبير عن الخبرة بشكل أكثر نضجا"[١] .

ويرى (القراءة) الكلمة "الأولى والثانية والثالثة .. وليست الأخيرة .. لأن الأفق سيظل مفتوحا للمشروع الكبير الذي نحلم به جميعا : أن نصير أمة من القراء والأدباء والمثقفين كما أراد لنا كتاب الله سبحانه أن نكون ... نجعل (كلمتنا) الجميلة المؤثرة ، ورؤيتنا للحياة والوجود ، حاضرتين في قلب العالم .. قديرتين على اكتساح كل مالاينسجم ويتواءم مع مطالب الإنسان .. متجذّرتين في الدنيا التي تتناوشها الأعاصير ، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٢]" [٣] .

ويبصر قيمة وأثر القراءة والعطاء ، والكتابة والإبداع ، حين يعتقد المثل القائل : إن كل كتاب تخرجه مطبعة أو يصدر عن ناشر من الناشرين ، أعزّ علي من الأبناء والذرية[٤] .

والقراءة (الواعية) هي المطلوبة .. أن نكون ذوي بصيرة بما نقرأ ، متمعِّنين في المرادات والأفكار ، قادرين على السبر والتحليل ، والتقويم والتعديل .

---

(١) لقاء الأردن (ص٥) .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٢٤ .

(٣) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٧٦) .

(٤) انظر : لقاء الأردن (ص١٤) .

وهذا مانجده متمثلا في قراءات عماد الدين ونظراته في التاريخ وغيره ، فهاهو يقارن بين بعض المستشرقين فيقول : "نعم .. فرق بين مستشرق وآخر .. ونحن إذا قارنّا (وات) بـ(لامانس) مثلا ، أو حتى بـ(فلهاوزن) وجدنا هُوَّة واسعة تفصل بين الرجلين ، يقترب أحدهما ويقترب حتى ليبدو أشدّ إخلاصا لمقولات السيرة من أبناء المسلمين أنفسهم[١] .. ويبعد ثانيهما ويبعد حتى ليبدو شتّاما لعّانا وليس باحثا جادّا يستحق الاحترام"[٢] .

أما القراءة العجلى غير المتبصرة فمنكرة ، وهو ماكان يشير إليه ، و"أن القراء المحدثين الشباب الجدد يحاولون أن يقرأوا قراءة تتميز بالسرعة والعجلة من أجل أن يقرأوا كتابا آخر"[٣] .

ويدعو إلى أن تكون قراءتنا باكتشاف "كما نكتشف فنجان (الشاي)"[٤] ؛ فالقراءة زادنا دوما وأبدا .

ونحن نعلم أن القرآن الكريم سمي اشتقاقا من القراءة ؛ لأنه يرتّل ويقرأ ، وقرّاؤه هم الذين زيّنوا القرآن بفعالهم ، والقراءة فيها تفاعل بين الإنسان والنصّ الذي يقرأ أكثر من مجرد السماع[٥] .

ولعل القصص التي كان يعشقها عماد الدين منذ صغره هي التي أشعلت فتيل الإبداع ، وكوّنت هذه (العائلة) التي هي للقراءة عاشقة .

و"للقصة دور كبير في إشاعة جو القراءة في المجتمع وتحبيب هذه العادة للطفل والشاب ، فالقصة موضوع قائم بذاته في الدول المتقدمة ، من خلالها يزرعون التوجه الذي يرغبونه في عقول أطفالهم"[٦] .

---

(١) يعني ـ ولاشك ـ الذين لايهتدون بمنهج التحقيق الصحيح للحدث ، بل يعتمدون كلام المستشرقين وغيرهم ـ الباحث ـ .

(٢) المستشرقون والسيرة النبوية ، د. عماد الدين خليل (ص٨٩) .

(٣) محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل ، في النادي الأدبي بالمدينة دراسات في الأدب الإسلامي ، انظر : ج(٥) ، رقم الكتاب (٩٣) (ص٣٣) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥) انظر : أمة اقرأ .. لاتقرأ ، حسن آل حمادة (ص٢٠) .

(٦) بناء الأسرة الفاضلة ، عبد الله أحمد (ص١٩٧) ، نقلا عن المرجع نفسه (ص٣٧) .

أما أمة الإسلام اليوم ، فبعيدة ـ عبر طبقات عديدة من أبنائها ـ عن مستوى القراءة والمعرفة ، بل لانراهم يحفلون إلا بتوجهات تافهة فيها ، واهتمامات ساقطة ، و"الكتاب الذي يتزايد إنتاجه في العالم تزايدا مطّردا ، في عدد العناوين المنشورة ، وفي عدد النسخ المطبوعة ، يشكو في عالمنا العربي من الهجران ، ويعاني أزمة كساد"[١] .

لذا كان عماد الدين يوصي بالقراءة من يحاورونه في لقاءاته العديدة[٢] ، ويذكر أهميتها ، ويذكّر بذلك دوما ، والأمة التي لاتقرأ أمة لاتوجد على خارطة التأثير في العصر الحديث ، فاليابان "هذا القزم العملاق ، تخلّص من الأمية قبل نهاية القرن التاسع عشر ، وزادت عناوين الكتب الجديدة التي تصدرها دور النشر اليابانية فيه سنويا على ٣٥ ألف عنوان"[٣] .

فمتى يأتي الزمان الذي يدخل فيه الكتاب قائمة احتياجاتنا اليومية كالرغيف والكساء؟! ومتى نجعله أولَ صاحب في قضاء الأوقات اللازمة للانتظار؟! أو يكون هديّة نقدّمها؟! ومتى يكون هو حديثنا في مجالسنا بدل الطقس والصحة والأسواق والاستهلاك؟! ومتى ترتفع نسبة المطبوعات في بلاد الإسلام ؛ لتصل إلى كريم آمالنا؟! إننا ـ حقا ـ نعيش مع الكتاب أزمة ضمير وإبداع وقراءة وتسويق[٤] .

يقول الدكتور عماد الدين مبينا أهمية القراءة في عصرنا الحديث :

"الأمر يختلف في العقود الثلاثة الأخيرة .. لقد غزتنا وسائل الترفيه السهلة ، وحاصرتنا الهموم والمطالب المعاشية والوظيفية من كلّ مكان ، وأخذ الزمن يضيق علينا الخناق .. الكلّ يركضون وراء همومهم حتى اللهاث ، وماتبقّى من وقت يستلقون فيه على جنوبهم نائمين ، أو باحثين عن الثقافة المتضحِّلة ، السهلة الميسورة ، التي تنسجم وإعياءهم المقيم ، ولاتكلف جهدا عقليا"[٥] ، فلابد ـ في

---

(١) القراءة أولا ، محمد عدنان سالم (ص١٥) .

(٢) انظر : لقاء الأردن (ص٧٢) .

(٣) القراءة أولا (ص٤٤) .

(٤) انظر : هموم ناشر عربي ، محمد عدنان سالم ، (ص٨،٩،١٠،٢٠٣) .

(٥) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٤٨) .

نظره ـ من "القراءة .. القراءة .. القراءة .. من أجل إعادة ترتيب ماكان .. ومحاولة السيطرة على ماهو كائن .. والاستعداد لما سيكون"[١] .

ويؤكّد هذا في حواره المنشور في مجلة (التضامن)[٢] الجزائرية ، حيث يذكي هذه النصيحة مخاطبا "أولئك الذين يطمحون لأن يقيموا شيئا ذا قيمة لهذا الدين المتجذر في العالم ، (و)[٣]الذي ينتظر الزرّضاع لكي يستوي نبتُه الواعد على سوقه ـ بإرادة الله ـ فيغيظ به الخصوم والكفار .

(اقرأ) .. هي التأسيس والمنطلق والرؤية ومنهج العمل .. ومالم تصبح خبزنا اليومي .. طعامنا وشرابنا .. نومنا ويقظتنا .. همَّنا الذي يشعل فتيل القلق والتطلع في عقولنا صباح مساء .. فلن نستطيع أن نكون أكفاء لما يتطلبه هذا الدين وسط دوامة التحديات وصخب التحولات الكبرى بين قرن يمضي إلى نهايته ، وقرن يطل على العالم منتظرا إشارة الخلاص"[٤] .

ويرى القراءة (زيتا) يصبّ على الحطب المشتعل في نفوسنا ؛ وبهذا "نصعِّد نار الإبداع حتى تصير فنارا عاليا يراه ويستضئ به القاصي والداني"[٥] .

وكذلك ـ حقًّا ـ .. إن القراءة هي التي يتحقّق بها وجود العمل الأدبي ، ولايكتب أديب إلا وتكون قراءة الآخرين موجدة هذه الكتابة وآثارها ، و"جهد القارئ يعادل جهد المؤلف"[٦] .

وفي زمن استُرْخِصت فيه الكلمة ، ولم يغد لها تلك المصداقيّة الحقيقية "في مثل هذه الزيوف التي تثقل على نفس الحر ، يلوذ بالقراءة لعلّه يجد فيها روحا واستراحا"[٧] .

---

(١) المرجع نفسه (ص٤٩) .

(٢) عدد حزيران ١٩٩٣م ، وانظر : المرجع السابق (ص٦٧) .

(٣) لعل حذفها أفضل وأقوم ـ الباحث ـ .

(٤) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٧٦) .

(٥) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٦) ماالأدب ، جان بول سارتر ، ترجمة د. محمد غنيمي هلال (ص٤٠) .

(٧) كتبت يوما في الأدب .. النقد .. الفكر .. الفن ، د. نعمات أحمد فؤاد (ص٧٨) .

وهو التشكّل الثقافي والعشق القديم ، الذي يعمل في الأديب عمله ، إن رزق بتهيئة عشقه منذ الصغر ؛ حتى تعود القراءة زيتا ، وطعاما وشرابا[١] .

---

(١) ممن استروح هذا المؤثّر محمود تيمور في كتابه "إتجاهات الأدب العربي" (ص١٩١) ، ود.إخلاص فخري عمارة في كتابه "في القصة القصيرة والرواية" (ص٧-٨) ، فقد ذكرا صحبة الكتاب منذ الصغر وأثر ذلك ، فليراجع هناك .
وانظر الكلام النفيس للعقاد في المجموعة الكاملة (٢٦/١١-١٨) ، ومحمد حسن عواد شاعرا ، آمنة عبد الحميد عقاد (ص٣٧) ومابعدها ، والشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبية ، د. محمد بن سعد بن حسين (ص١٠٠) ومايليها ، والنقد الفني وقراءة الصورة ، عفيف البهنسي (ص١٣-١٤) ، وعبد العزيز الرفاعي أديبا ، د. محمد بن مريسي الحارثي (ص١٩-٢٠) .

ثالثا : التشكُّل النفسي والحساسية :

"الإبداع ليس جزيرة معزولة عن محيط المبدع الواسع وأطره التاريخية والحضارية والاجتماعية والسياسية"(١) .

وإذا تهيّأت للمرء أسباب الرعاية الأولية ، وغذِّيت نفسه بالمفاهيم المؤثرة كان له أن يتّصل بالكون من حوله بوثوق ؛ ليجعله مستوفزا آخذا أهبته متفاعلا مع الأحداث معايشة وتعبيرا ، وهذا هو المذكور فيما يتصل "بمجموعة الخصال النفسية التي تهيّئ كلّ إنسان إلى مزاولة عمل ما في الحياة بإحسان وإتقان ... وتيسِّر لمن وجدت فيه السبيل الذي تهيئه له طبيعته"(٢) .

ويدخل الأديب والمثقف في بوتقة الأحداث فتتكوّن شخصيته متأثّرا بمن حوله وماحوله ، كما كان (العقّاد) يقول عن صفة الانطواء فيه :

"لقد ورثت طبيعة الانطواء عن أبي وأمي ، فلا أملّ الوحدة وإن طالت بغير قراءة ولاتسلية ، ولاأزال أقضي الأيام على حدة حيث يتعذّر على الآخرين قضاء الساعات واللحظات"(٣) .

ويذكر الدكتور عماد الدين خليل كيف أخذ عن أمه الحساسية تجاه ماحولها والنظر في ذلك بدقة وحسن ملاحظة ؛ مما انطبع على شخصه وصفاته ، حيث كانت والدته تملك هذه الصفة بدرجة قوية تجاه الحياة وأحداثها . ويرى أنها صفة منتقلة منها إليهم ، موروثة ذات طبع وتأثير قبالة شؤون النفس في هذه الحياة(٤) .

فكان لهذا أثره في قياس الدكتور عماد الدين الأحداث من حوله ، وتدقيق النظر فيها ، بل أصبحت قوة الملاحظة والإدراك صفة بارزة في شخصه تتلمسها في حديثه ومشافهته ، كما تستبينها من كتاباته وملحوظاته(٥) .

---

(١) في النقد الأدبي ، د. يوسف بكّار (ص١٥١) .

(٢) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ، د. إبراهيم سلامة ، نقلا عن "تكوين الخطاب النفسي في النقد العربي القديم" ، د. حسن البنداري (ص١٩) .

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلّفات العقاد ، العقاد (٢٤٦/٢٢) وقد ذكر أنه انطواء بلا عقد أو كبت .

(٤) انظر : لقاء الأردن (ص١٢،٢) .

(٥) تبين الباحث ذلك من خلال مشافهة الحديث معه في الحياة وشؤونها ، ومن خلال مطالعة مخطوطيه "من أدب الرحلات" ، و"ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل" ، انظر مثلا : ريبورتاج (ص٤٢،٤٨،٦٥-٦٦،١٢٨) وغيرها .

ولعلّ دقته في الملاحظة وتسجيل مايلقاه ، والتعبير عنه بأسلوب خاصّ تبرز في كتابات كثيرة ؛ حيث يربط الجزئيّات ــ بثاقب نظره ــ بالكلّيات ، فتنتظم في حديثه دائرة واحدة لها خصائصها ومعالمها الثابتة .

ومثاله حديثه عن تجربة (الإعلام الإسلامي) ـ بملاحظته ونظره المتميز المتفائل ـ حيث يقول : "العالم الإسلامي بدأ "رحلة الألف ميل" .. و"لابد من خطوات" و"نحتاج إلى تداعي المعنيين لمزيدمن الإنجاز الإعلامي الإسلامي"[١] .

وكانت هذه النظرة منسحبة على إبصاره الخطوات التي تحمل السائر في دروب الحياة حين يلج "الطريق الطويل" ، ونراه يقول في نثرية له تتحسّس هذا الطريق :

"الطريقُ طويلٌ .. طويل
يمتدّ أمامك
عبر أبعاد رؤياك
ويغيب ، كالأبديّة ، يغيبْ ..
يبتلعه الأفق
حيث تختفي معالم المكان
وحيث لاتعرف إلى أين يتّجه ..
ولا إلى أين ينتهي ..
وراء الأفق تتحجّر الأبصار في العيون
ودون الوصول تتمزّق الأقدام
ولكنْ عليك أنْ تسير ..
أنْ تجتازَ الأميال
وتقطعَ المسافاتِ الطويلة
وأنْ تمزجَ اللّيْلَ بالنهار
والصَّيْفَ بالشّتاء .." [٢] .

---

(١) ذكره بنصه في ريبورتاج (ص١٨-١٩) ، وجاء في صحيفة المدينة ع(١٢٥٦١) الخميس ٣ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ (ص١٠) .

(٢) حضارة الإسلام ، س(١١) ، ع(٣) ، (ص٧٤) .

وظهر هذا التسجيل الدقيق في بعده الفكري ، واتّزانه في النظر ؛ مما كان له أثره الظاهر في مقالاته وكتاباته[١] .

وهذه الحساسية انعكست على حبه العزلة للتأمل والنظر .. يزعجه الضجيج فيخلد كثيرا إلى عزلته الخاصة ؛ ليجد فيها مأمله ومراده .

في مذكّرات سفره إلى السودان كتب مايلي :

"بدأ الأصدقاء والأحبة يتسامعون بوصولي .. كلٌّ يريد مقابلة أو موعدا .. أتملّص من العديد منها .. أؤجل بعضها الآخر .. ولكن ثمّة مواعيد لاتستطيع منها فكاكا .. وعلى أية حال ـ أقول في نفسي ـ فإن أمامي أسابيع أخرى سأخلو فيها إلى نفسي ، وسأبذل جهدا أكبر للإيغال في شرايين أفريقيا عبر البوابة السودانية .. ويومها سأحظى بالكثير ، فأبلّ ريقي ، وأروي عطشي القديم"[٢] .

وهذه العزلة الشعورية التي كان يأرز إليها بين الحين والآخر ، جعلته ـ بمقدرة فائقة ـ يسبر الأحداث التي تطيف به ، ويحسن الربط بين أجزائها وظلالها ، أو من خلال نظرته إلى الأحداث الماضية ، التي تُظهر قدرته على توصيفها وتحليلها حساسيته الدائمة .

ومما نستطيع أن نمثّل به على هذه القدرة براعته العجيبة في تصوير الحدث الذي تزدحم به السيرة النبوية العطرة من حياة رسول الله ﷺ وحياة أصحابه الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ حيث خرجت دراساته فيها متزنة مسبوكة محبوكة ، دقيقة في

---

(١) منها ـ مثلا ـ مقال "العلمانية والمصير" في ثلاث حلقات . حضارة الإسلام ، ج(١) ، ع(٢) ، (ص٨١) ، ج(٢) ، ع(٣) ، (ص٦٨) ، ع(٨،٩) ، (ص٩٤) .
ومقاله "من رضيد رحلة الأربعة عشر قرنا" ، مجلة الفيصل ، ع(٤٢) ، (ص٥٥) .
ومقاله "المبتعثون إلى الغرب" ، مجلة الأمة ، ع(٤) ، س(١) ، (ص٥) .
ومقاله "فهل ثبت أنه ليس من وضعهم" ، مجلة الأمة ، ع(٥٨) ، س(٥) ، (ص٢٢) .
ومقاله "الصلاة .. ذلك التناظر المدهش" ، مجلة الأمة ، ع(١٠) ، س(١٥) ، (ص١٣) .
وغيرهامن المقالات العديدة التي تبرز هذا التسجيل والتتبّع للحدث المطيف .

(٢) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص٣٦) .

متابعتها وتحليلها ، مع تحرّجه ـ فوق ذلك ـ وهو يشعر بتقصيره في حق الرسول عليه الصلاة والسلام[١] .

وهذه العزلة المنشودة من أهم الدوافع التي يراها مهمة للإنتاج والإبداع .. حيث القراءة المتمعّنة التي تتجاوز التسطّح نحو العمق والبناء ، والحساسية والتركيز فيقول : "وهذه مسألة قد تهمنا جميعا .. أن نقرأ بتمعن ، أن نتشرب الكتاب الذي نقرؤه مقتنعين به أو غير مقتنعين ، كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ، من أجل أن نتمثله[٢] من داخلنا ، وحينذاك ممكن أن نضيف إلى معرفتنا وقدرتنا فيما بعد شيئا ذا قيمة ، وكما يقول العقاد : أن نقرأ كتابا واحدا ثلاث مرات خير من أن نقرأ ثلاثة كتب"[٣] .

ويرى الدكتور عبد المحسن طه بدر في كتابه (الروائي والأرض)[٤] ، أن الدراسات العلمية الحديثة يتراجع فيها القول بأن الفنان أو الأديب مختلف عن الآخرين في النوع ، وأنه "ملهم" .. توحي إليه الآلهة أو الشياطين بشعره ، ولاينالـه الإلهام إلا في لحظة دون لحظة!

والمتبادر إلى الذهن هنا أن هذا الاختلاف في النوع ، قد يجمع إليه غيره من بعض المؤثرات المختلفة ، منها مايسلّم به الباحثون ، ومنها ماينفرون منه مثل نظرية إلهام الآلهة ووحي الشياطين التي بدون إلهامها يكون الأديب أخرس فاقد الإحساس والتعبير .

فالأديب ـ بحساسيته ـ تجاه الحياة من حوله ، مختلف عن غيره بإعداده واستعداه الفطري ، وهوماعبّر عنه الدكتور بدر بأنه نوع من التفوّق في الذكاء والحساسية الشديدة[٥] ، والامتيازات الأخرى التي ذكرها ؛ مما يثبت المعنى المراد

---

(١) انظر : دراسة في السيرة ، د. عماد الدين خليل ، وخاصة الفصل الرابع منه ، وفي شعوره بتقصيره فيما ذكر انظر : خطوات في الهجرة والحركة ، له ، الفقرة (١٣) ، (ص٣٢) .

(٢) لعلّه يعني التمثّل المعرفي لا التطبيق والسلوك لغير المقتَنع به ـ الباحث ـ .

(٣) محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل (ص٣٢-٣٣) .

(٤) انظر (ص١١) .

(٥) انظر : المرجع نفسه (ص١٣) .

ولولا هذه الحساسية وتفاعلاتها لكان تعبيره عاديّا لا أثر للنبوغ ولا للتميُّز فيه .

وهي حساسية تجعله ينظر إلى الزهـرة فيشـمّ فيهـا مـالا يشـمّ غـيره ويجـد في تقاسيم الجبال ، وتعرّجات الأنهار ، وألوان الطيف مالا يحسّه غيره .

رابعا : بناء الأستاذ .. وواقع التأثّر :

للأستاذ توجيهه وأثره الخاص في صفوف تلاميذه ؛ بل قد يتلقون عنه مايرونه حقّا لامرية فيه! فيأخذون عنه مايعدّونه أمرًا ذا بال ، إذا حسنت علاقته بهم ، وكان ذا تميّز وصفات خاصة ، يرون أنوارها بينهم .

وإذا فقد المرء التوجيه ، لم يكن له أن يفيد من فرص كانت متاحة له لو وفّق بمعلّم حسن الإدراك ، بعيد النظر ، متوازن الطرح .

يقول أحد الأدباء : "حتى دروس الإنشاء في المدرسة ، لم أستفد يوما منها ، ولا نبغت يوما فيها ، ومانلت فيها الدرجة الكاملة في الامتحان أبدا .

لماذا؟ لأنهم كانوا يكلّفوننا الكتابة في موضوعات غريبة عنا بعيدة عن أذواقنا ومشاعرنا ، ويطلب منا الأستاذ أن نفكّر برأسه هو ،وأن نبصر بعينه ، وأن نغمض عيوننا نحن ونعطّل تفكيرنا .

وكان بعضهم يحدّد لنا حدّا لانجاوزه ، من عدد الأسطر أو الصفحات ، فمن رأى فكرا أو شعورا يوزن أو يُكال أو يقاس؟" [١] .

ومن الملاحظ أن الطالب إذا لم ينعم بهذا التوجيه من أستاذه ؛ فإنه سنيبت في مطالعة الكتب ، ويشتدّ عوده بينها ، وقد يكون ذلك سيّئا في حقّه ؛ لأن توجيه المعلّم لايوازيه شئ ، وقديما قالوا : من كان شيخه كتابه ، غلب خطؤه صوابه .

والحق أن "العلاقة بين المعلم وطلابه صورة من علاقة الأب بأبنائه ، لُحْمتها الرغبة في نفعهم ، وسُدَاها الشفقة عليهم والبرّ بهم ، أساسها المودة الحانية ، وحارسها الحزم الضروري ، وهدفها تحقيق خيري الدنيا والآخرة للجيل المأمول للنهضة والتقدّم"[٢] .

وممن كان لهم تأثيرهم في توجيه عماد الدين إلى القراءة منذ الصغر معلّموه وأساتذته ، فمنذ أيام دراسته الأولى في المرحلة الابتدائية ،كان ينتظر أيام الخميس

---

(١) ذكريات ، الأستاذ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ (٣/٢٣٤) .

(٢) إعلان ، صادر عن مكتب التربية لدول الخليج ، وأقر في مؤتمر الدوحة (٣-٦ رجب ١٤٠٥هـ) "المعلم وطلابه" ، النقطة الرابعة .

من كل أسبوع ؛ ليقضي وقته في قراءة القصص التي كان يستعيرها من المدرسة بأربعة (فلوس) .

يقول عن أحد هؤلاء الذين انغرست صورتهم في ذهنه :

"فأذكر في المدرسة الابتدائية التي اجتزتها مابين عامي (٤٧-٥٣) في ست سنوات أبرز المعلمين بالتأكيد ،وهو معلم التاريخ كان يُدْعى (عزيز أفندي) فلم نكن نعرف أسماء آبائهم ، بل كنا نعرفهم بأسمائهم ونضيف كلمة (أفندي) ، كما هو المتّبع في الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات .. (عزيز أفندي) كان يدرِّسنا التاريخ ، وكانت شخصيته قوية ، ورزانته ومعطياته وجدّيته في التعامل ، وطرحه للتاريخ بشكل حيوي"[١] .

ويذكر ـ كذلك ـ غيره ممن درَّسه في المرحلة المتوسطة ، وكانت بصمته أظهرَ ممن سبقه ؛ إذ يقول عنه : "وفي المتوسطة كان هناك من يفوقه قدرة على التأثير ووضع البصمات في وجدان طلبته ، وهو (عبد الرحمن صالح) ضابط متقاعد كان يعمل في الجيش العثماني ؛ فلما تفكّكت الدولة العثمانية تحوّل إلى خط التدريس ، وإلى تدريس التاريخ بالذات ، فكان (عبد الرحمن صالح) ـ وقد أوغل فيما بعد في العمر ، حتى أوشك على المائة ـ مدهشا عندما آلى على نفسه ـ وقد تجاوز التسعين من العمر ـ أن يحفظ كتاب الله! فكان يجلس الساعات الطوال على الاستجابة لهذا التحدِّي حتى حقّق أمنيته وقد تجاوز التسعين من العمر! ثم مالبث بعدها أن توفي وهو يحمل بين جنبيه حفظه لكتاب الله جوازِ سفره إلى الله سبحانه وتعالى . هذا الرجل بتديّنه العميق .. بثقافته الواسعة .. باحترامه للتاريخ ، وتعامله بخبرة معه .. بشخصيته المحبّبة ؛ وضع في نفوس كلّ الطلاب الذين تعاملوا معه احتراما للمدرسة والدراسة والتاريخ والفكر والثقافة وشخصية المدرس"[٢] .

ولعل هذا الانتظار الشديد لما يتناوله الأستاذ ، ومايطرحه بين طلابه ولّد لديه شعورا باطنا عميقا بمحبة الأدب ؛ من خلال القصص التي كان يقرؤها ـ بشغف ـ زاده ماكان من دفع الوالدين ، وحسن توجيههما .

---

(١) لقاء الأردن (ص١٦-١٧) .

(٢) المرجع نفسه (ص١٧) .

ويقول ذاكرا أطياف تلك المرحلة المتأجِّجة : "كنت أقرأ قصص الأطفال بشغف عميق ، تلك التي كان يكتبها كامل الكيلاني[١] رحمه الله وغيره .. كنت أرتشفها ارتشافا .

وإنني لأتذكر جيّدا ليالي الشتاء العميق والبرد والمطر .. بيوتنا العتيقة الضيّقة والأحياء القديمة والحجر المشتعل الممتزج بالدخان ، وساعات القراءة الجذلى في القصص وكتب المطالعة المدرسية والمجلات .. لم أكن أطالع السطور ، ولكني كنت أخترقها بتوق عارم لكي أعيش الحدث من الداخل .. أصيرَ شخصا من شخوصه .. وحينذاك كنت أضحك معهم وأبكي معهم .. أهتزّ وأنبض وأرتجف ، كما يهتزّون وينبضون ويرتجفون"[٢] .

وإذا اجتمع تأثير المدرس مع تأثير البيت والوالدين ، فلاشك أن انبعاثا عجيبا ستشهده النفس التي تحيا في ظلال هذه الأجواء ، كما كان ذلك للشاعر الكبير الأستاذ (عمر أبي ريشة) [٣] ، فأبوه شاعر ، وأخته (زينب) شاعرة ، وأخوه (ظافر) شاعر ـ كذلك ـ فاستوطن الشعر خلاياه ، وسرى في عروقه ، حيث هو البيت الذي يتنفّس شعرا ، وينبعث إبداعا[٤] .

وصدق الشاعر[٥] إذ قال :

قُمْ للمعلم وَفِّه التبجيلا ... كادَ المعلمُ أنْ يكونَ رسولا

أَعَلِمْتَ أشرفَ ، أو أجَلَّ مِنَ الّذِيْ ... يَبْنِىْ ، ويُنشِئُ أنفسًا وعُقولا؟

---

(١) ستأتي ترجمته قريبا .

(٢) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص١٢٨) .

(٣) هو عمر بن محمد شافع ، من أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق ، ولد عام ١٣٢٦هـ وتوفي عام ١٤١٠هـ ، وأصله من عائلة لبنانية صوفية ، عمل سفيرا لبلاده في عدّة دول ، أصابته جلطة دماغية في الرياض فتوفي بعدها .
انظر : ذيل الأعلام ، أحمد العلاونة (ص١٤٥) .

(٤) انظر : عمر أبو ريشة دراسة في شعره ومسرحياته ، محمد إسماعيل دندي (ص١٦٦) بتصرّف.

(٥) الشوقيات ، أحمد شوقي (١٤١/١) .

ونحن نرى في واقعنا كيف يتلقّى الطفل في مدرسته من معلّمه مالا يحتاج معه إلى تصديق أو مراجعة! بل ربّما صدّق الطفل أستاذه حين يخالف قول أحد والديه في المسائل التي يسع فيها الخلاف ولايحتاج معها الوالدان إلى استدراك .

وإذا حسنت العلاقة بين المعلّم وطلابه ، كان له توجيه لايوازيه توجيه الوالد والبيئة المحيطة بالطفل منذ بداياته ، ولاتزال كلمات خيار المعلّمين الأوائل تبعث صداها في نفوسنا منذ الصغر[١] .

وفي سياق التأثر والمحاكاة ، والاطلاع على عطاء الآخرين واستلهام الطريق منه ، يبيّن لنا الدكتور (عماد الدين) ذلك بقوله :

"هناك الكثير من الشخصيّات التي أثّرت ، وكنت مغرما بمتابعة كتاباتها ، وكان عندي رغبة في أن أقرأ كل ماتنتجه هذه النماذج من بدئه حتى منتهاه ، وألا أترك كتابا واحدا من ذلك ، بصرف النظر عن القناعات الفكرية أو عدمها مع هؤلاء"[٢] .

وقد يتحدّث الدكتور عماد الدين عن بعض هذه الشخوص من خلال ردوده وأحاديثه أو من خلال حواراته والتقاءاته التي تكون مع محرّري الصحف والمجلات ومن أمثلة ذلك ، ماكان منه حينما تحدّث عن الخطوات التي تحيل التصوّر الإسلامي واقعا منظورا ، وحياة دائمة متطوّرة ، إذ يقول في ذلك : "لاأروع من

---

(١) لمزيد بيان أثر المدرس والمدرسة يراجع مايلي :
- محمد حسن عواد شاعرا ، آمنة عبد الحميد عقاد (ص٣٧) ومابعدها .
- ذكريات ، الأستاذ علي الطنطاوي (١/١١٥-١٣٠) .
- المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد (١٧/٣٦٦-٣٧١) .
- ذكريات ، رابندرانات طاغور ، ترجمة صلاح صلاح (ص٣٤-٣٩) .
- شاعر الإسلام محمد عاكف ، د. عبد السلام عبد العزيز فهمي (ص١٢-١٩) .
- عبد الله بن المعتز شاعرا ، د. غصّوب خميس غصّوب (ص١٠٦-١١١) .
- حوار مع الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، مجلة "أهلا وسهلا" الصادرة عن الخطوط الجوية العربية السعودية ، س(٢٢) ، ع(٦) صفر ١٤١٩هـ (ص٧٦) .

(٢) لقاء الأردن (ص١٩) .

أن نتجه بأسئلتنا هذه إلى الأستاذ (أبي الأعلى المودودي) ليجيبنا عنها بأسلوبه المتماسك الواضح بما لايدع مجالا للقول ، ولازيادة لمستزيد"[١] .

ومن الشخصيات التي ذكر تأثّره بها ، ومتابعته الشديدة لما يصدر عنها في عالم الثقافة والفكر والأدب ، كلّ من : (توفيق الحكيم)[٢] ، و(نجيب محفوظ)[٣] ، و(الرافعي)[٤] ، و(العقّاد) ـ إلى حدٍّ ما ـ ، ويبرز أثرهم في كثير من كتاباتهم وإصداراتهم .

---

(١) تهافت العلمانية ، د. عماد الدين خليل (ص٩٨) .

(٢) هو توفيق إسماعيل الحكيم ، من مواليد الإسكندرية سنة ١٨٩٨م ، كان أبوه وكيل نيابة وأمه تركية أو فارسية ، كاتب مسرحي كبير ، له "أهل الفن" ، و"محمد" ، و"عصفور من الشرق" و"أهل الكهف" ، وله قرابة مائة مسرحية ، سماه بعضهم : "جاحظ القرن العشرين" .
انظر : الأدب العربي الحديث ، د. محمد عبد المنعم خفاجي (١١٣/٤) ، وأحاديث في الأدب ، رشيد الذوادي (ص١١-٢٦) .

(٣) هو نجيب محفوظ الروائي الشهير ، ولد عام ١٩١١م ، مات أبوه وعمره قرابة الرابعة ، أول أعماله "همس الجنون" ، وفي رواياته تحكيم كبير للعقل ، بل تأليه له ، وإيمان بأفكار غريبة عن هوية الأديب المسلم ، قضى على الإله ـ بزعمه ـ في "أولاد حارتنا" ، وتحدّاه في "الثلاثية" ، وسخر من الأنبياء ورسالاتهم ؛ لذا نال جائزة (نوبل) لّما فاحت رواياته من هذا الأدب المكبّ ويكفي مثلا تصويره في "خان الخليلي" الرجل وهو يقدّم الحشيش لضيوفه ، بينما تقدم الزوج الجنس لهم!
انظر ـ للتفصيل ـ : أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب ، د. السيد أحمد فرج (ص١٩-٥٥) ، نجيب محفوظ يتذكر ، لجمال الغيطاني ، ورموز رواية "أولاد حارتنا" في : الطريق إلى نوبل ١٩٨٨ عبر حارة نجيب محفوظ ، د. محمد يحيى ومعتز شكري (ص٣٤-٤٠) .

(٤) هو زين الدين مصطفى صادق الرافعي ، ولد عام ١٨٨٠م ، وكان أبوه قاضيا ، وقد رباه تربية صالحة ؛ حيث نبغ في العربية صغيرا ، ومرض وهو شاب .
يعدّ إماما من أئمة العربية وآدابها ، له ديوان وآثار إنشائية مثل : "حديث القمر" ، و"رسائل الأحزان" ، و"أوراق الورد" ، توفي عام ١٩٣٧م .
انظر : الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد ، د. مصطفى نعمان البدري (ص١٠١) ، عباقرة الأدب ، مصطفى غالب (ص٣٧٧) .

كما يذكر الدكتور عماد الدين تأثره بغيرهم من الشخصيات التي تركت في نفسه طابعا خاصا ، فيذكر من جملة هؤلاء من الجيل الأكثر حداثة الأستاذ القدير (سيّد قطب) [١] رحمه الله تعالى ، وأخاه الأستاذ (محمد قطب) [٢] ، والمفكر الجزائري (مالك بن نبي) [٣] ، والصحفيّ المصريّ

---

(١) هو الأستاذ سيد بن الحاج قطب إبراهيم حسين شاذلي ، كان جدّه السادس هنديا ، ولم يجزم بهذا ، وكان ـ سيّد ـ مفكّرا إسلاميا متميزا ، استشهد في سبيل الله ، وله مؤلفات عديدة منها "في ظلال القرآن" ، و"هذا الدين" ، و"معركة الإسلام والرأسمالية" وغيرها ، وقد انتقل إلى الدار الآخرة عام ١٩٦٦م وشفع فيه الملك فيصل بن عبد العزيز لدى حاكم مصر حينها ولكن!

انظر : سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي (ص٢٩،٣٠، ٥٤٤،٥٥٠) وغيرها ، سيد قطب الأديب الناقد ، د. عبد الله عوض الخباص (ص٧٩،١٠٩، ٣٠٥) ، ومثله في فصول كتاب "سيد قطب حياته وأدبه" للأستاذ عبد الباقي محمد حسين .

(٢) هو الأستاذ الكبير محمد قطب شقيق سيد ، وقد تأثر به كثيرا ، وهو أستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ سابقا ـ ، ومن المفكرين المعاصرين ، له عدة مؤلفات منها : "منهج الفن الإسلامي" ، و"منهج التربية الإسلامية" ، و"هلم نخرج من ظلمات التيه" ، و"معركة التقاليد" و"شبهات حول الإسلام" وغيرها من المؤلفات النافعة ـ الباحث ـ .

(٣) مفكر جزائري ، ولد في قسنطينة بالجزائر سنة ١٩٠٥م ، لأبوين فقيرين ، أبوه موظف عادي وأمه خياطة رهنت والدته سريرها لتأمين تعليمه يوما من الأيام ، علّمه عمه في الصغر الموسيقى وبعض الطرق الصوفية على الطريقة (العيساوية) ، تعرف على عبد الحميد بن باديس وبالرئيس جمال عبد الناصر في مصر ، ثم عاد إلى بلده عام ١٩٦٣م ليصبح مديرا للتعليم العالي بالجزائر حتى عام ١٩٦٧م ، توفي في الجزائر عام ١٩٧٣م ، وكانت علاقاته الأخيرة قد أثرت في تقويم أفكاره ، فانتقد إحياء علم الكلام في المدرسة الإصلاحية عند محمد عبده ، ولكن بقيت معلوماته الشرعية ضعيفة ؛ مما أوقعه في بعض أطروحاته في بعض الهنات ، وانظر في ذلك مقالات الأستاذ محمد العبده في مجلة البيان (ع١٥ ، ص٣٠) ، (ع١٦ ، ص٢٨) ، (ع١٧ ، ص٣٩) ، (ع١٩ ، ص٣٤) ، (ع٢١ ، ص٢٦) ، (ع٢٣ ، ص٢٩) .

وانظر فيما مضى : مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، د. أسعد السحمراني (ص١٣-١٨) ، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة قطر ، ع(٩) ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م (ص٤٤٩) .

(محمد جلال كشك) [١] ، والطبيب المصريّ صاحب السهل الممتنع في أدائه ـ والذي أثّر في أجيال من المثقفين المصريين ، وقادهم إلى الطريق ـ رغم الجدل والخلاف حوله ـ وهو (مصطفى محمود) [٢] ومكتبته الغزيرة[٣] .

وذكر في مواطن أخرى[٤] (طه حسين)، و(بنت الشاطئ) [٥] ، و(الغزالي)[٦]

---

(١) كاتب صحفي مصري ، تخرج حقوقيا ، كان شيوعيا ثم ترك الشيوعية ، وسجن سنتين ، ألّف كتاب "عبد الناصر وليس الناصرية" فاستدعاه فرفض ومكث في لبنان ، وحاول العودة بعد وفاة عبد الناصر لكن السادات رفض ذلك وتوفي في واشنطن أثناء مناظرة تلفازية ، له "ودخلت الخيل الأزهر" وفيه فوائد جمّة ، و"الجنازة حارة" ، و"جهالات عصر التنوير" ، و"كلمتي للمغفلين" ، توفي عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ولاتعرف سنة ميلاده .
انظر : ذيل الأعلام ، أحمد العلاونة (ص١٧٢) .

(٢) هو مصطفى محمود ، كاتب وطبيب مصري ، له عدة مؤلفات منها : "الطريق إلى الكعبة" ، وله مشاركات إذاعية وتلفازية ، ولد عام ١٩٢١م ، له قصص وروايات وشعر فصيح قديم ، بدأ مرحلة الرفض في حياته على كتب (سلامة موسى) وغيره ، فبدأ يشكّ في النبوات والرسل واشتغل باللهو والموسيقى ، ثم تركهما ، وفتح له العقاد (الرسالة) ، وشكه العقلي ظاهر في "الله والإنسان" ثم انكبّ على القرآن وتفسير الظلال وابن كثير ورفض كتابه .
وانظر بعض شطحاته في : علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجذوب (ص٤٣٦-٤٤٢) .

(٣) انظر : لقاء الأردن (ص١٩) .

(٤) انظر : مجلة الحرس الوطني ، ع(محرم ١٤١١هـ/أغسطس ١٩٩٠م) حوار أجراه الأستاذ عبد العزيز الداود .

(٥) هي الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن ، أديبة مصرية مشهورة ، ولها كتابات ومقالات إسلامية عديدة ، منها : "أرض المعجزات" وغيرها ، وقد نالت جائزة الملك فيصل العالمية ، وتمتاز كلماتها بنبرات الصدق وجمال السبك ـ الباحث ـ .

(٦) داعية مصري ، كان ذا فكر ثائر ، وبيان ساحر ، وأسلوب ساخر ، تخرج في كلية أصول الدين ، من أوائل كتبه "الإسلام والأوضاع الاقتصادية" ، و"الإسلام والمناهج الاشتراكية" ، و"جدِّد حياتك" ، و"علل وأدوية" ، و"خلق المسلم" وغيرها ، وقد التحق بجماعة الإخوان ، والتقى حسن البنا حين كان طالبا بمعهد الإسكندرية ، وله مواقف في قول الحق لاتنسى ، أسرف في رد الأحاديث الثابتة ، وقسا على بعض مخالفيه ، وكتابه الأخير "السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث" هاج عليه خصومات كثيرة . انظر : الشيخ الغزالي كما عرفته ، د. يوسف القرضاوي ، بتصرّف .
والشيخ الغزالي من المنافحين عن الإسلام في مواطن عدة من كتاباته ، ولكنه سقط في بعض هذه الكتابات سقطات عجيبة ، فعفا الله عنه وقد أفضى إلى ماقدّم ـ الباحث ـ .

و(السباعي) [١] ، و(الطنطاوي) [٢] ، وغيرهم كثير .

ولعل إعجابه بالأستاذ (أبي الأعلى المودودي) [٣] ظاهر من خلال حديثه وإطرائه .

---

(١) هو الشيخ الداعية مصطفى بن حسين السباعي ، من خطباء الكتّاب ، ولد بحمص عام (١٣٣٣هـ/١٩١٥م) وتعلّم بها وبالأزهر ، اعتقله الإنجليز ستة أشهر وأسلموه إلى الفرنسيين فسجنوه في لبنان ثلاثين شهرا ، دافع عن بيت المقدس بكتيبة من جماعة الإخوان المسلمين ، نال الدكتوراه من الأزهر ، وأنشأ مجلة (حضارة الإسلام) بدمشق ، وأصيب بشلل نصفي قبل وفاته بسنوات تصل إلى العشر ، له مؤلفات عدة منها : "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" ، و"اشتراكية الإسلام"ـ ، و"المرأة بين الفقه والقانون" ، توفي بدمشق عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٧م) .

انظر : الأعلام ، خير الدين الزركلي (٧/٢٣١-٢٣٢) .

(٢) هو الأستاذ الداعية الأديب ، الكاتب الخطيب ، من بلاد سورية ، كان بيته بقاسيون بالشام ، ثم أخرج منها كما أخرج غيره ، ثم نزح إلى مكة المكرمة ، وأكرم في هذه البلاد إكراما جيدا جاوز من العمر التسعين وتردت أوضاعه الصحية ، وأنبت عائلة متدينة ، وله برامج في الرائي والإذاعة لايُملّ سماعها ، وله مؤلفات عدة منها : "ذكريات" ، و"مقالات في كلمات" وغيرهما ، درس في مصر حين ذهب إليها سنة ١٩٢٨م ، ودرس في العراق سنة ١٩٣٦م ، وفي بيروت سنة ١٩٣٧م ، ثم قدم المملكة سنة ١٩٦٣م ، وقد توفاه الله في شهر ربيع الأول من هذا العام (١٤٢٠هـ) وصلّي عليه في المسجد الحرام بمكة ــ رحمه الله رحمة واسعة ــ الباحث.

انظر : ذكريات ، له (١/١٧) ، هكذا ربّانا جدي علي الطنطاوي ، لحفيدته عابدة المؤيّد العظم (ص٥) ، وينقل في "ذكريات" (٥/١٧٣) أن أصله من مصر .

(٣) أبو الأعلى بن السيد أحمد حسين المودودي ، مؤسّس الجماعة الإسلامية في باكستان ، ولد في جنوب الهند سنة (١٣٢٢هـ/١٩٠٣م) وعمل في الصحافة بعد وفاة والده ، ثم رأس تحرير صحيفة (المسلم) في نيودلهي ، ثم أصدر مجلة (ترجمان القرآن) فكانت منبره ، سجن وصدر حكم بإعدامه ، ثم استبدل به السجن المؤبد ثم أطلق من سجنه ، واستقال لظروفه الصحية عام ١٩٧٢م ، وانشغل بالتأليف ، نال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، كان كبير العقل ، مشرق الروح على تجهمّ في ظاهره ، له مؤلفات عدّة ، منها : "تفهيم القرآن" ، و"مبادئ الإسلام" ، و"نحن والحضارة الغربية" . توفي عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، وقد يكون اسمه الصحيح عبد الأعلى .

انظر : ذيل الأعلام ، أحمد العلاونة (ص٣٩-٤٠) .

وكذلك ماكان من قراءة قصص (كامل الكيلاني) [١] منذ الصغر ، وارتشافها ارتشافا .

ويختلف تأثير هؤلاء في نفس عماد الدين ، لكنّنا على وثوق بأن من كان احتكاكه بهم في الصبا معايشة وقربا وتوجيها ، أولى بوضع غرسهم المؤتي أكله بعد حين ، كما هو الأمر كذلك بمن كان لهم وقع ملموس في طريقة تأليفه واستشهاده[٢] .

أما رفقاء الدرب فلا يذكرهم عماد الدين بشئ من التأثير البالغ ، أو الذكرى الثابتة ولكثرتهم يصعب التأشير على واحد فيهم ، فيقول : "وبعضهم توقف عن إكمال دراسته ، وجرفه عالم الأشياء فأصبح تاجرا لامعا ، وبعضهم الآخر واصل الطريق فلقي نفسه في نهاية الأمر موظفا في هذه الدائرة أو تلك ، وقلّة منهم من انطلقوا معي من أيام الإعدادية في الفرع الأدبي ؛ لكي يواصلوا طريقهم للدراسات العليا"[٣] .

وفي ختام هذا المبحث نقول إن المبدع إذا عاش هذه المؤثّرات ، وجعل من هؤلاء الموجّهين فرصة لإيقاد فتيلة الإبداع لديه ؛ فإن المستقبل سيكون مفتوحا

---

(١) كامل بن كيلاني إبراهيم كيلاني ، ولد عام (١٣١٥هـ/١٨٩٧م) وهو أول من كتب قصص الأطفال في الأدب العربي الحديث ، وكان مولده ووفاته في القاهرة ، أجاد الإنجليزية والفرنسية ، وله محاضرات في الجامعة المصرية القديمة ، واشتغل بالتدريس الثانوي ، ثم في وزارة الأوقاف ، كانت له ندوة في بيته كل أسبوع لمدة تزيد عن ثلاثين عاما ، وله كتب عدة منها : "مصارع الخلفاء" ، و"مختارات" ، و"السندباد البحري" وغيرها ، وله نظم حسن ، نشر من قصصه مائتا قصة ، وتحت الطبع منها ثمانمائة ، توفي عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) .
انظر : المرجع السابق (ص٢١٧-٢١٨) .

(٢) كما نلاحظ هذا في كتبه : "رؤية إسلامية في قضايا معاصرة" ، و"حول تشكيل العقل المسلم" و"مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم" إذ يشابه في طريقة عرضها طريقتي الأستاذ سيد قطب ، ومحمد قطب في العرض والاستنباط ـ الباحث ـ .

(٣) لقاء الأردن (ص١٩-٢٠) .

أمامه ـ بإذن الله ـ ، و"الفرصة ذبابة"[١] يجب أن تقتنص كما يقتنص لقتل الذبابة السرعةُ في الوقت ، والعجلة في الحركة ، بترتيب وتخطيط! وإن طارت الفرصة من يد المرء ، فإنه سيندم ولات حين مندم!

وحين سئل الكاتب الشهير (جبرائيل غارسيا ماركيز) حول قضية التأثّر بشخصية معينة قال عن الكاتب عموما : "لن يستطيع أن يعطي نفسه الحق في تحديد أيّ كاتب يقع تحت تأثيره في هذه اللحظة . هذا في البداية . ثانيا : إذا شعر الإنسان أنه تحت تأثير كاتب من الكتاب الكبار ، فإنه سيفعل كلّ مافي طاقته ، لإزالة التشابه بينه وبين ذلك الكاتب ، وحسب ، بل إنه سيسعى بجهد كبير ، إلى مايجعله متميّزا بصورة جوهرية عن ذلك الأستاذ"[٢] .

---

(١) في هذه القاعدة التربوية النفيسة ، انظر : هكذا رباني جدّي علي الطنطاوي ، عابدة المؤيد العظم (ص١٠٣-١٠٥) .

(٢) بين الأدب والسياسة ، د. تاج السرّ الحسن (ص٣٢-٣٣) .

خامسا : الموصل .. وظلال المكان في النفس :

الموصل .. تلك المدينة الجميلة .. (أم الربيعين) [١] .. وهي مدينة لها مكانة خاصة في التاريخ العربي ،جزءا من إقليم الجزيرة الفراتية ، وقد كان لعدد من أبنائها دور واضح في الميادين الحضارية والسلوكية والسياسية كذلك[٢] .

تشبه كثيرا مدينة (حلب) السورية ، وآثار (نينوى) على الضفة الأخرى مقابل الموصل[٣] ، يخترقها نهر تحيط به الغابات من كلّ مكان[٤] .

و لم ير عماد الدين من نفسه إلا التشبث بهذه البقعة كل حين ، حتى لو اضطرّ إلى أن يغادرها زمنا يطول أو يقصر ، فإنه يراه مديدا في نفسه ، فيسارع قافلا إليها يمدّ ذراعيه فيضمّها إلى صدره ؛ إذ يقول في ذلك :

"كنت أخرج منها إما للدراسة ، أو للتدريس ، أو إلقاء المحاضرات ، وحضور الندوات والمؤتمرات ، وعرضت عليّ فرص عديدة للعمل خارج العراق ؛ لكنّ عشقي لهذه المدينة ، وميلي الشديد إليها جعلني أرفض كلّ هذه العروض وأعود ثانية إليها بعد كل رحلة إلى خارج العراق"[٥] .

---

(١) لأن خريفها وربيعها من الفصول الجميلة . انظر : لقاء الأردن (ص٢) .

(٢) انظر في هذا المبحث الجميل للدكتور فاروق عمر فوزي في مجلة (آداب الرافدين) ع(٦) ، (ص٥١-٧١) (جمادى الأولى ١٣٩٥هـ/حزيران ١٩٧٥م) .
ومن جملة الأحداث العظيمة فيها ، ماصنعه قوام الدولة أبو سعيد كربوقا الوالي السلجوقي الأول الذي ولي الموصل بعد سقوط آخر أمير عقيلي ، وانظر في هذا بحث الدكتور عماد الدين خليل في "آداب الرافدين" ع(٥) (ص١٥٧-١٧٦) (جمادى الأولى ١٣٩٤هـ/حزيران ١٩٧٤م) .
ومن أشهر كتّاب الحضارة فيها ابن الأثير الذي استقر في الموصل ، وهو من جزيرة (ابن عمر) شمالي الموصل . انظر : جولة مع ضياء الدين ابن الأثير ، للأستاذ أحمد محمد عنبر (ص١٠) .

(٣) (نينوى) مدينة يونس عليه الصلاة والسلام ، انظر : ذكريات ، الأستاذ علي الطنطاوي (١٧٢/٥) ، وقد كانت الموصل في التقسيم مع سوريا ؛ لكن لاكتشاف بترولها ، جعلها الإنجليز مع حليفهم العراق حينها .

(٤) لقاء الأردن (ص٢) .

(٥) المرجع نفسه (ص١٣) .

والمرء ـ لاشك ـ حان إلى بلده ولو أقام في غيره دهرا ، وقد قال الأول : "(عَمَرَ الله البلدان بحب الأوطان) ، وقال ابن الزبير : (ليس الناس بشئ من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم) ، ولولا مامنّ الله به على كل جيل ... ماسكن أهلُ الغِياض والأدغال في الغَمَق واللَّثق ، ولما سكنوا مع البعوض والهمج ، ولما سكن سُكّانُ القِلاع في قلل الجبال ، ولما أقام أصحاب البراريُ مع الذئاب والأفاعي وحيثُ مِنْ عَزَّ بَزّ[1] ، ولا أقام أهلُ الأطراف في المخاوف والتغرير ، ولما رضي أهلُ الغيران وبطون الأودية بتلك المساكن ، ولالتمس الجميع السكنى في الواسطة ، وفي بيضة العرب ، وفي دار الأمن والمنعة . وكذلك كانت تكون أحوالهم في اختيار المكاسب والصناعات وفي اختيار الأسماء والشهوات . ولااختاروا الخطير على الحقير ، والكبير على الصغير"[2] .

فللوطن والمحلّ وقع وظِلّ بل ظِلالٌ في ذاكرة المرء ، لايفتأ يسترجعها كلّ حين وهي ركيزة لها أثرها في نفس العربي ؛ بل "لقد عدَّ العرب الحنين إلى الأوطان منقبةً يتفاخرون بها ؛ لما في ذلك من دلالة على كرم الطينة وكمال العقل . حتى لقد سمع ناقد قول الشاعر القديم :

---

(١) (مَنْ عَزّ بَزّ) مثل معناه من غَلَبَ سَلَبَ ، وأول من قاله جابر بن رَأْلان وله قصة طريفة . انظر موسوعة أمثال العرب ، د. إميل بديع يعقوب (٤٥٦/٥) .

(٢) رسائل الجاحظ ، للجاحظ (ص١٠٠) ، جزء (الرسائل السياسية) .
والغَمَقُ : الأرض القريبة من المياه . القاموس المحيط ، الفيروزآبادي (١٢١٤/٢) ، مادة (غمق).
واللّثقُ : المكان النديُّ المبلّل . المرجع نفسه (١٢٢١/٢) ، مادة (لثق) .
والغِيَاض : جمع (غَيْضة) وهي الأجمة ومجتمع الشجر في مغيض الماء . المرجع نفسه (٨٧٩/١) مادة (غيض) .
والأدغال : جمع (دَغَل) وهو الشجر الكثير الملتف . المرجع نفسه (١٣٢١/٢) ، مادة (دغل).
والهمج : ذباب صغير كالبعوض . المرجع نفسه (٣٢٢/١) ، مادة (همج) .
والتغرير : تعريض النفس للهلكة . المرجع نفسه (٦٢٧/١) ، مادة (غَرَّه) .
والغِيْران : جمع (غار) وهو البيت في الجبل أو المنخفض فيه أو كلّ مطمئن من الأرض أو الحجر يأوي إليه الوحشي وجمعه (أغوار) و(غيران) . المرجع نفسه (٦٣٢/١) ، مادة (غور) .
وبيضة : ساحة . المرجع نفسه (٨٦٤/١) ، مادة (بيض) .

لايمنَعَنَّكَ خَفْضُ العيشِ في دَعَةٍ
نُزُوْعَ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ
تَلْقَى بكُلِّ بلادٍ أنتَ سَاكِنَهَـا
أهْلا بأَهْـلٍ وجيْرَانًـا بجيْرَان

فقال : هذا أَلأَمُ بيت قالته العرب ؛ لأنه يدلّ على شِدّة القساوة وقلّة الرعاية .. وأيّد كلامه بقول الحكماء : حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرّشد"[١] .

وكان العربي القديم إذا خرج إلى الحضر "قال الشعرَ حسرة على الدهناء ورمالها وسهلها وجبلها ، وأقسم أن رياح الصحراء تثير الغبار أحب إليه من رياح الحضر تهز الأشجار"[٢] .

ولعلّ حبّ الموصل المتجذّر في نفس عماد الدين ومخّه وعصبه جعله ينسى خلفيات القارئ اللغوية ، وأنه لايستطيع تمييز معاني المفردات الدارجة في تخاطب أهل القطر الواحد ، فاستخدم بعض المصطلحات المتجذّرة في نفسه حبّا لهذه البلدة ومافيها .

وقد تنبه لهذا لاحقا حيث يقول عن هذه الظاهرة في أعماله :

"مامن عمل روائي واقعي إلا وهو يعطي لمسات محلية صرفة ، كيف تعطى هذه اللمسات المحلية؟ في الفضاء الزماني والمكاني للعمل الروائي في (شخصية الموصل) وفي بعض المفردات التي تتدفّق على ألسنة الأبطال والشخوص ، فأشرت إلى بعض المفردات اليومية المعتمدة بتسميتها "المحلّية" ؛ لكي أضفي لمسات محلية على هذه الرواية ، لكنّ الخطأ أنه لم أحاول أن أوضّح في هوامش معيّنة دلالات هذه المفردات فضاعت على القارئ"[٣] .

تحدّث عماد الدين عن حبّه مصر ؛ لدراسته وذكرياته فيها ، ولما عاش فيها من أحداث أطافت به[٤] ؛ إلا إنه لايزال يهفو دوما إلى ذكرى (الموصل) ، ومايكنّ

---

(١) دراسات في الأدب العربي والتاريخ ، محمد عبد الغني حسن (ص١٨٥-١٨٦) .

(٢) شعر الطبيعة في الأدب العربي ، د. سيد نوفل (ص٢٩) .

(٣) لقاء الأردن (ص٤٤-٤٥) ، ويلمس هذا من خلال روايته "الإعصار والمئذنة" خاصّة .

(٤) من أدب الرحلات ، مخطوط له (ص٣٦) ، وقد ذكر فيه أن حبه (مصر) يصل إلى درجة "العشق".

لها في نفسه من منزلة ، ولاغرو في ذلك ، فقد ولد فيها ، وفي رباها ترعرع ونشأ .. و"على ثرى هذا البلد الجميل تفتّحت عيونه ، ونمت مداركه ، وفي مدارسها ومعاهدها أتمّ تعليمه وحصل على الشهادة الثانوية"[١] .

لقد صدق البارودي[٢] حيث قال في رائعته : (وادي الأراكة) [٣] :

خليليَّ هذا الشوقُ لاشكَّ قاتلي ... فَمِيْلا إلى "المِقْيَاس"[٤] إنْ خفتُمَا فَقْدِيْ

ففي ذلك الوادي الّذي أنَبْتَ الهوى ... شِفَائيَ مِنْ سُقْمي ، وبُرْئِيَ مِنْ وجْدِيْ

ملاعبُ لهو طالما سِرْتُ بينها ... عَلَى أثَرِ اللَّذّاتِ في عِيْشَةٍ رَغْدِ

إذا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ سِألَتْ مِنَ الأَسَى ... مَعَ الدَّمْعِ ، حَتَّى لاتُنَهْنَهَ[٥] بالرَّدَّ

وقد سجّل عماد الدين محبته هذه ، حيث ذكر صمود الموصل وقوّتها أمام المغول عام (٦٦٠هـ) [٦] ، ودوَّن ملحوظاته حول تراثها العميق ، والمنهجين اللّذين

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، الأستاذان أحمد الجدع ، وحسني جرّار (٨٣/٢).

(٢) هو محمود سامي باشا البارودي المصري ، ولد عام (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) ، وهو أول ناهض بالشعر العربي في العصر الحديث من كبوته ، وأحد القادة الشجعان ، جركسي الأصل ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، تعلّم في المدرسة الحربية ، وأتقن الفارسية والتركية بالآستانة ، وله فيهما قصائد ، وعاد إلى مصر ، فكان من قواد الحملتين المصريتين لمساعدة تركيا الأولى في ثورة عام ١٨٦٨م والثانية في الحرب الروسية عام ١٨٧٧م ، وشارك في الثورة العرابية فسجنه الإنجليز ، وحكم عليه بالإعدام ثم أبدل الحكم بالنفي إلى جزيرة (سيلان) ومكث هناك أكثر من سبعة عشر عاما ، فتعلّم الإنجليزية وكف بصره ، وعفي عنه عام (١٣١٧هـ/١٨٩٩م) فعاد إلى مصر ، وتوفي عام (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) .
انظر : الأعلام ، خير الدين الزركلي (١٧١/٧) .

(٣) انظر : الديوان ، محمود البارودي ، ضبط وتصحيح علي الجارم ومحمد معروف (٢١٠/١) .

(٤) يريد مقياس النيل بمصر . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥) أي تُنْهَى وتُكَفّ عن الملام والحسرة . نفسه . وانظر : القاموس المحيط ، للفيروزآبادي (١٦٤٧/٢) .

(٦) انظر : دراسات تاريخية ، د. عماد الدين خليل (ص١٧-٢٦) ، وعظم هول هجمتهم في كتابه "هجمات مضادة" (ص٩-١٣) .

يتحقق بهما هذا التراث[١] تلمّسا لمعطياته من المخلّفات العمرانية والخطوط والزخارف والمخلّفات الشيئية من المواد المنقولة وغيرها ، ومعطيات العادات والتقاليد الثقافية والاجتماعية ، وقد فصّل الحديث عن المعطيات العمرانية فيها بالذات[٢] ، مع عدم إهمال المعطيات الثلاثة الأخرى .

وأخذ يصف عمرانها ودورها وقصورها ومؤسساتها الرسمية ، وأسواقها وخاناتها وحمّاماتها ومقاهيها ومطاعمها وجوامعها ومساجدها ، وكنائسها[٣] ، والمعطيات الأخرى[٤] .

وقد رسم لتنفيذ مايصبو إليه خطا واضحا ؛ حيث استنبط طرقا يستند إليها عند تنفيذ ذلك ، جعلها في خمس نقاط مقترحة للعمل على مانادى إليه[٥] .

ويذكر ماكان له فوق أرضها من خلال تسجيل دقيق يتمتّع به ، تسعفه فيه ذاكرته الجيّدة ، واهتمامه بهذه النوعية من التفكير ؛ حيث يرى في هذه المسألة تسجيلا لخبراته ، واكتشافا للمخزونات الحياتية والاجتماعية والثقافية ، في اتصال بما يدور حوله ، وشعور بالإيجابية تجاه مجتمعه ، يتذكّر فيه لحظات طفولته ، ويسجل أحداثها حين يعدها سبيلا إلى العالم الجديد ، و"مشروعِ الاكتشاف اليومي والرحلة العذبة المترعة بالدهشة والبراءة والفرح"[٦] .

وهكذا تكون للصّبا خواطره في البيئة المحيطة المطيفة عبر البحث عن النموذج المحتذى واختيار المبادئ والمثل وتكوين الفلسفة الخاصة في الحياة ، ووضع أثر الزمان و(المكان) في النفس[٧] .

---

(١) ذكرهما بالتفصيل في "دراسات تاريخية" (ص٨٧-١١٢) .

(٢) أشار إلى هذا في المرجع نفسه (ص٨٨) .

(٣) لعلها معطيات عمرانية مجرّدة ، وإلا فهي لاتعد مما بقي "لنا" من هذه المنشآت ـ الباحث ـ .

(٤) نفسه .

(٥) المرجع نفسه (ص١١٢) وقد أهدى روايته "الإعصار والمئذنة" إلى مدينته فقال : "وفاء لمدينتي التي أحببتها إلى درجة العشق" . انظر : الإعصار والمئذنة (ص٥) .

(٦) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص٩٤) .

(٧) انظر في هذا مثلا : علم نفس النمو ــ الطفولة والمراهقة ، د. حامد عبد السلام زهران (ص٣٥١) ومايليها .

وهذا متمثّل في انبثاقات إبداعيّة ، وخلجات ونفثات قلميّة عديدة ، تبعث هذا الشعور ، وتعمّق هذا الإحساس ، كما تمثّله العقّاد ـ مثلا ـ في مدينته "أسوان" حيث الصفاء لاتشوبه غاشية "وهو يرجع حبّه لمدينة الشمس لأنه يحب النور .. يحبه صافيا ويحبه مزيجا .. ويحبه مجتمعا ويحبه موزّعا .. ويحبه مخزّنا كما يُخزّن في الجواهر ويحبه مباحا كما يباح على الأزاهر ، ويحبه في العيون ، ويحبه من العيون ، ويحبه إلى العيون"[١] .

وبعيدا عن ملاعب الصبا ومغاني الطفولة البريئة ونضارتها ، يدلف إلى نفوسنا الشاعر القرويّ[٢] ؛ يذكر جواه ويبث شكواه ، واصفا حال كلٍّ بعيد حانٍ إلى تلك المغاني ، فيقول :

سَأَلْتُكَ رَبِّـيْ اْثنين ، مَالاً وعَودةً ... إلى وَطَـن أَصْبُـوْ إليـهِ كَثِـيْرَا
فإنْ كنتَ ماقدَّرْتَ ليْ غـيرَ واحـدٍ ... سَـأَلْتُكَ رَبِّـيْ أنْ أعيْـشَ فَقِـيرَا[٣]

ومأأروع قولَه عن مسقط رأسه (البربارة) بلبنان إذ يضيفها إلى نفسه فيقول:

---

(١) عصر العقاد ، د. عبد العزيز شرف (ص٢٩) .

(٢) هو رشيد بن سليم بن طنوس الخوري ، شاعر مهجري معمّر ، ولد سنة (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م) ولد بالبربارة بجبل لبنان ، مارس التعليم ، ثم هاجر إلى البرازيل للتعليم والتجارة ، ثم تولى تحرير جريدة (الرابطة) سنتين ، وانضم إلى العصبة الأندلسية في البرازيل وصار خلفا لميشال علّوف فيها سنة ١٩٣٨م ، ثم عاد إلى سورية ثم لبنان ، لقبه بالقروي الشاعر نجيب قسطنطين ذما له فاشتهر به ، ولم يتزوج ، وكان يداري الناس ؛ حتى يظن المسلمون أنه مسلم ، ولم يكن مؤمنا بالنصرانية وخرافات تأليه المسيح ، بل يدعو إلى جمع الأديان ، أوصى بأن يصلي عليه شيخ وكاهن!
انظر : ذيل الأعلام ، أحمد العلاونة (ص٨٢-٨٣) .

(٣) الشاعر القروي سيرة وعطاء ، صالح الدسوقي (ص٤٤) .

سَكَبْتُ على بَرْبارتي ذَوْبَ مُهْجَتِيْ ... وكمْ ذُقْتُ منها مايهيْبُ بيَ ارْحَل
ولولا طلولٌ خُبِّئَتْ في رجَامِها ... بواكيرُ حبِّي عشتُ عنها بمعْزل
فيادارتي حُبِّيْ ولهوي وصَبْوَتِيْ ... بكلتَيْكُمَا عندي هَوَىً لَمْ يُبَدَّل
نَقَشْتُ بلَوْح الصَّدْر رَسْمَيْكُمَا مَعًا ... فَيَاكَبدِيْ ضُمِّيْ ويَاقَلْبُ قَبِّل[1]

ولئن كان عماد الدين يتذكر الموطن ـ بشكله العام ـ ، ويحنّ إليه دوما ؛ فإن ذكرياته عن موطنه المصغّر ، من الأهل والعائلة تمثِّل النظر إلى هذا الموطن المصغّر الذي أفردنا الحديث عنه سلفا ؛ لأن (البيت) موطن له ذكرياته وطابعه الخاصّ ، و"البيت هو ركننا في العالم . إنه كما قيل مرارا ، كوننا الأوّل ، كون حقيقي بكلّ ما للكلمة من معنى ... وطبقا لجدل لانهائيّ فإنّ ساكن البيت يضفي عليه حدودا إنه يعيش تجربة البيت بكلّ واقعيتها وحقيقتها ... إنّ ماضينا كاملا يأتي ليسكن البيت الجديد"[2] .

وهكذا تكون لهذه المواطن صغيرها وكبيرها أثرها في نفس المرء وتقلّبات حياته مصبوغة بطابع (الذكرى) المتجذّرة ؛ التي تتأثّر بالبيت والمجتمع ، وتداعيات المكان . والمجتمع المحيط بالمبدع مساعد في البناء ، فاعل في الإبداع ، مشارك في العطاء ، يصوغ التنمية الجماعية للإبداع ، والخلفيّات الفكريّة ، والتصوّرات الحركية المثمرة فردا واعيا منظّما[3] .

---

(١) المرجع السابق (ص٤٧-٤٨) .
(٢) جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا (ص٣٦-٣٧) .
(٣) انظر : مهارات التفكير الابتكاري ، د. محمد عبد الغني هلال ، باب تنمية الإبداع ، ففيه كلام نفيس في هذا المجال .

وكما شكا عماد الدين هذا الحنين الدائم إلى (الموصل) ؛ هاهو الشاعر العراقي الكبير (محمد الجواهري) [١] يشكو ضناه وبعده عن العراق وأهله ، فيقول[٢]:

سَهرْتُ وطالَ شَوْقي للعراق وهَلْ يَدْنُو بعيدٌ باشتياق؟
وهل يُدْنيكَ أنَّك غيرُ سال هَوَاكَ وأنَّ جَفْنَكَ غيرُ رَاقى[٣]
ومالليلى هُنَا أَرقٌ لَدِيْغٌ ولالليلى هُنَاك بسِحْر رَاقى[٤]
ولكنْ تربةٌ تجفو وتحلو كَمَا حَلَتِ المَعَاطِنُ للنِيَاق

---

(١) محمد مهدي الجواهري ، شاعر عراقي معاصر ، قال الشعر وأجاد فيه ، وله ميول رافضية . نفي طويلا ، وتغرب عن الأهل والديار ، ومنح قبل وفاته بعامين وسام الاستحقاق من رئيس الجمهورية السورية ، له قصائد قوية السبك طريفة الخيال ، شبّهه بعضهم بالسّور الذي يحمي المثقفين العراقيين ، وقد اختار من شعره عيونا ، جمعتها وطبعتها وزارة الثقافة بسوريا .
انظر : المجلة العربية ، ع(٢٥٠) (ذو القعدة ١٤١٨هـ/مارس ١٩٩٨م) (ص٩٨) مقال لعبدالوهاب البياتي ، مع نثار قلم من الباحث ورؤيته .
ويكنى الجواهري أبا فرات ، وله (كوفية) معروفة به كما عرف بها ، يضجر من حديث الصحافة ويهرب منه ، كتب أولى قصائده غزلية ، فاستدعاه الملك (فيصل الأول) حيث أرسل إليه (رستم حيدر) ليعتذر من الملك علي ببغداد فاعتذر بلطف .
انظر : آراء في الفكر والفن ، عبد الوهاب علي المؤيد (ص٣٠-٣٣) .

(٢) الجواهري في العيون من أشعاره ، الأستاذ محمد مهدي الجواهري (ص٥١٣) .

(٣) من (رقأ) بمعنى جَفَّ وسكنَ . انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) أي (الشافي) يشفي اللّديغ برقياه . انظر : نفسه .

سادسا : (الزمن) .. ومواقف الحياة :

للزمن ظلّه الخاصّ في نفوس الناس ، وتأثيره المتميّز في شخصياتهم ، وفي هذا المقام يمكننا أن نقول إنه "لاتوجد هناك طريقة لبناء حياة إنسان ما ، سواء أكانت هذه الحياة واقعية أم خيالية ، إلا بواسطة إعادة بناء ماضيه ... فالإنسان كما قال (ديلثي Dilthey) قد لايملك طبيعة ، لكنه بالتأكيد له تاريخ . وهكذا يغدو الزمن أو الناحية التاريخية للوجود الإنساني نقطة محورية لتحليل وجوديّ للإنسان .

والزمن ، في نظر (هيدجر) ، هو المقولة الأساسية للوجود ـ الزمن كما يختبره الفرد ذاته ، لا كما يسجله العالم الطبيعي أو المؤرخ"[١] .

وإذا جبه المرء بموقف طرأ على حياته ، فترك منزلة في النفس ، أو كان له تحويل قد تختلف درجته من موقف إلى آخر ، ومن حال إلى أخرى ؛ فإن هذا الموقف يكون عنوانا يشار إليه ، ولايفتأ المرء يتذكّره ، ويذكر وقعه وتحويله .

هاهو (محمود درويش)[٢] يتذكر فيه مأساة فلسطين عام ١٩٤٨م ، ومأساة قريته الصغيرة (البروة) ، فيقول : "في إحدى ليالي الصيف التي اعتاد فيها القرويّون أن يناموا على سطوح المنازل ، أيقظتني أمي من نومي فجأة ، فوجدت نفسي مع مئات من سكّان القرية أعْدوا في الغابة ، كان الرصاص يتطاير فوق رؤوسنا ، ولم أفهم شيئا مما يجري . بعد ليلة من التشرّد والهروب وصلت مع أحد أقاربي الضائعين في كلِّ الجهات إلى قرية غريبة ذات أطفال آخرين .

---

(١) الزمن في الأدب ، هانز ميرهوف ، ترجمة د. أسعد رزوق (ص٣٣-٣٤) .

(٢) هو محمود درويش ، ولد سنة ١٩٤١م ، "وله شعر جيد السبك ، لكنه منحرف التوجّه والاعتقاد" ، ولد في البِرْوة ـ بكسر الباء ـ وهي شرقي (عكّا) في فلسطين ، وقد احتلّها اليهود وهدموها ؛ حيث قاومتهم بشدة وضراوة ، وطردوا أهلها لينهبوا خيراتها وينعموا بخصوبة أرضها ، فخرج مع أمه إلى لبنان ثم عاد بعد أكثر من سنة إلى بلده مع عمه ودليل يعرف الدروب ، ولكن وجد قريته مهدّمة ، فبقي لاجئا في (بلاده)! ، فدرس في قرية (دير الأسد) ، له مواقف بطولية ضد اليهود منذ صغره ، وخاصة في شعره ، وسجن كثيرا ، وحُرّف شعره حين ترجم إلى العبرية ، وسافر إلى موسكو ببعثة من الحزب الشيوعي الإسرائيلي أوائل عام ١٩٧٠م وكان عضوا فيه ففصل .

انظر : محمود درويش شاعر الأرض المحتلّة ، رجاء النقاش (ص٩٦) ومابعدها ، ومابين علامتي التنصيص بقلم الباحث .

تساءلت بسذاجة أين أنا؟ وسمعت للمرة الأولى كلمة : لبنان"[١] .

فكان لهذه الحادثة وقعها في نفسه ، وكان لهذا (الموقف) أثره في صموده وعناده أمام المحتلّ اليهودي ، فكان تحوّلا في طبيعته النفسية ، وتوجّهاته الحركية ، فهاهو يقول عن أثر تلك (الليلة) : "يخيل إلي أن تلك الليلة وضعت حدّا لطفولتي بمنتهى العنف ، فالطفولة الخالية من المتاعب انتهت . وأحسست فجأة أني أنتمي إلى الكبار . توقّفت مطالبي وفرضت علي المتاعب"[٢] .

وهكذا تكون هذه (المواقف) بوقعها وتأثيرها ؛ حيث تكوُّن النفس ، وتحديد المسار ـ غالبا ـ .

ومن المواقف التي كان لها طابعها الخاص في حياة عماد الدين الخاصّة ، وتكوين نفسيته ورؤيته للحياة ، وفاة أخيه الذي يصغره سنّا[٣] ، وقد كان صاحب إبداع أدبيّ متميّز ، وله أعمال قصصيّة قصيرة ، ولكنه انصرف عن ذلك إلى الترجمة بلغة رقيقة رغم جفاف موضوعات هندسة "الحاسوب" الذي كان يترجم أعماله بناء على تخصّصه فيه .. وقد كان طلابه يتلقفون عنه تلك الترجمات بشغف كبير .

وقد وافت أخاه المنية و لم يتجاوز الثامنة والأربعين من عمره ؛ مما كان له أثر عميق في نفس عماد الدين ، وزاده ذلك شعورا بضعف الإنسان وقلّة امتداده ؛ حيث يقول : "الإنسان والحياة البشرية عموما بيد الرحمن ـ سبحانه وتعالى ـ ولايدري الإنسان متى سيفقد ـ كما يقولون ـ امتداده ، وسيؤول إلى التراب ، وقد تعلّمنا من وفاة أخي درسا كبيرا في ضرورة عدم التشبّث بالحياة الدنيا وأننا معرّضون أن نمشي فيها على قشرة من الجليد .

---

(١) المرجع السابق (ص١٠٠) .

(٢) نفسه .

(٣) (نبيل خليل) وكان أستاذا في كلّية الهندسة ، وقد تحصّل على جائزة أحسن كتاب علمي مترجم عام ١٩٨٣م ، وهي جائزة تمنحها مؤسسة الكويت العلمية لأحسن ترجمة في سياقات مختلفة .

انظر : لقاء الأردن (ص١١) .

فالإنسان في هذا العالم وهو مطمئن أنه يمشي على أرض صُلْبة ولكنْ في أي لحظة قد تنكسر هذه القشرة من الجليد ثم يغوص في أعماق مياه باردة لايخرج منها أبدا"[١] .

وبهذا كان لوفاته وقع وموقف في نفس عماد الدين ــ وإن لم تكن نقطة تحوّل معين ـ فهو يرى أن الحياة متدفّقة ـ وإن ظهرت نتوءات هنا أو هناك ـ فيقول "ليس ثمة نقطة تحوّل ـ في الحقيقة ـ ؛ لأن الحياة كالنهر المتدفق ، لاتستطيع أن تجد فاصلا بين نقطة ما ونقطة أخرى بل تتدفق الحياة .

وبالنسبة للأديب يجب أن تكون حياته كلّها لحظات تحوّل نحو العمق الأكثر والعطاء الأكثر"[٢] .

إذًا هو يراها جزءًا واحدا متّصلا ، لاينفصل مكوِّن عن غيره فيه ، وحين تمتدّ الحياة فإنها تمتدّ كالظلّ الذي لاتعبث به أشعة الشمس ، حيث ينظر الأديب بعيدا إلى الأفق ، ولايقع هذا الفاصل مؤثّرا في فكره ونتاجه .

وهذا الشعور ناحية الأخ لم يكن لينشأ في نفس عماد الدين ، لولا البناء العاطفي الشديد الذي تلقّاه من بيته وتربيته ، فكان هذا الإحساس ، وكان هذا الشعور[٣] ؛ مما جعل لمثل هذا الموقف طابعه وتأثيره فيه .

وكذلك إذا هُيِّئَ للشخص (موقف) من المواقف ، وتتابع الزمان على إفادته منه ؛ فإن له دفعا جيدا لنفسه ؛ مما يسهل عليه صعابا كبيرة ، لو أنه لم يقم باستغلال هذا الحدث .

هاهو عماد الدين يمضي قدما بعد أن أشرعت أمامه أبواب التقاء الناس عبر مراحل النشر ؛ إذ يقول : "وكانت واحدة من أسعد اللحظات في حياتي أن أتلقى موافقة مجلة في دمشق هي (حضارة الإسلام) ... ففي عام ١٩٦٣م قدَّمْت لها أول محاولة نقديّة كنت مقتنعا بها ـ إلى حدٍ ما ـ تتابع عملين روائيَّين أحدهما لأديب

---

(١) أي إلى الدنيا . انظر : المرجع السابق .

(٢) المرجع نفسه (ص٨) .

(٣) انظر : البناء العاطفي ، من كتاب : بناء شخصية الطفل المسلم ، محمد عثمان جمال (ص٩٩-١١٢) ففيه كلام نفيس .

من أمريكا وآخر من عالم الشرق الشيوعي ، (همنغواي) في روايته المعروفة (الشيخ والبحر) التي نال عليها جائزة نوبل في الآداب ، والآخر هو (آرثر كوستلر) الأديب المجري الشيوعيّ المرتدّ فيما بعد عن الشيوعية بعد أن رأى مارأى من تناقضات في بناياتها ، وروايته (الظلام في النهار) فقارنت بين هذين العملين ... وكتبت المقال بالشكل التالي : (همنغواي وكوستلر .. والإنسان المسلم) [١] في محاولة تبيان السويّة الطبعية للإنسان من منظور إسلاميّ ، قبالة السويّة المنحرفة للإنسان في عملين روائيّين . فلما قبلت مجلة (حضارة الإسلام) هذا العمل كان بالنسبة لي تشجيعا مابعده تشجيع ، وكانت تلك من أسعد لحظات حياتي ... فاندفعت لاألوي على شئ ، أكتب محاولات نقدية أخرى راحت تزداد عددا وتتشكّل على مكث"[٢] .

وهذا يذكّرنا بما مرَّتْ به (نازك الملائكة) [٣] حين دخلت دار المعلمين العالية فرع اللغة العربية ، وأسهمت بقصائدها في حفلات الكلّية ، فنشرت الصحف العراقية قصائدها فكان لذلك وقع كبير في مسيرتها الشعرية[٤] .

وفي هذا التأثير يقول الأستاذ العقّاد : "إنني أومن[٥] بكلمات التشجيع التي يتلقّاها الناشئ في مطلع حياته ممن يثق بهم ويعتزّ برأيهم ، فيمضي إلى وجهته على يقين من النجاح .

---

(١) نشر المقال عام ١٩٦٣م في مجلة (حضارة الإسلام) م(٧) (ص٩٩-١٠٢) .

(٢) لقاء الأردن (ص٧-٨) .

(٣) هي نازك الملائكة ، ولدت في ٣٢ آب/أغسطس ١٩٢٣م في (العاقولية) ببغداد القديمة ، تدّرجت في التعليم حتى نالت ليسانس الآداب عام ١٩٤٤م مع مرتبة الامتياز ، ودرست الموسيقى كذلك ، ودرست الفرنسية مع أخيها (نزار) وأجادت الإنجليزية ، ولها قصيدة (الكوليرا) الشهيرة في ذكر كوليرا مصر عام ١٩٤٧م ، صدر لها ديوان "عاشقة الليل" ، و"شظايا ورماد" وقد أثار هذا الديوان ضجة حول اللون الجديد في الشعر ، ثم صدر ديوانها "قرارة الموجة" ، ثم "شجرة القمر" ، و"مأساة الحياة" ، و"أغنية للإنسان" وغيرها .
انظر : دراسة في شعر نازك الملائكة ، د. محمد عبد المنعم خاطر (ص١١-١٨) .

(٤) انظر في هذا : المرجع نفسه (ص٢٥) .

(٥) هكذا أوردها تسهيلا ـ الباحث ـ .

وأومن بالظروف وفعلها في تمهيد أسباب النجاح وتيسير البدء في طريقه ، ثم المثابرة عليه إلى غايته القريبة والبعيدة .

وأومن بالرغبة في الوجهة التي يتجه إليها الناشئ والعمل الذي يختاره ويحسّ من نفسه القدرة عليه والاستعداد له مع الاجتهاد والتذرُّع بالوسيلة الناجعة ..

أومن بها مجتمعات ولاأومن بها متفرّقات .

أومن بالتشجيع والظروف والرغبة تتلاقى معا وتتوافق في الخطوات الأولى .. ولاأومن بها متفرقة يتيسر بعضها ويتعذر سائرها في مستهل الطريق"[١] .

والعقّاد بهذا الدفق الإيماني عَبَر حلقاتٍ ودوائر مختلفة ، وجال بنا في بيان لأثر هذه الحياة ومافيها من مواقف تسهم في تغيير مسار الشخص ، أو تحوّله متعرِّجًا مع الزمن ، متأثرا بهذه العوامل والصوارف .

وهذا الأمر يتشكّل أثره سريعا إذا كانت الشخصيّة ذات قابلية لهذا التلاقح والتأثير ، وقد يعجّل بذلك ـ كذلك ـ مايقع من مواقف الحياة التي تنطلق خلال البيئة المحيطة ، في الأسرة المصغّرة ، ومايجري منها ، أو في الأسرة العليا ــ وهي المجتمع ـ ، ومايكون فيه من تسارع في ذلك ممّا يؤكّد حلقات العقّاد الإيمانية السابقة ، وأن النجاح ولذّته لاتكون إلا بتحوّلات هنا وهناك .

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، العقاد (٢٢/٨٤) .

ومن المواقف التي ألقت ظلالها في حياة عماد الدين ماذكرناه سلفا من ضيقه حين يجالس عائلته ، وعدم شعوره بالراحة النفسية معهم ؛ مما جعله يناجي العزلة ويتّخذها أنيسا وجليسا .

ولاريب أن المرء إذا شعر بمضيّ الزمان سارع إلى الإفادة من لحظاته والعمل فيه ، فلا تراه يدع لحظة منها تمرّ بلا نتيجة أو عمل .

هاهو العقّاد يدخل السجن ، فيرى فيه فرصة سانحة ذهبية للقراءة والتفرّغ لها وإعداد النفس للمستقبل الواعد[١] .

ومن (مواقف) الحياة مع عماد الدين ماكان في أوّل محاولاته الشعرية ؛ مما كان له أثر كبير في انصرافه عن الشعر طويلا ، ثم العودة إليه بعد حين .

حيث كان عماد الدين في بداية محاولاته الشعرية ، المضحكة والتافهة ـ حسب قوله ـ التي يراها محاولات للتعبير .. بدأها منذ الصفّ الثالث المتوسط .. بدأها بقصيدة عن فلسطين وأخرى عن الجزائر ، إحداهما عمودية ، والأخرى من شعر التفعيلة ، ومن قصيدة الجزائر يقول :

فهذهِ الأرْضُ للإيمانِ قَدْ خُلْقَتْ وتِلْكَ بُلْدانُهم بالكفر تَلْتهبُ[٢]

وجمع هاتين القصيدتين وغيرهما في دفتر كبير الحجم فيقول إنه "انطوى على مايقرب من عشرين إلى ثلاثين قصيدة مما قبل المتوسطة ، فلما رأيت أخي الأكبر وخالي يعثران على هذا الدفتر في يوم ما ويقرءان فيه ويتضاحكان ويتغامزان ، أصبت بإحباط وردّة فعل ؛ فما كان إلا أن أمزّق هذا الدفتر! تلك كانت بدايتي الشعرية ، وهي بداية سيئة على أية حال"[٣] .

ولعلّ من المواقف التي لاينساها الدكتور عماد الدين من حياته الممتدّة ، ماكان من أمر الدراسة الجامعية ، وتحديد المسار فيها ، فهو يعشق (الأدب) عشقا

---

(١) انظر : المرجع نفسه (٢٣/٣٠-٣٦) بتصرّف .

(٢) لقاء الأردن (ص٢٢) .

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

عجيبا جعله يرى في تخصصه (التاريخ) رغبة أكيدة في ألا يمس بالأذى مملكة (الأدب) وأن يكون حرًّا طليقا في اجتياز دروبها وتناول ثمارها المدلاة[١] .

ويعلّل هذا بأن أقسام (اللغة العربية) في أواخر الخمسينيات كانت جافّة تقتل الإبداع ؛ ففرّ منها لجمودها ، ورغب أن يكون هكذا مع الأدب ؛ ولما رآه ـ كذلك ـ في أساتذة القسم ـ آنذاك ـ من التدريس بطريقة جافّة محنّطة ، لايُبَرِّزُ بها مبدع قدير[٢] .

وتأويله لما يتعلق بكتبه التاريخية الكثيرة ، أن هذا له قصة أخرى ، تنطوي على كثير من التفاصيل ، وأننا في عصر التخصّص ، الذي لايراه مانعا من الكتابة والإبداع في جوانب أخرى ، وهكذا الظواهر "لاتتخاصم وينفي بعضها بعضا ، وإنما تلتقي وتتصالح ويعطي كلّ منها للحلقات الأخرى الفرصة الكاملة للتحقق ... (و)[٣] الموسوعية ـ إذا صحت الكلمة ـ لاتتعارض مع التخصّص سواء في دائرة المفكر الواحد ، أو في سياق النشاط الفكري والثقافي في بيئة ما أو عصر من العصور ... والحياة الثقافية التي يغيب فيها الموسوعيون ولايتحرك سوى أصحاب التخصص في هذا الفرع المعرفي أو ذاك .. حياة لاتستحق أن تعاش .. أرخبيل من الجزر المنعزلة التي لاتجمعها لغة واحدة .. تصوَّر لو أن قرننا هذا لم يشهد مثقفين كالعقاد أو طه حسين أو سيد قطب أو توفيق الحكيم ، بغض النظر عن توجهاتهم الفكرية .. مثقفين كتبوا في الفكر والتاريخ والترجمة والسيرة الذاتية والتنظير الأدبي وأبدعوا قصصا وروايات وشعرا .. كيف يمكن أن يكون؟! ... ومع ذلك فإن هذا لايمنعك من أن تصير متخصّصا ناجحا ، بل ربما أكثر قدرة على الإبداع والعطاء في مجال تخصّصك نفسه من الكثيرين ممن اعتقلوا أنفسهم في زنزانات مايسمى بالتخصّص الدقيق ، ففقدوا الرؤية الشمولية واللغة القديرة على الأداء ، بل أصيبوا بسبب جمودهم في البؤر الضيقة بعمى الألوان!"[٤] .

---

(١) انظر : ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص١٢٩) بتصرّف يسير .

(٢) انظر : لقاء الأردن (ص٥) ، وانظر المرجع السابق .

(٣) زيادة لمناسبة السياق بعد الحذف ـ الباحث ـ .

(٤) انظر : ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص٨٣-٨٤) ، وفيه كلام جميل في هذا الباب .

وتشعب الرغبات ، واختلاف مسارات البحث والاهتمام لايجاوز محاور التخصص أو منهجية البحث .

ولقد كان عماد الدين يأرز إلى الأدب والفن عموما إذا أراد التخفّف من هذه القيود التخصّصية والمنهجية إذ يقول ـ عن ذلك ـ : "كنت عندما أملّ من مطالب البحث في التاريخ ، وهي بالتأكيد مطالب علمية قد تبلغ ـ أحيانا ـ أن تكون جامدة كالجليد .. كنت أهرب إلى الأدب والفن عموما ، متخفّفا من قيود "المنهج" ومايطلق عليه "الروح العلمية"[١] مستجيبا لنداءات أخرى تضطرب في أعماقي قد لاأستطيع أن أسميها بدقة لكنها هي نفسها التي تخفق تحت جلد كل أديب أو فنان"[٢] .

ولاريب أن احترام التخصّص من الموضوعات المفقودة في هذا الزمان ، مع أن يقين الناس بأنّ تقدّم العلم الحديث ، وقيام النهضة الحديثة ، لايكون إلا بتقسيم العمل ووجود الثقافة بوجهيها الرأسيّ والأفقي ، في شتى الميادين .

ومامن منكر أهمية وعظم الخوض في التاريخ وتبعات ذلك ، ألم يقل ابن خلدون في مقدّمته الرائعة : "... إن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال ، وتشد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفته السُّوَقَةُ والأغفال[٣] ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال[٤] ، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال ، إذ هو في ظاهره لايزيد على إخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأول ، تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتُطْرَفُ بها الأندية إذا غَصَّها الاحتفال ، وتؤدِّي إلينا شأن الخليقة كيف تقلَّبَتْ بها الأحوال ، واتّسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال ، وفي باطنه

---

(١) له مقال رائع في (الروح العلمية) سيأتي معنا قريبا بإذن الله .

(٢) المرجع السابق (ص١٤٠) .

(٣) الهَمَل من الناس . انظر : مقدّمة ابن خلدون ، تحقيق درويش الجويري (ص٩) ، وفي اللسان من لايرجى خيره ولايخشى شرّه . انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، باب (غفل) (٤٩٨/١١) .

(٤) العظماء . انظر : مقدمة ابن خلدون (و) ، واحده (قيل) وهو الملك والعظيم . وانظر : اللسان ابن منظور ، باب (قيل) (٥٧٦/١١) .

نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلـمٌ بكيفيّـات الوقـائع وأسـبابها عميق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير بأن يُعَدَّ في علومها وخليق"[١].

والموقف الذي لمسه عماد الدين من خلال مرأى أساتذة اللغة حينها ، وماكان يسمعه من قصص تطرف بها مجالس أصدقائه وزملائه ، كل ذلك جعله يتّجه هذا الاتّجاه هاربا إلى الأدب من جمود البحث التاريخيّ المنهجيّ كلّ حين ، غير غارق في ظلمة التخصّص المنغلق!

ولازال كثير من المثقّفين يندبون الوضع الذي يقع فيه فئام من الباحثين والكتّاب من السطو على خيرات الآخرين وخبراتهم ، ونسبتها إلى أنفسهم ظلما وعدوانا ؛ مما جعل الجامعات ومحاضن التربية والعلم تشهد تصرفات غريبة عنها ، من هذا السطو ، أو من تلبّد وتبلُّد وجمود وقلة حركة في الجانب الآخر ؛ فأفقد هذا الجامعة دورها ومسارها الصحيح ؛ فقد كانت تحتضن "البحوث الجادّة ، والدراسات العلمية الرصينة ، والابتكارات الجديدة ، والمذاهب المستحدثة ، والتيارات ذات الإشعاع الفكري والثقافي . أتاحت الفرصة ، وهيّأت السعي ، وفتحت الأبواب ، ومهدت الطريق"![٢] . ولقد كان عماد الدين ممن يندبون هذا الوضع بشدّة ، ويعنف المقال على أولئك الذين يدعون الموضوعية ، ويعللون هلهلة بحوثهم وضعفها بـ"الروح العلمية" إذ يقول في مقال رائع له عن هؤلاء الذين يجمعون نصوصهم غير المنضدة ، وينثرونها .. أنهم يصنعون ذلك "دونما أية قدرة على الربط ، أو رؤية شمولية تجمع المسألة من أطرافها ، أو أسلوب متميّز على أقل تقدير .. لقد تمخض الجبل فولد فأرا .. ولكنهم يقولون : إن هذا الفأر الذي لاتكاد تراه هو البحث العلمي الأصيل ، لأنه يتميز بالكثافة والتركيز والجودة وطول الذيل ، وأنه ليس المهم أن تكتب المؤلفات الطوال وتدبج الصفحات المتلاحقة ، ولكن أن تخرج على الناس ، في فترات متطاولة ، من الجهد والكدّ والعناء .. ببحث (علميّ) كهذا!.

---

(١) المقدّمة ، ابن خلدون ، تحقيق أ. درويش الجويري (ص٩-١٠) .

(٢) بحوث ودراسات أدبية ، د. سيد حامد النساج (ص١٤٥) .

إن الكتب الكبيرة والأبحاث الكثيرة ـ وفق منطوقهم (العلمي) ـ غثاء لاقيمة له ، والأحرى أن يتجاوز الإنسان مواقع (البلاغة) و(الإنشاء) و(الصحافة) إلى خطّ البحث العلمي (الأصيل) .. وكثيرا ماتلاعبوا بكلمة (أصيل) هذه ، فردّوا أبحاثا ممتازة على أعقابها بحجة أنها غير أصيلة"[١] .

وينظر إلى هؤلاء ـ الذين يضيق صدره ذرعا بهم ـ على أنهم أقزام لايتعاملون إلا مع الأشياء الصغيرة ، فإذا رأوا كبيرا ، داروا حوله متعجّلين "وقد مدّوا شفاههم باحتقار ، دورتين أو ثلاثا ، ثم بصقوا عليه ، وغادروه للتعامل مع الصغائر والجزئيات!!" [٢]

---

(١) مجلة (حضارة الإسلام) ، س(١٧) ، ع(٩-١٠) (ص١٩-٢٠) ، مقالة "أحبار الشهادات" .

(٢) نفسه ، وانظر قريبا منه مقال د. رجاء بن سلامة في صحيفة الحياة ، ع(١٢٩٩٢) الثلاثاء ٨ جمادى الآخرة سنة ١٤١٩هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ١٩٩٨م .

سابعا : الأُمّة .. آمالٌ ومصير :

منذ أن بدأت محاولات عماد الدين ومشاركاته الإبداعية ، وهو يدور في فلك التوازن بين مطالب النفس ومطالب الأمّة الملحة .. ومنذ أن عرف الشعر والتعامل معه ، أطلق ـ كما كان غيره يفعل ـ صيحاته تجاه قضايا أمته ؛ لاستشعاره أهمية الكلمة وأمانتها وعظيم وقعها في النفوس ، "ونحن لانستطيع أن نكتب كلمة واحدة ، دون أن نمرِّرها من خلال الإسلام .. لماذا؟ لأننا مسؤولون أمام الله"(١) .

بل هاهو حين يتذكّر حوافر الزمن في صباه وسنيه ، ينظر في الأفق إلى آلام وجراح أمته التي لاتزال تُبرِّحه ، فيجدها مشغلة له عن ذلك كلّه ، حافرة أخدودا عريضا في قلبه المكلوم ، يجعله مبرّحا شاكيا هذه الآلام إلى نفسه ، فنراه يقول :

"ذِكْرياتُ الصِّبَا وفَجْرُ سَلامِيْ
أذْهَلَتْني عن ذِكرها آلامِيْ ..
فَأَنَا في دَركِ الجحيمِ أسيرٌ
نَسِيَ الحُبَّ ، والحياةُ ضرامي
ليس يشدو بظلِّ نارِه طَيْرٌ ..
ويهاب الحَمَامُ بَطْشَ حِمَام!!
ولقد حُطِّمَتْ ينابيعُ روحي
ـ رغم رُوْحي ـ تَبَدَّدَتْ أحْلامِي"(٢)

وهذه الهموم التي تجعله لايقرّ ولايستقرّ ، أضحت ترياقا لحياته ، لايطيق عنه صبرا . بل تلمس ذلك في حديثك الخاصّ معه ، وفي طبيعة مواعيده ولقاءاته ، وهكذا يكون المرء الفاعل ، ونجد ذلك ماثلا في مثل قوله : "في مساء يوم من أيام (شباط) ١٩٩٤م اتّصل بي هاتفيّا أحد الأصدقاء .. رجل يملك ثقافة عميقة وعلاقات اجتماعية واسعة ..

* هل أنت مرتبط بموعد ما؟

– أبدا ..

---

(١) لقاء الأردن (ص٣٧) .

(٢) ديوان جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص١٥١) .

* أريدك في بيتي هذا المساء .. ثمّة حشد من الإخوة سيقضون أُمسيَّتهم عندي .

- أعتذر .. ولكنه يلحّ ، فأتذرع بالأسباب .

* إنها فرصة جيدة .. ستتعرف على ثلاثة إخوة من الشيشان والأنكوش .

- يحاصرني إغراء الذهاب ، ولكنّ ميلي للبقاء في البيت في ليالي الشتاء أشدّ إغراء . يودّعني يائسا وهو يقفل الهاتف .. لحظات وينفجر الندم في أعماقي ، إنها فرصة جيّدة فعلا وقد لاتتكرر مرة أخرى .. بعد دقائق أجدني مسوقا لأن أطلبه على الهاتف وأعلمه بأنني أرحب بدعوته!" [١] .

وينقل مايراه شاهدا على آلام أمته ، وعميق الجرح في النفس المسلمة ، فينقله بنثره الشعري الذي يعتمد الموسيقى الداخلية[٢] ، ويبثّ ذلك قائلا :

"كلَّ يوم نفتح أعيننا وألفُ آهٍ تحفر في الأعماقْ
إن في قلوبنا مغاراتٍ قد نخرتْها الآلامْ
إنَّ في نفوسنا أَجْرافا[٣] توشك على الانهيار
مِنْ وَطْءِ الأقْدَامْ
نحن مهزومون من داخل أرواحنا
مُضَيَّعونَ في بلادنا كالأغنامْ
في اللَّيالي الشاتية المطيرة"[٤]

وينادي منددّا بحزب (البعث) العراقيّ الآثم وتسلّطه وجبروته فيقول :

إنْ تَوارَى السَّنَي بليل بلادي ... وتمادى الجَلادُ كالموتِ .. جَائِرْ
وأُعِيْدَ الإرهابُ يَعْصِرُ خَمْرًا ... مِنْ ضحايَا (بغدادِ) أروَعَ عَاصِرْ
واستَباحَ اليهودُ أرجاءَ (قُدْسِيْ) ... واستَغَلَّ (الفِرَنْجُ) أرضَ الجَزَائِرْ

---

(١) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص١٤١) .

(٢) ذكر ذلك في مقدمة ديوانه جداول الحب واليقين (ص١٦) .

(٣) مفرده (جُرْف) ويجمع كذلك على (جرَفة) و(جُرُوف) وهو شِقُّ الوادي إذا حُفِر الماءُ في أسفله . انظر : المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون (ص١١٨) .

(٤) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص١٠٦) .

فـانظروا ثـورةَ التحـرُّر تَسْـعَى بـرؤُوْس الطُّغْيَـان نحْـوَ المَقَـابرْ
والمحـوا الفَجْـرَ خلْـفَ كـلَّ ظَـلام نَثَّ نورًا على المَشَارق سَاحِرْ[١]

ويقول كذلك :

"لِمَ باعوكِ يابلادي .. "بحُكْم"
أغرق الشعبَ بالشَّقَاء ، وحَطَّمْ؟
لِمَ باعوكِ بعدَ ثورةِ شعبٍ
كلُّ آمالِهِ بأنْ سَوْفَ يَبْسِمْ؟" [٢]

وهذا لم يجر في الشعر دون غيره ، بل تجسّد في (الروايـة) و(المسـرحية) وهـو يتذكر هذه الهموم ، ويأمل في المستقبل الواعد ، وإعادة شئ من أمجاد الأمة التليدة .

ومـن أمثلـة إبداعاتـه الـتي شـكلّت هـذا الانطـلاق ، وسـارت بـه : روايتـه "الإعصار والمئذنة" التي ذكر فيها تصوير التآمر مع الشيوعية على خسران الشـعوب وهي محاولة لتوظيف ثورة الموصل ضد حكـم (عبـد الكريـم قاسـم) [٣] ، والتسـلّط الشيوعي على خيرات البلد حينها[٤] .

---

(١) المرجع السابق (ص١٣٧) .

(٢) المرجع نفسه (ص١٤٥) ، وفي مآسي المسلمين انظـر المرجـع نفسـه ، (ص١٣٥،١٣٦،١٣٧، ١٤٥،١٤٦،١٥٥،١٧٣،١٨٠،١٤٩،١٥٠،٢٩١) ، وله قصيدة قديمة في مأسـاة الجزائـر مـع الفرنسيين وهو في المرحلة المتوسطة ، انظر : لقاء الأردن (ص٢٢) .

(٣) هو عبد الكريم قاسم ، ثائر عراقي ولد عام (١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ، قتل فيصل بن غازي آخـر ملوك الهاشميين ، فقضى على البيت الهاشمي في العراق بذلك ، حكم أربع سنوات وسبعة أشهر وخمسة وعشرين يوما فقـط ، وهـو قـائد عسـكري وركـن حـرب ، أقـام النظـام الجمهـوريّ ونصب محكمة عسكرية ظالمة ، وقد احتاط فحصر أعمال الدولة في شخصه! كان لاينام أكـثر من ثلاث ساعات في اليوم ، فانهارت أعصابه ، وكان حادّ الذكاء شعلة نشـاط ، لكـن علـى غير اتّزان ، خرج عليه شباب الجيش فقذفوا القنابل وقُبض عليه حيّا مع ألف قتيل من مسانديه ثم أعدم بالرصاص عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٣م) متّهما بالعمالة والجاسوسية .
انظر : الأعلام ، للزركلي (٤/٥٤-٥٥) .

(٤) لقاء الأردن (ص٦٧) .

وروايته القادمة (السيف والكلمة) "توظّف اللحظات (الدراميّة) المؤثرة في الغزو المغولي لبلاد بغداد توظيفا روائيا ، وفق صيغة مركّبة"(١) .

وهكذا شأن المسرحية ، حيث نجد أمامنا ـ على سبيل المثال ـ مسرحية (المغول) وهي تتعامل مع التاريخ ذاته ، و(العبور) وهي مسرحية ذات فصل واحد تتّجه في الاتجاه نفسه(٢) .

والأديب إذا لم ينطلق من هذه الاهتمامات وهذا الشعور الفيّاض ؛ فسيغدو متكالبا على الفتات ، مجرّد مدّاح وهجّاء .. همُّه لايجاوز نفسه ، وفي هذا يقول الدكتور مصوّرا حال الأديب المطلوب ، وأنه يقول الحق "ولو أوصله الحق إلى المشنقة ، أو قصد به عن آلاف الباحثين عن التكاثر ، المتكالبين على الفتات ، المدّاحين الهجّائين .. أولئك الذين يسفحون مشاعرهم ورؤاهم عندما يلتمع أمام عيونهم الجوعى وهجُ الذهب والفضة ، أو تفزع أحاسيسهم ومطامحهم صيحةُ ظالم أو أنّةُ مظلوم ... كثيرون جدًا ، كَذَبوا على أنفسهم وعلى قارئيهم ووقعوا في الغواية .. هاموا على وجوههم بحثا عن الذهب والفضة ، وفرارا من مواطن الرعب والخوف ، حيث لن يتاح إلا للقلّة النادرة أن تقول للظالم ياظالم"(٣) .

---

(١) المرجع السابق (ص٣٤) .

(٢) المرجع نفسه (ص٣٥) .

(٣) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص١٠) .

ولهذا نراه يؤسّس أن المرء سيفقد في الساعة الأخيرة (الموت) كلّ مهازل حياته وضلالاته ، فيقول عن الموت :

"الخطوةُ التي لارجوعَ بعدها ..

الحزنُ العميق الذي يردّ على فرحة الحياة التافهة ..

الوداعُ الذي يسخر من اللّقاءات الصغيرة"

انظر : المرجع نفسه (ص٣٧) .

ثامنا : المرجعية التأصيليّة والسياق :

انطلاقات الدكتور عماد الدين تبرز من مرجعيات ثابتة ، ومفاهيم متوازنة ، تتخذ منهجية المثقّف المسلم ، وتلبس لبوس التوازن والشمول ، وهما الصفتان اللّتان يختصّ بهما المنهج القويم الثابت ، الذي لايتزعزع ولايتضعضع .

وسياق حديثه ، وانطلاق كلماته ، يعتمد هذه المرجعية التأصيلية التي ارتآها سبيلا ومنهجا له ، يلاحظه ـ بدقة ـ من نظر في كتاباته .

واعتماده هذه المرجعية جعله يعشق المنهجية عموما ، ويدعو إلى التريُّث والضبط والحركة المنضبطة التي تزن الأمور ، ولاتتعجّل الطريق ، بل تسير بتؤدة وتأثير بالغ ، ينتهج التدرّج مسلكا ، ويتوسّط الأمور منزعا ؛ ولذا نراه "يكتب في المنهج بشكل عام ويؤكّد على ذلك في كلّ المناسبات ، ويبين دور المنهج الخطير في حركة الإنسان الفكرية والحضارية عموما ، وأنه بدون المنهج الذي هو ثمرة العقل المرتّب ليس ثمة طريق يوصل إلى الأهداف مهما بذل من جهد وقُدّم من عطاء"[١] .

بل يرى أن هذه الدعوة تكتسب الشرعية وأنه "يكفي أن نتذكر مبدأي الاستخلاف والتسخير القرآنيين ، تدعو المسلم إلى الحركة المتواصلة وتجعل الحياة الإسلامية الجادة مشروعا مفتوحا ينتقل بالإنسان والجماعة المسلمة من حالة إلى حالة أعلى"[٢] .

ومن نادى إلى المنهج ، كره العبث وقلاه ، فهاهو يقول في تقويمه العبث الذي يراه في كلّ مكان ، ويبصر آثاره المشينة على مستوى الفرد والجماعة : "العبث الذي يحكمنا بثقله إذًا ، والذي يشعر به كلٌّ منا يقبع في أعماقه كوحش مخيف جائع ، يفتح فاه فيمضغ كياننا من الداخل : تارة يأكل من أعصابنا ، وتارة أخرى من وجودنا ، وتارة ثالثة من بقايا الروح المتناثرة في جنبات الإنسان ، هذا العبث ينعكس بالضرورة على الخارج .. فنراه في البيت وفي الدائرة ، في الأزقّة وفي

---

(١) حول تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل ، ومانقل جزء من تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنة للكتاب ، انظر (ص٢٧-٢٨) .

(٢) ريبورتاج ، د. عماد الدين (ص٥٣) .

الشوارع ، تحت الشمس وفي المنعطفات ، في الأيام القاتمة السوداء ، وفي أضحيات الربيع .. في الليل والنهار .. في الصيف والشتاء .. أينما ولّينا .. وحيثما ركضنا .. نجد هذا الانعكاس المحزن للعبث .. وهذه هي المأساة"[١] .

وانعكس شمول نظرته وبعد مرامه ، وتوازنه الدقيق في التصوير ، على مجالات النقد في الساحة الثقافية ؛ حيث يرى أن على الأدباء الإسلاميين توسيع مساحة النقد التطبيقي في العمل والدراسة ، وهذا مهمّ في نهر الإبداع المتدفق ..

"فعلى مراحل متباعدة يلحظ المرء كتابا أو مقالا أو محاولة في النقد التطبيقي لاتكاد ترى على الخارطة الأدبية الإسلامية التي يطغى عليها الإبداع .. وربما التنظير"[٢] .

وهكذا يكون طرحه متميّزا بهذه النظرة الشمولية المتوازنة غير أحادية النظر.

وقد كان لهذا الشمول والتوازن أثر في كتاباته التاريخية ــ كذلك ــ ، فنراه يقول : "من خلال نظرة شمولية إلى التاريخ الإسلامي ـ في مساراته ومضائره ـ يبدو ذلك الاتصال الوثيق بين المسببات والأسباب ، ذلك التلاحم المحتوم بين المقدّمات والنتائج ، إنها النواميس والسنن التي حدثنا عنها الله سبحانه في كتابه المبين .

ولقد أخطأ كثير من المؤرِّخين في فهم وحدة هذا التاريخ وطبيعة نسيجه ذي الخيوط الواحدة ، أخطأوا لأنهم نظروا إلى هذا التاريخ نظرة تتّسم بالتجزيئية والمباشرة والتقطّع حينا ، وبقياس التحوّلات بمقاييس التغير الدائم ... دون أن يأخذوا بنظر الاعتبار حركة المجتمع الإسلامي ووحدته وصيرورته"[٣] .

ويرى في التحليل الإسلامي للأحداث شيئا آخر ، حيث إنه "يسلط الأضواء على مساحاتها جميعا ، دون أن يقتصر على الأحمر أو الأخضر لكي تبدو حمراء أو خضراء .. إن رؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلة"[٤] .

---

(١) مجلة (حضارة الإسلام) ، س(١١) ، ع(١) (ص٢٦) مقالة : "العبث" .

(٢) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص٥٧) .

(٣) تحليل للتاريخ الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٣) .

(٤) التفسير الإسلامي للتاريخ ، د. عماد الدين خليل (ص١١) .

وهذا كلّه قد أثّر في نظرته وإجاباته المنضبطة ، التي تبعد عن عقدة الحلّ الواحد ، الذي لايزن إلا بميزان واحد ، وإن اختلفت المقادير والأنواع والأحوال![١]

ومن إجاباته هذه مابعثه في (آب ١٩٩٦م) إثر تسلّم أسئلة (دار الصحوة للنشر) في القاهرة[٢] ، وكانت قد وردت عن (دار الساقي بلندن) ، حيث أجابت عنها أربع وعشرون شخصيّة ثقافية وأدبية عربية ـ على اختلاف في الاتجاهات بينهم بين ماركسيّ وعلماني "بل إن بعضهم يجمع بين الماركسية والمسيحية"![٣]

وكانت هذه الأسئلة قد ظهرت ــ عن دار السّاقي ــ في كتاب بعنوان : (آراؤهم في الإسلام) ، وقد تنكّبت إجابات هؤلاء المحاورين ؛ تبعا لتوجّهاتهم وخلفيّاتهم الفكرية والعقدية ، وخرجت ناتئة ملتوية ، حول محاور خمسة يرتبط بعضها ببعض[٤] .

فبدأ عماد الدين بتمهيد الأرضيَّات المتّفق عليها في البداية ، ثم أبان محلّ النزاع ، مثبتا جدارة الإسلام ـ مهما حاول المرجفون ــ على ملاك هذه الحياة ، وتحقيق الاستخلاف لحملته "الصادقين" .

ثم أشار إلى أن توجّه (دار الساقي) إلى من لايدركون إدراكا حقيقيا عظمة الإسلام ـ ولو في حدوده الدنيا ـ عمل منقوص لايعكس المطلوب ـ بصدق وحقّ ــ

---

(١) كثير من المثقفين المعاصرين يقعون في هذه العقدة ؛ حيث لايعرفون إلا الأبيض أو الأسود ، المدح أو القدح . ـ الباحث ـ .

(٢) ويشرف عليها الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس حفظه الله .

(٣) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص١٠٨) ومابعدها . والأولى أن نتعارف دوما على مصطلح (النصرانية) بدل (المسيحية) فالنصّ جاء بالأولى في الوحيين ـ الباحث ـ .

(٤) وكانت الأسئلة :

(أ) هل يحافظ الإسلام ـ حتى يومنا هذا ـ على دعوته الشاملة؟

(ب) هل يمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام نظام حكم؟

(ج) هل النظام الإسلامي للحكم مرحلة حتمية على الشعوب العربية أن تمرّ بها في معرض تطوّرها؟

(د) هل تأخذ ظاهرة اليقظة الدينية التي برزت في السنوات العشر الماضية منحى إيجابيا؟

(هـ) من العدّو الأول للإسلام حاليا؟

انظر في هذا كلّه : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

وأنه "ليس من المعقول بأي شكل من الأشكال أن أستدعي حشدا من الخصوم[١] لكي يدلوا بشهاداتهم تجاه الظاهرة الفذّة التي وضعوها ـ ابتداء ـ في قفص الاتهام ، وراحوا يكيلون لها التهم والافتراءات : ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[٢] ، ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٣] "[٤] .

حقّا .. "إن الإسلام يكشف عن البداهات ويضع القواعد الأساسيّة لتنظيم وتسيير الذات والجماعة وفق أكبر قدر من التناسب والتوازن والتناظر"[٥] .

ومن جعل القرآن بقياساته وموازينه الشمولية قائدا له ، كان له أن يتّصف بهذا كلّه ، وأن يبدو ذلك عليه حتى في فلتات لسانه ، ونبضات قلمه ووجدانه ، و"الذي يتمعّن في كتاب الله جيّدا يتلمس بوضوح صيغ عمل مبرمج في شتّى مناحي الحياة البشرية .. تلك الصيغ التي تشكّل بمجموعها (استراتيجية) متميّزة تمكّن الجماعة الإسلامية الملتزمة المسؤولة ليس أن تحافظ على أصالتها وشخصيتها فحسب ، بل أن تحدّد أسلوب تعاملها مع القوى البشرية والأشياء والأحداث على ضوء علاقات وعلامات وقيم ومؤشرات واضحة كنور الشمس ، دقيقة النتائج كالمعادلات الرياضية"[٦] .

ولعلّ اطّلاعا على انطلاقاته التأصيلية لأفكاره التي يدعو إليها عبر بوابة القرآن الكريم ، تعطينا هذا التصوّر عن محبته العظيمة للقرآن الكريم ، والعيش في ظلاله الوارفة ، ودفقه النفسي المريح ، مما جعله يتّخذ ترادف الاستشهاد بآيات

---

(١) كثيرا مايسحب أهل الحق إلى معارك ليست في أرضهم ، فالواجب في حقهم التبصّر ، ومعرفة استدراج الخصم وعدم التميّع في المناهج حال الطرح ، وهو ـ بحقّ ـ مايلمس من الإجابة الشافية للأستاذ ـ الباحث ـ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١١٨ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٢٠ .

(٤) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص١١٣) .

(٥) مجلة (حضارة الإسلام) ، س(١٥) ، ع(٨) (ص٤٠) مقالة "المشروع الدائم" .

(٦) المرجع نفسه س(١٧) ، ع(٤) (ص١١) مقالة "القرآن وحالة الحرب" .

عديدة منهجا له في كتبه الفكرية خاصة ، مثل : (رؤية إسلامية في قضايا معاصرة) (حول تشكيل العقل المسلم) ، وغيرهما[١] .

ومن يستمدّ تصوّراته من منطلقات الوحيين فما ضَلّ ولن يَضِلّ .

وإذا كان هذا النموّ في بيئة مسلمة ، ومجتمع منضبط بالتوازن والإعلاء من النفس صُعُدًا حتى ترتقي مواطن الكمال البشريّ المتاح ؛ فإن المرء ـ ولاشك ـ مبِّرزٌ بين أقرانه وهذا مما يؤسّسه الإسلام في تربيته الخاصّة الملائمة ، حيث "إن التربية الاجتماعية في القرآن الكريم تتمثّل في تنشئة الفرد وتكوينه على درجة عالية من الناحية الأخلاقية ؛ ليصبح مفتاحا للخير ومغلاقا للشرّ في كل وقت وحين ، وتطهّر نفس المراهق من جميع الرذائل الأخلاقية ، وتقوِّي فيه دوافع العمل الصالح ، ولايتحقّق ذلك بدون تنمية الإدراك الخلقي والسلوك الاجتماعي ؛ ليتسنّى له معرفة حكمة المبادئ الأخلاقية ، وليتمكّن من التمييز بين السلوك الخير والسلوك الشرِّير"[٢] .

---

(١) ولعله ينحى في ذلك ـ متأثرا ـ منهج الأستاذين سيد قطب ، ومحمد قطب ، وقد ذكر تأثره بهما في أكثر من موطن ـ الباحث ـ .

(٢) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ، د. محمد السيد الزعبلاوي (ص١٦١-١٦٢) .

وبعد :

فإنه يوصل بما مضى من المؤثّرات ماذكر الدكتور عماد الدين من وجوب كون المرء راغبا في الجديد المفيد ، سائرا بتفعيل ذاته ، وإعلاء إمكاناته ، وفي هذا يقول : "العوامل المؤثّرة الأخرى أن تجد نفسك دائما في حالة اكتشاف وأنت تتعامل مع العالم! وأن تكون حسّاسا بدرجة أكثر مما يجب ، وأن تفتح جملتك العصبية ـ بشكل مباشر ـ بتضييق فاصل الألم بينك وبين العالم ... وتجعل جملتك العصبية مكشوفة لكلِّ هبّة نسيم ، أو رفّة طير أو جناح ، أو صوت عذب ، عند ذاك يمكن أن يكون هذا ذا تأثير كبير كالكتاب والمطالعة والقدوة والمدرس"[١] .

ويأسى كثيرا وهو يصف مايراه من تكالب "الآخرين" من ذوي الفكر الدخيل على الحركة والإنتاج "فالآخرون عرفوا كيف يوظفون أداة النقد لكي يمسك بعضهم بعضا ، وينتشله من الصمت والعزلة .. إنهم يعملون بروح الفريق فلماذا لانتعلّم منهم؟ لماذا لانزال مصرِّين على مبدأ (اقتله بالصمت)؟!"[٢]

ويتحسّر على ضياع بعض العبقريّات المعطلة ، التي لم توجّه توجيها سليما ، ويذكر ذلك عن نفسه فيقول : "رسائل عديدة كانت تصلني من الأدباء الجدد .. بعضهم كان يعد بقدرة متألّقة على العطاء .. وإذْ لم يستجب أحد لندائهم انطفأوا"[٣] .

نعم .. إنها العبقريات المفقودة في زمننا هذا ، وفي صراعنا الحضاري مع الغرب ، ولكم تحتاج إلى موجِّهين ومرشدين ، يستخرجون التِّبْرَ من باطن الصخور ويصوغون منها نصرا للأمة ، وإعلاء لراية الحق ، "وليس المنكوب من ذهب ماله ، أو احترقت داره ، فإن الصحة تردّ المال ، والمال يعيد الدار ، ولكن المنكوب من ثكل أفكاره ، وأضاع ذكاءه ، وعاش بائسا يائسا ، ومات مغمورا منكرا ، وقد كان أهلا لأن يسعد حيًا بذكائه ، ويخلد ميتا بآثاره"[٤] .

---

(١) لقاء الأردن (ص١٨) ، وانظر : ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص١٢٨) .

(٢) ريبورتاج (ص١٢) .

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) مقالات في كلمات ، الأستاذ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ (ص١٤٤) .

وهاهو الطنطاوي ـ رحمه الله ـ يصوّر نوعا من فقد هذه العبقريات إذ يحكي موقفه مع أجير لحَّام لاتزيد سنُّه عن عشر سنوات ، رأى فيه حدّة ذكاء وذهن فيقول عنه : "أفليس حراما أن نضيّع هذه الكنوز؟ وأن نترك هذه اللآلئ مطمورة في التراب؟ ... فمتى تكون في الناس جمعيات خيرية ، تفتش عن النبوغ الكامن ، والعبقريات المتوارية ، والكفايات الضائعة"[١] .

فإذا ربّيت وهذّبت على التعلّق بمثل أعلى عاشت على نهجه وسيرته ، وتشكّلت اقتداء به[٢] ، وماأُهينت حياة الناس إلا يوم قُدِّمَتْ لهم في يومهم مُثُلٌ سيئة وقدوات تافهة ، فياليت قومي يعلمون!

---

(١) المرجع السابق (ص١٧٥) .

(٢) انظر مبحث "تربية الفرد على تعشّق المثل الأعلى" في كتاب "مقوّمات الشخصية المسلمة" د.ماجد عرسان الكيلاني (ص٨١-٨٧) .

الفصل الثاني

معالم الشخصية

لوحة عامة[١] :

عماد الدين خليل الحاجّ عمر الطالب .. ولد في الموصل عام (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) ونشأ في بيت مطالعة وتأثير ، وبدأ خطوات القراءة صغيرا .

درس مراحله التعليمية الأولى ، ثم نال درجة البكالوريوس من قسم التاريخ بعد تردّد في دخول هذا القسم ؛ وكان ذلك عام ١٩٥٨م ، وتحصّل على إجازة الآداب بمرتبة الشرف من جامعة بغداد سنة (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) .

- وقد عمل معيدا فمدرسا فأستاذا مساعدا للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ في كلية الآداب ـ جامعة الموصل بين عامي (١٣٨٧-١٣٩٧هـ) (١٩٦٧-١٩٧٧م) .

- نال درجة (الماجستير) في التاريخ الإسلامي من جامعة بغداد سنة (١٣٨٥هـ ١٩٦٥م) ، ودرجة (الدكتوراة) في التخصّص ذاته بمرتبة الشرف الأولى من جامعة (عين شمس) بالقاهرة سنة (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .

- عمل مشرفا على مكتبة جامعة الموصل سنة (١٣٨٦-١٣٨٧هـ) ، ورئيسا لقسم التراث ومديرا لمكتبة المتحف الحضاري ، وباحثا علميّا في المديرية العامة للآثار ومتاحف المنطقة الشمالية في (الموصل) (١٣٩٧-١٤٠٧هـ) .

- ويعمل حاليّا أستاذا للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث ، وفلسفة التاريخ في كلّية الآداب (جامعة صلاح الدين) في أربيل ـ العراق .

ألف كثيرا من الكتب الفكرية والثقافية والأدبية والنقدية والتاريخية ، التي عمرت بها المكتبة العربية خلال العقدين الماضيين .

- يعدّ محاضرًا من الطراز الأول ؛ لذا تسعى لاستضافته جامعات ومؤسسات علمية وتربوية ، في البلاد العربية والأجنبية على السواء .

- شارك في أعمال للمنظمة العربية للتربية والثقافة (الأليسكو) ، ومكتب التربية العربي لدول الخليج وغيرهما .

---

(١) تنتظم هذه المعلوماتِ مراجعُ كثيرة ، وهي لمحات سريعة (في البدء) ، انظر في هذا : لقاء الأردن ، حول تشكيل العقل المسلم ، مجلة الحرس الوطني ، عدد محرم ١٤١١هـ (ص١٠٣) . وسيرد بعضها في المؤثرات ونحوه بالتفصيل مع هدف السياق في موطنه ـ بإذن الله ـ (الباحث).

– كما درَّس في جامعات عديدة ، في المملكة العربية السعودية والكويت وقطر وغيرها من البلاد العربية .

– له ولد وابنتان ، ومؤلفات عديدة يعدُّها في زمرة الأولاد[١] .

– وله أخوان ، واحد يكبره ويعمل في ميدان التجارة على سيرة أبيهم ، وآخر اسمه (نبيل) ، وقد توفّاه الله وعمره ثمانية وأربعون عاما ، وكان أستاذا في كلّية الهندسة .

– مات والده ـ وقد قارب التسعين ـ عام ١٩٩٤م ، وتوفّيت أمه عام ١٩٩٧م .

– أصل عائلته من العراق ، ويرجعون إلى قبيلة (طيئ)[٢] ، من فرع يسمى (طيئ حريث) وعشيرة الطائيّين ممتدّة أصولها في زمن بعيد إلى جزيرة العرب ، واستقرّتْ بطونٌ منها في العراق .

---

(١) وسيأتي الكلام عن ذلك لاحقا .

(٢٩) ترجع طئ في أصولها إلى اليمن ، وتنتهي إلى (قحطان) ، وأفرادها منتشرون في أقطار جزيرة العرب بكثرة ، وكان منهم من أقام في أطراف العراق .

وجبلا (أجأ وسلمى) يسميان جبلي طئ . ويقال إن طيئا أول من طوى المناهل فسمي بذلك واسمه جلهمة ، والنسب طائيّ .

انظر في ذلك : أدب الكاتب ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ص٦٤) ، أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره ، د. نجيب البهبيتي (ص١-٧) .

مؤلفاته ونتاجه :

(أ) التاريخ والفكر :

(١) ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله (الرسالة ـ بيروت) .

(٢) عماد الدين زنكي[١] (الرسالة ـ بيروت) .

(٣) دراسة في السيرة (الرسالة ـ بيروت) .

(٤) نور الدين محمود (دار القلم ـ دمشق) .

(٥) التفسير الإسلامي للتاريخ (دار العلم للملايين ـ بيروت) .

(٦) الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام[٢] (الرسالة ـ بيروت) .

(٧) في التاريخ الإلسلامي فصول في المنهج والتحليل (المكتب الإسلامي ـ بيروت).

(٨) ابن خلدون إسلاميا (المكتب الإسلامي ـ بيروت) .

(٩) دراسات تاريخية (المكتب الإسلامي ـ بيروت) .

(١٠) حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي (دار الثقافة ـ الدوحة) .

(١١) المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي (مكتبة المعارف ـ الرياض) .

(١٢) المنظور التاريخي في فكر سيد قطب (دار القلم ـ دمشق) .

(١٣) تحليل للتاريخ الإسلامي : إطار عام (دار الثقافة ـ الدوحة) .

(١٤) خطوات في الهجرة والحركة (دار الاعتصام ـ القاهرة) .

(١٥) مؤشّرات حول الحضارة الإسلامية (دار الصحوة ـ القاهرة) .

(١٦) المستشرقون والسيرة النبوية (دار الثقافة ـ الدوحة) .

(١٧) هجمات مضادّة في التاريخ الإسلامي (مكتبة النور ـ القاهرة) .

(١٨) لعبة اليمين واليسار (الرسالة ـ بيروت) .

(١٩) تهافت العلمانية (الرسالة ـ بيروت) .

---

(١) رسالة الماجستير .

(٢) رسالة الدكتوراة .

(٢٠) مقال في العدل الاجتماعي (الرسالة ـ بيروت) .
(٢١) مع القرآن في عالمه الرحيب (دار العلم للملايين ـ بيروت) .
(٢٢) آفاق قرآنية (دار العلم للملايين ـ بيروت) .
(٢٣) كتابات على بوابة القرن الخامس عشر (بالاشتراك) (دار العلوم ـ الرياض) .
(٢٤) كتابات إسلامية (مكتبة الحرمين ـ الرياض) .
(٢٥) أضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار (الرسالة ـ بيروت) .
(٢٦) مدخل إلى موقف القرآن من العلم والحديث (الرسالة ـ بيروت) .
(٢٧) العلم في مواجهة المادية (الرسالة ـ بيروت) .
(٢٨) مؤشّرات إسلامية في زمن السرعة (الرسالة ـ بيروت) .
(٢٩) حول إعادة تشكيل العقل المسلم (الدار العالمية للكتاب الإسلامي ـ الرياض).
(٣٠) في الرؤية الإسلامية (دار الثقافة ـ الدوحة) .
(٣١) حوار في المعمار الكوني (دار الثقافة ـ الدوحة) .
(٣٢) الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي (الرسالة ـ بيروت) .
(٣٣) مدخل إلى إسلامية المعرفة (الدار العالمية للكتاب الإسلامي ـ الرياض) .
(٣٤) قالوا عن الإسلام (الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض) .
(٣٥) رؤية إسلامية في قضايا معاصرة (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ قطر).
(٣٦) ملاحظات في تاريخ المجتمع الإسلامي (مكتبة النور ـ القاهرة) .
(٣٧) العقل المسلم والرؤية الحضارية (دار الحرمين للنشر ـ الرياض) .
(٣٨) الحصار القاسي : ملامح مأساتنا في أفريقيا (الرسالة ـ بيروت) .
(٣٩) دعوة إلى رفض الطاعة (قيد النشر) .
(٤٠) حاضر الإسلام ومستقبله من منظور غربي (قيد النشر) .

(ب) المؤلفات الأدبية والنقدية :

أولا : الإبداعات :

(١) المأسورون ـ مسرحية ذات أربعة فصول (الرسالة بيروت) .

(٢) جداول الحب واليقين ـ ديوان شعر (الرسالة ـ بيروت) .

(٣) معجزة في الضفة الغربية ـ مسرحيات ذات فصل واحد (الرسالة ـ بيروت ، وقد نفدت نسخه) .

(٤) خمس مسرحيات إسلامية ـ مسرحيات ذات فصل واحد (الرسالة ـ بيروت).

(٥) الإعصار والمئذنة ـ رواية (الرسالة ـ بيروت) .

(٦) المغول ـ مسرحية ذات سبعة مشاهد[١] (الرسالة ـ بيروت) .

(٧) العبور ـ مسرحيات ذات فصل واحد (دار المنارة ـ جدة) .

(٨) ابتهالات في زمن الغربة ـ شعر (قيد النشر بدار الوفاء بالمنصورة) .

(٩) رحلة في المصير ـ شعر (الرسالة ـ بيروت) .

(١٠) الشمس والدنس ـ مسرحية ذات أربعة فصول (دار الاعتصام ـ القاهرة) .

(١١) الهمُّ الكبير ـ مسرحية[٢] (قيد النشر ، ولدينا نسخة منها) .

(١٢) السيف والكلمة ـ رواية (قيد الإعداد ، ويعدُّها الطفل المدلل لديه) .

(١٣) السيرة الذاتية ـ الجزء الأول (قيد الإعداد) .

(١٤) أصوات ـ قصة (هو وآخرون) (دار القبس ـ بيروت) .

وقد ذكرها الدكتور عبد الباسط بدر في (دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث) (٩٣-٩٤) ولَمّا أجدْها ، ولكن قد تكون من جملة قصصه المتناثرة وشارك فيها بقصة أو اثنتين ، كالساطور ونحوها ـ والله أعلم ـ .

---

(١) تذكر كثير من منشورات الدور أنها أربعة مشاهد ، بينما هي سبعة . انظر : طبعة (الرسالة) بيروت ـ الباحث ـ .

(٢) وهي واحد وأربعون مشهدا وسبع لقطات أخيرة ، ولمحات جميلة من سيرة ابن شدّاد عن صلاح الدين وحمل هَمِّ الأمة ، وقد تحصّل الباحث على نسخة منها ، وهي المسرحية السابعة للدكتور عماد الدين خليل ـ الباحث ـ .

(١٥) الساطور ـ قصة قصيرة ـ (قيد الإعداد والجمع ، وقد نشر بعضها في مجلة الأدب الإسلامي ، وبعضها في مجلة "المشكاة" المغربية) .

(١٦) من أدب الرحلات ـ أدب رحلات (قيد النشر ، ولدينا نسخة منه) .

ثانيا : الدراسات والتطبيقات :

(١) في النقد الإسلامي المعاصر (الرسالة ـ بيروت) .

(٢) فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر (الرسالة ـ بيروت) .

(٣) الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي (الرسالة ـ بيروت) .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (الرسالة ـ بيروت) .

(٥) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (الرسالة ـ بيروت) .

(٦) الفن والعقيدة (الرسالة ـ بيروت) .

(٧) دراسة نقدية لكتاب (أوراق ذابلة / عويس) (دار الاعتصام ـ القاهرة) .

(٨) متابعات في دائرة الإدب الإسلامي (قيد النشر) [١] .

(٩) حول استراتيجية الأدب الإسلامي (مخطوط قيد النشر ، ولدينا منه نسخة) .

(١٠) في النقد التطبيقي (مخطوط قيد النشر ، ولدينا منه نسخة) .

(١١) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (مخطوط قيد النشر ، ولدينا منه نسخة) .

(١٢) الأدب في مواجهة المادية (قيد النشر) [٢] .

(١٣) (الكلمات) دراسة جمالية (قيد الإعداد) .

---

(١) تذكره كثير من جداول المطبوعات والإصدارات على أنه (قيد النشر) ، وقد تحصّلت على نسخة منه مصوّرة من مؤسسة الرسالة ببيروت عند زيارتي لها ، وهي سبع وثلاثون ومائتا صفحة في ستة فصول ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ولست أدري هل هي نسخة معدة منذ ذلك الوقت ولّما تصدر ، أم هو أمر آخر!

(٢) لما أستطع التحصل عليه ، ولازال مخطوطا ، ولكن ذكر الدكتور عماد الدين لي في جلسة خاصّة في الأردن أن هذا الكتاب أدخل في مخطوطه (نحو استراتيجية الأدب الإسلامي) وهو لدينا والحمد لله .

ثالثا : أخرى :

(١) البحوث والدراسات المنشورة ، وهي كثيرة ، وغالبها مضمَّن في كتبه .

(٢) أوراق العمل التي يتقدّم بها إلى المؤتمرات هنا أو هناك ، ومنها ـ على سبيل المثال ـ "حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر : وقفة لمراجعة الحساب" وقد تقدّم بها إلى مؤتمر بماليزيا قبل لقائه بعدة أيام في شهر شعبان ١٤١٨هـ وقد وُفِّقنا لأخذ نسخة منها .

(٣) المقالات في الجرائد والمجلات العديدة ، وهذه كثيرة كثيرة[١] ، لانجد حاجة لحصرها في جداول ، ولكنّا نشير إلى أهم مظانّ هذه المقالات العديدة التي لو أفردها بعض الباحثين في رسالة علمية مماثلة ، وذكر توصيفا لها وتقسيما لمجالاتها ومضامينها ، وتحدَّث عن طرائقها وأساليبها ؛ لكانت جديرة ـ حسب ظننا ـ بذلك ، وهاك بعضًا من مظانّها :

(١) مجلة الفيصل

(٢) مجلة الأمة

(٣) مجلة حضارة الإسلام ـ ونشر فيها على مدى عشرين عاما تقريبا ـ

(٤) مجلة الحرس الوطني

(٥) مجلة الوعي الإسلامي ـ ونشر فيها على مدى عشرين عاما كذلك ـ

(٦) مجلة هدى الإسلام

(٧) جريدة المدينة

(٨) مجلة إسلامية المعرفة

(٩) مجلة فلسطين المسلمة ـ ونشر فيها الكثير ـ

(١٠) مجلة المشكاة المغربية ـ ونشر فيها على مدى خمسة عشر عاما ـ

(١١) مجلة الأدب الإسلامي

(١٢) مجلة المسلم المعاصر ـ ويتعامل معها منذ ربع قرن

---

(١) ذكر الدكتور عماد الدين أنه أراد إحصاء المجلات التي تعامل معها فوجد أنها تجاوزت الستين في العالم الإسلامي وأوروبا ، ولكن تركّز نشره في (الأمة ، حضارة الإسلام ، الوعي الإسلامي ، المشكاة ، فلسطين المسلمة) . انظر : لقاء الأردن (ص٣٥) .
ولتتبع مجلات أخرى انظر : ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل تتبين ذلك .

المعلم الأول : الإنصاف :

يلمح الإنصاف ، وتستجلى صورته ، في جوانب الطرح النقدي والفكري ـ على السواء ـ ، وهو مسلك فريد في التناول ؛ حيث لاتكون النظرات الشخصية والتحزّبات العاطفية سببا في ضيق الأفق ، وعرقلة الجهود الأخرى .

والدكتور عماد الدين يرى أن التجرّد والموضوعية صفتان لازمتان للمسلم ابتداء ، ويدعو إلى أن "يأخذ بهما المسلم نفسه وهو يمارس عمله النقدي ، وهذا يعني ـ دون حسم أو حزم ـ تجاوزا طيّبا للميول والظنون ، والتحزّبات والأهواء ، تلك التي جرفت الكثير من الأعمال النقدية غير الإسلامية"(١) .

وإذا قاد الهوى رأي المرء ، فإن النَّصَفَ والعدل خصمُه ، والجهلَ وصْفُه كما قال الشاعر :

إذا مارأيتَ المرْءَ يقتادُهُ الهَوَى ... فقدْ ثَكِلَتْهُ عِنْدَ ذَاكَ ثَوَاكِلُهْ

وقَدْ أشْمَتَ الأَعْدَاءَ جَهْلا بنفْسِهِ ... وقَدْ وَجَدَتْ فيهِ مَقَالا عَوَاذِلُهْ

ومايَرْدَعُ النَفْسَ اللَّجُوجَ عَن الهَوَى ... مِنَ النّاس إلا حَازِمُ الرَّأْي كَامِلُهْ(٢)

ولاشك أن "باب الأهواء باب واسع ينتظم كثيرا من ألوان الزيغ عن الموضوعية"(٣) .

وقد نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن المدافعة عن الذين يركبون هواهم ، ويسيرون بين الناس به ، كما نهاه عن المجادلة فيهم ، فقال في كتابه : ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾(٤) "(٥) .

وصاحب الهوى والشَّطط يُصْدر أحكامه غير المنضبطة ، ولايزن النظرات التي قد تختلف من حال إلى حال ، بل يلبس لباسا واحدا ، يريده كما يشاء!

---

(١) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٢٢) .

(٢) أدب الدنيا والدين ، الماوردي (ص٣٥) .

(٣) فصول في التفكير الموضوعي ، د. عبد الكريم بكار (ص٦٧) .

(٤) سورة النساء : آية ١٠٧ .

(٥) فصول في التفكير الموضوعي ، د. بكار (ص٦٩) .

وينسى أو يتناسى أن بين الصواب والخطأ خيوطا دقيقة ، وأن صورة الحق حوله "أشبه ماتكون بألوان متداخلة في لوحة زيتية ، لاتدري على وجه التحديد متى ينتهي أحدها ليبدأ الآخر"(١) .

وإذا أردنا تلمّس الموضوعية في مجالاتنا الثقافية فيجب "أن ندرك أن الموضوعية ليست درسا نحفظه ، ولاهي شعارات ، نردّدها هنا وهناك ، ولاهي نصائح نسمعها من هذا وذاك ، كما أن علينا أن ندرك أن الذين يريدون بناء الحس الموضوعي لايتحركون في فراغ ، بل إن هناك من العقبات مايعرقل كثيرا من مساعيهم"(٢) .

وإذا كان النَّصَفُ سبيل الحوار والفكر والثقافة ، كان هذا أدعى أن "يفتح قلب الطرف الآخر لقبول آرائك ، ويذهب بروح التوفُّز التي تسود عادة أجواء المناظرات والمناقشات ، وتضفي على المحاور صفة الموضوعية"(٣) .

وهي من الصفات البارزة في شخصية عماد الدين ، فهو عادل مع نفسه منصف غيره ، مستعل على رغبات النفس وأهوائها ؛ إذْ لايحفل بالأثرة ولايحتضنها بين عطفيه ، ينصف الآخرين بموضوعيّة وجدية ـ ولانزكّي على الله أحدا ـ فهاهو يتناول محاولات بعض الغربيين في الحديث عن (الطبيعة) بشكل يخالف عمق وأصالة التصور والتجربة الإسلامية بكل آفاقها وأبعادها وأغوارها ، فيقوّم جنوحها ، ويبرز عيوبها ، ويُظْهر تأرجحها الواضح بين التقبّل والرفض ، لكنه لايرفع لواء الحيف والعسف ، بل ينصفهم في بعض تلك المحاولات فيقول : "يمكن أن نجد بينها محاولات عميقة وجادّة من أجل إقامة حوار وعلائق إنسانية خلاقة بين الفن والطبيعة ، تقف موقفا وسطا ومنطقيا إزاء مايمكن أن تقدّمه الطبيعة للفنان من قيم وتعاليم وتجارب وممارسات ترتقي بفنه إلى قمم الخلود"(٤) .

---

(١) المرجع السابق (ص٨٨) .

(٢) المرجع نفسه (ص٢٧٣-٢٧٤) .

(٣) أصول الحوار ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض (ص٤٢) .

(٤) الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٦) ، وانظر (ص١٠-٢٧) منه كذلك .

ومن جملة الذين شكوا ذهاب النَّصَفِ والتوسّط صاحب (الوساطة) ، حيث قام شاكيا أهل الأدب في نظراتهم إلى صاحبه ، وأنهم فيه بين "مطنب في تقريظه ، منقطع إليه بجملته ، منحطّ في هواه بلسانه وقلبه ، يلتقي مناقبه إذا ذكرت بالتعظيم ، ويشيع محاسنه إذا حكيت بالتفخيم ، ويعجب ويعيد ويكرّر ، ويميل على من عابه بالزراية والتقصير ، ويتناول من ينقصه بالاستحقار والتجهيل ... وعائب يروم إزالته عن رتبته ، فلم يسلم له فضله ، ويحاول حطّه عن منزلة بوّأه إيّاها أدبه ؛ فهو يجتهد في إخفاء فضائله ، وإظهار معايبه ، وتتبّع سقطاته ، وإذاعة غفلاته"[١] .

ولذا نراه يعيب كلا الفريقين في إفراطه أو تفريطه ، فيقول : "وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه ؛ وكما أن الانتصار جانِبٌ من العدل لايسدُّه الاعتذار ؛ فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار ، ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر ، وإسراف المفرط ، وقد جعل الله لكل شئ قدرا"[٢] .

ومن أطلق عقال الجور ، وأحيا معالمه ، فاستأكل واستأصل ، فهو سائر نحو تهديد الثقافة المعاصرة ، وغمط حق التراث المجيد ، ولعلَّ هذا ظاهر في هذا العصر[٣] .

ومن نَصَفِ عماد الدين مع نفسه إثباتُ ملحوظاته على أعماله ، كعدم ارتياحه الشخصيّ لبعض تدخلاته الروائية في روايته (الإعصار والمئذنة)[٤] ، ومسرحية (المأسورون)[٥] .

بل يتحدّث عن (المأسورون) فيقول : "كانت المسرحية رغم عدم اقتناعي بها ذاتَ رواج كبير بين القراء ؛ لأنها كانت ذات بعد ثوريّ[٦] وجهادي ...

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني (ص٣) .

(٢) المرجع نفسه (ص٣-٤) .

(٣) عن مصطلح مايسمى (الشلّية) في الثقافة ، انظر حوار ملحق الأربعاء ٢١ ذي الحجة ١٤١٩هـ (ص١٣) مع القاصّ فالح الصغير .

(٤) انظر : ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص٦٤-٦٥) .

(٥) انظر : لقاء الأردن (ص٦٤) .

(٦) لعله يريد المعنى اللغوي بذلك ؛ وإلا فإن الثورة شئ والجهاد الشرعي شئ آخر ـ الباحث ـ .

لكنني لم أكن مقتنعا بها في الحقيقة ، وأعتبرها بصراحة من أسوأ أعمالي الفنية الإبداعية"[١] .

وهكذا هو في حديثه عن أعماله كلّها ، لايتحدّث عنها بغرور ، لكنه يكشف رؤيته تجاهها[٢] .

ولايقف عند حدود النفس ؛ بل يفرح باستدراكات الآخرين ، كما فعل بملحوظات أحد النقاد الذين تحدّثوا عن : (الإعصار والمئذنة) [٣] .

ونجد هذه الصفة حين يتحدّث عن رؤيته ونظرته إلى واقع الأمة الإسلامية اليوم ؛ حيث يرى أن الحضارة قد يمتلكها هذا العالم الإسلامي ، لكنه قد يخسرها بتصرفات فردية قاتلة ، فقد "نتسلم معطيات حضارة بكاملها من أجيال سابقة كافحت لكي تصنعها وتنميها ، ولكننا لانحسن التصرف بها ، فنسوقها إلى الانكماش والتدهور والسقوط .. ذلك عندما نفتقد الشروط الأخلاقية للتعامل الحضاري"[٤] ، ويضرب على ذلك مثلا مصغّرا من هذا العامل القاتل فيقول : "شاهدت بعيني في أحد شوارع مدينة عربية صاحب سيارة أنيقة يسحب جيب الأوساخ من جوار المقود ، ويقلبه وسط شارع مزدحم ، ثم يمضي بسيارته الأنيقة و(بذلته) ـ المستوردة ـ الأكثر أناقة ، كأنه لم يفعل شيئا يخدش الذوق والحياء"[٥] .

وهذا لعمري ماينقص كثيرا من أهل الثقافة وراكبي مطيَّتها في هذا الزمان إذ نرى شيئا عاث كثيرا في نفوسهم "فسلب مزاياها ، واستلّ رحيقها ، حتى غدت كُتَلَ أعصابٍ جامحة ، لاينتظم لها فعل أو قول ، وإنما هي الحركة العشواء ، والخبط في المتاهات ، التي انطمست معالمها ، والكلام الذي انفرطت عقوده ... إن وجدت فيه قلة القلة ، نشازا وإزعاجا ، فهو عند الكثرة الكاثرة من أصحاب الثقافة الجادة

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) انظر مثلا حديثه عن ديوانه "جداول الحب واليقين" في : لقاء الأردن (ص٦١-٦٢) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص٦٧-٦٨) .

(٤) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص٨٤) .

(٥) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

وأهل الطبع السليم ، كلام هوائي ، لاينبغي أن يحتفل به ، إلا كما يحتفل بإزالة غبار خريفي ، غير ذي مطر"[١] .

وسبيل الإنصاف والعدل في القول منهج طالب به القرآنُ الكريم المسلمَ في كل أحكامه وأقواله ومنهجه الكليّ في التعامل مع الحياة والآخرين[٢] .

ونحن نعلم يقينا أن "الحاكم العدل من لم يعجل بفصل القضاء دون استقصاء حجج الخصماء"[٣] .

ويتلازم الاتصاف بالتواضع مع النَّصَفِ والعدل ، فهما دليلا وجود لكلّ واد منهما ، فمن أنصف متواضع ، ومن تواضع فقد أنصف[٤] .

وهو مايتحلّى به عماد الدين من تواضع ولين وطيب معشر ، و"ماتواضع أحد لله إلا رفعه الله"[٥] ، فنراه يجزم بذلك واقعا وتطبيقا في كلّ أعماله ؛ إذ لايزعم الكمال فيها ، بل لايراها في أعماله "سوى وقفة متواضعة"[٦] ، ودراسته حول (المنظور التاريخي في فكر سيد قطب) "محاولة أوّلية لإلقاء بصيص من الضوء على الموضوع"[٧] ، وأعماله النقدية والفكرية لاتسلم من النقص ؛ إذ يقول عنها : "وماأكثر ماتضمنته هذه الأعمال المتواضعة التي عرضتها عليكم من أخطاء وثغرات ومداخلات"[٨] .

---

(١) نقد وتأصيل ، أبو زيان السعدي (ص٥٥) .

(٢) ذمّ القرآن الذين إذا اكتالوا لأنفسهم استوفوا ، وإن كالوا غيرهم طفّفوا ، في أول سورة المطفّفين ـ الباحث ـ .

(٣) رسائل الجاحظ ، تقديم وشرح د. علي أبو ملحم (الرسائل الكلامية ص٦٤) .

(٤) انظر مثال ذلك في كتاب : القاضي الجرجاني الأديب الناقد ، د. محمود السمرة (ص١٦٨-١٦٩) .

(٥) رواه مسلم (٢٥٨٨) والحديث بكماله وغريبه وفقهه في : بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين ، سليم بن عيد الهلالي (١/٦٠٦-٦٠٧) .

(٦) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصرة ، د. عماد الدين خليل (ص٢) .

(٧) المنظور التاريخي في فكر سيد قطب ، د. عماد الدين خليل (ص٧) .

(٨) محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل (ص٤٢) .

ونـراه في كتابـه النفيـس "دراسـة في السـيرة" يسـطّر هـذا التواضـع فيقـول : "أستميح القارئ عذرا إن قصرت أو أخطأت ، وأنتظر الفرصة التي يتيحها لي لتلافي التقصير وتسديد الخطأ"[١] .

وهو ماسار عليه في أعماله كلّها ، باثّا تواضعه ، مجلِّيا رغبته في طلب السداد غير مثالي في نظراته ، ونجد ذلك مثبتا في ثنايا كتبه دراسات وإبداعات[٢] .

ومن الطريف في هذا قوله : "كنت في أعقاب كـلّ نـدوة أو محـاضرة أتلقّـى سيلا من الأسئلة .. وعندما أبلغ حافات الإعياء أجمع قصاصات الورق الـتي يكتـب عليها الحضور أسئلتهم وأضعها في جيبي .. أقول لهم إنني سـأحملها معـي إلى بلـدي .. فما من شئ يثير اعتزازي كهذه القصاصات .. إنـني أعـرف جيـدا كيـف أتعلّـم منها ، وكيف أتجاوز بصدقهـا وعفويتهـا ، عجـزي وقصـوري"[٣] ، ويطلـب هـذا التواضع القدسي من إخوانه فيقول :

"تَبْنُوْنَ عالَمَكُمُ المنهدمْ
بحجارةٍ قدسّيةْ ،
لاتصدَّعها معاولُ الحقد
ولاتجرفُها سيولُ التتارْ ،
كالبلدِ الأمينْ
يَرْقُدُ في وادٍ غيرِ ذي زرع
ولكنه يزرع الرجال"[٤]

---

(١) دراسة في السيرة ، د. عماد الدين خليل (ص٣٤) .

(٢) انظر مثلا : تحليل للتاريخ الإسلامي (ص٦) ، التفسير الإسلامي للتـاريخ (ص١٩) ، هجمـات مضادة (ص٥٢) .

(٣) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص٣٩) .

(٤) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص٩٦) .

وهذا النَّصَفُ منهج خيار القدماء ، وحكماء هذا الزمان[١] .

وصدق الله إذ يقول لنبيه داود : ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ ، و"سبيل الله هو سبيل الحق والعدل ، المنزه عن التحيز والجور والانحراف"[٢] .

وكم نحن بحاجة شديدة ، والنفس في توق عجيب ، إلى نماذج تسير وفق هذا النبراس الفريد ، في زمن متشبِّع بالمتكبرين ، متخم بكلّ مختال فخور .. مستنقص سعَي غيره ، مستقلّ جهد آخرين ، لايلوي في قوله على شئ ولايستحيي من شئ!

---

(١) انظر في هذا :
- الموازنة بيئتها ومناهجها في النقد الأدبي ، د. محمد فوزي عبد الرحمن (ص٣٥-٤٩) .
- ابن طباطبا الناقد ، د. محمد عبد الرحمن الربيع (ص٦٨-٦٩) .
- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، شرح محمود شاكر (ص٤٦) .
- التفكير النقدي عند العرب ، د. عيسى علي العاكوب (ص١٤٢-١٤٣، ١٥٣-١٥٤) .
- القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة (ص٢٥٦-٢٦٢) .
- البدائع والطرائف ، جبران خليل جبران (ص٦) ، مثال القصر والكوخ .
- المدخل إلى التاريخ الإسلامي ، د. محمد فتحي عثمان (ص٢٦٤-٢٧٠) .
- رسائل الجاحظ ، قسم الرسائل السياسية (ص٨٠-٨١) .
- الفن والعقيدة ، د. عماد الدين خليل (ص١٥-١٩) .
- مجلة حضارة الإسلام ، س(١٥) ، ع(١٩) (ص٣٣) مقال د. عماد الدين خليل "إنما الأعمال بالنيات" .

(٢) الخصائص العامة للإسلام ، د. يوسف القرضاوي (ص٥٠) .

المعلم الثاني : الحركة وحب الجديد :

الحركة جزء منه ؛ حيث يألفها وكأنها جزء من تركيب جسده وصفاته الخَلْقية ولاتنفكّ عنه حيث كان ، وقد اطّلع الباحث على هذه الحيوية والعمل المتواصل ، والدقة في جدولة الوقت بحب النفع والإفادة من كلّ جديد ، من رجل على باب نهاية العقد السادس من الحياة ـ زاده الله من فضله ـ .

وهو يرى الحياة ذاتها متحرّكة ، إذ يقول :

"وأَنَّ هذه الحياة ـ بغيّبيتها الأكيدة ـ
لاتقتنع بالوقوف بعد الحركةْ
ولابالسكوتِ بعد الكلامْ ..
وأنها ليستْ كالأشياء ،
أبعادُها معلومةْ ، وأجَلُها محدودْ .." [١]

ويرى الحركة صفة هذا الوجود ، "حتى مدننا وشوارعنا ودورنا وأماكن ترفيهنا يتوجب أن (نجتهد) في أن تكون امتدادا لرؤيتنا الإسلامية .. لفكرنا ووجداننا الإيماني ، وذوقنا الذي يميل دائما إلى أن يربط المنظور بالغيب ، والتراب بالحركة ، والأرض بالسماء"[٢] ؛ فهي حركة منضبطة في رؤيته ، تستغل في الاجتهاد وعدم "ترك الممارسة الإسلامية تصاب بتصلب الشرايين أو بالرخاوة والتوسع والانفلات"[٣] .

وهذه الحركة والرغبة في الجديد دليل يبرز قوة الإرادة ويبين علوّ الهمة في نفس المرء ؛ حين لايرضى بحياة الكسل والخمول ، والرتابة والعادة الغالبة و"من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب ، ومن ترك الأمر الذي لعلّه أن ينال منه حاجته مخافة ما لعلّه يوقّاه فليس ببالغ جسيما ، وإن الرجل ذا المروءة ليكون حامل الذكر خافض المنزلة ، فتأبى مروءته إلا أن يستعلي ويرتفع ، كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا"[٤] .

---

(١) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص٢٩) .
(٢) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٧) .
(٣) المرجع نفسه (ص١٦٠) .
(٤) العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق أحمد أمين وغيره (١٨/٣) .

وصدق والله من قال : "لاتصغرن هممكم ، فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم"[١] .

وإذا كنا قد علمنا مقدار الحساسية التي يمتلكها عماد الدين تجاه الأشياء والإرادة التي يحويها بين جنبيه ؛ فإن عشق الجديد يلتحم بهاتين الصفتين مكوّنا أنموذجا فريدا ، يخرج الأديب به إلى الكون مهتزّا في مهاب نسائمه "ولايجد في الحياة شاغلا لايشغله أو فتنة لاتجذبه أو خالجة لاتطرقه . فهو يهيم بشؤون العالم العامة كأنها شؤونه الشخصية الخاصة"[٢] .

ويتحدث عماد الدين عن مشروعاته الإبداعية والدراسية ، بل ويلتذ بذلك[٣] ، حتى إنه ليكاد يقرأ عليك من حفظه جزءا ليس باليسير من عمل جديد له أو قديم[٤] . وهي حركة فكرية دائمة ؛ حيث يعيش المرء مع الكتاب صديقا وجليسا وأنيسا يأرز إليه تخفُّفا من هموم الحياة ، وتكثُّرا من استشراف رؤى المستقبل .

ولهذا يدعو عماد الدين ـ في كثير من طرحه ونتاجه ـ إلى رمي الحجر في الساحة الفكرية والعلمية ، التي غدت راكدة ؛ فلعلّ بعثرة هذا الحجر تجدي هنا أو هناك ، ويدعو إلى طرد الكسل الفكري ، و"التحرّر من حالة الكسل إلى حالة من التوتر الفعّال ، والمسارعة والسبق اللّذين أرادهما لناكتاب الله ـ سبحانه وتعالى ووصف المؤمنين بأنهم ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[٥] ، وأنهم ﴿لَهَا سَابِقُونَ﴾[٦]"[٧] .

---

(١) قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، انظر : نضرة النعيم ، لمجموعة مؤلفين (٣٠٠٢/٧) .

(٢) عصر العقاد ، د. عبد العزيز شرف (ص٣٢) .

(٣) انظر مثلا : ريبورتاج (ص٦٣-٦٥) .

(٤) وجد الباحث ذلك من الأستاذ في جلسات اللقاء (لقاء الأردن) المتابعة خلال أربعة أيام .

(٥) سورة المؤمنون : آية ٦١ .

(٦) الآية نفسها .

(٧) لقاء الأردن (ص٦٨) .

وهذا التغيير المطلوب امتداد لاستشعار الأديب والمفكّر أهمية الحركة المنتجة المؤثرة ، التي تبني في الناس امتدادا لما بناه الأوّلون في النفس البشرية ، ولو تأملنا "ماذا كانت عليه الدنيا بعد بعثة محمد ﷺ ، ثم ماذا شرعت تستقبله بعد لحاقه بالرفيق الأعلى وانطلاق تلامذته في العالم يمدّون رواق الرحمة المهداة! ويكسرون القيود التي طالما رسفت فيها الشعوب"[١] لعلمنا أهمية هذه التجربة .

وبالحركة المنتجة الساعية وراء الجديد يغتبط المرء حين يؤول أمره إلى حسن مآله ، ويرجع إلى محصوله وحقيقته ، وهي طبيعة الإنسان في حبه للحركة والعمل وترك السكون والدعة ، وهو خليفة في الأرض يعمر ويخلف[٢] .

وهي طبيعة الحياة ؛ حيث إن "حتمية الحركة سنة كونية ، تنظمها قوانين إلهية ، سواء تجلت بوضوح أو خفيت معالمها علينا ، فالحركة توصل إلى الغايات المرسومة ... والمياه المتدفقة من أعالي الجبال تشق الأرض ، وتصنع مجاري الأنهار ، والبراكين تتفجر في الأعماق ، وتقذف باللهب وكتل الأحجار والمعادن المنصهرة ، ويتعاقب الليل والنهار ، وتتوالى الفصول ، وتعصف الرياح ، فأين السكون أو الجمود في هذه الحياة؟؟" [٣]

ويرى الدكتور عماد الدين خليل أن بدايات سورة العلق لقاء متواز بين العقيدة والحركة ، فهي دعوة لهذا النبيّ الأميّ "لاتعني أبدا متابعة كلمات مرسومة على صفحات الأشياء ، وإنما متابعة المعاني والقيم المحفورة على صفحات الكون والعالم ، حيث كلّ الأسهم والمؤشّرات تقول بوجود الله وتؤكّد وحدانيته ، وحاكميته المتفرّدة ، وهيمنته ، وكلمته التي لارادّ لها . إنها ـ بمعنى من المعاني ـ طلب التحرك باتجاه هذه الدلائل"[٤] .

---

(١) علل وأدوية ، محمد الغزالي (ص١٣٣) .

(٢) من المباحث الجميلة عن الإنسان بين الحركة والسكون ، انظر : من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي ، د. محمد عويس (ص١٩٧-٢١٦) ، ومبحث : الإنسان في العقد السادس من عمره (ص٣٥-٧٠) من الكتاب نفسه .

(٣) الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص٣١٢-٣١٣) .

(٤) مجلة (الفيصل) ، س١٤٠٠هـ ، ع(٤٢) (ص٥٤) ، مقال "من رصيد رحلة الأربعة عشر قرنا".

فإذا كانت حركة منتجة ، آتت ثمارها ، وألهبت وأثارت الحماس في النفس والمجتمع . وهاهو عماد الدين يثني على من يتصف بهذه الصفة ، ويتحلى بـ"القدرة على التجرد وإفناء الذات من أجل مسألة هي أكبر بكثير ، وأعمق بكثير من كل إغراءات (الأنا) ونداءاتها .. إنهم يذوبون تماما في بؤرة النور .. وهم يعرفون أنهم لن يضيعوا ؛ لأنهم بهذا سيجدون ذاتهم كرَّة أخرى .. وسيتوحّدون قبالة كلّ المصاعب والتحدّيات .. فهل ثمة مغنم روحي في حياة الإنسان أكبر من هذا؟" [١]

ولايوجد كيان أمة يصطلي بنار التراجع والتأخر ، ويكون هذا تشكّك أفراده المنتمين إليه ؛ إلا كان سبب ذلك تراجعًا حضاريًا في الحركة ذاتها ، وفي الاجتهاد ذاته ، ذاك الذي يلغي الذبول والضعف[٢] .

وقد أحسن الجاحظ[٣] يوم قال : "والعقل ـ حفظك الله ـ أطول رقدةً من العين ، وأحوجُ إلى الشحذ من السيف ، وأفقر إلى التعهد ، وأسرع إلى التغير ، وأدواؤه أقتل ، وأطبّاؤه أقلّ ، وعلاجه أعضل .. وعلى قدر صحة العقل يصح الخاطر"[٤] .

وعماد الدين ممن يستشعرون أن "الإسلام هو بمعنى من المعاني عقيدة الإنجاز .. مشروع كبير مفتوح قبالة الإنسان والجماعة المسلمة لكي تواصل رحلة الصعود إلى فوق .. الحركة في الطول والعرض لإعمار العالم"[٥] .

---

(١) من أدب الرحلات (ص١٣) ، وفي حركة المصلح واستنهاض الأمة نماذج شعرية كثيرة ، انظر ـ على سبيل المثال ـ أزمة البلقان في الشعر ، د. عبد الله الزهراني (ص٣٨-٥٨) .

(٢) الإسلام والمستقبل ، د. محمد عمارة (ص٢٨) بتصرّف .

(٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، مولده ووفاته بالبصرة ، فلج في آخر عمره ، وكان مشوّه الخِلْقة ، مات والكتاب على صدره ، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه ، له تصانيف كثيرة ، منها : "الحيوان" ، "البيان والتبيين" "سحر البيان" وغيرها ، ولد عام (١٦٣هـ/٧٨٠م) وتوفي عام (٢٥٥هـ/٨٦٩م) .
انظر : الأعلام ، الزركلي (٧٤/٥) .

(٤) رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، تقديم وشرح د. علي أبو ملحم ، الرسائل الأدبية (ص٤٨٨) .

(٥) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص٥٤) .

ومن امتلك هذه النظرة المتفائلة تجاه الحركة وانبعاثاتها كان ممن يوقن بأن "الإيجابية الحقة تكمن في امتلاك النفس وتوجيهها والانبعاث الإنساني لتحقيق الغاية المرجوّة من وجوده"[١] .

ويتمتع عماد الدين بحب إعادة التجربة لأخذ الجديد واكتسابه ، ويميل إلى ذلك حيث يقول لنفسه ـ وقد عاد إلى تركيا مرة أخرى ـ : "في وضح النهار سأطلّ على وجهك الجميل هذه المرة! قلت في نفسي وأنا أتشبث بنافذة الطائرة التي أخذت تتثاقل وهي تنعطف عبر قوس كبير في كبد السماء ؛ لكي تختار اللحظة المناسبة للهبوط"[٢] .

ويجعلنا نلمس حبه ذلك من بعض عباراته : ("منتظرا الوعد الجميل" ، "كنت أتوقّع أن عنفوان الدهشة وتوهّجها سرعان ماستكفّان عن الخفقان بمجرد أن أجد نفسي ثانية قبالة ماكنت أحلم به دائما .. وجها لوجه إزاء الملامح والقسمات")[٣] .

ويقول نحو ذلك في زيارته للسودان وهو يريد أن يشمّ رائحة أفريقيا ، ويرى أهلها بقلوبهم البيضاء بلون الثلج "كل واحد منهم كان يبتسم بلا تكلّف .. تحس كما لو أنه يرسم البسمة بريشة سحرية تستمد ألوانها من أغوار الروح المترعة بالمحبة والصفاء"[٤] .

وسعيه نحو الدراسات الجديدة ، انسحب على نقده وتطبيقه ، كما انسحب على فكره وتنظيره ، كما تحدّث عن حماية الإسلام ذاته من الفناء النهائي في بلاد لم تدن لله تعالى بعبودية ، فيشير إلى دراسة الباحثة الفرنسية (هيلين كارير دانكوس) بعنوان : (القوميات والدولة السوفياتية) عن دار فرنسية[٥] .

---

(١) الدافعية دراسة نقدية مع نموذج مقترح ، د. محمد رفقي عيسى (ص٩٤) .

(٢) من أدب الرحلات (ص٥٠) .

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) المرجع نفسه (ص٣٥) .

(٥) انظر : هجمات مضادة في التاريخ الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٦) .

ونراه يؤكد أن دراساته تعتمد اختيار أسس منضبطة للسير عليها ، ومن أهمها "ضرورة اختيار الموضوع البكر الذي لم يستهلك بعد ، تجاوزا للتكرار والتبذير في الطاقة ، أو معالجة الموضوع الذي سبق القول فيه ولكن وفق أسلوب يُغني المعالجة ويضيف جديدا"(١) .

وهكذا روح الأديب في الحياة ، فإن كان الفن معرفة وإحساسًا وتجربة ؛ فإن "التجربة هي العامل الجامع الذي يعطي هذه العوامل حظّها من الحيوية والانطلاق"(٢) ، وإذا أعادها كان هذا إثراء لذاته وأدبه ونظراته . وهو بذلك يمضي ملتمسا الجديد عبر وسائل مختلفة(٣) .

وهذه الجدّة وسبيلها من الحركة والضبط ، دليل على تخلّق المرء بالطموح والأمل والإيجابية والإلحاح ، والرغبة الصادقة ، وهو مايحتاج إليه الأديب دوما(٤) ، وصدق الأول إذ قال :

وفي النّاس مَنْ يرضَى بميسور عيشِهِ ومركوبُهُ رِجلاه والثَّوْبُ جلْدُهُ
ولكنَّ قلبًا بَيْن جَنْبَيَّ مالَهُ مَدَى ينتهيْ بِيْ في مُرَادٍ أَحُدُّهُ(٥)

وقد قال جبران : "الرغبة نصف الحياة ، أما عدم الاكتراث فنصف الموت"(٦).

---

(١) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص١٠٣) .
(٢) صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر ، أنور الجندي (ص١٦٨) .
(٣) انظر هذه الوسائل في : سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب ، يوسف أسعد (ص٧٣-٧٧) .
(٤) انظر في أهمية ذلك :
- أديسون ، محمد كامل حسن المحامي (ص١٠٢-١١٤) .
- الإيجابية في حياة الداعية ، د. عبد الله يوسف الحسن (ص١١-٣٦) .
- لويس لامبر دراسات فلسفية ، بلزاك ، ترجمة ميشيل خوري (ص١١٢) .
- الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص١٣٣-١٣٧) .
(٥) شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي (١٢٣/٢) .
(٦) رمل وزبد ، جبران خليل جبران (ص٤٧) .

وعماد الدين فيبصر العقل المسلم "جمرة متألّقة من الفاعلية والعطاء ، لاتكفّ عن التوهّج والخفقان ، أشعلتها كلمات الله سبحانه ، وتعاليم رسوله الكريم ﷺ ففعلت الأفاعيل"[١] .

ويرى أن انضباط هذه الحركة نحو الجديد دون تخبّط يمنة أو يسرة سير بعقل وعاطفة ، والسير بعقل وعاطفة أمر يبدو في غاية الصعوبة[٢] .

ومن اتصف بهذه الحركة وحبّ الجديد ، كان قمينا أن يبدع ويبدع .

---

(١) ريبورتاج (ص٧٣-٧٤) ، وانظر للتوسّع في هذه الفكرة كتابه النفيس ـ بحق ـ "حول تشكيل العقل المسلم" .

(٢) له كلام جميل حول اعتماد المنهج المعكوس والانتقاء الكيفيّ في كتابه "دراسات تاريخية" (ص١٦١-١٦٣) فراجعه هناك .

المعلم الثالث : النظرة الجماعية وحقيقة الأخوة :

الأديب إنسان يعيش كما يعيش غيره ، مستظلا بواقعه ، محسّا بمصاب أمته ، لا يحيا لذاته بأثرة وجشع وطمع ؛ لأن الإسلام "ليس دينا كنسيا ولاشعارات سياسية ، ولادعوة فكرية ، الإسلام منهج حياة شامل لكلّ شئ ، يضم مايخصّ الفرد والجماعة ، ومايتعلق بنفس الإنسان وباطنه ، كما يتعلق بسلوكه وظاهره"(١).

ولايجد عماد الدين خليل مبرّرا للعودة إلى مرافئ الإقليمية التي تفد النظرة الجماعية والإحساس بالجسد الواحد والمنهج الواحد .

ويذكر أن الاستعمار هو الذي حرص على استنبات هذا الفصل في النفوس ، ومارس تقطيعنا وتمزيقنا ، وأننا اليوم بأنفسنا نعود إلى التمزيق ذاته ، وتعود النزعات الإقليمية الضيّقة تؤكّد هذا التوجّه ، مع أن المعطيات الثقافية العربية المطروحة كتبت بلغة القرآن ، للأمة المتميزة بدينها وثقافتها ، وفكرها ولغتها .. و"عن طريق هذا التفتيت والتقطيع يجد الهدّامون الجدد الدرب عريضا لزحفهم المدمّر الذي يعرف كيف يصل إلى أهدافه .. وإذا كانت الهجمة الثقافية الغربية قد قطعت الطريق إلى منتصفه ، فإن "هؤلاء" جاءوا لكي يواصلوا "المشوار" . "(٢) .

و لم يحفل عماد الدين بهذه الإقليمية التي يؤسّسها غيره في كتاباتهم ونظراتهم ولكنه ينظر بميزان الجميع وبصيرتهم ومشورتهم ، ويهتدي بتلاقح الأفكار ، وتآزر الآراء ، وينادي دوما إلى "أن نتداعى ـ متجاوزين الحالات الفردية ـ إلى صيغة عمل جماعي يعرف الأولويات ويتحرك في ضوء خرائط عمل مرسومة تضع كل شئ في محله ، وتحسب لكل أمر حسابه ، وتعرف كيف تتعامل مع الزمن للوصول إلى الأهداف المتوخاة بأقل قدر من الهدر في الطاقات والتناقض أو التكرار في العطاء"(٣).

يعيش هموم قومه وأمته في كل كتاب يخرجه ؛ حيث يدافع عن قيمتها وثوابتها ، ومفاهيمها الراسخة ، ويعيش ذلك في كل عبارة يزجيها بآلامه وآماله ،

---

(١) الأدب الإسلامي أصوله وسماته ، محمد حسن بريغش (ص١٠٥) .

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٨٦) .

(٣) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص١٩) .

بل بالحرف الشجي المتحشرج بين شفتيه حين تجالسه ، وتأخذ من حماسه وفكره بالحديث عن مستقبل الأمة وأوضاعها .

تحدّث عن فلسطين والجزائر في أولى قصائده ، كما فعل ذلك غيره ، ممن يحملون الهموم ذاتها ، ويحسّون بأسى فراق القدس ، وأحوال إخوانهم في الجزائر كما قال أحدهم في مقدّمة ديوانه عن فلسطين : "أستطيع أن أعتذر لكل شئ عن كل شئ إلا أنني لاأستطيع أن أعتذر لفلسطين عن استحضارها في ذاتي وعشقها بتعطش ... فهي في شراييني لوعة عشق أبدية ، رغيف خبز الفقراء ، صرخة مناضل في زنازين الحقد والفاشية"(١) .

كما حكى ذلك غيره من شعراء هموم الأمة ، الصادقين في بثّ جواهم وحزنهم على الواقع المرير ، حيث كانت قضية فلسطين شاغلة الشعراء والأدباء في الأقطار المسلمة والعربية القريبة والبعيدة(٢) .

وهي القضية التي دافع عنها النثر كما دافع الشعر ، حتى خاطب الرافعي بني الإسلام "مستنهضا هممهم محركا نخوة العزة فيهم للجهاد بالمال والتبرع لإنقاذ الأرض العربية المسلمة وهو أضعف الإيمان قائلا لهم : (لو صام العالم الإسلامي كله يوما واحدا ، وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لأغناها ... لقال النبي مفاخرا الأنبياء : هذه أمتي ... لقال اليهود اليوم ماقاله آباؤهم من قبل : إن فيها قوما جبارين) لقد صاغ الرافعي بيانه بكل جارحة بلاغية فيه ، وكل خاطرة مؤمنة في قلبه ، ولكن المسلمين لم يصوموا ولم يتحركوا ، وضاعت فلسطين"(٣) .

---

(١) ديوان "شظايا حب وزعتر" ، زاهر محمد الجوهر (ص٧) .

(٢) من أمثال هؤلاء الذين نذروا حياتهم وشعرهم للتنديد بوعد بلفور وماكان بعده ، الشاعر الكويتي خالد الفرج وهو من كبار الشعراء في زمنه ، وانظر فلسطينياته في كتاب "خالد الفرج حياته وآثاره" ، خالد سعود الزيد (ص٢٨-٣٢) .
والشاعر السعودي محمد حسن عواد ، انظر : محمد حسن عواد شاعرا ، آمنة عقاد (ص١٦١) .

(٣) مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا ، د. مصطفى الشكعة (ص١٤٢) .

وماكان من عماد الدين إلا أن استشعر وجوب حمل هم هذه الأمة المنكوبة وإدامة الكتابة في أوجاعها ، وتبصير الناس بدورهم ومايناط بهم ، وكانت مشاركته شعرا ، كما كانت من خلال بيان عظمة هذا الدين ووقوفه أمام التحديات المصيرية ، ونظرة الآخرين له ولدوره في هذه الأمواج المتلاطمة[١] .

وشر مايزعج المرء أن يرى فئاما من الناس لاهم لهمّ إلا شهواتهم الذاتية ، ورغباتهم الشخصية ، يعملون لها وبها ، ومأصاب غيرهم فلا يتألمون له ولايحزنون وينسون لوازم قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢] .

وهذا هو الظاهر من خلال حديثه عن محبته لإخوانه المسلمين في كلّ مكان ـ ولو لم يكونوا من جنسه وبلده ـ بل ربما يكون لهؤلاء في قلبه ميزة خاصة .

هاهو يتحدث عن زيارته الأولى لأسطنبول ، فيقول : "في المطار يستقبلنا الأحبة .. لهفتهم للِّقاء لاتقل عن لهفتنا .. عبر الحواجز الموقوتة تبادلنا المحبة .. بعدها بلحظات كانت الأحضان والتربيت الودود الذي تعلّمناه منهم تقول شيئا كثيرا .. تجتاز حواجز اللغة ، وتحكي عما يعتلج في الأعماق ... وسنرجع إلى ديارنا ونحن نفيض حبا"[٣] .

ويبدي انبهاره ورضاه عن صنيع مؤسسة (كجامعة أفريقيا العالمية) في تكوين هذه النظرة الجماعية ، وهذا الإحساس الإسلامي العظيم الذي يجتمع فيه الطالب الأفريقي مع أخيه المسلم العربي ؛ لتكون هذه الجامعة "واحدة من محاولات قد تزداد عددا وغنى وعطاء بمرور الزمن للإعانة على هذا التوحد المرتجى الذي تفرضه ضرورات العقيدة[٤] والجغرافيا والحضارة .. فضلا عن المصلحة الصرفة"[٥] .

---

(١) وكتابه "قالوا عن الإسلام" أنموذج فريد لذلك ، وهو في (٤٧٨) صفحة ، وقد كتبه بناء على طلب من الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، انظر مقدّمة الكتاب (ص٥) .

(٢) سورة الحجرات : آية ١٠ .

(٣) من أدب الرحلات (ص٦) ، وصاغ مثله (ص١١-١٢) .

(٤) وعليها يبنى كلّ مسار ـ الباحث ـ .

(٥) المرجع نفسه (ص٤١) .

ويسطر ذلك برؤاه الحالمة ، وذكرياته السالفة فيقول : "جميل أن تجد نفسك عند إطلالة الصباح ، وفي مكان واحد ، مع إخوتك القادمين من المغرب والجزائر ومصر والسودان ومواقع أخرى من ديار الإسلام ، وأن يقف إلى جوارك ، بين لحظة وأخرى ، أخ من تركيا التي تتمدد على حافات الأسود والأبيض والدردنيل والبسفور تنتظر اللحظة الحاسمة لكي تنهض قائمة مرة أخرى لملاحقة الحلم الإسلامي الذي لن يكفّ عن الوجيب حتى تصير كلمات الله وتعاليم رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام خبز الإنسان اليومي وعسله ومَنّهُ وسلواه"[١] .

وحين التقاه الأستاذ (المصطفى أبو ياسر)[٢] في المغرب عام ١٩٩٣م رحّب به كثيرا ، وكان مما قاله : "وأنا في قلبي للإخوة المغاربة مكان عميق ، على بعد المسافة ونأي الديار"[٣] .

ويرى أن للإخوة المغاربة "في نفوس المشارقة عشقا موغلا .. إن الساحة المغربية تتميز بحكم موقعها الجغرافي على حافات أوروبا .. بحساسية خاصة تجاه المؤثرات الثقافية ، وبقدرة على التقاطها والتعامل معها .. وربما كان المثقف المشرقي مطالبا ـ من أجل تلقي المعطيات الجديدة ـ بالمرور عبر بوابة المغرب"[٤] .

وهذا ماسطره عن إخوانه في بلاد الإسلام كلّها[٥] ، وجعله هاجسا تذوب عنده الفوارق الجنسية ، فدبّج هذا بيراعه نثرا وشعرا .

يقول في قصيدته (الكون كلّه موطني) ـ وهي من رباعياته ـ :

---

(١) المرجع السابق (ص٥١) .

(٢) شاعر معاصر ، من بلاد المغرب ، نشر لقاءه في الملحق الثقافي لصحيفة (الراية المغربية) س(١) ع(١٢) تشرين الثاني ١٩٩٣م ، وانظر : ريبورتاج (ص٥٠) .

(٣) ريبورتاج (ص٥١) .

(٤) المرجع نفسه (ص٦٥) .

(٥) انظر ـ مثلا ـ الحوار الذي أجراه بنفسه في الموصل (شباط ١٩٩٤م) مع رسلان محمد وأبي آدم والطيار الشيخ عبد الباقي ، ونشر في مجلة (فلسطين المسلمة) بلندن صيف ١٩٩٥م ، وراجع في هذا : ريبورتاج (ص١٣٩-١٥٢) فهو حوار رائع .

"الكون كلُّه موطني ..
وبلاديْ السَّماواتُ والأَرْضْ!!" (١)
ويقول : "ولكنني أهرع .. أهرع .. مخلفا ورائي تُخُومَ العالَمْ
وبوَّاباتِه الموصَدَة
مهدِّمًا كلَّ الجدران التي أقاموها وهم لايدرون
إن الكونَ كلَّهُ موطني
وبلاديْ السماواتُ والأرضْ"(٢)

ويرى أن من لوازم الأخوة بيانَ الزلل لمن بدر منه فهْمٌ مجانب للصواب من إخوانه ، فيبادر إلى نصحه وتقويمه وتوجيهه ، فيسير معه بالقول ، مستخرجا لازمه بحكمة وحِلْم ، حتى يظهرَ الصواب له ، ويعودَ عن خطئه(٣) .

ويرى لزاما عليه أن يتحدث عن نهب خيرات بلاده على أيدي طاغية العراق وهو يتحدّث ساخطا على من ينهج نهجه ، والمسلم يحسّ بأن الكون موطن إخوانه يتألم لهم ، ويحزن لظلمهم "وإن الإنسان المسلم يحس إحساسا غامرا مترعا بالغبطة والنشوة والفرح بأن وطنه الحقيقي ليس المدينة التي يولد فيها أو الإقليم الذي يحيا فيه ، أو الدولة التي يحسب عليها .. إن وطنه هو العالم كلُّه .. وأرضه هي الطبيعة على امتدادها .. وبلاده الكون على مداه"(٤) .

وهو لايخاطب بلاده طالبا معرفة مآلات الأفعال التي يقوم بها طغاة بلاده حيث يقول ـ مخاطبا بلاده ـ :

"لاتَرُدِّيْ .. فما أُريدُ جَوَابًا
لاتَرُدِّيْ .. فالقلْبُ ذَا كمْ تَألَّمْ

---

(١) ديوان جداول الحب واليقين (ص٩٩) .
(٢) المرجع نفسه (ص١٠٠) .
(٣) ومنها ماحاجّ به أحدهم في كون النجوم رجوما للشياطين .
انظر : حوار في المعمار الكوني (ص٣٥-٤٢) ، وانظر حواره مع آخر : الرؤية الإسلامية (ص٧٠) .
(٤) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص١١٩) .

لاتردِّيْ ، فما أراه أمامِيْ
ليسَ إلا حقيقةً تتكلَّمْ!!
من جموع بالحقِّ تهْتِفُ .. جَهْرًا ،
يازعيمَ البلادِ : لا .. ثُمّ تُعْدَمْ"[١] .

ثم يعلنها عن نفسه وبني قومه الذين يرون مايرى ، فيقول صارخا :

"فعلى الدَّرْب ياطُغَاةُ .. نُنَادِيْ
وعَلَى الضَّوْءِ ياضَلالُ سَتُهْزَمْ .." [٢]

ويرفض مايمارسونه من طغيان ضدّ الشعب المهضوم ، ومايلقون به عدوّهم من المهانة والابتسامة! فيقول :

"وترى الحاكمين في كلِّ قُطْرٍ
من بلادي ، ورغْمَ كلِّ نِدَاءٍ
يتمادَوْنَ في الضَّلال ويَسْعَوْ
نَ حثيثًا .. لِقبْلةِ الأَعداءِ"[٣] .

وينادي الصامدين بثباتهم ، ويثني على عزمهم وإبائهم ، ويطلب منهم الثبات والسير على قدمٍ راسخة ، فالصَّامد ـ بحقّ ـ هو من يجالد هؤلاء الطغاة ، العابثين بمصائر شعوبهم ، وهو من

"يَصْرُخُ فيهمْ : أَنا مُسْلِمُ
بفكريْ أصُدُّ الهوى والضَّلالْ
وأَسْجُدُ للهِ أسْتَلْهِمُ"[٤]

ويرى أن السير بهذه الطريقة ضامن للحق ، موصل إلى التحرّر من هذه العبودية ويعلن ذلك ، وأنه ـ ومن يشاركه النظرة ذاتها ـ عازمون على ذلك ، صارخون بقولهم :

---

(١) ديوان جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص١٤٥-١٤٦) .
(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(٣) المرجع نفسه (ص١٨٠) .
(٤) المرجع نفسه (ص١٤٩) .

سَنَمْضِيْ نحطِّمُ بَأْسَ الطُّغَاةِ ... ونَسْخَرُ مِنْ بَطْشِها اللاعِبِ
سنمضيْ بعَزْمَةِ إيمانِنَا ... نَشُدُّ عَلَى فَجْرِنا الغَائِبِ
ألا إنَّ هذيْ الحَيَاةَ صِرَاعُ ... مَعَ المَوْجِ في عُنْفِهِ الصَّاخِبِ[١]

أما هؤلاء الطغاة الذين بدّلوا بلاده ، وأحالوها فسادا وبعدا عن العبودية الصادقة لله ، والراحة والأمن ، فإنه ينادي ـ ثائرا ـ جبَّارهم وكبيرهم الذي علّمهم العناد والفساد قائلا له :

أيُّهَذَا الجَبَّارُ مَزَّقْتَ شَعْبِيْ ... وسَفَحْتَ الدماءَ فوقَ حياتِهْ
وشَرِبْتَ الخُمُورَ تَعْصِرُهَا العَيْـ ... ـنُ ، وَغَنَّتْ رغْمَ شقوةِ ذَاتِهْ
وتَمادَيْتَ في الفُجُور فَوَيْلٌ ... لِلَّذِي يَنْتَشِيْ عَلَى مَأْسَاتِهْ[٢]

ومضى على ذلك في إبداعاته الأخرى ، يندّد بالطغيان في بلاده وبلاد الإسلام وقد صاغ لذلك روايته (الإعصار والمئذنة) مبيّنا خطر التآمر مع الشيوعية على خسران الشعوب المسلمة ، و"عندما تتموضع رواية (الإعصار والمئذنة) في فضاء محدود بمدينة صغيرة كالموصل ، وأيام خمسة ، من الصراع بين الشيوعية والإيمان ؛ فإنها تومئ ، وفق المعادلة المذكورة ، بما يمكن أن يشهده عالم الإسلام على امتداده"[٣] .

وهذا ماأراده في إبداعاته ، أن تنبض كلّها بنبض الأمة ، بآلامها وآمالها ، بمعاناتها واحتياجاتها ، مثبتا صدق أخوته ، محتفيا بالنظرة والروح الجماعية .

---

(١) المرجع السابق (ص١٥٥) .
(٢) المرجع نفسه (ص١٧٣) .
(٣) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص٧٢) .

المعلم الرابع : البعد عن المهاترات .. والاحتفاءُ بالعمل :

المعارك الأدبية حين تنحى منحى المهاترة والانتقاص ، وتجانب أدب الحوار وروح الثقافة المتّزنة ، تكون مذمومة عند أولي النَّصَفِ والحكمة ، طلابِ الهدى وحملة مشعل الثقافة .

ويشير بعضهم إلى أن المعركة الأدبية بين اليازجي[١] والشدياق التي وقعت عام ١٨٧١م هي أول هذه المعارك في أدبنا المعاصر[٢] .

وقد أبرز اليازجي أن دفاعه عن والده ماكان إلا لشعوره بعدم خلوّ ذلك من فائدة في الحوار ، إذ يقول : "وشهد الله أني ماكنت لأكره الخوض في هذه المطارحات والمباحث الدقيقة[٣] ، فإنها لاتخلو من فائدة لي أو له ، لو أنه حافظ على شأنه و لم يتجاوز إلى أمر الهجاء ، فإني شديد الكراهية له ... ولاأرى لي في مواطأته على ماذهب إليه ـ ومعاذ الله ـ فذلك باب من قِبَلِيْ مُحْكَمُ التوصيد"[٤] .

---

(١) هو إبراهيم بن ناصيف بن عبد الله اليازجي ، ولد عام (١٢٦٣هـ/١٨٤٧م) وهو من علماء الأدب واللغة ، أصله من حمص ، هاجر أحد أجداده إلى لبنان ، فولد إبراهيم فيها ، ودرس على أبيه ، انتدبه اليسوعيون لترجمة الأسفار المقدّسة وكتب أخرى ، فعمل عليها نحو تسعة أعوام ، تعلّم العبرية والسريانية والفرنسية وتبحر في علم الفلك ، وله كتب عديدة ، سافر إلى أوروبا ومصر ، وخدم العربية باصطناع حروف الطباعة فيها ببيروت بدل حروف المغرب والآستانة ، وله شعر جيد ، لكنه ترك الشعر ، وله خط جيد ورسم ونقش وحفر ، عاش فقيرا ومات في القاهرة ونقل جثمانه إلى بيروت عام (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) .
انظر : الأعلام ، للزركلي (١/٧٦-٧٧) .

(٢) سبب هذه المعركة دفاع إبراهيم اليازجي عن أبيه (ناصيف) الذي نال ـ بعد وفاته ـ تجريحا وردودا كثيرا من أحمد الشدياق ، فانبرى إبراهيم يدافع عن أخطاء أبيه .
انظر : صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر ، أنور الجندي (ص١٠٢-١٠٩) .

(٣) لعل في مصطلح (المطارحات والمباحث الدقيقة) حسن أدب وشعور بهدف الحوار ـ الباحث ـ .

(٤) المرجع نفسه (ص١٠٩) .

وممن كان يتحاشى المعارك الأدبية (أحمد الزيات)[١] ، ومع ردوده على خصومه في (الرسالة) "فإنه كان يتحاشى الخوض في المعارك الأدبية ، ماأمكنه ذلك"[٢] .

ويعيد الأستاذ (علي الهوني) أسباب ذلك إلى كونه صاحب المجلة ، وكذلك فإنه كان ينحرف عن الردّ العلميّ كما حدث في ردّه على (بنت الشاطئ) حين ذكر أنه لايليق بذَكَر أن يردّ على أنثى[٣] ، وعَدّ هذا مبرّرا لعدم الردّ!!

وسبب ثالث يذكره الهوني ، وهو أن نفسية الزيات مسالمة هادئة يجب أن تسير حياته وتجري جريان الجدول الهادئ[٤] .

وهكذا كان عماد الدين يخط لنفسه هذا المنهج ذاته ؛ وينسحب هذا على تعامله مع الآخرين في علاقاته العلمية ، وردوده وتعقيباته ، فلا تجده يحفل بالمهاترات الصحفية ، أو العنف النقدي ، بل يبغض هذه الإجحافات ، ويخشى أن يسقط فيها نفسه يوما من الأيام! وفي هذا يقول : "دخلت في معارك نقدية في أكثر من مجلة ، ولكني ـ بمرور الوقت ـ بدأت أكره هذه الصيغة في التعامل ؛ لأني بحاجة إلى توظيف الزمن للبناء وليس لملاحقة الآخرين أو الردود عليهم ... ولكن في هذا العصر يبدو أن الكثيرين لايعرفون كيف يتحاورون ، فالأولى أن تتوقف عن حوارهم!

---

(١) هو أحمد بن حسن الزيات ، صاحب (الرسالة) ، ولد عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) بمصر وهو أديب من كبار الكتّاب ، ودخل الأزهر قبل الثالثة عشرة ، وفصل قبل إتمام دراسته ، فعمل في التعليم الأهلي ، ودرس الأدب في المدرسة الأمريكية بالقاهرة ثم ببغداد ، ألف كتابه (العراق كما عرفته) ولكنه احترق قبل نشره ، عاد إلى القاهرة ، وأصدر (الرسالة) لمدة تقارب العشرين سنة ، ثم عين عضوا في مجمع اللغة بالقاهرة ونال جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٢م ثم أعاد الرسالة وانقطع لتحرير (مجلة الأزهر) ، توفي بالقاهرة سنة (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، ودفن بقريته (كفر دميرة القديم) ، له كتب عديدة .
انظر : الأعلام ، للزركلي (١/١١٣-١١٤) .

(٢) الزيات ناقدا ، علي عبد المطلب الهوني (ص٥٩) .

(٣) المرجع نفسه (ص٦١) ولاشك أن هذا ليس بحجة ـ الباحث ـ .

(٤) المرجع نفسه (ص٦٢) .

وقد جربت هذا مع اثنين أو ثلاثة أو أربعة فلم أرتح للطريقة التي كان فيها الردّ لاينطوي على احترام الحقيقة بقدر مايذهب باتجاه تأكيد الذات على حساب الحقيقة ، فآثرت العمل البنائي"[١] .

وهذا هو الصواب في مثل هذه المواجهات ، "وليس لمفكّر مبدع أصيل ، ولالشاعر عبقري ، ولا لأديب موهوب ، ولا لفنان يحترم فنه ونفسه ، أن يوفق إلى أداء شئ من رسالته إذا هو سمح لنفسه أن ينساق مع أهواء الآخرين ومآربهم"[٢] .

ويردّها (عبد اللطيف شرارة) إلى المزاج والذوق والاتجاه[٣] .

بينما يرى صاحب كتاب (دراسات في النقد الأدبي والبلاغة) أن هذه المهاترات والمعارك إنما تتوجه إليها "الفراشات المهومة في وسائل الإعلام المختلفة تعشو على ضوء نارها فتحترق بها ... والواجب أن نقطع دابرهم وأن نحرمهم الزجّ بأنفسهم فيما ليس لهم به علم"[٤] .

ونجد أن هؤلاء الخائضين كثيرون ، ولايوجد منهم من يريد الحق في جدله وحواره إلا القليل ، وهم أشدّ ندرة من "الكبريت الأحمر" ـ كما يقولون ـ ولايؤمنون بالقول القديم "من المناقشة ينبثق النور"[٥] .

لكن عماد الدين خليل يدعو إلى الحوار الهادئ الجيد ، أو ماأطلق عليه قدامة ابن جعفر[٦] (الجدل المحمود)[٧] ؛ إذ يتناول الطرح النشاز المخالف للتصور

---

(١) لقاء الأردن (ص٣٧) .

(٢) معارك أدبية قديمة ومعاصرة ، عبد اللطيف شرارة (ص١٢) .

(٣) المرجع نفسه (ص٥) .

(٤) دراسات في النقد الأدبي والبلاغة ، د. عبد العزيز قلقيلة (ص٦٣) .

(٥) القول لأرسطو ، وانظر : الأدب العربي الحديث ، د. محمد عبد المنعم خفاجي (ص٣) .

(٦) هو قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي ، كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدّمين في علم المنطق والفلسفة ، كان نصرانيا ثم أسلم على يد المكتفي بالله العباسي ، وله مؤلفات عديدة منها "الخراج" ، و"البلدان" ، و"نقد الشعر" ، و"نزهة القلوب" وغيرها ، توفي ببغداد سنة (٣٣٧هـ/٩٤٨م) أما سنة ولادته فغير معلومة .
انظر : الأعلام ، للزركلي (١٩١/٥) ، نقد النثر ، لقدامة بن جعفر (ص١٦) .

(٧) نقد النثر ، قدامة بن جعفر بن قدامة (ص١١٧) .

الإسلامي الصحيح إذا رأى المصلحة ظاهرة في ذلك التناول ، ومن ذلك ماذكره عن أحد أساتذة التاريخ الإسلامي في المرحلة الجامعية ، بأنه كان يمتعض ، وينتقص نصًّا قرآنيًّا وهو قوله تعالى : ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾[١] ! وكيف قرأ عليه عماد الدين في قاعة الدرس ذاتها بقية الآيات التالية وكيف عرضت قطاعات الأعراب الثلاثة ، واستمرّ في حواره معه ثم تبعه إلى مكتبه ، وحاول الاستمرار في ذلك لكن أستاذه لم يلو على شئ ، ويرى عماد الدين أن هذا نوع من "لعبة الاقتطاع القسري للشاهد"[٢] .

وهو هادئ في حواره وجدله بالحسنى ، ولعلّ العودة إلى تفاصيل المثال السابق في كتابه القيم (الرؤية الإسلامية) [٣] تصوّر لنا أدبه في حواره وجدله "المحمود" ، ذلكم الأدب الذي يحتاج إليه كلّ متحاور يرنو إلى طلب الحق لا الانتصار لنفسه[٤] .

حتى إن الذي يختطّ لنفسه نهج الحوار الهادئ والجدل الساعي إلى بيان الحق محتاج إلى أمور عدة لم يغفلها عماد الدين في حواراته المنضبطة ، ومنها ماذكره بعض السلف بقوله : "عجبت لمن لاحن الناس كيف لايعرف جوامع الكلم"[٥] . وأن يتذكر أن الحق أحق بالاتباع ، كما قال أحد الأدباء الفضلاء : "إن دين الله أعز علي من أن أضيعه في المجاملات ، والله أكبر في قلبي من أن أسخطه لرضا مخلوق مهما بلغ من السلطان"[٦] .

---

(١) سورة التوبة : آية ٩٧ .

(٢) الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٢) ، وانظر الحوار كاملا (ص١٤٩-١٥٢) .

(٣) انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) في أدب الحوار وطرائقه الحسنة ، انظر : أصول الحوار ، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، وحدة الدراسات والبحوث (ص١٧-٥٦) .
وانظر المبحث النفيس لقدامة بن جعفر في "نقد النثر" ، باب أدب الجدل (ص١٢٨-١٣٦) .

(٥) مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة ، د. محمد بركات حمدي أبو علي (ص٢٤) .

(٦) ذكريات ، علي الطنطاوي (١٠٧/٦) .

وينبغي للمحاور كذلك أن يكون لبقا[١] في نقده ، فقد "يكون الإسقاط أيضا على شكل نقد عنيف يوجهه الشخص إلى غيره عن أمر هو يشتهيه لنفسه"[٢] وغير ذلك من الأمور التي يصطحبها أهل النَّصَف في حواراتهم ومناظراتهم .

ولهذا يندب عماد الدين تعامل كثير من مثقفي عصرنا فيقول :

"إن مثقفينا ، بالأحرى متعلّمينا وأنصاف مثقّفينا ، يقفون إزاء كثير من القضايا والقيم الإسلامية ، موقفا رخيصا فجّا مستعجلا ، غير علمي ولامتأن ولامسؤول ، الأمر الذي يجعلهم يصدرون أحكاما سريعة ، مشوَّهة ، مبتورة تجئ نتيجة منطقية لمواقفهم تلك"[٣] .

وإذا كان لايتلجلج في إثبات ذلك والسير في الطريق الذي اختَطَّه لنفسه في حواراته كلّها ؛ فإنه إنما يحفل بالإنجاز والعمل والبناء وقد بنى عليه أعماله من إبداعات ودراسات ، ويدع المهاترات لأهلها "من أجل تجميع الطاقات الفكرية الإسلامية للتحقّق بفاعلية أكبر ولتجاوز الازدواجية والارتطام والتبذير والتناقض والتفتّت"[٤] .

فله هذه الفلسفة الخاصة في التعامل مع هذه المواقف التي تزلّ فيها أقدام كثيرة ، أما صاحب المنهج المستعلي بمنهجه "فما تكون الأرض كلّها؟ ومايكون الناس؟ وماتكون القيم السائدة في الأرض؟ والاعتبارات الشائعة عند الناس؟ وهو من الله يتلقى ، وإلى الله يرجع ، وعلى منهجه يسير ، وهو الأعلى إدراكا وتصورا لحقيقة الوجود"[٥] .

ولكننا نجد كثيرا من الضعفاء في حواراتهم ، يتكلّمون وكأنهم يوحون إلينا "أننا مازلنا دون مرحلة النصر ، أو على أحسن الأحوال ، لانزال نعاني من آثار الهزيمة الفكرية التي تعيش في أعماقنا ، إلى جانب مايمكن أن تورثه تلك المعارك من

---

(١) حاذقا رفيقا بما يعمل . انظر : القاموس ، الفيروزآبادي (١٢٢١/٢) .

(٢) كيف تتكامل الشخصية ، هيلين شاكتر (ص١٥٣) .

(٣) مجلة (حضارة الإسلام) س(١٧) ، ع(٨) (ص١٤) مقال "الموقف الرخيص" .

(٤) حوار في المعمار الكوتي ، د. عماد الدين خليل (ص١٨٤) .

(٥) معالم في الطريق ، سيد قطب (ص١٨٠) .

قدرة الخصم على التحكم بمسار تفكيرنا ، ونشاطنا العقلي"[١] .

ولهذا لايحفل عماد الدين خليل بالتسليم المطلق ، بل لايراه إلا لنصوص الوحيين الكريمين ، و"المثقف المسلم على وجه التحديد ، ناهيك عن المتخصصين منهم ، يتحتم أن يمتلك ابتداء .. نعم (ابتداء) .. مايمكن تسميته بالنظرة الفوقية المستقلة الواثقة التي ينظر بها ويقيس ويزن كل مايقوله العقل البشري شرقيا كان أم غربيا ، ولايسلم به بسهولة حتى لو طرحه أعظم الفلاسفة والمفكرين .. كما أنه يتحتم ألا يشعر إزاءه بأي قدر من النقص أو الإعجاب المفرط الذي قد يجنح به بعيدا عن الموقف العلمي الذي يتطلبه منه هذا الدين"[٢] .

إنها العزة التي تضبط نفس الأديب والمفكر ؛ لئلا تنساق وراء ميادين لانفع فيها ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٣] .

وإنها الثقة بالنفس التوّاقة القويّة ، و"القوة الذاتية هي القدرة على جعل الأشياء تحصل ، بالطريقة التي نرغبها"[٤] .

وهي الثقة بالنفس التي يفقدها كثير من مثقفينا وأدبائنا على اختلاف قدراتهم وطاقاتهم ونفوسهم[٥] .

وفوق هذا كلّه تقف سلامة الصدر التي يحتاجها كلّ مثقف أريب .. أن يتحلّى المرء بدلالاتها ومقتضياتها .

أما الشذب والتواء الحديث وإساءة الظنون ، فإنها تفقد المرء هذه اللّياقة النفسية ، وهذا الكرم الخلقي العظيم "وإن لم يكن قد فاته إلا سلامة صدره على المسلمين وعظم أجر تلك الفضيلة فقد فاته خير كثير"[٦] .

---

(١) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، د. عمر عبيد حسنة (ص٢١) .

(٢) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص٥٦) .

(٣) سورة المنافقون : آية ٨ .

(٤) تنمية القوى الذاتية ، سمير البعلبكي (ص٧) .

(٥) نقلت الدكتورة نورة الشملان تسميتها : (قوة الأنا) ، و(الاكتفاء الذاتي) . انظر في هذا : المتنبي الإنسان والشاعر ، د. نورة الشملان (ص٣٠-٣١) .

(٦) عجز الثقات ، د. محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف (ص٧٠-٧١) .

المعلم الخامس : بعد النظر :

وممّا هو من زاكي صفاته وطيبِ ذِكْره ، بُعْدُ نظره وثاقب فكره .. ذلك أنك واجده متفائلا بمستقبل الإسلام غير قانط ولاساخط .. في زمن يجثم فيه الشعور بالفناء ، والإحساس بالهلكة على قلوب كثير من بني الإسلام ؛ لما يرونه من تحديات وصراعات ومقارعات شديدة! .

ويرى ـ على سبيل المثال ـ أن "القول بجاهلية العرب قبل الإسلام ، لايمثل تناقضا مع اختيارهم لحمل راية الدين الجديد ، فإن فيهم من وراء ركام الأضاليل والأوهام معدن أصيل[١] ، وإن الفجر لينبثق لحظة يدلهم ظلام الليل ويبلغ مداه"[٢] .

وحين ينطلق غيره مناديا بحقوق المرأة في المشاركة ، وأنها تعيش واقعا يهضم حقها ويغفل دورها[٣] ، يسير بين هؤلاء بفلسفة جميلة تدلّ على بعد نظره وثاقب رؤياه ؛ إذ يقول : "وعندما يتحدّث الشاعر عن الإنسان ، يتحدث عن الرجل والمرأة معا ، فليس بالضرورة أن نفصل المرأة ونتحدث عنها بالذات ؛ فإذا تحدثنا عن الكائن البشري ، وعن همومه وأحلامه .. عن آلامه وويلاته .. عن طبيعة تماسه مع العالم ، فكأننا نتحدث عن الرجل والمرأة معا بما أنهما كائنان متميزّان في هذا العالم"[٤] .

وهو كذلك ـ في الطرف الآخر ـ يحزن على أحوال أولئك الناعقين بملء أفواههم في صفوف المجتمع المسلم ، بما تحمله نداءاتهم من خواء فكري ، وانحراف في التصوّر ، وتخلّ عن الثوابت الأصيلة ، والفطرة السليمة ، فيقول : "إن الجندي الاستعماري الذي يتجول في شوارع المدن المقهورة حاملا سلاحه ، موجّها حربته إلى صدور المواطنين .. الجندي الذي كان يتجمع ورفاقه في الثكنات الكبيرة في قلب المدن الإسلامية ، يأكل الطعام الطيب ، ويتنزه في الحدائق المنسقة ، ويمارس هواياته المفضلة وهو مطمئن إلى أن سلاحه سيحميه ويبقيه .. هذا الجندي قد انتهى

---

(١) لعل الصواب "معدنا أصيلا" ـ الباحث ـ .

(٢) دراسات تاريخية ، د. عماد الدين خليل (ص٧٠) .

(٣) كثير ممن ينعقون بذلك لهم فيه مآرب أخرى ـ الباحث ـ .

(٤) لقاء الأردن (ص٣٣-٣٤) .

دوره بزوال الاستعمار القديم .. استعمار الجيوش والعساكر للأرض الإسلامية .. وحلّ محله اليوم في موجة الاستعمار الجديد جندي من نوع آخر .. إنه واحد من أبناء الشرق أنفسهم .. مواطن مسلم .. لايلبس "الخاكي" ولايحمل سلاحا .. ولكنّ فكره معبّأ تماما بالمتفجرات التي زرعها فيه الاستعمار الجديد يوم كان يدرس هناك ، وهي مستعدة للانفجار في أية لحظة يضغط فيها على الزرّ لكي تدمر القيم والأعراف والمعتقدات ، وتقطع الأصول والجذور ، وتأتي على الأخضر واليابس"[١].

وهو على ثقة ويقين حال عرضه واقع الأمة المرير ، وموقع أمثال هؤلاء المفسدين لذواتهم ولغيرهم ، بأن النصر للإسلام وحزبه ، و"في بيئة كهذه سيكون الانتصار للإسلام نفسه ، كما أكّد التاريخ ولايزال ، مادام أن الإسلام مهندس بإعجاز ، على حجم الإنسان ، مرسومة خرائطه بإتقان على مساحة دوره في العالم ومادام أنه الحركة العقيدية الوحيدة التي كانت وستظل بمثابة الطريق الأوحد للتحقق بالوفاق مع الذات والكون والتصالح مع سننهما ونواميسهما من أجل سعادة الإنسان وتوحده"[٢].

وهذا البعد والعمق في النظر جعل عماد الدين يستشعر الدور المناط به ، وعظمه وضخامته ، فاستحلى مرارة الطريق التي تواجه الباذلين في سبيل الحق الذي ينشدونه وبثه ، واستطاع أن يصنع من المواقف الصعبة التي تمر به فرصا جليلة للعطاء والبناء .

ولهذا يقول حين يحاور أحد المتخاذلين عن دورهم في الحياة أدباء ومفكرين متزنين : "أردت أن أقول له هذا ، أن أشعره بأنني سعيد إذ أكتب ، وأنه مامن كلمة أخطها بيميني إلا وأنا مسؤول عنها أمام الله ، وهي بدورها محسوبة لي هنا وهناك"[٣].

---

(١) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص١١) .

(٢) قالوا عن الإسلام ، د. عماد الدين خليل (ص٢١-٢٢) .

(٣) الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٧٠) .

وحين ندقّق النظر في تمثّله الحقيقي لمعنى الإسلام ، نجد أن هذا الأمر هو الذي قاده وغيره إلى طريق العطاء والبذل ـ ولو نكص عنه آخرون ـ "وعبر مسيرته الحافلة ذات الأربعة عشر قرنا .. كان الإسلام قديرا ـ أبدا ـ على التجدد والانبعاث وكلّما ادْلهمّ خطب وذَرَّتْ الفتنة قرنها ، وكاد اليأس أن يأخذ بتلابيب النفوس والأرواح .. كلّما[١] برز رجل أو انبعثت حركة .. فما يلبث هذا الدين أن يجد من ينطلق به إلى آفاق جديدة .. فيزداد قوة .. وتمكّنا .. وأصالة .. وعطاء .. بل إن هنالك ماهو أعجب من هذه الظاهرة في تاريخ هذا الدين وتركيبه .. إنه حيثما خسر المعركة ، أو انحسر وتراجع في جهة من الجهات حيثما تحرك في جهات أخرى لكي يحقق أكثر من نصر فَيُعَوَّضَ هنا عما خسره هناك"[٢] .

ويتساءل ـ وهو يبحث عن موقع بلاده وبلاد المسلمين ـ عن محاولتنا الراهنة للفوز بالسباق الحضاري ، واستكمال أسبابها "وهل انطلقنا عند خطّ البداية على الخطوط المرسومة للوصول إلى الأهداف؟" [٣] .

وأمام هذا السؤال ينطلق مجيبا ببعد نظر : "يكون المرء منافقا لو أجاب بالإيجاب أو على أقلّ تقدير جاهلا ، قصير النظر ، غير قادر على فهم واستيعاب مجريات الأحداث التي تتمخض أمام عينيه ، ولابد من الاعتراف بهذا الخطأ الكبير الذي ظللنا نمارسه منذ أكثر من نصف قرن ولانزال .. لابد من الاعتراف من أجل ألا نضيع فترات أخرى من الزمن ونهدر طاقات وقدرات أخرى"[٤] .

---

(١) لعل الصواب حذفها ؛ لأن معنى (كلّما) قاض بعدم تكرارها ـ الباحث ـ .

(٢) كتابات على بوابة القرن الخامس عشر ، د. عماد الدين خليل ، ود. عبد الحليم عويس (ص١٢-١٣) .

(٣) الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص١٠) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

وهكذا يبرز (بعد النظر) في رؤية عماد الدين للقضايا ، راسخا أمام تضحّل الفكرة عند غيره ، أو تشويهها عند آخرين[١] .

ومن دراساته المتميّزة ببعد نظره مبحثه الخاص في كتابه : (حول استرتيجية الأدب الإسلامي) [٢] عن اللّون في القرآن الكريم .. وقد سَمَّاه "رحلة مع اللون في كتاب الله" ، حيث يرى أن "اليد التي ترسم ـ أحيانا ـ أشد إثارة وأعمق دهشة وأقدر على التعبير من الكلمات التي تنثر أو تقول شعرا"[٣] .

وهي رحلة جميلة سار المؤلف فيها بالقارئ نحو تعامل الأمة الإسلامية مع اللون في العصر الأموي والعباسي ، واستخدام العلويّين له في راياتهم الخضر وهكذا .. في متابعة فريدة وعجيبة لورود اللون في آي القرآن الكريم مستنبطا ومتابعا هذا التناسق عبر هذه الرحلة الرؤيوية للقرآن وآياته ذات الدلالات الثرة ، وصدق الله إذْ يقول : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٤] .

ويرى الدكتور عماد أن هذا التنوّع ـ بإبعاد النظر وتوسيع الآفاق التأملية ـ من نعم الله علينا فيقول في ذلك : "ويبقى اللون ، هذا التنويع الإبداعي للمنظور في ساحة الكون والسماء والعالم والحياة .. هذا التغاير الذي ينطبع على الحس البشري بألف حال وحال .. يبقى هذا كله واحدا من عطاء الله الذي ماله من نفاد .. من

---

(١) انظر ـ مثلا ـ : ريبورتاج ، وحديثه عن جمهوريات الاتحاد السوفياتي (ص١٧-١٨) ، وواقع المسلمين في الخارطة الحضارية (ص١٠١) ، وحديثه عن دورنا في واقع الأدب والفن والإعلام الإسلامي في ظلّ التحديات المعاصرة (ص١٨-١٩) ، وكلامه عن المنهج الإسلامي في الدراسة الأدبية (ص٥٨-٥٩) ، وحديثه الرائع عن العزلة في الصوت الأدبي (ص٦٠) ، وتأصيل النقد الإسلامي في الأدب (ص١٠٣) وغيرها وغيرها مما قد نتبينه في الفصول القادمة .

(٢) لايزال مخطوطا كما أسلفنا ـ الباحث ـ .

(٣) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢١) .

(٤) سورة فاطر : آية ٢٧-٢٨ .

نعم الخلاق الذي ماتنفد كلماته .. يظل الأبيض والأحمر والأخضر والأزرق حضورا فاعلا للقدرة الإلهية في مهرجان الكون الكبير . فماذا لو لم تنطو الحياة على هذا التغاير اللوني المؤثر المبهج المحزن الهابط المصعد؟ ماذا لو تسطّح المنظور باللون الواحد والإيقاع الواحد ، والخفقة الواحدة؟! إنها نعمة كبيرة ، مهما قلّبنا أنظارنا فيها ، ومهما بحثنا في مردودها على الحس والنفس والعقل والروح والوجدان"[١] .

حقا .. ماأحوجنا في ميادين الثقافة إلى (بعد النظر) وعدم القياس بالمقاييس الشاهدة الحاضرة فحسب! وأن نكون على مستوى المواجهة ولو بمجرد التفكير والتخطيط .

وهذا البعد في حياة عماد الدين ورؤيته ، ينسحب على ميادين نتاجه ــ عند تمثّلها والنظر فيها ـ على تنوّعه وترادفه[٢] .

ويملي ذلك في منهجه ، وأنه يتسخّط أمام النظرة الأحادية في كلّ دراساته وإبداعاته فيقول : "إن النظرة أحادية الجانب تمثّل ولاريب واحدةً من أشدّ الثغرات عمقا في منهج البحث"[٣] .

---

(١) حول استراتيجية الأدب الإسلامي (ص٣٥) .

(٢) ينسحب هذا على المنحى التاريخي ـ مثلا ـ كما في مقاله النفيس "المنحنى النفسي في حياة عمر ابن عبد العزيز" . انظر : مجلة (حضارة الإسلام) س(٩) ، ع(٩) (ص٢٢-٣١) .
وينسحب على المنحى الفكري كذلك ، كما في مقاله بعيد النظر "المبتعثون إلى الغرب رصد للواقع المرير" . انظر : مجلة (الأمة) س(١) ، ع(٤) (ص٥-١٢) .
وكذلك مقاله حول متابعى آثار كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" وكيف يرى التوافق بين المقولات الواردة فيه وبين تنفيذه في أرض الواقع ، ممثلا لذلك بما حدث للشاعر التشيلي المعروف (بابلو نيرودا) ، انظر ذلك كلّه في مقاله "بروتوكولات صهيون .. مرة أخرى" في مجلة (الأمة) س(٤) ، ع(٤١) (ص١٧) ، ومقاله "فهل ثبت أنه ليس من وضعهم" س(٥) ، ع(٥٨) (ص٢٢-٢٥) .
وهذا ظاهر في نتاجه بعد التدقيق والمتابعة مما قد يظهر لنا بإذن الله جلاؤه في فصول بحثنا ـ الباحث ـ .

(٣) مجلة (الأمة) س(٥) ، ع(٥٨) (ص٢٤) .

فما أحوجنا إلى من يعيشون اليوم بغير عقلية البعد الواحد ، الذين يبينون للناس عدم فقر البيئة حولهم ، ويسيرون بتجزئة الأمور وإعطاء كلّ جزء حقه ، ولاينظرون برؤية نصفية بل يسيرون بعقلية منضبطة ترجيحية تنظر ببعد إلى الحسنات والسيئات والإيجابيات والسلبيات وتستبصر الدور المطلوب عند النوازل خاصّة[١] .

(١) انظر المبحث النفيس للدكتور عبد الكريم بكار في كتابه "فصول في التفكير الموضوعي" (ص٢١٢-٢٢٨) .

المعلم السادس : الحياة .. نظرة وطابع :

يتعامل عماد الدين خليل مع الحياة بهدوء وتُؤَدة وأناة ، ويدعو - وهو يتأمل أحوالها وأحداثها - إلى أن تكون التصاميم الفكرية ، والتعليقات الراصدة للحياة "محاضرة هادئة مترعة بالاستدلال والمقارنة والاستنتاجات المقنعة"(١) .

ونراه يجسد ذلك شعرا ، وهو يخاطب أبناء الأمة :

"أُريدُ أنْ أُفَجِّرَ قلوبَكم بالحُبّْ
أريد أن أَغْمُرَ وجودَكم بالحَنَانْ
ياأبناءَ أُمتي ..
بالحبِّ والحنان تصنعون التاريخْ
وتَقِفُون في دَوَّامة الأحداثْ
كأشجارِ التِّين والزَّيتُون .." (٢)

يتعامل معها كما يتعامل غيره من الأدباء الذين أرادوا أن يسترسلوا إلى هذه الحياة ، ويوطّئوا لأنفسهم مهادا حسنا من الإفادة فيها ؛ لذا تراهم يتعاملون معها وهم يعلمون أنها مُسَخَّرة كلُّها لهم ، كما قال الجاحظ في رسائله الكلامية : "والفلك وجميع ماتحويه أقطار الأرض ، وكلّ ماتقلّه أكنافها للإنسان خول ومتاع إلى حين"(٣) .

وتراهم يتحسّسونها ويشعلون فحصهم وفتائل إبداعهم لينهلوا منها "ذلك لأن الحسّ كالنور ، إن أطلقته أضاء لك ماحولك فرأيت ماتحب وماتكره ، وإن حجبته حجب الأشياء عنك ، فأنت لاتسمع أصوات الشارع مع أنها أشدّ وأقوى وتسمع همس الدار وهو أضعف وأخفت ، لأنك وَجَّهْتَ إلى هذا حسّك ، وأدخلته نفسك فسمعته على خفوته كما ترى في الضياء صغائر الأشياء"(٤) .

---

(١) من أدب الرحلات (ص٤٤) .
(٢) ديوانه "جداول الحب واليقين" (ص٩٥) .
(٣) رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، الرسائل الكلامية (ص٦٥) .
(٤) صور وخواطر ، علي الطنطاوي (ص١٤) .

وترى هؤلاء الأدباء يحرّكون أخيلتهم هنا وهناك ، ليقبسوا فكرة مرَّتْ على غيرهم مرور الكرام فاختلف استخدامهم لها ؛ حيث إن الدوافع الخارجية التي تحرك هذا الخيال تبعثه في كل أحد ، لكنهم يملكون ـ وهم أدباء ـ أن ينظموا عناصر الخيال بينما يضيعها غيرهم[١] .

ويتعامل مع هذه الحياة الشاعر بمقطوعاته ونظراته التعبيرية الخاصة ، فتظهر نظرته على صورة قصائده ونتاجه الشعري[٢] ، لاينفك عنها أبدا .

ويتعامل معها المسرحي في إبداعه ومسرحياته ؛ ولذا ظهر مايسمى "مسرح الحياة" الذي يأخذ أفكاره من واقع الحياة وتعامل الإنسان معها ، إذ يصوّر الكاتب فيها مسرحيته وأحداثها على أنها واقع فعلي يعيشه المشاهد مرآة عاكسة ، يبصر بها الحياة أنموذجا متمثلا أمامه[٣] .

ويتعامل معها الأديب ـ بصفة عامة ـ حين يجيد ذلك عالما بأثر هذا التعامل في نفسه وغيره على السواء[٤] .

وعماد الدين خليل ممن دعا إلى التعامل مع الحياة وأحداثها بالأمل الدافق ، والنظرة البعيدة ، بل يرى أن "ليس الموت حاجزا أو فاصلا ، ليس الموت نهاية

---

(١) الصورة بين البلاغة والنقد ، د. أحمد بسام ساعي (ص٢٤) بتصرّف .

(٢) انظر مثلا :
- الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد ، د. محمد زكي العشماوي (ص١٥١-١٥٧) .
- الحكمة في شعر المتنبي ، د. حسن علي قرعاوي (ص١٤٣-١٥٥) .
- دراسة في شعر نازك الملائكة ، د. محمد عبد المنعم خاطر (ص٢٢-٥٩) .
- أطروحات جمالية ، محمد الجندي (ص١١٠) .
- قصيدة الهجاء عند دعبل الخزاعي وابن الرومي ، د. عبد الحميد جيدة (ص١٠٣-١١٥) .

(٣) انظر : مسرح توفيق الحكيم ، د. محمد مندور (ص١٠٩) بتصرّف يسير .

(٤) انظر في علاقة الأديب بالحياة ـ على سبيل المثال ـ :
- تذوق الأدب ، د. محمود ذهني (ص٢١-٣٦) .
- في الأدب والنقد ، د. محمد مندور (ص٣٦-٣٨) .
- على مائدة الأدب ، عبد الله بن حمد الحقيل (ص١٢) .
- أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي ، د. يوسف عز الدين (ص٣٠) .

طريق أو بابا موصدا .. إنه مجرد نقلة ، نقلة سريعة ، ينطلق الإنسان بعدها لمواصلة الحياة بهذا الشكل أو ذاك مما لايعلم كنهه إلا الله سبحانه . كلٌّ منّا أحسّ في مجابهته الضغوط النفسية والمتاعب التي لاتنقضي والأحزان المتجدّدة أنه قدير على تجاوز الأسْر والانطلاق في الزمن حيث لاخوف ولاتناقض ولاعدّ تنازلي باتجاه لحظة الأفول الأخيرة"[١] .

وهذا يذكّرنا بما قاله أحد الأدباء ، حين عَدّ الموت في حقيقته ولادة ، وانتقالا إلى مدى أوسع[٢] .

وهذه النظرة إلى (الموت) وأنه حياة إنما تتجسّد ثابتة في نفوس الواثقين المؤمنين الذين يرون في الموت راحة ، كما قال سيّد قطب رحمه الله في ديوانه :

الموتُ! ياللموتِ! أَشْرَفُ شرعةٍ مما نُسَامُ بهِ وممَّا نُوْسَمُ[٣]

ويلتمس عماد الدين نظرته إلى (الموت) لتكون "دعوة لتعميق الخبرة البشرية لمدِّ التجربة إلى الجذور البعيدة .. وإنها لفرصة فذّة للعمر المحدود أن يزداد اتساعا وتوغلا وامتدادا صوب الأعماق ، تماما كما كان هناك يزداد اتساعا وتوغلا وامتدادا صوب الآفاق[٤] .. هنا في صميم النفس وهنالك في أبعاد الزمان والمكان"[٥] .

والموت حقّ كأنه كذب ، فهو حقٌّ لامرية في وقوعه ، وكأنه كذب لغفلة أهل الأرض عن تذكّره والعمل لما بعده ، وكأنهم خلقوا مؤبّدين للحياة ، فتراهم لايستبصرون حقيقة الموت والحياة ، ولاينظرون في سننهما ونواميسهما[٦] .

---

(١) حوار في المعمار الكوني (ص١١٥) .

(٢) ذكريات ، علي الطنطاوي (٢٩٣/٧) .

(٣) ديوان سيد قطب ، جمع وتوثيق عبد الباقي محمد حسين (ص٢٨٢) .

(٤) يريد بذلك سعيه نحو تأصيل الذات وبنائها وفق المنهج الرباني الفريد ـ الباحث ـ .

(٥) حوار في المعمار الكوني (ص١٢٠) .

(٦) انظر : بغداد مشاهدات وذكريات ، علي الطنطاوي (ص٢٧-٢٨) .
- الخرافة والأسطورة في الرواية العربية المعاصرة ، عبد البديع عبد الله (ص١٢٨-١٢٩) .
- ابن الرومي ملامح وأبعاد ، د. علي شلق (ص١٤٢-١٤٦) .
- شاعر الحب والوطن ، عبد العزيز النعماني (ص٧٠-٧٤) .

وينظر عماد الدين إلى أن هذه الحياة لو فقدت فهي عاريّة مؤدَّاة ؛ "لأن الإنسان وكلّ ماملكت يداه ، ليس سوى عارية سيسترجعها الله في يوم قريب أو بعيد"[١] .

وقد قال أبو نواس[٢] في القرن الثاني من الهجرة :

أَرَى كلَّ حَيٍّ هالِكًا وابْنَ هالِكٍ ... وذّا نَسَبٍ في الْهَالِكِيْنَ عَرِيق

فَقُلْ لقريبِ الدَّار إنَّك ظّاعِنٌ ... إلى مَنْزل نَاء المَحَلَّ سَحِيق

إذَا امتَحَنَ الدُّنْيَا لبيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَنْ عدوٍّ في ثياب صَدِيق[٣]

ومن لم يجرِّب خوض الحياة بهذه الخلفية التفاؤلية في النظر المتّسع الذي يمتد إلى مابعد ساعة الفراق لمعالم الحياة ؛ فإنه سيحيا متصارعا مع أحداثها بل يقيس كل أحداثها على أنها صراع من الصراعات المتتابعة التي لاتنقضي فيرى ـ في تخبّط ـ أن "الانسجام الأصيل بين الإنسان والطبيعة اختل ، وأعلن الله الحرب بين الرجل والمرأة وبين الإنسان والطبيعة"[٤] .

ولعل الاطلاع على نتاج شعراء المهجر يُنْبِئُ عن الثنائية في النظرة إلى الحياة متناقضةً متصارعة "ولعل استغراق هؤلاء الرواد في قراءة الاتجاهات والمذاهب

---

(١) مجلة حضارة الإسلام ، س(٩) ، ع(٩) (ص٢٧) .

(٢) هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي ، وكنيته الأولى (أبو علي) ، كناه (خلف الأحمر) أبا نواس ، ولد بالأهواز وانتقل إلى البصرة ثم بغداد ، وتوفي فيها ، وكان أبوه من جند مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية ، اتصل بالرشيد ومدحه ، وسجنه عامل مصر مدة وأطلق ، ثم مات بعد فترة وجيزة ببغداد سنة ١٩٩هـ ، وكانت ولادته عام ١٤٥هـ ، له ـ عفا الله عنه ـ مجون دُسَّ عليه كثير منها ، كان عالما باللغة فصيحا في لهجته ، وله مدح قليل ، وكان ينقّح قصائده .
انظر : تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات (ص٢٧٢-٢٧٤) باختصار .

(٣) ديوان أبي نواس ، تحقيق وضبط وشرح أحمد عبد المجيد الغزالي (ص٦٢١) .

(٤) قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر ، د. عز الدين إسماعيل (ص٣١٥) .
ومن عجب أن ينقل الدكتور عز الدين كثيرا من المقولات التي تجتثّ أبجديات الدين ومسلّمات الاعتقاد المنضبط دون تعليق أو إشارة ـ الباحث ـ .

الفلسفية والروح القديمة والحديثة ، وتأثرهم العميق بزعماء المدرسة الرومانسية ... قد وضع تفكيرهم بشكل مباشر أمام قضية كبيرة من قضايا الحياة ، وهي قضية التناقضات التي يزدحم بها وجود الإنسان ، وترزح تحتها حياته ، فتعرّضه لكثير من التمزّق والحيرة"[١] .

ومما خطه (نعيمة) في خبر هذه الحياة بنظرة فيها سوداوية قوله : "إن الحياة التي نعرفها تبتدئ بعويل الولادة وتنتهي بحشرجة الموت ، فهي قاسية . والحياة التي نعرفها تجرّعنا الحلاوة بيمينها والمرارة بيسارها ، فهي شحيحة . والحياة التي نعرفها فيها الكسيح وفيها المجنح . ومجنحها أبدا يسبق كسيحها ، فهي عرجاء . وفيها القوي والضعيف وقويها يبطش أبدا بضعيفها فهي ظالمة[٢] . وفيها الجمال والبشاعة والخير والشر ، فهي ناقصة"[٣] .

ومن نظر نظرة متوازنة وجد أن هذه الحياة التي استخلفنا فيها المولى ، حقيقة بالعمل والبناء ، وأن تكون حركة دؤوبا صوب النفع لأن الحركة طبيعة من طبائعها فالأرض دوّارة ، والسحب متحرّكة تجود بالمطر ، والبراكين تقذف بالحمم ، والزلازل تهزّ الأرض ، والبذرة اللطيفة تنمو وتثبت بعد حين ، والإنسان متحرِّك بطبعه ، حتى وهو في ساعات الكرى[٤] .

وهذا هو مارآه عماد الدين من "التقابل المؤثر الذي يجب أن يكون في حالة اشتعال وخفقان دائم بين الإنسان وبين الكون وكذلك التأمل في المصير ومحاولة وضع الحياة الدنيا في محلّها الحقيقي والاعتقاد بأنها رحلة منصرمة لاديمومة فيها"[٥].

---

(١) حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق ، د. عبد الحكيم بلبع (ص٢٠٤-٢٠٥) .

(٢) لايجوز أن ينسب الظلم للزمن ؛ لأن هذا منهيّ عنه في الشرع المطهّر "لاتسبوا الدهر" ـ الباحث ـ .

(٣) فلسفة ميخائيل نعيمة ، د. محمد شفيق شيّا (ص٩٣) .

(٤) الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص١٥) بتصرّف .

(٥) لقاء الأردن (ص٣٢) .

وحين يذكر هذه الحقيقة الأخيرة ويؤسسها يسجل ذلك بشعر قديم له فيقول في عينية كتبها سنة سبع وثمانين[١] :

أَرْنُوْ إلى الدُّنْيَا وأمتِنِعُ ... لَمْ يَبْقَ للآمَال مُتَّسَعُ
بالأمْس أشواقِي تُدَمِّرُنِي ... واليَوْمَ لاشَوْقٌ ولاطَمَعٌ
....
كُلُّ الّتي تَرْجُوْنَ ضَائِعَةٌ ... كُلُّ الّذِي تُعْطَوْنَ مُرْتَجَعُ
وَعَلَى مدى الطُّرُقَاتِ ضَارعةٌ ... حِيْنًا وحينا خائفٌ فَزِعُ
لم يَبْقَ في الدُّنْيَا مؤمَّلَةٌ ... إلا وفي خَفَقَانِهَا الوَجَعُ

وإذا تعامل المرء مع الحياة هذا التعامل كان له فيها الراحة والطمأنينة وبقي له فيها الذكر الحسن ، وهو مطلب نفيس يتوخّاه طلاب الهداية كما قال أحد الأدباء عن ساعة النهاية المحتومة :

"وربما كتبت يومئذ في رثائي فصول ومقالات ، وربما أثنوا علي بما لست له بأهل ، أو هجوني بما لاأستحق ، أو أعرضوا عني فأهملوني حتى نسوني .. ماالذي ينالني من ذلك كلّه؟ ماذا ينفع الميت من الثناء ، وماذا يضرّه من الهجاء ، وماذا يؤثر فيه الإهمال والنسيان؟ إن دعوة صالحة ، من قلب حاضر ، من أخ مؤمن ، بظهر الغيب ، خير للميت من ديوان كامل من عبقري الشعر في رثائه ، ومن مئة خطبة في تأبينه ، وعشرة كتب في دراسة أدبه"[٢] .

وصدق الشاعر إذْ قال[٣] :

وَمَاالعَيْشُ إلا أنْ تَرُوحَ وتغتَدِي ... مَعَ اللهِ لاظُلْمًا تخافُ ولاهَضْمَا
وتَشْرَبَ كَأْسَ الأُنْسِ في ظِلِّ وَصْلِهِ ... فَتُصْبِحَ لاتَضْحَى هُنَاك ولاتَظْمَا

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) ذكريات ، علي الطنطاوي (٢/٢٥٦) .
(٣) هو الفقيه الشاعر عبد الله بن علي آل عبد القادر (١٢٧٠-١٣٤٤هـ) .
انظر : الفقيه الشاعر عبد الله آل عبد القادر ، عبد الله الشباط (ص٦٢) .

ومِنْ تجرَّع غصّة النهاية هان عليه بعدها ماوجده من مرارة الحياة كما قال الأول :

إذَا ماوَرَدْنَا للمنَايا شَرِيْعَة فهانَ علينا ماشَرِبْنا مِنَ الأجْنَ[١]

ولكنه التسليم من المسلَم ، الذي يستيقن أن الحياة لاتؤول إلى عدم بالموت ، و"إن أي مسلم لايستطيع بفطرته وبداهته ويقينه وإيمانه ، أن يتصور موقفا عدميا كهذا ، إنه بمجرد تصوره يحسّ بالاختناق ، ويستنفر كل طاقاته النفسية للخلاص من المأزق واستنشاق الهواء الصافي النقيّ .. إنه لايفرّق أبدا بين كابوس لايرحم يدهمه في المنام وبين إحساس عدمي قائم يمر بخاطره في المقبرة"[٢] .

وهذا اليقين بالبقاء والحياة الأبدية بعد الحياة الدنيوية يغرس خشية الله في قلب المرء ـ ولاشك ـ ، و"ماأروعه من إحساس يملأ وجدان الإنسان وعقله وقلبه باقتناع ليس إلى تعريفه من سبيل ، ويدفعه إلى نفور جارف ورفض حاسم لكل أولئك الذين رأوا في حياتهم الدنيا فرصتهم الأولى والأخيرة ، وفي سنيِّهم الخمسين أو السبعين عمرهم الوحيد .. أيكون الإنسان ، بعد هذه الرحلة القصيرة ، لقمة سائغة للعدم؟ إنه تصوّر تضيق معه نفس المؤمن الذي يرفض خرافة العدم هذه ، حتى ليكاد يختنق وهو يعانيها من بعيد ..." [٣] .

هكذا كان وصف عماد الدين في تعامله مع هذه الحياة ، بهذا البعد وهذه الطبيعة الهادئة الفاعلة .

ولايسعى المرء فيها إلا إلى هذا الهدوء الذي يقوده إلى الرضا بالحال ، والحرص على الذكر الحسن ، وقد أعجبني سعي كثير من الناس إلى أهمية الذكر الحسن الباقي للمرء في حياته ، وتصويره كنزا مفقودا لدى كثيرين غيرهم ، كما قال الأستاذ القدير علي الطنطاوي عن الشهرة السراب :

---

(١) ديوان "لزوم مالايلزم" ، أبو العلاء المعري ، حرره وشرحه د. كمال اليازجي (٤٢٩/٢) .

(٢) مجلة (حضارة الإسلام) س(١٥) ، ع(٧) (ص٣٢) مقال "جربوا بأنفسكم" ، د. عماد الدين خليل .

(٣) مجلة (الأمة) ع(١٨) ، ١٤٠٢هـ (ص٩) ، مقال "دعوة إلى مدّ الحياة" ، د. عماد الدين خليل.

"إن الشهرة يطمح إليها الشبان ، بل ربما سُرّ بها كل إنسان ، ولقد سعيت إليها من قديم ، كما سعى لِدَاتي وإخواني ، وكما يسعى الناشئون جميعا ، ولكني لما رأيتها زهدت فيها ، إنني لأجد مَثَلا لها إلا السراب ، أنتم لاتعرفون هنا السراب ولكنني عرفته لما رحلت رحلتي في الصحراء من دمشق إلى مكة المكرمة . يبدو من بعيد كأنه بركة ماء ، كأنه بركة حقيقية ، فإذا جاء الإنسان لم يجد إلا التراب ، لايكون ماءً إلا من بعيد . وكذلك الشهرة تحسبها من بعيد شيئا ممتعا ، فإذا وصلت إليها لم تلق فيها متعة"[١] .

---

(١) ذكريات ، علي الطنطاوي (٦/١٠٤-١٠٥) .

المعلم السابع : الموازنة :

مما يظهر في شخصية عماد الدين كرهه العبث والتخليط وعدم التوازن .. ذلك العبث "الذي يصدم الإنسان المعاصر بوجوده كل يوم .. ويضغط على أعصابنا بثقله الذي لايحتمل ، ويحطّم وحدتنا النفسية بما ينفخ في أعماقنا من سأم وتهافت وشعور حادّ باللاجدوى . العبث الذي يصدر عنا .. يتفجر من قرارة نفوسنا ، يأكلنا من الداخل .. يغرز سكينه الملطخة بالدم تارة في القلب وتارة في الأمعاء وأخرى في تلافيف الدماغ .. فيهدم الإنسان ويهدّ أعصابه"[١] .

لذا يرى الموازنة مخرجا من هذا كلّه .. الموازنة بين الإنسان والكون والحياة .. بل بين الإنسان ومايدور داخله ، ثم مابينه وبين المجتمع .

ويرى أن "أروع جانب في بنيان الإسلام وحبكته الإلهية المعجزة هو هذا التوازن الفذّ بين الفردية والجماعية ، هذا التناغم الذي يشدّ المؤمنين في وحدة حيوية تصل حدّ الروعة والجلال ... إن هذه الهندسة البارعة التي يتناظر فيها ماهو عمودي وماهو أفقي ، بإتقان محكم ، وتتوازن خلالها نزعة (الذات) بكل فرديتها واستقلالها وتميزها مع نزعات (المجموع) بكل تشابكه وتداخله وتوحّده ، هو إحدى الملامح الأساسية التي تميّز الإسلام عن سائر المذاهب والأفكار"[٢] .

والإسلام بثوابته ونظراته ، وتوحيده وتوازنه ، قادر على الإحاطة بكل نازلة والحديث عن كلّ مايداخل حياة الأفراد والأمم .

ولعلّ متابعة لمؤلّفات عماد الدين تنقلنا إلى تلمس هذه الموازنة في التأليف وأن تسجيله وتدوينه يجئ حلقات متصلة ، تتلو الحلقةَ أختُها ؛ سائرة بها نحو النضج والتثبيت .

هاهو ذا يقول عن كتابه (الرؤية الإسلامية) : "فإذا كان كتاب (آفاق قرآنية) قد رصد تجارب ومواقف ووجهات نظر عبر أواخر الستينات وبداية

---

(١) مجلة (حضارة الإسلام) س(١١) ، ع(١) (ص٢٦) مقال "العبث" ، د. عماد الدين خليل .

(٢) المرجع نفسه س(١٥) ، ع(٧) (ص٣٥) مقال "التوازن المعجز" ، ونشير إلى كون الإسلام منفردا ـ حال الموازنة ـ عن غيره ، ولايقال إنه (فكرة) وإنما ذكر الكاتب ذلك مقارنة ومقايسة لاتشبيها وتمثيلا ، فدائرة الدين غير دائرة الفكرة ـ الباحث ـ .

السبعينات ، وإذا كان كتاب (مؤشرات) قد واصل الطريق عبر السبعينات ؛ فإن هذا الكتاب الذي يجده القارئ بين يديه[١] يجئ مكَمِّلا لصنويه فيرصد بعض مايستحق المتابعة والتعقيب مما تجمع لدي في مطالع الثمانينات"[٢] .

ونراه ينتقد أولئك الدارسين في حقول المعرفة حين لايوازنون في قراءاتهم واستنباطاتهم بين المقروء ـ بِعُجَره وبُجَره ـ وبين عرضه على الخلفيات المفترضة في ثوابت الاعتقاد وأسس التصور المنضبط ، ويضرب لهم مثلا بدارسي التاريخ الذين "قرأوا كثيرا عن التاريخ الإسلامي بانحرافاته .. بمساوئه ، بتجاربه الزاخرة بالسَرَّاء والضرّاء .. بمساحاته التي تناوبت عليها الأضواء والظلال .. ببقعه السوداء والبيضاء .. ولكنهم لم يقرأوا شيئا ذا بال من الإسلام نفسه"[٣] .

ويعلو صوته في مجابهة المناهج الملفقة التي "تسعى بدافع من علمانيتها ، إلى ترجيح الدافع الماديّ وتقليص مساحة الدوافع الروحية في حركة التاريخ ، بل طمسها أحيانا ، وإنكارها أساسا"[٤] .

ومن الموازنة التي أردناها في صياغة هذا المعلم التوفيقُ بين متطلّبات التخصّص (الرأسي) لكلّ دارس وبين الثقافة بوجهها العام والأدبية منها خصوصا .. والرابط بين عماد الدين (مؤرّخا) و(ناقدا أدبيّا) جسر ممدود ؛ حيث يرى في الفن حاجة ملحّة ، حيث القرن العشرون ، والواحد والعشرون ، بصوت "ميكانيكاه" لايترك المرء إلا محاصرا من كل جانب ، ويرى في التاريخ (الماضي والحاضر والمستقبل) فهو ـ في حقيقته ـ تاريخ معاصر[٥] ، يَفْتَنُّ في عرض أحداثه ، والربط بينها في نسق

---

(١) يعني كتاب (الرؤية الإسلامية) كما سبق .

(٢) الرؤية الإسلامية (ص٨) .

(٣) مجلة (حضارة الإسلام) س(٢٠) ، ع(٣) (ص٢١) مقال "القمر من الجانب المظلم" ، د.عماد الدين خليل .

(٤) المرجع نفسه س(١٦) ، ع(٩-١٠) (ص٢٢) مقال "اقتراحات في التدريس والمنهج التاريخي" د. عماد الدين خليل .

(٥) انظر : ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٩٣-٩٤) .

واحد منتظم عجيب[١] ، ولاغرو إذ يرى فيه "حقلا خصبا للكثير من الدراسات والأبحاث"[٢] . ولذا يوظّف أحداثه ومواقفه وفق بياننا السابق عن ذلك في كثير من نتاجه المتنوّع ، وقد وظّف لهذا روايته (الإعصار والمئذنة) وروايته القادمة كذلك[٣] "لأن الروائي ، هو بشكل من الأشكال ، فيلسوف تاريخ .. مفسّر ، يحاول أن يضع يديه من وراء الوقائع والجزئيات المتشكّلة في مدى الفضاء الروائي ، على السنن والنواميس التي تحرّك الأحداث"[٤] .

أما صنعة (الأدب) فيراها قَدَرًا لامفر منه ولامحيد عنه ، إذ يقول : "أن تصير أديبا ليس خيارك .. ولكنه قَدَرُك .. مرغم أنت على أن تكون أديبا ، وإلا أكلك الهم وغدوت حطاما ..

بالكلمة يقوم أولئك الذين منحهم الله (وصفة) خاصة لاأستطيع التعبير عنها .. مزيدا من الدهشة والحزن والفرح والعشق والبهجة والتوق لاكتشاف المجاهيل .. والرغبة القاهرة في تحويل هذا كلّه .. إخراج هذا كلّه من تحت الضلوع ، وتشكيل لوحة أو نشيد أو قصيدة أو سيّال من النثر مترع بالعفوية والنداوة والصدق ... إن شبكة معقدة من التأثيرات .. منظومة من العناصر الفاعلة ترغم الإنسان على أن يكون أديبا .. فلا تسل أحدا مرة أخرى كيف كان هذا الذي كانه .. فهي المملكة التي لايسأل الداخلون إليها لماذا دخلوا؟" [٥] .

ويعلن لمحاوره السابق قائلا : "قد تدهش إذا قلت لك إن[٦] تخصّصي في التاريخ كان رغبة مني في ألا أمسّ بالأذى مملكتي هذه ــ يريد الأدب ــ وأن أكون حرّا في اجتياز دروبها وتناول ثمارها المدلاة"[٧] .

---

(١) انظر ـ مثلا ـ الفصل الرائع "مقارنات" من كتابه "دراسات تاريخية" (ص٣٧-٤٠) .

(٢) المرجع نفسه (ص٣) .

(٣) السيف والكلمة .

(٤) ريبورتاج (ص٧٢) .

(٥) المرجع نفسه (ص١٢٩) يخاطب بهذا الأستاذ الشاعر حكمت صالح مندوبا عن جريدة (الدفاع الثقافي) المغربية .

(٦) في أصل المخطوط (أن) ولعل الصواب ماأثبتناه .

(٧) نفسه .

والحديث عن التخصص واتساقه مع النتاج الآخر يظهر لنا الحاجة إلى بلورة هذا التوازن وتحقيقه ، حيث كان العقّاد يرى أن "التخصّص قد جار على "الشخصية الإنسانية" فلم يترك في كلّ امرئ إلا جزءا من إنسان مستغرقا في جزء من المعرفة وجزء من العناية بالعالم الواسع الذي يعيش فيه"(١) .

ومامن شك في أن الأمة في حاجة إلى موسوعيّين يعيدون أمجاد أسلافنا ويحيون ذكرهم ، وهي ـ كذلك ـ في حاجة إلى من يبدعون في تخصّصهم وهذا لايمنع من تمتعهم بالثقافة الرأسيّة والأفقية على السواء .. كما نحن في حاجة إلى "أولئك الذين يتّخذون من معاملهم ومكاتبهم صوامع وأديرة!.. ويهبون حياتهم للفرع الذي تخصّصوا فيه ، لابشعور التضحية فحسب ، بل بشعور اللذة كذلك"(٢).

ولايعني السعي إلى الموسوعية ـ وهي درجات ومنازل ـ أن يّدَّعي المعرفة أحد دون تبين أو تثبت ؛ لأن هذا من خداع النفس قبل خداع الآخرين .

وقد قال المصطفى ﷺ : "من تطبب ولايعلم منه طب ، فهو ضامن"(٣) ، وأرباب الحديث بغير علم "... حسبوا أن الاجتهاد حقٌّ مشاع للجميع ولم يعلموا أن للمجتهد شروطا ومواصفات وضوابط ، أصعب بكثير من المؤهلات التي لابد من توافرها للمختصين في علوم الطب والهندسة والقانون والجيولوجيا وغيرها"(٤) .

ولذا يسهم توثيق التخصّص في الإفادة من الشخصيات الموسوعية التي تشارك في ميادين ثرّة ، وحلقات عديدة ، خاصّة إذا علمنا مطالب المسايرة للوضع الحاضر

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، العقاد (١٤/٢١) .

(٢) أفراح الروح ، سيد قطب (ص١٦-١٧) .

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جَدِّه ، وله شاهد وإسناده حسن بمجموع الطريقين .
انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ (٢/٢٢٨-٢٢٩) حديث رقم (٦٣٥) .

(٤) الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص١٠٨) .

والبيئة ذات الضجيج والبريق الظاهر "فلدينا الشاعر المؤرّخ ، والفيلسوف العالم ، ولدينا أيضا المؤرّخ الشاعر ، والفيلسوف الأديب"[١] .

والتاريخ من حقول المعرفة ذات الصلة بالحياة والفن بصورة ظاهرة ، وله جانبان غير خافيين ، أحدهما علمي ــ يخدم جانب التخصص بتركيز ــ والآخر فني[٢] .

ولانستطيع أن نتناسى الفارق الدقيق بين الشاعر (أديبا) وبين المؤرّخ فالشاعر يحيا الحال مستبطنا ماوراء الحوادث والوقائع ، بينما يتجه المؤرخ إلى الأسباب والعلل والتفاصيل ، "فالمؤرخ يعيش بإدراكه الواعي ويكتب بعقله المنهجي ، أما الشاعر فيعيش بمعاناته النفسية والروحية"[٣] .

غير أننا ـ كذلك ــ لانقدر على إلغاء هذه الخطوط الوثيقة بين التاريخ والأدب ، كما هو ظاهر ومثبت لدى عديد من الباحثين[٤] .

وقد توازن عماد الدين في عرضه بين تتبُّع الحدث وصنعة لبوس أدبي فني له .. ولعلّ مسرحياته وروايته (الإعصار والمئذنة) خير شاهد على ذلك ، كما كان هذا في جملة من كتبه .. واستجلاء ذلك عبر (ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز) [٥] و(دراسة في السيرة) ظاهرٌ لكلّ قارئ يعيش تلك اللحظات النورانية مع السير العطرة في ألقها ودفقها الروحاني ، ويشاهد الحوادث والوقائع مسبوكة محبوكة ، قد زيّنت وزخرفت فكانت جميلة قشيبة .

---

(١) حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ ، د. عبد الله التطاوي (ص٦٣) .

(٢) انظر : الأدب المقارن ، د. محمد غنيمي هلال (ص٢٤٩) .

(٣) الشعر وطقوس الحضارة ، محيي الدين صبحي (ص٧٣) ، وانظر ـ نحوها ـ (ص١٠) .

(٤) انظر مثلا :
- الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص١٢٨-١٣٢) .
- الشاعر مؤرّخا ، د. عبد الله التطاوي (ص٥-٦) .
- ابن طباطبا الناقد ، د. محمد عبد الرحمن الربيع (ص٤١-٤٢) .
- المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ ، وليد نويهض (ص٢٦-٢٧) .

(٥) ذكر هذا في ريبورتاج (ص٤٢) .

ويذكر الدكتور عماد الدين أن سبب هذه الموازنة والجمع تمتّعه منذ الصبا باستخدام تحسّس الخبرات والتجارب والأشياء في الحياة فيقول عن نفسه مبينا هذا الدفق والمطالعة والتعامل : "باختصار شديد ، لقد كنت أعيش الحياة (انطباعيا) .. فاللون .. الصوت .. النأمة[١] .. الحركة .. هذا الأمر الصغير أو ذاك .. يثير دائما في نفسي ردًّا ، أو استجابة بشكل من الأشكال ... ولقد حاولت أن أستجيب للنداء بمحاولات مبكرة في عالم اللون .. الرسم .. فلما أخفقت تحوّلت إلى الكلمة وكانت الكلمة بالنسبة لي ، ولاتزال ، ليست وسيلة أو فرصة للتعبير فحسب ، وإنما لنقل إحساسي بلون العالم : الأحمر أو الأخضر أو الرمادي ، للآخرين ، وبسبب من الإرهاف الملحّ الذي شكّل معظم الأدباء والفنانين ، تحوّلت الكلمة عندي إلى ريشة ترسم ، وتلوّن ، وتشكّل القيم والخبرات .. لامجرد أداة أو آلية للتوصيل"[٢] .

ويذكر ارتشافه وقراءته الشديدة للأدب روايات وأشعارا منذ أيام الدراسة الثانوية ، وكيف أنه كان يجتاز المسافات الطويلة تحت أشعة الشمس ، في ربيع الموصل الحار ، فيزداد بذلك احتراقا وتلك الأشعار تسكنه ، حتى قال عن نفسه : "فما كنت أزداد إلا توترا واحتراقا .. ولقد أثّر هذا على صحتي وقادني إلى حافات المرض والإعياء"[٣] .

ولما واصل دراساته العليا رأى أن تسجيل أحداث التاريخ في أطروحته يجب أن يكون بلغة شعرية ؛ ولكنه خشي من تعجّب الآخرين وحديثهم .. ولكنه وجد بعد ذلك بسنوات "أن التاريخ في أعمق طبقة منه هو بالضرورة تشكيل شعري .. فعلٌ درامي بعبارة أخرى .. وأنه قد يلتقي مع الرؤية الإبداعية ، وقد يعبر عن نفسه بلغة تعرف كيف تجمع بين رصانة النصّ وشاعرية التعامل مع الحقائق والخبرات"[٤].

---

(١) هي النغمة والصوت . انظر : القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروزآبادي (١٥٢٨/٢) ، مادة (نأم) .

(٢) ريبورتاج (ص٤١) .

(٣) المرجع نفسه (ص٤٢) .

(٤) نفسه .

ويعلّق بعد ذلك على هذه المسألة فيقول مبيِّنا هذه الصلة بين الحقلين : "إن المؤرِّخ يتحتم أن يكون أديبا ، وإلا فإنه لن يتجاوز ظاهر النصّ إلى عمقه المطلوب ، ولايبعد عن حافات الخبرة التاريخية باتجاه الوجدان البشري الذي شكّلها .. أما الأديب فإنه مؤرّخ بالضرورة ، فليس ثمة أدب يتحرك في الفراغ .. لابد له من زمن ومكان يستمد منهما ويتّكئ عليهما ويتعامل معهما ، ويشكلّ منهما فضاءه .. وهذا في نهاية الأمر هو التاريخ"[١] .

ويحسن هنا أن يُذْكر أن الأدب وإن اشترك مع التاريخ في بعض جوانبه فلابد أن يأخذ خصائصه دون نسيان لها ، وفي هذا يقول أحد الباحثين : "إننا نعرف أن الأثر الأدبي مهما يكن ارتكازه على التاريخ ينبغي أن يظلّ متوافرا على قواعد الفن وينبغي ألا ينسى الفنان أنه فنان وليس مؤرِّخا ، وإلا ضاع الفن"[٢] .

وتبقى الأمثلة عديدة لهذا التزاوج الظاهر ، والاتفاق والصلة بين هذين الحقلين المتقاربين من جملة من الوجوه والجسور ، عبر مسيرتيهما في القديم والحديث[٣] .

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين ، د. حسن الأمراني (ص٣١١) .

(٣) من أمثلة ذلك ماورد فيما يأتي :

- أبو الفرج الأصبهاني ، شفيق جبري (ص٤٨،٦٣،٨٣) .
- المسرح ، د. محمد مندور (ص٧٢-٧٩) .
- علي أدهم بين الأدب والتاريخ ، أحمد حسين الطماوي (ص٣١-٩٠) .
- البطل المعاصر في الرواية المصرية ، د. أحمد إبراهيم الهواري (ص٢٩-١٣٥) .
- مجلة (آداب الرافدين) صادرة عن وزارة التعليم العالي ، جامعة الموصل بالعراق ، ع(٢١) نيسان ١٩٩٠م (ص١٥-٣٦) مبحث "أبو مروان بن حيان أديبا وكاتبا" ، د. حازم عبد الله خضر .
- المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين ، د. حسن الأمراني (ص٣١٢-٣٢٤) .
- محاضرات النادي الأدبي الثقافي بجدة ، المجموعة الثانية (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) ، محاضرة "الرواية التاريخية عند باكثير" ، د. أحمد عبد الله السومحي (ص٤٠٧-٤٣٦) .
- النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة ، د. محمد غنيمي هلال (ص٨٤-٨٨) .
- الأدب اليوناني ، فرنان روبير ، ترجمة هنري زغيب (ص٧٧-١٠٢) .
- ديوان المبشرات والقدسيات ، عبد المنعم الجلياني ، جمع وتحقيق ودراسة د. عبدالجليل حسن عبد المهدي (ص٨٤-٨٥) .

عماد الدين .. في مرآة الآخرين :

هكذا .. عماد الدين .. (مؤثّرات ومعالم) .. وهي ـ بحقّ ـ رحلة مع شخصية فريدة ، تستحق الإشادة والإبراز ؛ بما جمعته من شريف الخصال وكريم السجايا .. ويكفي أنه (عملاق) من عمالقة الأدب والفكر ، كما دعاه هكذا رئيس نادي المدينة الأدبي في تقديم محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر"[١] حيث قال : "أيها الإخوة الأحبة ، لقاؤنا اليوم .. مع عملاق من عمالقة الأدب والفكر .. وكدت أقول النقد .. ولكن النقد في الواقع هو نتيجة طبيعية[٢] لتزاوج الأدب والفكر .. لقاء كنا نتطلّع إليه منذ زمن بعيد"[٣] .

وهذا ـ لعمري ـ ماكان إلا لتمسّكه بالرؤية الإسلامية المنضبطة ، وأنه "ينظر إلى الأحداث نظرة الطبيب الفاحص يشخص الداء ويصف الدواء من صيدلية الإسلام"[٤] .

ويرى المشرف على سلسلة (كتابة جديدة لتاريخنا) [٥] أنه "من الفأل الحسن أن نبدأ صدور هذه السلسلة مع بداية العام الهجري (١٣٩٨هـ) بتلك الرسالة المعروفة (خطوات في الهجرة والحركة) للمؤرخ المسلم المعروف الدكتور عماد الدين خليل .. التي توصل هي وغيرها ـ في نهاية المطاف ـ قواعد "المنهج الإسلامي" الرصين في النظر إلى تاريخنا وحضارتنا"[٦] .

---

(١) أقيمت بتاريخ ١٤١٠/٨/٢٣هـ . انظر : دراسات في الأدب الإسلامي ، صادر عن النادي ، رقم الكتاب (٩٣) (ص٢٥) .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعل صوابها بحذف الياء عند النسبة ـ الباحث ـ .

(٣) المرجع نفسه (ص٢٧) .

(٤) من مقدمة الأستاذ محمد سعيد مبيض لكتاب الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل "الرؤية الإسلامية" (ص٥-٦) .

(٥) هو الدكتور عبد الحليم عويس من دار الاعتصام بالقاهرة .

(٦) خطوات في الهجرة والحركة (ص١٢) .

ويبث المديح كذلك جملة ، منهم الأستاذ عمر عبيد حسنة في مقدمة كتاب (حول تشكيل العقل المسلم) للدكتور عماد الدين حيث يرى أنه ممن تصطفيه دراساته قادرا على القيام بها ، وتصدق فيه هذه النظرة ، و"يمكن أن تصنف كتاباته جميعا ضمن إطار صياغة العقل المسلم ، حيث امتلك من الصفات والمزايا إلى جانب طبيعة التخصّص العلمي مايؤهله للعطاء في مثل هذا الموقع ، وكأن بين مزاياه الشخصية وتخصّصه تواعدا والتقاء"[١] .

ويرى كذلك من ميزات الأستاذ "أنه يكتب في المنهج بشكل عام ، ويؤكّد على ذلك في كلّ المناسبات ، ويبين دور المنهج الخطير في حركة الإنسان الفكرية والحضارية عموما"[٢] .

ومن خلال التعدّدية في الاهتمامات والنتاج المتواصل ، الساعي خلف الجِدَّة والجدية يقول عنه : "وإن إلقاء نظرة على مؤلفاته أو مكتبته إن صح التعبير لتدل دلالة واضحة على الاهتمامات المتنوعة التي يعيشها ، وتؤكد ماذهبنا إليه من أنها جميعا تصدر عن معين واحد .. والحقيقة التي لابد من تسجيلها أنه يتمتع بمعدة هاضمة قادرة على التمثل الثقافي"[٣] .

ويرى الأستاذ عبد العزيز الداود[٤] ، أنه صاحب "اهتمامات موسوعية ، استطاع في حيِّز قليل من السنوات ـ وفي كثير من الجهد المكثف ــ أن يلفت النظر إلى هذه الاهتمامات بعديد أبحاثه[٥] ، ودراساته ، وأطروحاته ، التي صدرت جميعها في كتب"[٦] .

---

(١) حول تشكيل العقل المسلم (ص٢٦) .

(٢) المرجع نفسه (ص٢٧) .

(٣) المرجع نفسه (ص٢٨-٢٩) .

(٤) صحفي سعودي معاصر ، يعمل في مجلة (الحرس الوطني) وله اهتمامات جيدة بالأدب خاصّة والحوارات الثقافية عموما ، وقد أجرى حوارا مع عماد الدين خليل في المجلة ذاتها عدد (محرم ١٤١١هـ/أغسطس ١٩٩٠م) (ص١٠٢-١٠٧) في صفحات (المفكرة الثقافية) من المجلة .

(٥) وردت هكذا على الإضافة ـ الباحث ـ .

(٦) مجلة (الحرس الوطني) حوار الأستاذ عبد العزيز الداود مع الدكتور عماد الدين ، عدد محرم ١٤١١هـ (ص١٠٢) .

ورأى بعد حديثه معه وحواره أن الإجابات جاءته "ساخنة ، ومتفجرة بالضوء والحيوية"[١] .

أما (قطب الريسوني) ـ وهو باحث وشاعر مغربي معاصر ـ فيثمّن تجربة عماد الدين بأنها من التجارب الإسلامية الساعية نحو بلورة منهاج إسلامي في مجالي المقاربة والتحليل ، وأنه "مافتئ يعالج المتون الإبداعية بمنظار نقدي متكامل يلحم بين الشكل والمضمون ، والوعي والصياغة"[٢] .

ويخلص (حيدر ققّة) ـ الكاتب الإسلامي المعاصر ـ إلى أن لغة عماد الدين راقية متميزة ، مرهفة ذات حساسية خاصة ، تنطلق بالفرح والبهجة مع آثار الفرح ومسبباته ، كما تجيش بالألم مع الحزن ومثيراته ، وأنه حين يتناول رواية (الإعصار والمئذنة) للدكتور عماد الدين يرجو أن يكون قد وفق في إعطائها حقّها من النقد الموضوعي المحايد الذي يليق برواية إسلامية رائعة مثلها[٣] .

ويشير الأديب الناقد (محمد إقبال عروي) ـ وهو أديب وناقد مغربي معاصر ـ إلى أن عمادا يلخّص تجربته الممتدّة من (الستينيات إلى الثمانينات) في مجالي الأدب والنقد الإسلامي ، ويراه (تلخيصا) دقيقا متقنا ؛ بل يراه قد اختزل عطاء الأدب الإسلامي منذ بدايات تأصيله ، ويقول في ذلك : "وفي كلمة واحدة ، فإذا كانت "رسالة الشافعي" تعدّ صياغة أساسية لعلم أصول الفقه ، فإن "مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي"[٤] يمثل "الرسالة" بالنسبة للأدب الإسلامي ، وبالتالي ، فإنه لن يصبح "مدخلا" كما يريد له صاحبه ، بل سيكون "مخرجا" من مرحلة ناضجة ومكتملة من الصعب أن نقتصر عليها في مقتبل الأيام"[٥] .

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) مجلة (الأدب الإسلامي) ج(٤) ، ع(١٤) (ص٧٤) مقاله "النقد الإسلامي المعاصر" .

(٣) انظر فيما سبق : المرجع السابق ، س(٣) ، ع(١١) (ص٨٦،٩٢) .

(٤) يرى الدكتور عماد الدين أن هذا الكتاب و(الفن والعقيدة) من الكتب التي يعتز بها ، ويرى في الأول خلاصة تجربته وخبرته في هذا المجال . انظر : لقاء الأردن (ص٥١-٥٢) .

(٥) مجلة الأدب الإسلامي س(٢) ، ع(٦) (ص٢٥) .

ويعدُّه د. حلمي محمد القاعود[١] من الرجالات الذين وقفوا أنفسهم ونذروها للدعوة إلى فكرة (أسلمة) الأدب العربي ، وتطهيره من مكدّرات التغريب والعمل على تفعيل دور النماذج ذات الرؤية المتوازنة المنضبطة ، ويرى أن دارسي الأدب الإسلامي يتّكئون على دراساته التنظيرية التي توصّف الأدب الإسلامي ، في مجالاته وتعريفه وتطبيقاته ، وتربطه بماضيه ، مع تقديم نماذج تطبيقية في ذلك ، ويراه من كتّاب القصة القصيرة والرواية بطابعها الإسلامي الجميل[٢] .

غير أن الدكتور القاعود ـ ولعلّه بدون قصد منه ـ ينسى الإشادة بنتاج عماد الدين المسرحي ، الذي لايقارن به نتاجه الآخر في هذا الميدان! وهذه الريادة تنسحب على أعمال عماد الدين الأخرى ـ كذلك ـ كما يشيد بذلك كثيرون ، فيقول أحدهم : "ولاشك أنه يكتب للأستاذ عماد الدين الريادة في تناول موضوع مهمّ يربط التاريخ بعلم الاجتماع من منظور إسلامي ، في هذا العصر"[٣] .

وفي ختام المطاف ، لانود أن نطيل في تزجية المديح للأستاذ[٤] عماد الدين ونحن نعلم كرهه لذلك ، وحبه الشديد لترك الإطراء والثناء .

وقد رأيناه يرتئي حذف مقدّمات المتحاورين معه في كتابه المخطوط (ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية) [٥] ، ويرى ذلك موصلا إلى السلامة والمغنم .

---

(١) أديب وناقد مصري معاصر ، صدرت له عشرات من الدراسات والأبحاث ، يعمل حاليا أستاذا مشاركا بكلية المعلمين بالرياض ، معارا من جامعة طنطا .
انظر : مجلة الأدب الإسلامي ، س(٣) ، ع(٧) (ص٣٣) .

(٢) انظر ـ باختصار ـ المرجع نفسه ج(١) ، ع(٢) (ص٤٠-٤٣) مقالة "الأدب الإسلامي في اللغة العربية" ، وهي كلمة ألقيت في ندوة الأدب الإسلامي في الآداب الشرقية (بنجلاديش ٢١-٢٣ كانون الثاني/يناير ١٩٩٤م) .

(٣) مجلة (عالم الكتب) ج(٩) ، ع(١) (ص٨٢) مقال الأستاذ محمد خير رمضان يوسف ، وهو عرض لكتاب عماد الدين "التفسير الإسلامي للتاريخ" .

(٤) كما إن ذلك لايعني ـ مطلقا ـ التسليم بما يورده ويراه ، فكلّ يؤخذ منه ويردّ ، إلا المصطفى عليه الصلاة والسلام ـ الباحث ـ .

(٥) انظر (ص٣) من مخطوط الكتاب .

وهي الرغبة الأكيدة لإبراز مثل هذه الشخوص الفكرية المتميزة في مجالات عديدة .. نقديا .. وأدبيا .. وتاريخيا .. في مستويات التنظير والإبداع .

وإنها ـ بحق ـ مؤثّرات ومعالم ، في حياة الأديب الناقد المؤرخ الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل ، نسأل الله أن يمدّه بمدده ، ويحفظه بحفظه ، ويكتب له كل خير وعافية ، وأن يجعله جنديّا من جنود الأمة الودود الولود ، التي تستنبت على الأرض من يحمل ألوية النور بين الناس ، وتُخرج مِنْ رَحِمِ الزمان من يبذلون كل غال ورخيص في سبيل ذلك ، وتجعل الواحد منهم يخاطب المتقاعسين المتخاذلين ، المنشغلين بذواتهم ونرجسياتهم ، المنجذبين نحو الطين ، بقوله :

إذَا أُمَّـــةٌ لم تَعْبُـــدِ اللهَ وَحْـــدَهُ ... سَتَسْـجُدُ للطَّـاغُوتَ حَتْمًـا وتَرْكَـعُ
أرَى السَّوْطَ فيكم سيَّدًا عـزَّ صَوْتُـهُ ... بـهِ الْكُـلُّ محكـومٌ لـهُ الْكُـلُّ طَيِّـعُ
إذَا أَحْنَـتِ النَّـاسُ المَفَـارق وانْحَنَـتْ ... فَغَـيْرُ مَلُـوم رَاكِـبٌ يَـتَرَبَّعُ
....
إلهـي رَضِيْنَـا بـالّذِي ترتَضِـيْ لَنَـا ... وإنَّ لَـكَ العُتْبَـى .. وَعَفْـوُكَ أَوْسَـعُ
إلَهـي طَـالَ اللَّيْـلُ ظُلْمًـا وظُلْمَـةَ ... فَهَـلْ تَـأْمُرُ الْصُّبْـحَ المُبـينَ فَيَطْلُـعُ
فَلَيْسَ لها مِنْ دُوْن صُنْعِـكَ كَاشِـفٌ ... وَلَيْـسَ لَنَـا مِـنْ دُون بَـابكَ مَرْجَـعُ
وإنَّـا ضِعَـافٌ يـاقَويُّ وإنَنَـا ... صَبَرْنَا.. وَلَكِنْ لَيْسَ في القَوْس مَنْزعُ[1]

---

(١) من قصيدة رائعة بعنوان "من وراء الأسوار" ، ديوان جراح وأفراح ، للدكتور حسّان حتحوت (ص٦٠-٦١) .

الباب الثاني

الرؤى النقدية بين النظرية والتطبيق

الفصل الأول

النظرية

المبحث الأول
الأدب الإسلاميّ[١] .. المصطلح والواقع

لعلنا نبتدئ الحديث بمقولة متجدّدة ، أرسلها ـ ولازال يفعل ـ عماد الدين خليل وانطلقت منها رؤاه النقدية ، وفاخر بها في كتاباته وتأصيلاته ، حيث يقول : "هل أقدر من الإسلام على أن يهبنا زاد (النقد) الخصب الثرّ الواضح البيِّن المستقيم ، في دنيا من المعطيات ، اضطربت فيها مسالك السائرين ، وضاعت معالم الطريق .. وجفَّت العيون المتفجّرة ، وراحت لفحات من جهنم تلفح قاطعي الطريق من كل حدب وصوب؟! هل أقدر من رسالة السماء على أن تحدّد مواقع أقدامنا في الأرض وتمنحنا أضواءها الثرَّة الكاشفة ، فنعرف تحت مدّهَا الإلهيّ العجيب مواطن النور والظلام ، ومواقع الحق والباطل ، ومظانّ القبح والجمال؟!"[٢] .

ويلمح في (القرآن الكريم) كتاب هذه الأمة ضبطا لهذه الرؤى فيقول : "لقد فتح القرآن مدرسته الكبرى لتخريج الناقدين .. وكان آباؤنا وأجدادنا أبناء عصرهم وبيئتهم وحضارتهم .. لكنّ القرآن الكريم نفسه لم يكن ، ولن يكون ، وليد عصر أو بيئة أو حضارة .. إنه كلام الله الخالد ، ومدرسته الفذّة التي لن تسدّ أبوابها ـ أبدا ـ على توالي العصور والأزمان"[٣] .

والإسلام حين يفرض هيمنته في قلب المرء ، فإنه يمسك بيده ليهديه ويرشده وهو يقف ممارسا الجهد النقدي "الذي ينصبّ على العمل الإبداعي ، ويفتّت بنيته

---

(١) يذهب الدكتور محمد بن سعد بن حسين ـ ونرى مارآه ـ إلى أن وصف (إسلاميّ) يقصد به النتاج لا الأديب ذاته ؛ بعدا عن الإشكاليات ، وأن الكاتب قد يزل فيتّهم في زلّته لا بالوصف العام .
انظر كتابه "قضايا في الأدب الإسلامي" (ص٣٥-٣٧) ، وانظر تأييد ذلك في : نحو مسرح إسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص٥٠) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٥) .

(٣) المرجع نفسه (ص١٢) .

الداخلية ، وعلاقاته بين الشكل والمضمون .. خلفياته الرؤيوية ، ومكانه من المذهب الذي ينتمي إليه"[١] .

وحين يغوص النقد في شرايين النصوص الأدبية وأوردتها ، وتضئ له الدروب فإنه لايحمل الحقيقة المطلقة ، أو الحقَّ الواحد في إخراج العملية النقدية وإثباتها ، بل يتلبّس بالظنون ، وتظهر فيه الجوانب العلمية القيمة التي يفيد منها القارئ والمطّلع ، والمثقفون عموما[٢] .

وهذا الذي يجعله منضبطا حين يتناول درسا نقديًا يختلف فيه غيره ، وقد يتجنّون عليه فيه ، حيث يعلو ـ وهو بينهم ـ بمنهجه "وبصلابة الأرضية التي يتحرك عليها في سائر أنشطته العملية والمعرفية ، وهو يتلو الآية الكريمة التي تكاد تتحدَّث عن هذه المأساة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾[٣] ، أما هو فإنه ينعم بالهدي الرباني الذي جاءه من السماء : متكاملا شاملا متوازنا"[٤] ويثبت أن سلفنا لهم نظرة جمالية مرتبطة بالثقافة والدين ، وعناصر هذه النظرية متاحة محتاجة إلى بحث وتأليف بين شواهدها[٥] .

ونقف في مسألة (الأدب الإسلامي) مع الناقد الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل عند قضية المصطلح ، وتقويم الواقع ، ثم طرح بعض الرؤى والمقترحات للنهوض والثبات ، ثم نختم ببعض النماذج لذلك .

أما مسألة (المصطلح) ، فإنه يذهب إلى أن (الأدب الإسلامي) يحمل التصوّر الصحيح للفن الذي يلج بابه الأديب المسلم ، ويتميّز به ، ويصبح شعارا له . ويضع تعريفا يرتضيه للأدب الإسلامي ؛ إذ يرى أنه "تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصوّر

---

(١) محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل (ص٣١) .

(٢) انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٦٣) بتصرّف .

(٣) سورة النجم : آية ٢٣ .

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص١٦٤) ، وفي التوازن انظر جميل ماسطّره الدكتور محمد رأفت سعيد في كتابه "التوازن في التصوّر الإسلامي" (ص٥-٥٥) .

(٥) انظر : نحو نظرية للأدب الإسلامي ، د. محمد أحمد حمدون (ص٦٦) .

الإسلامي للوجود"[١] ، وأن التجربة الإسلامية المنبثقة عن التصور الإسلامي داخلة ضمنا في هذا التعريف ؛ ولذا يرى العناصر الأساسية المكونة لهذا المصطلح بارزة في ركنين ، في كليهما عناصر تفريعية .

فالركن الأول : التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة لا بغيرها ، متلبسا بالجماليات الخاصّة المتميزة ، مع قدرة على التأثير البالغ ، وإحداث هزّات تأثيرية فنية في المتلقّين.

أما الركن الثاني فهو التصوّر الإسلامي[٢] للوجود كلِّه ؛ حيث يتمثل الأديب الحياة من حوله برؤيته الشاملة إزاء الكون والحياة والإنسان ، صادرا عن الإسلام بمفاهيمه المتجذّرة في نفس الأديب المسلم طولا وعرضا وعمقا[٣] .

ويؤكّد أن تجاهل هذين الركنين ، أو أحدهما ــ بل فرعياتهما الداخلية ــ يوقع النتاج في موقف بعيد عن دائرة الأدب الإسلامي المرتأى ؛ فقد نجد تصوّرا سليما يعرض بصورة غير فنية ، لجانب من الجوانب التصورية أو السلوكية (التجربة الإسلامية)[٤] ، وهذا لايعده أدبا إسلاميا يشار إليه كما قد نجد عملا ذا معطيات

---

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٦٩) ، وانظر : مجلة الدعوة ، ع(١٦٢٩) (ص٣٩) د. محمد خفاجي .

(٢) يرى الدكتور عبد الصبور السيّد الغندور أن أدب صدر الإسلام بتصوّره ، باكورة (الأدب الإسلامي) المراد اليوم ، وأنه أمثلة لتكيّف الأديب المسلم في إبداعه مع التصوّر السليم .
انظر : نحو أدب إسلامي ، إصدار كلية الدعوة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٨هـ (ص٢٥) ، و(الأدب الإسلامي) منبثق عن أمة مسلمة ، وسّدها الله ريادة البشرية وقيادها .
انظر : في الأدب الإسلامي تجارب ومواقف ، د. محمد عادل الهاشمي (ص٩) .
وممن مثل للأدب الإسلامي في التراث القديم الدكتور أحمد محمد قدّور . انظر : المختار من الأدب الإسلامي (ص٥) .

(٣) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص٦٩) .

(٤) يفرق الدكتور علي علي صبح بين (التجربة) في المفهوم الإسلامي وفي غيره بثلاثة فروق جيدة.
انظر : الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، د. علي علي صبح وآخران (ص١٢-١٤) .
وانظر رسالة الأديب المسلم في صدق تجربته : النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء ، د.عدنان النحوي (ص٥٣-٧٠) ، وتجربتي الذاتية في القصة الإسلامية ، د. نجيب الكيلاني (ص٧) .

جمالية قديرة بريشة وغيرها ، مما قد يعدُّ ــ في صورته تلك ــ فنًّا إسلاميًّا لا أدبا إسلاميا ؛ حيث اشتراط الكلمة ونحن واجدون كذلك قدرة جمالية ظاهرة ، تنطلق من مظانّ إسلامية لكنها لاتلبس لبوس التأثير والتوصيل ، بل هو زخرف من القول.

فلابد ـ والأمر كذلك ـ من تحقّق الركنين ــ مع توافر العناصر التفريعية الأخرى ، فلابد ـ كذلك ـ من قدرة مبدعة ونقاء في التصوّر الإسلامي الأصيل[١] .

والصوت الإسلامي ذو قدرة على الوصول إلى طبقات المجتمع وتثبيت رؤاه من خلال صدق طرحه ، وجمال لَبُوسه ، إنْ هو أخذ بهذين الركنين المهمين .

وهذا هو الوضع الطبعيّ الذي يراه كلّ منصف .. أما من يستبطنون عداء هذا الدين ابتداء ، فإنهم لايطيقون طيّ دفين حقدهم وشَرَقهم بتصوّراته المتميزة ، ويرونها جسورا إلى الفراغ ، وقيودا أمام أبواب الحرية المشرعة ينطلقون من كراهية كلّ مايمس الدين وأهله .. ولو خرج نتاجهم بديباجة يعجب بها بنو قومي ؛ فإن انحراف تصوّراتهم[٢] يلغي اعتبارها أدبا منضبطا بميزان الإسلامية ، ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣] .

ويسير على هذا كثيرون ممن يسمّون أنفسهم "التقدّميين" وهم يبدون إعجابهم برجال وقفوا مع الاستعمار ضد الحرية ، ومع العدوّ ضد الأخ ، ومع

---

(١) انظر : المرجع السابق (ص٦٩-٧٠) .

(٢) عند من يرى نتاج غير المسلمين داخلا في دائرة الاعتبار حين يوافق التصور الإسلامي فإنه لايعدّ ـ في الميزان الصحيح ـ غيره من الأدب المسفّ ، إلا انحرافا شديدا حين لايحمل خصائص الموضوعية المتوخاة ، على نحو ماصنع (فولتير) في مسرحية "محمد" حين صوّر قلمه رسول الهدى ﷺ راعيا للإبل ، صاحب ثورة ، (يزعم!) أنه كلّم جبريل ، وأمره بقتل الرجال وخطف النساء ، وأنه يفعل ذلك متجنّيا على الله ، تعالى الله عما يقول فولتير علوا كبيرا ، وصلى الله على من من الله علينا برسالته وأمانته .
بقي أن نعلم أنه قدّمها هدية إلى (البابا) حيث ركع أمامه مقبّلا قدميه الكريمتين و لم يحرك هذا (جاك جان روسو) ـ وهو ينتقد أعمال فولتير وإبداعاته!! ــ إلى أن يبرز هذه المغالطات ، والطيور على أشكالها تقع .
انظر للاستزادة : حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص٦٣-٦٩) ، مقال "العقدة السوداء" .

(٣) سورة الملك : آية ٢٢ .

الغزو الفكري ضد الأصالة ، وتراهم مترددين في توجيه لوم هادئ للمواقف السلبية الخاطئة التي ارتضاها أربابهم وسادتهم[١] .

ويشير عماد الدين إلى أنه "قد يكسب المفكر الجولة ، وقد يلتفّ حوله المريدون والأتباع ، وقد يوحي لفترة طويلة من الزمن أنه وضع يديه على مفاتيح الحقيقة ، وأنه سبر غورها العميق ، ولكن الخاسر في هذه اللعبة ... هو الحقيقة ، والإنسان الذي يتوخّى معرفتها وإدراكها في نهاية الأمر"[٢] .

وهؤلاء حين يرتضون هذه الغشاوة على قلوبهم وأعينهم ؛ فإنهم يسيرون بلا هدى :

"مَشَوْا يَعْبُرُونَ الظِّلالْ
بلا فكرةٍ أو حَنينْ ..
بلا خفقةٍ من فؤادْ
ولانفثةٍ من جوى العاشقين
سوى خفقةِ الموت عند الرُّقَادْ
وإيماءةِ الذابلينْ ..." [٣]

ويرّد على هؤلاء الذين لايرون مشاركة الإسلام في الأدب ، وفرض هيمنته عليه وفقا لمسلّمة كونه مسلكا يسلكه الأديب (المسلم) الذي يجب أن يصطبغ توجّهه وحركته وفق منهج الإسلام في كلّ مجال .. بما نعلمه عن "توازن الإسلام ووسطيته ، قيمه الأخلاقية ، ثم رؤيته الشمولية وقدرته على منح المغزى لمسيرة الحياة البشرية في هذا العالم"[٤] .

---

(١) انظر مثالا على هذا كلّه في : الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٢٠-٢١) .
(٢) حوار في المعمار الكوني (ص١٠٤) .
(٣) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص١٤٠) .
(٤) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٧) .

ويؤكد قدرة الإسلام على صد الهجمات ، وتأكيد الصبغة الإسلامية للمعطيات الثقافية المتنوعة خلال كل بيئة[١] .

ويشير إلى تفرّد المنهج الإسلامي في النظرة ، في كيفية تعامله مع الأدب اليوناني وكيف كانت المناهج الأخرى تحاول المقاربة معه ، وبيان الوجه الحسن منه فحسب!

أما المنهج الإسلامي فقد أدان الأدب اليوناني من حيث البنية "الميثولوجية" ، وكشف خلفياته الفكرية ، "ووضع يديه ـ إبتداء ـ على الشرخ الذي يعاني منه هذا الأدب فيضعه موضعه الحق باعتباره نقيضا لرؤية الإسلام التوحيدية .. وهكذا تتشكل المجالات التي يمكن أن تعكس الفاعلية المتميزة للمنهج الإسلامي"[٢] .

وهؤلاء الذين ينكرون هذا التميز ، ويقللون من شأنه تتساقط دعاواهم ـــ في نظره ـ ويتحدث عن حالهم قائلا : "فليقولوا في الإسلام والإسلاميين مايشاؤون أن يقولوا ـ ومرة أخرى ـ فإنه لايصح إلا الصحيح . ولطالما تساقطت مئات الشبهات الباطلة وألوفها وطاشت سهامها ذات اليمين وذات الشمال دون أن تصيب من الحقيقة الإسلامية مقتلا ، بل على العكس مازادتها إلا صلابة وتفوقا"[٣] .

ويرى أن تشكّل حركة الأدب الإسلامي بعدما يقرب من الأربعين عاما ، بعدصياغة الرواد الأوائل لها ، صار ظاهرا في النبع الذي أصبح يتدفق خصبا وعطاء[٤] ، وأنه واعد بالمزيد من ذلك ، وقد صار له حضوره المتميز ، عبر صور عديدة ، من المقالات والكتب ، والدراسات والبحوث ، وعبر سياقات إبداعية

---

(١) المرجع السابق (ص١٦) ، وذكر نحوه في (ص١٧،١٨،٣٧-٣٨،٥١،٨١-٨٢،١٠١) .
وانظر نماذج الشعر والنثر في كتاب "الأدب الإسلامي عبر العصور" ، د. محمد بن سعد بن حسين (ص٣٢) ومابعدها . وماهذا إلا لوضوح الغايات والأهداف . انظر : مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي ، عباس المناصرة (ص٢٢) .

(٢) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٥٩) .

(٣) المرجع نفسه (ص٩٨) .

(٤) أقيمت أول ندوة عالمية في الأدب الإسلامي عام ١٤٠١هـ في دار العلوم ، ندوة العلماء ، ثم أقبلت الجامعات الإسلامية باهتماماتها المتتابعة .
انظر : أدب الصحوة الإسلامية ، واضح رشيد الندوي (ص٩) .

مختلفة كذلك[١] ، كما قدر هذا التوجه على تفعيل آليات الانتشار بقنواته المتعددة إذاعيا و"تلفازيا" وعبر شريط التسجيل الصوتي والمرئي ،ومن خلال المجلة والصحيفة والندوة والمؤتمر ، بل من خلال جدار الأكاديمية الذي اخترقه بإنجازات جيدة مبدعة[٢] .

"وبمرور الوقت أخذ الأصدقاء والخصوم معا ، ممن كانوا لايعترفون بشئ اسمه (أدب إسلامي) "معاصر" يسلمون به على مضض أو بقوة الاقتناع ، ويقبلون تمثيله وحضوره في هذا المجال أو ذاك من مجالات الدراسة والبحث والخطاب"[٣] .

ويرى عماد الدين خليل أن هذه الحركة "تجد نفسها أيضا إزاء تحديات ثقافية ومذهبية قادته من مشارق الأرض ومغاربها .. معنى هذا أن عليها أن تعرف تماما ما الذي يجري .. أن تعاينه وتخبره جيدا من أجل أن تضعه في مكانه المناسب من خارطة المذهبية الإسلامية قربا أو بعدا .. وبهذا وحده تتحمل مسؤوليتها إزاء أجيال القراء والأدباء الإسلاميين من خلال التأشير ، والتصنيف ، والمقارنة ، ورسم معالم الطريق"[٤] .

ويطلب في حياته ـ دوما ـ أديبا يتمثل ذلك ، يسمع منه كلمات ، أو يُسمعه كلمات ؛ لأنه "بالفن الأصيل يتحرك الإيمان في الأعماق[٥] .. وبه يتلاشى التكرار الرهيب بكل سخفه وعبثه ، وتتفتح أمام الإنسان عوالم رائعة بلا حدود"[٦] .

---

(١) قد يكون بعض سياقات هذا الإبداع ضعيفا ، كالمسرح ـ مثلا ـ . انظر في هذا : نحو مسرح إسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص١٨-٥٥) .

(٢) لاينكر منصف الدور الريادي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في هذا الأمر وخاصة ماكان يوليه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ـ رحمه الله ـ من الإشراف على الرسائل وتأليف الكتب وتبنّي مشاريع الأدب الإسلامي في جامعة دمشق وجامعة الإمام ـ الباحث ـ .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر : وقفة لمراجعة الحساب ، د. عماد الدين خليل (ص١).

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص٦) .

(٥) ماأجمل انطلاق الدكتور عبد الباسط بدر في بيان (التصوّر الإسلامي) من آي القرآن الكريم . انظر : قضايا أدبية .. رؤية إسلامية ، د. عبد الباسط بدر (ص٣٦-٣٩) .

(٦) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٩٧) .

ووفق هذا التصور الإسلامي في (الأدب) مجالا من مجالات التفكير والإبداع والثقافة يرى لزاما أن يكون الباحث فيه فقيها ـ بالمعنى اللغوي ـ بمقاصد الشريعة وثوابتها ليكون نتاجه موافقا التصور الإسلامي الصحيح ، وليس فقيها ـ بالمعنى الاصطلاحي ـ "وإلا لحكمنا بالإعدام على أربعة أخماس المكتبة الإسلامية المعاصرة"[١] .

ومن هذه التحدّيات التي واجهها الأدب الإسلامي الجناية على الإسلام بدعوى وجوب عدم الزجّ به في ميدان ليس ميدانه! وينسى هؤلاء أن الأدب قَدَر ، ومن ولج بابه وجب عليه أن لاينسى المنهج الذي أخذه على نفسه .. أن تكون حركات لسانه مضبوطة متابعة ومادام أنه يتفيأ ظلال منهجه ؛ فإنه سيقرّ عينا بانطلاقاته ، حيث طرائق التعبير مشرعة بين يديه ، و"المسلم ، إذ يعيش كل أبعاد تجربته .. يخوض بحارها .. يعبر أنهارها .. يطير في سماواتها .. يعاني ثقل طينها وترابها .. يسمو إلى آفاقها .. يحث الخطى إلى مشارفها في الأمداء البعيدة .. البعيدة .. المسلم ، إذ يجتاز تجارب التمحيص والخوف والإرهاب ، ويندمج في ليالي الدهشة والتبتّل والشوق ، ويعيش ساعات الحب واللوعة والحنين ، ويذوب في لحظات التأمل في حقائق الكون وروعته وجماله ... يغدو ـ من حيث لم يتكلّف أن يغدو ـ فنانا أديبا ناقدا .. وكل مايصدر عنه ، إبداعا أو نقدا ، إنما يصدر عن بحر تجربته الإسلامية"[٢] .

ويرى أنه أدب متميز[٣] ، وجسر ممدود للمطالبة بنقد متميز ، يتجاوز خداع النقد (الإعلامي) وأضاليله .. التي تستهدف "(الدعاية) للأصدقاء و(الإعلان) عن أعمالهم و(ترويجها) في السوق ، على حساب العلمية والموضوعية"[٤] .

---

(١) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص١١٩) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٧) .

(٣) نعجب ـ وهذا زمن العجب ـ من تكرار مقولات فكرية موتورة ، كقول غالي شكري : "إن العرب عاشوا أكثر من عشرة قرون (أي فترة الإسلام) في موات حضاري!" .
انظر : مسلمون لانخجل ، د. حلمي القاعود (ص٩٠) .

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٧) .

لكنه يرى أن القراء وجدوا (الكتاب الإسلامي) قد قال قولته ، "بشهادة الناشرين والموزعين وأصحاب المكتبات ومنظمي المعارض المحلية والدولية"[١] .

وحول مصطلح الأدب الإسلامي فإن الخطوة ـ حسب نظر عماد الدين ـ تكشف تصوره المتميز والسعي الظاهر لتهيئة بلورة المنهج المتفرد الأصيل دراسة ونقدا ، وتنظيرا وإبداعا ، ويعلن أن (الأدب الإسلامي) يتجاوز فاصل الزمن ، ولاتوصف لحظاته أو تحدد بفترة زمنية معينة ، بل تتجه صوب الرؤية الإسلامية المتوازنة ، على اختلاف الأشكال المتاحة ، والاستخدامات المتنوعة "ويبقى النهر واحدا ، متفرِّدا في اسمه ، ومجراه .. في منابعه ومصائره على السواء"[٢] .

ويؤكد ذلك بقوله "فالأدب الإسلامي في بنيته التعبيرية هو كأي أدب في العالم لابد أن ينطوي على طبقتين أساسيتين هما : المعنى الذي يراد التعبير عن مكنوناته ، والتقنيات الجمالية[٣] التي تمكّنه من الوصول إلى الطرف الآخر بأكبر قدر من التوتر والفاعلية والجمالية والتأثير"[٤] .

ويقف غير مستبعد نتاج غير العربي ، إذا وافق التصور الإسلامي ؛ حيث يرى أن الرضا القائل باشتراط العربية في النتاج الأدبي يقصي كثيرين من دائرة الأدب الإسلامي ، رغم أن نتاجهم ـ أو بعضه في الأقل ـ قد يقارب شرائط (الإسلامية) بدرجة أكبر من غيره مما كتب بالعربية[٥] .

والرؤية الإسلامية للكون والحياة والإنسان[٦] "رؤية تبدأ انقلابها هذا في صميم الإنسان .. في عقله وقلبه وروحه ووجدانه وغرائزه وميوله ونوازعه لكي

---

(١) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٢-١٥٣) .

(٣) إن نظرية (الأدب الإسلامي) تحمي القيم الفنية للنتاج . انظر : مقدّمة لنظرية الأدب الإسلامي د. عبد الباسط بدر (ص٤٨) .

(٤) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٥) .

(٥) انظر : المرجع نفسه (ص١٥٥-١٥٦) ، وريبورتاج (ص١٣) وفيه ضرب مثالا بالشاعر (إقبال) .

(٦) يعدّ الأستاذ محمد قطب من أوائل من قدّم تعريفا ملائما للأدب الإسلامي . انظر : في الأدب والأدب الإسلامي ، محمد الحسناوي (ص٢١٧-٢٢٦) .

تصوغه إنسانا جديدا ، قديرا على تحقيق التغيير المطلوب في بنية العالم وصيرورة الحركة التاريخية"[١] .

وهذا ماجعله يتساءل عن تأويل عدم انعكاس الرؤية الإسلامية المتميزة بهذه الخصائص ، في معطيات أسلافنا الأدبية التعبيرية ، في كثير من أطرافها[٢] .

وحين ينظر الناظر في أهمية التوجه عبر مسار الإسلامية في الأدب ، فإنه سيلغي ذلك ظاهرا حين يتناول وظيفة هذا الأدب في الحياة ، وقد قدَّم في هذه القضية ورقة عمل قرأها في مؤتمر الأدب الإسلامي المنعقد في المدينة النبوية ــ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ في رحاب الجامعة الإسلامية تحت عنوان "ندوة حوار حول الأدب الإسلامي" في مرتين متتابعتين : (١٤٠١-١٤٠٢هـ)[٣] ، وكان عنوان ورقته : "وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي" ويرى أنه "ليس أدبا أو فنا ذلك الذي يتشبث بالجمال وحده . ليس أدبا أو فنا ذلك الذي يعتمد على التأثير وحده"[٤] .

ويراها وظيفة حيوية خطيرة! كيف لا ، وقد جعل القرآن الكلمة مؤثرة جمالا ومضمونا؟!

ويجمل المجالات التي يقدِّمها هذا التصوُّر الصحيح للأدب ودوره في المجالات الوظيفية الآتية[٥] :

---

(١) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٩) .

(٢) انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها ، وقد أجاب عن هذا في (ص٩-٤١) مما سيأتي معنا في مبحث "الالتزام موقف الأديب" إن شاء الله .

(٣) انظر : مجلة (الوعي الإسلامي) ، س(١٨) ، ع(٢١٤) (ص٧٧) .

(٤) مؤتمر الأدب الإسلامي ، بحث الدكتور عماد الدين خليل (ص١) ، وهو مصوّر تحصلت عليه ضمن أوراق العمل الأخرى ــ كذلك ــ ، وقد ذكرها في مجلّة الأمة ، عدد ربيع الآخر ١٤٠٣هـ (ص٨) .

(٥) وانظر المبحث الرائع للدكتور عبد الحميد بوزوينة في كتابه : نظرية الأدب في ضوء الإسلام (١/١٢٧-١٤٢) ، وكتاب "من بدائع الأدب الإسلامي" ، د. محمد بن سعد الدبل (ص٨-١٦) .

(العقائدية) بتوصيل الرؤية الإسلامية الصحيحة للكون والإنسان والحياة والأدب من المراكب التي يصل بها الدين إلى نفوس الناس وألبابهم .

و(السياسية) ـ إن صح التعبير ـــ ، بالتوحّد الإنساني تجاه الرؤية والتجربة فيجمع ليدعو وينشر منهجه بذكر آلام الناس وآمالهم ، بالكلمات الصادقة ، والهتافات المنادية بالحق في كلّ زمان ومكان .

و(الاجتماعية) [١] تكون بحماية ماتبقّى من الوشائج والعلاقات بين الناس ، ومحاولة إعادة الناس من انسلاخهم ومروقهم ، ودعوتهم إلى ممارسة الدور المطلوب المنوط بهم .

و(النفسية) بطرد التشاؤم والهزائم النفسية المتجذرة في النفوس ، وضبط الضغوط الداخلية والخارجية ، بيانا ومقاومة ، ومحاولة كشف معاناة المسلمين وتصعيد هذه الآلام إلى طاقات إبداعية فاعلة .

و(التاريخية) أو (التوثيقية) بتصوير وتحليل التجارب والأحداث بلغة قديرة خاصّة .

و(المنهجية) بالتوازن المنهجي حال الطرح ، جمعا بين أهمية المضمون وطريقة أدائه وإيصاله ، وفتح آفاق جديدة للإبداع والطرح .

و(التربوية) الأخلاقية المنضبطة ، وتنمية حسّ الجمال في النفوس ، والنقاء الروحي [٢] .

ولاريب فإن للإسلام تميزه في النظر ، "ويجد المرء نفسه مضطرا للمقارنة بين النظريات الوضعية التي تقوم على الأهواء والظنون فترتطم بالواقع والتاريخ والإنسان وبين العقيدة الإسلامية القائمة على العلم الإلهي الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، والذي يعرف كيف يتطابق بإعجاز مع الواقع والتاريخ والإنسان فلايكون ثمة تراجع أو ارتطام" [٣] .

---

(١) في شئ من نماذج ذلك ، انظر : وصايا إسلامية في أدب الذرية ، د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي (ص١٣-٥٩) .

(٢) انظر : مؤتمر الأدب الإلاسمي ، د. عماد الدين خليل (ص٣-١٥) ، وانظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، له (ص١٧٢-١٨٤) .

(٣) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص٥١) ، وانظر (ص٥٧،١٠٣،١٥٤) .

وإن "شرف الإنسان ماكان يمكن أن يكون لولا القيم المتألّقة التي صنعها الإسلام"[١] .

وحين نادى عماد الدين إلى نظرية (الأدب الإسلامي)[٢] جعل مناداته مدخلا وحافزا لأعمال أخرى ، تناول فيها تحليلا للأسس الجمالية واستعراضا لعناصر العمل الأدبي الإسلامي[٣] وقارنها بالمذاهب الأخرى على مستويي الشكل والمضمون ، وضرب لذلك نماذج من هنا وهناك قديما وحديثا ، جعل من هذه الخطوات سبيلا إلى غرس هذه القضية ابتداء ، بعد مجاوزة حدّ الرفض المسبق من فئات تتنكّر لأصالتها وتراثها ، وتريد لبوسا آخر غير لبوسها!

وحين سئل عن (المصطلح) أجاب أن إطلاقه جامع بين التاريخية والمعاصرة ، فالأولى لما فيه من التجذّر في معطيات التراث الخصب ، والثانية باتفاق الدعوة إلى التنظير مع جانب كبير لايستهان به من النقد والدراسة ، ويجتمع مع هذين ، أن التقاء مفردات إبداعية في نصٍّ ما برؤية إسلامية منضبطة ، كفيل برفادة الأدب الإسلامي[٤] ؛ولهذا يرى تناغم النصّ في مسرحية (مركب بلا صياد) للكاتب الأسباني (اليخاندرو كاسونا) مع حشد من القيم والرؤى الإيمانية[٥] ، والحكمة ضالة المؤمن .

وقد دارت هذه المسألة خلافية بين جملة من النقاد ، بين مؤيد مطلقا ورافض مطلقا ، ومتوسِّط ، ولعلّ الطرف الثالث ممسك بالصواب ـ حسب ظنِّنا ـ ؛ وذلك لأن من أطلق التأييد توسع ووقع في أسر هذا القبول المطلق ، أما من أدار ظهره لمثل هذه الرفادة والالتقاء المتجانس ، فإنه قد حمل دائرة الأدب الإسلامي على أن تضيق مفقدا إياها نماذج جيدة معتبرة .

---

(١) المرجع السابق (ص١٤٢) .

(٢) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ـ على سبيل المثال ـ (ص٦) .

(٣) وانظر ـ في ذلك ـ : في الأدب الإسلامي ، د. محمود شاكر سعيد (ص٢٣-٧٤) .

(٤) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٧-٨) .

(٥) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

أما من توسط ، فقد أفاد مع ضبط وتوازن .. إلا إننا نأمل منه أن يحتفظ بذلك النموذج في الدائرة بلا توسع ؛ حتى إذا صدر نموذج منها لأحد الأدباء الذين انحرف كثير نتاجهم أبقى رؤيته ثابتة عن هذا الأديب ، وعن حجم الفجوة الفكرية لديه ، وهذا لايمنع أن يستأنس بانضمام نتاجه إلى الدائرة[١] .

ويرى بعض الباحثين أن للأدب الإسلامي جانبين ، أحدهما خاص ، والآخر عام . ويلحق بالخاص ماارتبط بالإسلام عقيدة وتصوّرا وعاطفة ، ويرى العام في التراث العربي القديم والتراث العالمي المشترك ، المتوافق في نظراته ، المتنوع في أساليبه[٢] .

ويعجب أحد الأدباء من (أحدهم) حين قال في مؤتمر ومهرجان شعري : إذا قلنا الأدب الإسلامي ، فكيف نعبِّر عن الوردة الجميلة والمنظر الطبيعي الخلاب؟ وعبّر هذا الأديب عن هذا الموقف ، بأنه "التصور الناقص والفهم الكسيح لمعنى اصطلاح الأدب الإسلامي"[٣] .

بهذا نعلم أن حصر التعريف بما كتب بالعربية نقص "ولايستطيع عاقل منصف أن يقول إن أدب اليسار العربي أدب إسلامي . أو يقول إن أدب القومية

---

(١) ممن أسند هذا التوسّط وارتآه الأستاذ محمد قطب في كتابه "منهج الفن الإسلامي" حيث استشهد بشئ من نتاج (طاغور) و(إقبال) وغيرهما . انظر (ص١٨٤-١٩٢،١٩٩-٢٠٢) فقال عن إقبال متوسّطا : "وهو في معظم حالاته يعبر عن تصوّر مسلم ، وإنْ شاب هذا التصور أحيانا أخلاطٌ من تصوّرات صوفية هندية وغير هندية ، تخرج به قليلا أو كثيرا عن التصوّر المستقيم للإسلام" انظر (ص١٨٤) ، وقال عن طاغور : "ليس مسلما بطبيعة الحال! والطابع الهندوكي واضح فيه شديد الوضوح" انظر (ص١٨٩) وذكر أنه لايلتقي في نقاط مع المنهج الإسلامي ، لكنه لايخرج تماما من دائرته . انظر (ص٢٠٠) ، وارتضى أن يُذكر مع ذكر المنهج الإسلامي في جدود هذا الالتقاء ، وهذا توسّط جيد . وقد أيّد هذا عماد الدين . انظر مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص٢١٣-٢١٤،٢١٩) .
وللاطلاع على نتاج طاغور انظر : أغان وأشعار ، طاغور ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، قصيدة "عالم الحشرة" (ص١٢١) وغيرها .

(٢) انظر : مدخل إلى الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص٢١-٢٢) .

(٣) مجلة البيان ، ع(٥٩) ، رجب ١٤١٣هـ (ص٥٢) ، مقال د. عبد الرحمن العشماوي .

العربية بمفهومها الضيق أدب إسلامي ، بحجة أنه كتب بالعربية"[١] .

ومن زعم ضيق أفق دعاة الأدب الإسلامي ، وأنهم يحلّلون ويحرمون ، فقد طغى وبغى ، ولم يتحل النَّصَف ، "والأدب الإسلامي لايملك قرار مصادرة الآداب الأخرى ... وإنما هو منهج واضح ، يرسم أمام الأجيال المسلمة طريقا أدبيًّا سليما حتى لايتخبطوا في طرق الآداب المنحرفة عن منهج الإسلام"[٢] .

وكل أدب يتبنى فكرة ومنهجا في النظر يستقل به ؛ فإنه ينسب إلى هذه الفكرة[٣] .

والأديب المسلم تنبثق كلماته من خلال رؤيته الواضحة ، ونَفْسه المستقرّة كما يظهر لنا ـ مثلا ـ (الأدب الإسرائيلي) ، "فحين ينتسب هذا الأدب إلى ديانة كتابه ، فإنه يصبح (أدبا يهوديا) ومثل هذه التسمية لاتكون مقبولة ، لأننا سنجد كتّابا يعتنقون الديانة اليهودية ، في معظم بلدان العالم ، لكن أدبهم لايحمل من ملامح هذه الديانة إلا بمقدار ماالتصق بثقافتهم من تراثها"[٤] ، وهذا صحيح .

وفي ختام قضية المصطلح إثباتا وردًّا و(ماهيّة) يقول عماد الدين : "فات الأوان على منكري الأدب الإسلامي ومأكثرهم!! وسُحب البساط ، كما يقول المثل ، من تحت أقدامهم بعد إذ أصبحت لهذا الأدب مكتبة غنية ببحوثها ودراساتها ومؤلّفاتها وأعمالها الإبداعية والنقدية والتنظيرية ، وبعد إذ أصبحت له دوريات وصحف متخصّصة تنطق باسمه ، ومؤسسات تتابع همومه"[٥] .

ويرى أنه من (الجدل العقيم) أن تطرح مسألة عدم وجوب تسمية (الأدب الإسلامي) حيث يقول أصحاب هذا الرأي : إن هذا تحصيل حاصل!!

---

(١) المرجع السابق (ص٥٤) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) ومن هذا استقلال (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) بتوجّهها المتميّز ، الذي تحافظ عليه ثابتة في الأهداف المرسومة لها ابتداء واستمرارا .
انظر : تعريف برابطة الأدب الإسلامي العالمية (ص٦-١٧) ، وانظر : مقدّمة في دراسة الأدب الإسلامي ، د. مصطفى عليان (ص١٢-١٣) .

(٤) صورة العربي في الأدب الإسرائيلي ، وليد أبو بكر (ص٣) .

(٥) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (ص١٠٣) .

ولايميل إلى اعتبار الموروث الأدبي العربي بجملته أدبا إسلاميا ؛ فالانحراف فيه ظاهر[١] ويحكي دوافع ذلك فيقول : "الدوافع كثيرة ، بعضها جاد يبحث عن الحق ولعله يفيء إليه بعد إذ يجد نفسه قبالة الوقائع المؤكدة ، وأكثرها عابث خبيث يتذرَّع بهذه الحجة أو تلك لتأكيد الانفصال بين الإسلام والحياة ، حينا عن طريق التشكيك بارتباطه بالعلم ، وحينا عن طريق فكّ الارتباط بينه وبين الإبداع .. وهكذا .

والمهم أن قطار الأدب الإسلامي ماض إلى هدفه ، وقد اجتاز عبر العقود الثلاثة الأخيرة محطات عديدة ، وماسيتحقق في المستقبل القريب ـ بإذن الله ـ أكثر مما تحقق فعلا"[٢] .

ولعل مايقال في درجة خصوصية الأدب الإسلامية ، يقال في (النقد الإسلامي) وقد قطع فيه النقّاد الإسلاميّون أشواطا طيبة من خلال حلقتي التنظير والتطبيق . فالحشود الهائلة من المحاولات ـ على تنوّعها ـ تبين ذلك وتكشفه دون أن ننسى الحاجة إلى زيادة في الكمية والنوعية[٣] .

ولهذا يوصي بعدم الخلود إلى (الأمن الكامل) من اعتقاد القيام بخطوات (الأدب الإسلامي) كلّها ؛ لأن هذا الشعور ربمّا "يقود إلى نوع من الشلل والاسترخاء ولابد من أجل تجاوزه من الاعتقاد بأننا لازلنا على خط البداية وأن علينا أن نعمل الكثير من أجل التحسين والتعميق والإنضاج"[٤] .

والدكتور عماد الدين خليل ممن خطا إلى وضع بعض الملحوظات والتقويم لكل ماهو داخل في دائرة (الأدب الإسلامي) في صورته العامة[٥] .

---

(١) انظر : المرجع السابق (ص١٠٤) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) انظر : نفسه .

(٤) المرجع نفسه (ص١٩) .

(٥) من علامات الإجادة في مسلك الإنسان نقده الذاتي لنفسه ومايدور حوله .
انظر : سلبيات يجب أن تختفي من حياة الإسلاميين ، د. محمد علي الهاشمي (ص٢٣) ، وانظر رحلتي مع الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص٢١٠-٢١٢) .
ولاداعي لأن نناقش كثيرا مما أخذه محمد حسن بريغش على د. عماد الدين ، ففيه نوع من المجابهة والهجوم الشديد وتحميل الكلام ـ الذي قد يؤخذ عليه عمومه أحيانا كثيرة ـ مالا يحتمل . انظر مثلا : الأدب الإسلامي ، أصوله وسماته (ص٧٩-٨٠) .

وهي ـ في نظره ـ من المسؤوليات المهمة ، بالتوقف بين الحين والحين "لمراجعة الحساب وممارسة النقد الذاتي وتحديد المناقص والثغرات ثم مواصلة المسير بأكبر قدر ممكن من شروط الإتقان والإحسان من أجل التمكين لهذا الأدب في الأرض وإقناع "الآخر" بأنه أدب يستحق التقدير والاستمرار"[١] .

ومن هذه الوقفات مع حركة (الأدب الإسلامي) ملاحظة قلّة نتاج الكتاب الإسلاميين في أنواع أدبية غير الشعر .

ولئن كان الشعر تنفيسا عن الشعور و"محاولة ضرورية للمقاومة .. للدفاع عن الذات .. لاستعادة المواقع الجميلة الضائعة .. ولفتح ثغرة في جدار المادية الكالح"[٢] ؛ فإن هذا التنفيس يمكن أن يكون عبر بوابات أخرى ، منها ماعدّه بوابة غير مشرعة بتمام .. ألا وهي بوّابة (أدب الرحلات) [٣] ، إذْ يراه لونا "من الأدب ينتظر المزيد في زمن تشهد فيه حركة الأدب الإسلامي المعاصر تدفّقا في تياراتها الخصبة"[٤] .

وكذلك يرى غياب كثرة نماذج (السيرة الذاتية) في حركة الأدب الإسلامي نتاجا إبداعيا ، ورؤى نقدية .. فالملاحظ أن الشعر والقصة القصيرة ـ نوعا ما ـ والمقالة ، أنواع تطغى على الرواية والمسرحية والسيرة الذاتية[٥] .

فلا توازن في حقيقة الأمر بين خطّي (الإبداع) و(النقد) عند المنادين إلى (الأدب الإسلامي) السائرين تحت رايته[٦] ، وإن كانت بعض المجالات الفقيرة السابقة لاتشهد جدبا كاملا ، ولكنه شبه تصحّر ـ إن صحت العبارة ـ .

---

(١) حول حركة الأدب الإسلامي ، ورقة عمل ، د. عماد الدين خليل (ص١) .

(٢) ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٦٨) .

(٣) انظر : لقاء الأردن (ص٢٤) ، ونظرات في الأدب ، أبو الحسن الندوي (ص٦٣-٦٧) .

(٤) من أدب الرحلات ، د. عماد الدين خليل (ص٤) .

(٥) انظر : حول حركة الأدب الإسلامي (ص٢٠) .

(٦) انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٥) .

ولئن كان ثمة انفجار كمّيّ في الساحة (الإسلامية) المعاصرة ، ونقلات نوعية (رؤيوية) [١] ؛ فإنه بحاجة إلى توجيه تنوُّعي ، يجذب إلى صحة التوجّه وسلامة الفكر مجالات كثيرة من مجالات الإبداع المختلفة ؛ ليصلها الصوت النقي .

وهذا البيان مما يخدم الوجهة الإعلامية للأدب الإسلامي ، وفي هذا يقول عماد الدين : "هذا الدليل يأتي تأكيدا إحصائيا منظورا على حضور الأدب الإسلامي بمواجهة ، أو مع ، الآداب الأخرى في عصر صراع المذاهب والمبادئ والمعتقدات بكافة واجهاتها وصيغها الفكرية والأدبية .

يأتي ـ أيضا ـ استجابة لتحدِّي الصمت والإنكار والحصار القاسي .. يكسر بمنطق الأرقام تخمينات الخصوم وترّهاتهم وأوهامهم في أنه ليس ثمة من أدب إسلامي في الساحة"[٢] .

وحين يطلب هذا التوازن ؛ فإنه يطلب لسوية النشاط الأدبي الإسلامي ونموه ومقابلة تحديات التنوّع والتكامل .

بل يدعو إليه في مستويات النقد وتطبيقه ، فيقول : "ليس من المعقول أن يصدر في العام الواحد ـ على سبيل المثال ـ ثلاثون أو أربعون ديوانا شعريا على مدى عالم الإسلام ، ولاتشهد أسواق الكتاب قبالتها سوى رواية واحدة أو اثنتين .. وليس من المعقول ـ كذلك ـ أن يصدر في العالم نفسه سيل من الدراسات الأدبية ، في الوقت الذي يشحّ فيه النقد التطبيقي ، فلا يقدر على تحقيق الحد الأدنى من التغطية الضرورية للنشاط الإبداعي"[٣] .

---

(١) يشير الدكتور عماد الدين خليل دوما في التدليل على هذا التوسّع الكمّي بالاستشهاد بدليل الدراسة والنقد الذي أعدّه الأستاذ الدكتور عبد الباسط بدر من "دليل مكتبة الأدب الإسلامي" ، الذي حوى نتاج كثير من الإسلاميين .. وقد أفرد لهذا الدليل دراسة جيدة وعرضا متميزا في فصل "قراءات نقدية في أعمال إبداعية" في كتابه الذي لايزال مخطوطا "حول استراتيجية الأدب الإسلامي" (ص١٧٢-١٧٥) ، كما يشير فيه إلى محاولة قبل هذه للأستاذ محمد الحسناوي في مجلة حضارة الإسلام .

(٢) المرجع نفسه (ص١٧٢) ، وانظر : تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر ، له (ص٤٢) ، وحول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص١٣) .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٩) .

فدعوته إلى التنوع دعوة ـ في الطرف الآخر ـ إلى التوازن ، في مستويي (النشاط الدراسي التنظيري والنقدي) و(النشاط الإبداعي) ، بل هي دعوة إلى التوازن داخل دائرة كلّ مستوى ؛ إذ يلاحظ طغيان الدراسة الأدبية ودراسة تاريخ الأدب والتنظير على النقد التطبيقي والأدب المقارن!

وفي المستوى الثاني ، يلاحظ ـ كذلك ـ طغيان الشعر والقصة القصيرة والمقالة على غيرها من نماذج الإبداع ـ كما أسلفنا ـ[١] ، ويرجع ذلك إلى قصر عمر الأنواع الأدبية المذكورة في تاريخ الأدب العربي الحديث[٢] .

وليس ذلك دعوة إلى كفّ المبدعين عن قول الشعر ، "فليقل الشعراء الإسلاميون ماأتيح لهم القول ، وليبدعوا ماسنحت لهم منازع الإبداع ، فإن الساحة ماتزال بحاجة إلى مئات أخرى من الدواوين التي تحمل القضية بالقصيدة الملحمية المقاتلة ، أو الكلمة المغناة التي تعرف كيف تجتاز دروب الحس والوجدان"[٣] .

فهو يدعو إلى العطاء المتوازن في الإبداع بين هذه الأنواع كلّها ؛ لتستجيب له آذان وعيون مغطاة ؛ "لكي تصحو فتجد نفسها قبالة أدب إسلامي سخي في الأنواع كافة ، فتقول يومها إن[٤] هناك بحقٍّ أدبا إسلاميا"[٥] .

وحين يدعو إلى هذا التنوّع ؛ فإنه يضع لنا استخداما رائعا ، وتحديدا (رؤيويا) لكيفية الإفادة من هذه الأنواع فيقول : "لحظة التوجه قد لاتجد فرصتها إلا بالشعر ، والشخصية أو الحدث العابر قد لايجدانها إلا في القصة القصيرة ، وصراع

---

(١) انظر : المرجع السابق (ص٢٠) .
ويذكر الدكتور أن القصة القصيرة والرواية والمسرحية تتطلب صبرا أكثر ووقتا أطول وقد لاتتأتّى شروطها الفنية بسهولة ؛ ولذا قلّ إبداعنا فيها ، انظر : المرجع نفسه (ص٢١) .
ويرى أن دخول بوّابات أخرى (كالرواية) مثلا ؛ يفتح آفاق العالمية أكثر ويتجاوز المحلّية . انظر : نفسه ، وانظر : ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية (ص٧٨-٧٩) .

(٢) انظر : ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية (ص٢٦) .

(٣) المرجع نفسه (ص٢٧) .

(٤) في الأصل : أن .

(٥) نفسه ، وانظر (ص٤٦-٤٧، ٦١، ٦٩، ٩٠، ١٣٧) .

العواطف والمشاعر والرؤى والمواقف لن ترى مجالها إلا في الحوار الذي يعرف كيف يرسم بتركيزه المؤثر دراما التصادم بين الإنسان والإنسان ، وبينه وبين العالم والأشياء . أما التجربة الممتدة في الزمان والمكان ، المترعة بالشخوص والأحداث والخبرات ، الغنية بالمشاعر والأحاسيس والمواقف فليس ثمة غير الرواية ميدانا للتعبير"(١) .

ومما يأخذه عماد الدين على مسيرة الأدباء الإسلاميين عدم التوازن بين ثنائية الشكل والمضمون ، ويرى أن في هذا عرقلة للتنامي والقدرة على إقناع الآخرين .

والعمل الإبداعي "خطاب مشحون بالقيم الفنية والجمالية ، منزاح عن الدلالات اليومية للكلمات والتعابير ، وإلا ماأصبح أدبا"(٢) .

وفي تراثنا لم يفصل بعض النقاد بين طرفي الإبداع ، ولعل نظرية النظم القائلة بالعلاقة الباطنية القائمة بين الألفاظ والمعاني ، شاهد يسير على ذلك(٣) .

يقول عماد الدين واصفا خلل كثير من أدباء (الإسلامية) : "وفي الحالة الإسلامية فإن الذي يحدث هو مايمكن اعتباره نقيضا لخطيئة البرناسية .. أي الذهاب باتجاه المضمون دون بذل جهد كاف لتحسين قيم المعطى الأدبي وآلياته الفنية والجمالية ، وهي الخطيئة التي سبق وأن وقع في إسارها أدباء الماركسية بإدانتهم للشكلانية وانجرافهم باتجاه الأداء المباشر في التعامل مع الخبرة الاجتماعية"(٤) .

فظهرت لذلك التقريرية المباشرة ، والنزعة الخطابية ، وانكمشت جماليات الأداء لديهم ، فلم يقوموا بالاستخدامات الأدائية التي "تنزاح بالمعنى من دلالاته الاعتيادية في لغة الخطاب اليومي إلى مواضع جديدة تمنح المفردات والتعابير نبضا خفاقا وألقا مدهشا ولكن شرط أن يتم هذا كلّه وفق منظومة من الضوابط البيانية والنحوية واللغوية"(٥) .

---

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٩٧) .

(٢) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص٧) .

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) المرجع نفسه (ص٨) .

(٥) نفسه .

وماذلك إلا لأن "التكشف الكامل للعمل الإبداعي يقوده إلى التضحل ويفقده خصائصه الفنية ويؤول به إلى النثرية الباردة أو التقريرية أو ماشئنا من التسميات"[١] .

ويمثل للتوازن المطلوب بديوان "ثلاثية الغيب والشهادة"[٢] الذي يراه ممثلا للتعبير الأدبي عن الرؤية أو الحالة الإسلامية ، ويلغي الفجوة العميقة بين الشكلية والمضمونية[٣] .

والدعوة إلى هذا التوازن هاجس وخاطر يأتيه دوما دون استئذان[٤] .

ومكونات الإبداع والاستعمال الجمالي المتميز لديه تكمن في تضاؤل فاصل الألم ورهافة الإحساس وقوة الخيال وتوقد العقل وتوهج الوجدان ، وغنى التجربة العاطفية ، وسعة المعرفة ، وتنوّع المكونات الثقافية بالقراءة المتواصلة المتمعِّنة ، والحضور التأثيري لأكبر عدد من الأعمال الأدبية الكبيرة ، والقدرة الفذّة على الإبداع والابتكار والتشكيل وغيرها .

ويرى أن النقص أو عدم الاكتمال في جانب من هذه الجوانب يجعل الأدب صعبا مناله أو قد يظهر لنا أديب لايفرض حضوره في الساحة الزمانية والمكانية[٥] .

ومن ملحوظات عماد الدين وتقويمه لمسيرة (الأدب الإسلامي) بيانه ضعف رواده في مجال إيصال أصواتهم إلى طبقات مختلفة من الناس عبر وسائل الإعلام المختلفة ، فيقول : "إعلاميًّا لابد من الاعتراف بوجود نقص خطير رغم قيام صحافة إسلامية ، وظهور محاولات عديدة لصحافة الطفل والشباب والمرأة .. ومحاولات أخرى في مجال الإخراج المسرحي و(التلفازي) و(السينمائي) ... فإذا

---

(١) المرجع السابق (ص٩) .

(٢) للشاعر الإسلامي المغربي الدكتور حسن الأمراني ، المشرف على مجلة (المشكاة) المغربية .

(٣) انظر : في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص٦) ، وقد أشار الدكتور إلى أن التناسق بين الأسلوب والمعنى ينسحب على الفن الإسلامي . انظر : في النقد الإسلامي المعاصر (ص٢٠٠-٢٠١) .

(٤) انظر : لقاء الأردن (ص٣٨) .

(٥) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٧١-٧٢) .

تذكرنا أن الصحافة[١] و(التلفزيون) والمسرح و(السينما) قد تكون أكثر إغراء للجماهير والمثقفين من الكتاب ، وإذا تذكرنا ـ كذلك ـ مايفعله الإعلام خارج دائرة الإسلامية من هدم وتخريب ، في كثير من الأحيان أدركنا كم هو ضروري أن يتداعى المعنيون للمزيد من الإنجاز في هذه الساحات"[٢] .

وهذه العزلة التي قد تكون لرؤية قاصرة .. نجد أنه يقابلها عزلة من طرف آخر كما يقول عماد الدين مبينا عزلة غير الإسلاميين عن سماع الصوت النقي[٣] ، لأنهم يكادون يصمون آذانهم عن الصوت الأدبي الإسلامي ، الذي ينطلق بصدق وعمق وإيمان ، فإن جمع الأداء الحسن إلى ذلك ، ضمن فك هذه العزلة ، ولكن ماذا عن عزلة لانملكها نحن ؛ وإنما هي بيد الطرف الآخر؟! [٤]

ولكنه ينطلق داعيا إلى التحسين في الأداء وإثبات الذات فوق ذلك كله "فعندما يصير لنا أدب أكثر قوة وفاعلية وحضورا .. عندما نتمكن من اقتحام مواقع أكثر تقدما ، فإن صوتنا سيرتفع وقامتنا ستطول ، وحينذاك ستضطر أجهزة الإعلام إلى أن تفتح لنا الطريق"[٥] .

والخنق والقتل بالصمت ، والإرغام على الانسحاب لايراه مبرِّرا كافيا لتعليق الغياب عن الساحة الإعلامية ، فلابد من التجذّر والعطاء المتصّل ، وأدباؤنا الإسلاميون الكبار "أشبه بجزر منعزلة وسط محيط صاخب لاتكاد شطآنه ترى .. نحن بحاجة إلى عشرين وخمسين أميري وأمراني وبدر آخر من أجل أن نرغم النشاط

---

(١) نتذكر ـ شاكرين ـ جهود (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) في إصدار مجلة (الأدب الإسلامي) بالعربية و(قافلة الأدب) الأورديّة و(منار الشرق) ببنجلاديش وهي بالعربية و(الأدب الإسلامي) بالتركية . انظر : مجلّة (أهلا وسهلا) يونيو ٩٨ (ص٧٥) حوار مع أ.د. عبد القدوس أبو صالح.

(٢) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (ص١٩) .

(٣) انطلاق هذا الصوت بصفائه ونقائه يزداد أهمية أمام التحديات الصعبة التي تطيف به من كل جانب . انظر : من سمات الأدب الإسلامي ، د. مصطفى عبد الواحد (ص٧٤-٧٧) .

(٤) انظر : ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (ص٦٠-٦١) .

(٥) المرجع نفسه (ص٦٩) .

الإعلامي في العالم على أن يسمع صوتنا وأن يعطيه المساحة التي يستحقها ، أو يفرضها بعبارة أكثر دقة"[١] .

ولهذا كان يحفل بالأصوات الإسلامية الثابتة ، المنطلقة بقوة نحو النضج من خلال العطاءات المتجدّدة .

حفل برابطة الأدب الإسلامي كثيرا[٢] ،وبالمعهد العالمي للفكر الإسلامي[٣] ، وبجهود بعض الجامعات والكليات وأقسام الأدب واللغة العربية[٤] في بلاد إسلامية وعربية عديدة . وأشاد ببعض الإصدارات الإعلامية المتميزة ، كالمشكاة (المغربية)[٥] و(سلسلة شعراء الدعوة الإسلامية) [٦] وهي انطلاقات نحو النضج وإيصال الصوت الإسلامي المتميز .

ولكنه يتساءل أين أدباء الإسلامية الكبار بحقّ في أجوائنا الثقافية؟!

أين هم مقابل الدفق الإعلامي لكتّاب اليهودية والنصرانية والقومية والماركسية؟

أين هم بأعمال كبيرة شكلا ومضمونا؟! [٧]

وهذا الأمر يعود بنا كذلك في مسيرة (الأدب الإسلامي) إلى عدم التوازن بين العطاء الإبداعي والتوجيه النقدي .. و"حركة الأدب الإسلامي هي بأمس الحاجة إلى مزيد من الجهد النقدي لإضاءة النصوص .. لقد أخذ يبدو أكثر فأكثر أن المعطيات الإبداعية أكبر بكثير من المتابعات النقدية ، فإن لم يتحقق قدر من التوازن المطلوب وتتم التغطية النقدية بنسبة معقولة فإننا سنخسر مرتين .. سنخسر

---

(١) المرجع السابق (ص٧٠) ، وانظر فيه (ص١٣٨) .

(٢) انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٨ب) ، تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر (ص٤٢) ، ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية (ص٢٦،٩٣) وغيرها .

(٣) انظر : حول حركة الأدب الإسلامي (ص٢٢،٢٣) .

(٤) انظر : المرجع نفسه (ص٢٢،٢٥) .

(٥) انظر : ريبورتاج (ص٤٧-٤٨) .

(٦) انظر : لقاء الأردن (ص٦١) وهي من إعداد أدهم جرّار ، وأحمد الجدع .

(٧) انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٩١) .

الطاقات الواعدة التي تنتظر من يعكس صوتها أو يسمعه في الأقل ، فتكف عن الخفقان .. وسنخسر الفرصة الضرورية لتحسين معطياتنا الإبداعية وجعلها أكثر قدرة في وتائرها الفنية ، ولتجاوز أخطائنا وقصورنا وعثراتنا وضعفنا من جهة أخرى (...) إنهم يعملون بروح الفريق فلماذا لانتعلم منهم؟ لماذا لانزال مصرِّين على مبدأ (اقتله بالصمت)؟"[١]

هذا الصمت (القاتل) ينهك القوى ، ويضعف العزائم ، ويحاصر الإبداع ؛ ولذا يقف عماد الدين منددا بهذه التصرفات ، متعجبا "إزاء النصوص الإبداعية التي ينسجها الإسلاميون بصمت فلا يكاد أحد يعرف عنها شيئا ، لأن صوت النقد الإسلامي لايزال مغيَّبًا .

عشرات من النصوص الإبداعية يقتلها الصمت ، وعشرات أخرى لاتجد فرصتها إلا في أبواب "كتب صدرت حديثا" على الصفحات الأخيرة من الصحف والمجلات"[٣] .

ومما يلاحظه ـ كذلك ـ إغراق الأدباء الذين ينتمون إلى هذه التوجهات المباركة ، في أمور قد تقتل الإبداع ـ إذا خلد المرء إلى صلابتها وصلافتها ـ فيقول في ذلك :

"وأدباؤنا الإسلاميون تستغرقهم الهموم الأكاديمية حينا ، وتحقيق المخطوطات العتيقة حينا آخر .. والكسل العقلي يهيمن على الكثيرين منهم فلايجدون مايحفزهم لأن يبذلوا جهدا "إضافيا" لإضاءة الطريق بقوة النقد وآلياته أمام المبدعين الإسلاميين الذين مايلبثون أن يجدوا أنفسهم محاصرين بالصمت فينطفئون!" [٤]

وإذا لم يستنر المبدع بآراء النقد وإجراءات غيره في نتاجه ؛ فإنه سيصبح ضعيفا متأرجحا ، و"لن يعرف الأديب مواقع قدميه ، ولن يحصل ـ في الوقت نفسه على الزيت الذي يمكنه من مواصلة المسير"[٥] .

---

(١) ريبورتاج ... حوار في الهموم الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص١٢) .

(٢) المرجع نفسه (ص٤٦) .

(٣) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٧١) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥) ريبورتاج ، د. عماد الدين خليل (ص٤٦) .

الإسلاميون أنفسهم جهدا ثنائيا مزدوجا في الوقت نفسه ، و"أن يعطوا شيئا من وقتهم للجهد النقدي ، وأن يمارسوا جنبا إلى جنب مع أنشطتهم الإبداعية محاولاتٍ في التعامل النقدي مع نصوص الآخرين للتحقّق بقدر من التوازن بين النقد والإبداع"(١) .

وبهذا كلّه سيرى (النقد الإسلامي) - بإذن الله - طريقه إلى الخصب والثراء(٢)

ولهذا يرى عماد الدين أنه لابد من برمجة وتخطيط ، ومن تجاوز لحالات الجهد الفردية ، التي كان عليها أدباء الإسلامية عبر ستينيّات هذا القرن .

وهذا التخطيط تجاوُزٌ لإهدار الوقت ، وبعد عن حالات التكرار والتضخم في جوانب مع وجود الشُحِّ في أخرى ، وانطلاق نحو توزيع الأدوار أمام التحديات والتوجهات(٣) .

"إن التخطيط ورسم (الاستراتيجية) يمنح هذه الحركة توازنها المطلوب بين الدراسة والإبداع - وكذلك - بين الحلقات الأساسية لكلٍّ من هاتين الفعاليتين ، كما أنه يرشد مسيرتها التي تزداد بمرور الوقت تجذّرا وانتشارا ... ويعمق ملامحها من أجل أن تزداد تميزّا عن المذاهب الأخرى ، وتتحقق أكثر فأكثر بشخصيتها المستقلة"(٤) .

ويستدرك عماد الدين على أحد النقاد استخدامه مصطلح (أداة منهجية) بدل (منهج) توسيعا من هذا الناقد لنطاق الإفادة (المحايدة) من المنهج الغربي ؛ وليكون ذلك أيسر في الانتقائية من هذا (المنهج) وفق التصوّر المنضبط ، حيث يرى عماد الدين أن المنهج غير المذهب وغير النظرية ، فالمنهج "قد يرتبط بخلفيات

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) المرجع نفسه (ص١٠٤) ، وانظر كذلك (ص١٣٧،٥٧-٥٨،٨٣) .
وانظر : حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص١٩-٢٠) ، وحول مسألة (التوازن) انظر حول تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل (ص١٤٢-١٥٠) ، وانظر : ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية (ص١٠،١٢) .

(٣) انظر : حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د/. عماد الدين خليل (ص٢١) .

(٤) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٣) .

تنظيرية أو مذهبية وقد يتجذر في الرؤية أو العقيدة ، لكن هذا يجب ألا يكون حكما نهائيا ؛ لأن هناك من المناهج ، أو بعبارة أدق مساحات ومفاصل في نسيج المناهج ـ مايمكن أن تكون بمثابة أداة حيادية ، تقنية ، صرفة ، قد يكون التفريط بها تضييعا لفرصة ممتازة لإضاءة المسالك أمام الأنشطة النقدية الإسلامية ، وبخاصّة في مجال النقد التطبيقي"[١] .

ويذهب الدكتور عماد الدين إلى أن ساحة (الأدب الإسلامي) اليوم بحاجة إلى هذه الاستراتيجية الأدبية الإسلامية بصورتها الشاملة ، التي لاتقف عند دائرة النقد وحده ، ولكنها ترتب الأنشطة المنطوية عليها في حلقات الإبداع والتنظير و(المَذْهَبَة) والدراسة والنقد ، تدليلا على وجوب استبعاد الأنشطة الفردية من التفرّد في الساحة وأنه لابد لنا ـ أمام سيل التحديات المختلفة ـ من برمجة مرسومة يقف بها فريق جماعي من ذوي الاختصاص .. ويرى أن خير من يحمل عظم هذه الأمانة (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) فقد حملت هذا على عاتقها ، وبدأت بخطواته[٢]..

ويضع الدكتور عماد الدين خليل ضوابطه ومقترحاته مضيًا في تفعيل وقيام هذه (الاستراتيجية) الأدبية الإسلامية الشاملة ، ويجمعها في نقاط نستطيع أن نجملها عبر هذا النسق[٣] :

أولا : وجوب تحديد طبقات المعمار الأدبي الغربي ، ومدى الارتباط بالتصورات والفكر ؛ لنقوِّم بعدها مقدرتنا على الاستبعاد والانتقاء أو الرفض أو القبول .

ثانيا : محاولة جمع وفهرسة الضوابط الشرعية المرشدة لتعامل الساحة الإسلامية مع (غيرنا) عبر بوابات الوحيين الشريفين ، والمعطيات الفقهية والسوابق التاريخية .

---

(١) المرجع السابق (ص٧ب) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص٨أ-٨ب) .

(٣) انظر في هذا : المرجع نفسه (ص٨ب-١٠ب) ، ومجلة المسلم المعاصر ، س(١٧) ، ع(٦٥-٦٦) (ص١٦١) .

ثالثا : ضرورة تحقيق التوازن[١] في معطياتنا الأدبية في مستويين :

أ ـ النقد والدراسة والمنهج والمذهب والتنظير .

ب ـ الأنواع الأدبية فيما بينها خلال الساحة الإسلامية ، وتحقيق مطالب النشاط الأدبي كافة .

رابعا : تبنّي خطة زمنية (ولتكن خمسيّة مثلا) تقوم عليها مؤسسة جماعية (كالرابطة) لترتيب أولويات العمل[٢] في ظلّ المطالبة بالتوازن ، ويعهد إلى مجموعة من الأدباء الإسلاميين (مبدعين وغيرهم) تنفيذ ذلك كلّه .

خامسا : السعي الجاد لإصدار مجلة (شهرية) تستوعب مطالب النشاط الأدبي الإسلامي ـ على اختلافه ـ بخططه وحواراته وجدله مع غيره ، وصور إبداعاته وعرض المعطيات الأدبية دراسة ونقدا ، وتنظيرا وإبداعا (كمجلة الرابطة والمشكاة والمسلم المعاصر) ويمكن للأخيرة أن تخصّص جانبا منها لذلك .

سادسا : السعي في التعارف وخطواته بين (الأدب الإسلامي العربي) وغيره مما يكتب بلغات أخرى[٣] ؛ بالترجمة من العربية وإليها ؛ وليكون هذا أكثر إفادة من الخبرات المتنوعة لمعطيات الشعوب ، وهذا ـ كذلك ـ يمنح أدباء الإسلامية ثقلا كبيرا في المستوى الجغرافي العالمي .

سابعا : تصعيد الحوار بين (الأدب الإسلامي المعاصر) و(الأصول التراثية لأدبنا)[٤] بمرونة وحرية في التمحيص والفحص ، بدون تقديس هذه الأصول تقديسا يصادر العقل الأدبي الإسلامي المعاصر أن يتسلّط عليه ، ولكن بتوازن وخطوات متأنية ، يمكننا صياغتها وفق مايأتي :

---

(١) الإسلام دين توازن . انظر ـ في هذا ـ : الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٩٣-٩٦) مجلة عالم الكتب ، مج(١١) ، ع(١) (ص٤٨) ، مقال د. عماد الدين عن خصائص الشريعة.

(٢) انظر في المنهج عموما ـ كذلك ـ : لقاء الأردن (ص٣٨) ، حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص١٠-١٥،١٨) .

(٣) وانظر ـ في هذا ـ : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٨٥-١٨٦) .

(٤) ممن دعا إلى ذلك ـ بإلحاح ـ الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه : مبادئ في الأدب والدعوة (ص٤٥-٤٦) .

(١) فرز وفهرسة المعطيات الأدبية التراثية الرافدة للأدب الإسلامي في التحقيق والدراسة .

(٢) تحقيق النصوص المهمّة التي لم تنل حظًا من ذلك .

(٣) دراسة وتحليل الأعمال النثرية التي لم تجر عليها هذه الخطوات ، ومحاولة الإفادة منها .

(٤) متابعة السياق النقدي للتراث ، وملاحظة الارتباط والانفصال من خلال الإسلامية ورؤاها .

(٥) تلمّس العلاقة وفحصها بين الوحيين الشريفين وبين الدراسات الأدبية التراثية.

(٦) إقامة ندوات وفتح ملفات خاصة في عدد من الأماكن المتاحة لمعالجة الظواهر التراثية وصلتها بالإسلامية[١] ، مثل : (التراث الأدبي الصوفي وصلته بالإسلامية) و(مناهج المستشرقين في دراسة التراث الأدبي العربي) و(المرأة في تراثنا الأدبي) و(ملامح المجتمع المسلم في تراثنا الأدبي) .

وذلك لأن "التجذر في التراث ليس ترفا أو اختيارا ، ولكنه قَدَرُ كلّ فاعلية ثقافية تسعى لأن يكون لها مكان في العالم ، وثقل على خرائطه من خلال تشبثها بالشخصية المتفردة والملامح ذات الخصوصية ، ولن يكون هذا بدون الامتداد صوب البعد التاريخي أو العمق التراثي للتحصن به[٢] والاستهداء بمعطياته جنبا إلى جنب مع الأصول العقيديّة[٣] التي تشكّل قاعدة العمل الأساسية ، و(بوصلة) الانطلاق في بحار الدنيا"[٤] .

---

(١) انظر ـ كذلك ـ : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٨٢-١٨٤،١٨٩-١٩٠) .

(٢) انطلاق الباحثين والدارسين من غير التراث والتعمق فيه ضعف وقلّة بضاعة ـ الباحث ـ .

(٣) هكذا في الأصل .

(٤) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٩ب-١٠أ) .

ثامنا : لابد من الاهتمام بالساحتين (الأكاديمية) [١] و(الإعلامية) [٢] بدفع الطلاب للاحتكاك بمطالب الأدب الإسلامي والتعرف عليه أو التعريف به من خلال أطروحاتهم وتخريج المتعمقين فيه ، وفتح دوائر الحوار خارج الإسلامية لإيصال الصوت المتميز ليفرض نفسه .

تاسعا : إيجاد قناعات مشتركة بين المعنيين بالأدب الإسلامي ليؤسِّسوا ضوابط تمنع الانحياز أو الغلو والتشرذم ، وفتح حوارات المجلات لذلك .

عاشرا : فتح المجال أمام الاتجاهات كلّها مادامت مخلصة ملتزمة الضوابط الشرعية مضيفة خبرات متقدِّمة للانتقال بالنشاط الأدبي الإسلامي نحو الأفضل . وذلك عن طريق المؤسسات الثقافية الإسلامية .

"إن الذي يحدث أننا نخاطب أنفسنا ، ونتبادل الحوار داخل الدائرة الإسلامية التي يفترض في العاملين فيها أن يكونوا قد امتلكوا ــ ابتداء ــ القناعات الأساسية بخصوص الأدب الإسلامي ... ولابد من توسيع القاعدة وكسب عناصر جديدة من خارج دائرة الإسلامية ، أو تحويلها ـ في الأقل ـ إلى خط المناصرة والتأييد بدلا من الخصومة والعداء"[٣] .

وهذه خطوات عملية[٤] جيدة يدعو إليها الدكتور عماد الدين ، وقد ذكر في كتابه (مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي) [٥] ثلاثة عوامل فاعلة لدعم الأدب الإسلامي ، تلك هي : انتشار القراءات الأدبية ، وحضور حركة نقدية شاملة ، واعتماد نظرية مرنة في الالتزام[٦] ترفض المباشرة والتقريرية .

---

(١) وانظر ـ في هذا ـ محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل (ص٤٢) وحول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص١، ٢٢، ٢٥) .

(٢) انظر ـ في هذا ـ : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص١٩٩-٢٠٢) ، حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص١) .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٢٦) .

(٤) في أهمية الخطوات والتخطيط ، انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٣، ٨أ-٨ب) .

(٥) انظر (ص٧٤-٨١) من الكتاب نفسه .

(٦) ستأتي معنا هذه المسألة ـ بإذن الله تعالى ـ في المبحث القادم .

ويذكر في (متابعات في دائرة الأدب الإسلامي) [١] إمكانية تبني دار نشر ـ ومجموعة غيرها ـ فكرةَ دعمِ حركة (الأدب الإسلامي) وفتح الصدر لمطبوعاته .

كما يؤكد وجوب قيام جماعات أو اتحادات أدبية إسلامية تُعرِّف بالأدب الإسلامي وتصل بين أدبائه[٢] وتنشر نتاجهم ، وتحلّ مشكلاتهم ، وتكون ندوة مفتوحة بذلك .

ومن مقترحاته هنا ـ كذلك ـ دعم مسيرة (الأدب الإسلامي) عن طريق المناهج[٣] الدراسية ، وخاصة مرحلة الثانوية والجامعة ، وتوزيع المناهج حسب المستويات الذهنية مراعاة للفوارق بين مراحل النمو المختلفة ، برؤية إسلامية واضحة ومن مقترحاته في كتابه هذا إعدادُ فهارسَ دوريّة تتضمن عرضا دقيقا لمعطيات الأدب الإسلامي المعاصر ، وتكون دائمة ، غير مكتفية بالعناوين والأسماء ـ فحسب ـ بل تكون ساعية إلى وضع نبذة موجزة ناقدة ، وتوضع قوائم بما يستحسن الاطلاع عليه من الأدبين الغربي والعربي مما يخدم الرؤية الإسلامية ، أو يعين على القدرات الإبداعية الجيدة .

وهذا يؤكّد ماطرحه عماد الدين ـ ويطرحه باستمرار ـ بأن الحضارة عمل لانقل مجرَّد ، وسبب خطئنا في عدم المسابقة الحضارية اليوم ؛ أننا "فهمنا الملاحقة أو التنافس الحضاري على أنه نقل عن المتفوِّقين وليس فعلا يتحتم أن نمارسه بعقولنا وخبراتنا وأيدينا ، وأن نصوغه من عقيدتنا ورؤيتنا وإيماننا الخاص"[٤] .

---

(١) انظر (ص٢٢٥-٢٢٨) منه .

(٢) الصلة البنّاءة خلاف الشللّية المقيتة المنتشرة بين أوساط المثقفين ـ الباحث ـ ، وانظر : لقاء الأردن (ص٥٠،٣٧) . وانظر في هذا : حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٢٤-٢٥) ، وانظر مجلة الأمة ، س(١٤٠٦) ، ع(٧١) (ص٤٤) .

(٣) في أهمية عمل المناهج ، انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٥ب،١٣٨-١٤٩) .

(٤) الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص١٠) ، وانظر : التفسير الإسلامي للتاريخ ، د.عماد الدين خليل (ص١٧٠-٢٥١) ففيه تفصيل نفيس ، وانظر كذلك له : في النقد الإسلامي المعاصر (ص٨-١١،٢٨) .

وفي هذا كلّه دعوة إلى الاجتهاد[١] على بصيرة ، وفتح الأبواب أمام خيارات ومجالات عملية جديدة نافعة ، تختصر الجهود والأوقات ، ولاتنكفئ على ذاتها[٢] .

ولابد من تقديم أنموذج من مسيرة (الأدب الإسلامي) مما أشار إليه الدكتور عماد الدين وارتضاه مثلا مباركا .

حقا "إن الأدب الإسلامي لهو واحد من أكثر الإعانات قدرة على الفاعلية في عملية الخروج المنتظرة للإنسان المتآكل ، من ضيق الدنيا إلى سعتها بكل ماتنطوي عليه الكلمة من معنى"[٣] .

والحق الذي لايختلف فيه اثنان أن "الأدب الإسلامي ليس تيَّارا عابرا من تيارات المعرفة والفكر والشعور ، بل هو حقيقة راسخة في قلب المثقف المسلم الذي يؤمن بأن حمل القلم أمانة ، وربنا قد أمرنا بحفظ الأمانات وتأديتها إلى أهلها"[٤] .

وصدق الشاعر إذ يقول :

أَدَبُ الإسلام خَفْقَةُ قَلْبٍ ... راعش يَخْشَى وَيَرْهَبُ رَبَّا
وَوَجِيْبٌ صَوْتُهُ مُسْتَكِينٌ ... ضَارِعٌ ، يَسْتغفر اللهَ ذَنْبَا
وَتَسَابِيْحٌ تُمِجِّدُ رَبَّا ... في اشتياق تَغْمُرُالقَلْبَ حُبَّا
أدبُ الإسلام إشراقُ مَعْنىً ... طاهر، واللّفْظُ يَخْرُجُ عَذْبَا
وبيانٌ ينشُرُ الخَيْرَ طُرًّا ... وَيُذرُّ النورَ شَرْقًا وغَرْبَا
وحُسَامٌ ينصرُ الحقَّ دومًا ... في مَضَاء ، كان ذلكَ دَأْبَا

---

(١) يراجع في هذا ـ كذلك ـ : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٩-٢١،٢٩) ، وانظر في بيان ذلك : حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٦-١٦٦،١٨٩-١٨٠) ، وكذلك : تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل (ص٣٧-٧٨) ولقاء الأردن (ص٣٨) .

(٢) انظر في ذلك : في النقد الإسلامي المعاصر (ص٣١،٢٠٧-٢٠٨) ، في أداء البلاغ والنذارة ، وانظر كتابه : ريبورتاج (ص٢٢،٥٢،٧٣،١٢١-١٢٢) .

(٣) ريبورتاج (ص٦٨) .

(٤) مجلة الفيصل ، س(١٩) ، ع(٢٢٣) (ص٤٧) مقال "الأدب الإسلامي مفهومه وآفاقه" ، محمد العربي الخطابي .

أدبُ الإسلام دعوةُ صِدْق ... بهُدَى الرحمن تَزْداد قُرْبَا
هو رُوْحٌ تملأُ الكَوْنَ حُبًّا ... ينتشيها الناسَ عُجْمًا وعُرْبَا[١]
هو ضَرْبٌ في الأراضِيْ نِجَادًا ... وَوْهادًا لايُغَادر شَعْبَا
فَوْقَ هام السُّحْبِ يَعْلُوْ نَقَاء ... وَصَفاءً .. لايُضَيِّع دَرْبَا[٢]

و"في شعر الشعراء ، وحكمة الحكماء وخطب الخطباء ، ومواعظ الوعاظ ، وكتابات الكتّاب ، وأدب الأدباء ، في القصة والقصيدة والمسرحية ، في الحوار والسرد والوصف ، في المقال والتحرير .. في كلّ ألوان الأدب ، يجب أن تكون نواميس القرآن الكريم[٣] الروحية والفكرية ماثلة في كل حرف وكل كلمة ، وكل مبنى وكل معنى"[٤] .

وهكذا كانت رؤية عماد الدين ممتزجة بوجهة النظر الإسلامية والأدبية ، بحسّه الإسلامي الصادق ، ونظرته العلمية ، وقدرته على التدليل[٥] .

---

(١) من أفضل ماكتب في نظرة الأدب الإسلامي إلى (الإنسان) كتاب (الإنسان في الأدب الإسلامي) د. محمد عادل الهاشمي ، فليراجع .
وانظر كذلك : نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، د. عبد لارحمن رأفت الباشا رحمه الله (ص١١٠-١١٥) .

(٢) مجلة الأدب الإسلامي ، ج(٥) ، ع(١٧) (ص٥٤) ، الشاعر أحمد بن روان الجزائري .

(٣) وهذا مايميز ــ بجلاء ــ نظرة الأدب الإسلامي عن غيره ، وارتكازه على هذه الثوابت والمرجعيات اليقينية الثابتة المنضبطة . انظر : الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، محمد الرابع الندوي (ص٢٥-٢٧) .

(٤) مجلة الهداية ، س(١٧) ، ع(١٩٥) (ص٢٣) مقال د. محمد عبد المنعم خفاجي .

(٥) انظر : الأدب الإسلامي قضية وبناء ، د. سعد أبو الرضا (ص٣٧) .

وتستمر مسيرة الأدب الإسلامي .. ولئن كان كثيرون يخاطبونه بأنهم لن يدلفوا إلى ساحِهِ ماسَجَعَ الحَمَام[١] ، وذَرَّ شارق[٢] ؛ فإنه ماض بغيرهم[٣] !

أليس ينتسب إلى الإسلام ، فإنه ـ إذا ـ سيبقى غريبا هكذا عن قلوب هؤلاء المنكرين الشانئين ، الذين غاضهم هذا الفتح "ورأوا في هذا المولد كائنا يزاحمهم ، ويكاد يزحزحهم عن مواقعهم الأدبية التي تصوّروا أنفسهم محصَّنين داخلها ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا"[٤] .

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٥] .

---

(١) مثل معناه أن الرجل لن يأتي أخاه أبدا .
انظر : موسوعة أمثال العرب ، د. إميل بديع يعقوب (١٠/٥) .
ومادام هؤلاء قد أعموا أبصارهم عن مطالعة وجه الحق فقد حكموا بأبدية انصرافهم ـ إلا أن يشاء الله ـ .

(٢) مثل معناه كسابقه ، وذرَّ أي طلع ، والشّارق : الشّمس .
انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) تمثيلا لذلك ، انظر النتاج الثرَّ في كتاب : الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية ، جراهام بيلي ، قدّم له وعلّق عليه الدكتور حسين مجيب مصري .

(٤) من كلام للدكتور حسن الأمراني (عضو مجلس الأمناء برابطة الأدب الإسلامي العالمية) في مقال له بعنوان : "خطوة على طريق التأصيل" .
انظر : دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث ، إعداد الدكتور عبد الباسط بدر (ص٥) .
ونشير إلى أن هذا الدليل كان بإسناد من الرابطة إلى الدكتور عبد الباسط ، انظر (ص٦) .

(٥) سورة يوسف : آية ٢١ .

المبحث الثاني
الالتزام وموقف الأديب

البساط اللغوي :

يقال : لِزِمَهُ ، كَسَمِعَ[١] ، لَزْمًا ولُزومًا ولِزَامًا ولِزَامة ولُزْمة ولُزْمانًا ، بضمَّهما ، ولازمه ملازمةً ولِزامًا والتزمَهُ وألْزمه إيّاه فالتزمه . وهو لُزَمَةٌ ، كَهُمَزَة ، أي : إذا لَزِم شيئا لايُفارقه .

والتزمه : اعتنقه[٢] .

واللِّزَام ، الفَصْلُ في القضيّة[٣] .

الاصطلاح :

وتطلق فيه عبر مجالات الفكر والأدب والفن ـ على السواء ـ بمشاركات سياسية واجتماعية وفكرية[٤] .

وقد يكون من أوفق التعريفات الاصطلاحية له في ذلك ماذكره الباحث ناصر الحنين حين قال : "معنى الالتزام في الاصطلاح الأدبي هو : أن يلتزم الأديب في أعماله الأدبية عقيدة من العقائد أو مبدأ من المبادئ أو فلسفة من الفلسفات"[٥].

---

(١) ذكرها صاحب اللسان (سَمِعَ) بكسر عين الفعل ولعله الصواب ، والله أعلم . وهكذا (لَزِمَ) . انظر : اللسان ، لابن منظور (٥٤١/١٢) .

(٢) انظر ـ تفصيلا ـ : القاموس المحيط ، الفيروزآبادي (١٥٢٤/٢) ، ولعل فتح (الزاي) في القاموس خطأ مطبعيّ ـ الباحث ـ .

(٣) انظر : اللسان (٥٤١/١٢-٥٤٢) .
ومعنى الالتزام هذا جاء في لغات أخرى ، مثل موسوعة (لاروس Larousse) تحت مادة (ملتزم Engage) وغيرها .. انظر تفصيل ذلك في : الالتزام في الشعر العربي ، د. أحمد أبو حاقة (ص١٢-١٣) .

(٤) انظر : الالتزام في الشعر العربي ، د. أبو حاقة (ص١٣) ، وانظر : لقاء الأردن (ص٥٠) .

(٥) الالتزام الإسلامي في الشعر ، د. ناصر بن عبد الرحمن الحنين (ص٢٧) ، وقد سبقه في هذا أستاذه الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في كتابه "نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد" (ص١١٩) .

لذا لابد من ارتباطه بعقيدة معينة ينطلق من خلال رؤاها ونظراتها الثابتة ، ولايحيد عنها .

فالالتزام .. "أن يمتلك الفنان ـ أولا ـ تصوّرا شاملا متكاملا صحيحا للكون والحياة ، والتاريخ والإنسان ، من خلال الرؤية الإسلامية المتفردة ، يوازيه انفتاح وجداني دائم وتوتر نفسي لاينضب له معين إزاء الكون والحياة والتاريخ والإنسان .. ومن بعد هذا يجئ الالتزام عفويا ، متساوقا منسابا"[١] .

إذًا يرتبط مفهوم (الالتزام) لدى الأديب المسلم بنظرته إلى العقيدة الثابتة التي يرضى الله عنها ، حين يثبت العبد انتماءه الصادق ، وعبوديته الحقة .

وفرق كبير بين (الالتزام) و(الإلزام)[٢] ، فالأول ناتج عن مبادرة ذاتية حرّة وبوعي واقتناع دون إكراه ، وهذا مايجعل فيه شعورا بالمسؤولية أمام النفس وإحساسا غامرا بالرضا ، أما الآخر فبإكراه عبر بوابات الترهيب والترغيب[٣] .

ولهذا ينادي عماد الدين في العمل الأدبي "أن يكون إيقاع هذا العمل ، وطبيعة خيوطه ، ودرجته اللونية ، وخلاياه العصبية ـ إذا صح التعبير ـ كفاء لهذا المفهوم أو ذاك من مفاهيم الإسلام"[٤] ؛ لأن انطلاق المرء من ذلك يقنعه ويرضيه .

---

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢٠٦) .
وانظر : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٣٢) .

(٢) ممن يرون الإلزام في سياق الاعتقاد والرؤى د. ريمون طحّان في كتابه "مصطلح الأدب الانتقادي المعاصر" تحت عنوان "تيار النقد الملتزم المقيِّد" (ص٩٤-٩٥) .
بينما لاقيمة للالتزام إذا لم ينبع من الذات .. انظر : المنجد في الأدب العربي ، صالح ساسة (ص٤٧) .

(٣) انظر في هذا : قضية الالتزام في الشعر العربي ، محمد عزّام (ص٢٠-٢١) ، ونحوه في : الالتزام في الشعر العربي ، د. أحمد أبو حاقة (ص١٤) .

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص١٥٩) .
وبعض الباحثين يطلقون الالتزام وفق التوجهات القبليّة والسياسيّة والاجتماعيّة ، وليست مرادنا هنا ، انظر مثالا عليها : قضية الالتزام في الشعر الأموي ، د. ميّ يوسف خليف (ص١٣-٤٢) ، والشعر في إطار العصر الثوري ، د. عزّ الدين إسماعيل (ص٦-١٣) ، وانظر كذلك : مداخل ومشكلات حول القصيدة العربية القديمة ، د. عبد الله التطاوي (ص٩-٥٧)

فالالتزام ـ عنده ـ بناء اللوحة الإبداعية من أساسها ، وجزئياتها وخطوطها ، وظلالها وألوانها ، متحدثة بالمنظور العقدي ، عبر انطلاقات الكلمة وريشة الرسم وغيرهما[١] .

كما يفتقر إليه المسرح ـ كذلك ـ ، والأديب المسلم ـ كما يقول عماد الدين "من حقه أن يرتاد الآفاق الجديدة الرحبة التي يطرحها هذا الفن ، ويعرض على قومه وأمته صورا تعتمد الحركة والإيماءة ، يقتطعها من واقعها المرير .. صورا تحيل الهمسة إلى صرخة ، والكلمة إلى انطلاقة ، والسكون إلى مزيج من التشابك الدائم بين الأضواء والظلال"[٢] .

وكل هذا يكون بالانتقاء واختيار مايلائم التصوّر الإسلامي والضوابط المعلومة والعزل والفصل[٣] .

ويذهب إلى أن الأديب الملتزم لن يمارس التزامه قسرا أو إقحاما واختراقا للنصّ من الخارج ، ولكنه إذا تشرّب بفكرته ، وصار مؤمنا بها حق الإيمان ؛ فإن شخوصه وحبكته الروائية ، وبناءه المسرحي ، سيضع لنفسه مكانة متوازنة غير متكلّفة أو مقحمة[٤] .

والشعر كذلك محتاج إلى هذا الالتزام الذي يضبط حركته[٥] ؛ لأن الشعر ـ في حقيقته ـ "هو التمرّد على القوى التي بعثرت الإنسان في العالم ، وأخرجته عن

---

(١) انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٩) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر (ص١٧٩-١٨٠) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص١٨١) ، وقد ذكر الدكتور عماد الدين أنه لاينطلق في مسرحياته من باب التاريخ فقط لإثبات الالتزام ، ولكنه يتعامل مع قضايا معاصرة ؛ لأنه يرى أن الرجوع إلى التاريخ ليس البوابة الوحيدة إلى الالتزام ، بل يتعامل مع الخبرات المعاصرة بالنبض الإسلامي . لقاء الأردن (ص٤٠) .

(٤) انظر ـ باختصار ـ : لقاء الأردن (ص٥٠) .

(٥) يطرح بعضهم (الالتزام) ويعني به ملاحظة ذوق العرب في الشعر خاصّة ، حيث يربطون بين الشعر والسهولة المطلقة عبر هذه البوابة الذوقية من النقد . وانظر مثالا على هذا ، ذكره الدكتور إحسان عباس في كتابه : تاريخ النقد الأدبي عند العرب (ص٦٢٦) عن أشياخ ابن خلدون .

التوافق مع نواميس الكون .. الشعر هو هزَّة الفرح والإيمان التي يكسر بها الإنسان طوق الحصار ، وينطلق قويا عميقا رشيقا ، إلى عالم الحرية الحقيقية والخلود .. كل الشعراء الذين كتبوا عن النور وهم يتخبطون في الظلمة ، أو الذين عبروا عن الظلمة وهم يعيشون في النور .. وقعوا في الخدعة .. وزيفوا على أنفسهم وعلى قارئيهم ؛ لأنهم كتبوا عن تجارب لم يحيوها ، ورسموا لوحات عن عالم لم يستشرفوا ملامحه وآفاقه وحدوده"[١] .

بل يخاطب مخذِّلي صياغة نتاج الأدب والنقد وفق التصور الإسلامي بأن "تجربة المسلم تجربة حياة واحدة غير مجزأة .. والفنون والآداب هي الأخرى تجارب حياة واحدة غير مجزأة .. والجسر الذي يصل بين الحياتين ، أعني النقد ، وجب أن يكون هو الآخر حياة واحدة غير مجزأة .. ولن يكون لدى الناقد المسلم إلا ذاك .. مادام المسلم قد غدا مسلما بحق ، فلماذا لايكون ميزانا صادقا في كل حال من الأحوال؟!" [٢]

ذلك أن الأديب المسلم ، بصفته مسلما مستسلما لله ، يختلف عن غيره بتميزه فهو "يعيش الحياة بقطاعيها الباطني والخارجي بتركيز أشد .. في الباطن يحرك الإسلام كل قوى الإنسان وفاعلياته وإمكاناته الذاتية : الحسية والعاطفية والخيالية والعقلية والانفعالية والروحية[٣] ، ويسير بها صوب استجابة مكثفة مترعة إزاء كل مايحركها ويهزّها ويدفعها إلى مزيد من (الحياة) ، ومن ثَمَّ مزيد من المعطيات

---

(١) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص٧-٩) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٧-٨) .
وفي صدق العطاء وفق التصوّر الإسلامي يقول الرافعي رحمه الله : "وأنا رجل ليس فيَّ أكثر مما فيّ ، كالنجم يستحيل أن يكون فيه مستنقع ؛ فما أعلم في طبيعتي موضعا للنفاق تتحوّل فيه البصلة إلى تفاحة ، ولامكانا من الخوف تنقلب فيه التفاحة إلى بصلة ، ولست أهدي من كتبي إلا إحدى هديتين : فإما التحية لمن أثق بأدبهم وكفايتهم وسلامة قلوبهم ، وإما إنذار حرب لغير هؤلاء" . وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي (١٨٤/٣) .

(٣) يعزو بعض الباحثين انحرافاتٍ شعريةً (صوفية) إلى الأدب الإسلامي (الملتزم)! ولو عرضناها على حقيقة الالتزام المنضبط لم تكن كذلك . انظر ـ مثالا على هذا العزو غير الصحيح ـ : الأدب الإسلامي الصوفي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، د. علي علي صبح .

التعبيرية . وفي الخارج يدفع الإسلام الإنسان إلى أن ينمي ويوسع متع واستجابات حواسه المختلفة عن طريق ربط هذه المتع والاستجابات ربطا نفسيا وذهنيا فذا بتجربة الإيمان الكبرى"[١] .

ولايرى أن الإسلام بذلك ـ كما يقول مُوْرِدُو الشبه ـ يكبت التعبير الجمالي الإبداعي ولكن "كما يعبر الإسلام عن مرونته الفنية في قضية المحتوى الفني ، فإنه يملك ذات المرونة في مسألة (الشكل) ، فهو مفتوح للتعبير عن التجربة الفنية بأية وسيلة كانت : الكلمة ، الصوت ، الحركة ، التشكيل .. ضمن الإطار الذي يرتضيه .. ذلك أن إحدى معجزات القرآن الكريم نفسه تقديمه أمثلة عليا للأداء الفني الذي يعتمد الكلمة والموسيقى[٢] والصورة الفنية"[٣] .

ويفند شبهة ادعاء الكبت ؛ بأن الإسلام وضع التصوّرات حدودا ومعالم محذّرا من تجاوزها ، كيلا تقع الحرمة الشرعية[٤] ، وهي ـ حسب تعبيره ـ "ليست سوى إشارات تحذير للفنان المسلم كيلا يلصق بالمستنقعات ويتحوّل إلى أداة رخيصة ، مبتذلة ، تافهة .. بالأحرى إلى إمَّعة تقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساؤوا أسأت .. إمَّعة تمدح مع المدّاحين لغير ما سبب ، وتهجو مع الهجّائين لغير ما سبب .. إمَّعة تكتب عن العفن والتفسّخ والفساد ، لا لكي تنفر

---

(١) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٣٠-٣١) .

(٢) لعله يعني الجرس وموقع الحروف ، والأولى اجتناب هذه اللفظة في مقام كهذا ـ الباحث ـ .

(٣) المرجع نفسه (ص٤٢) ويرى ـ لزاما ـ تشبّع (الأديب المسلم) بالتوحيد ومرتكزات التصوّر الإسلامي كما يُتخم (الأدب الماركسي) مثلا بمفاهيم المادية (الديالكتيكية) و(التاريخية) .
انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص١٥٩) .
ويرى الدكتور صلاح الخالدي في كتابه "نظرية التصوير الفني عند سيد قطب" أن سيدا رحمه الله أسهم في نظرية التصوير هذه لتفنيد ادعاءات الفجوات بين الدين والفن . انظر (ص٣٨٤-٣٨٥) من الكتاب ذاته .

(٤) كثير من مثقفي زماننا يرون من النشاز والرجعية تخطئة أديب حول فكرة ، أو مراجعة آخر في عبارة ، وليس في معجمهم هذا حلال وهذا حرام ولو كانت فكرة مصادمة للدين!
وأعجب ماقرأت لمنكري صلة الأخلاق بالأدب ماكتبه نبيل سليمان في كتابه "فتنة السرد والنقد" (ص٩-٣٥) .

الناس من مستنقعاتها القذرة ، وتدفعه إلى أن يرتفع إلى فوق ، ولكن تكتب عنها محببة مغرية ، داعية أكبر قدر من الناس لكي يخوضوا في أوحالها إلى أعناقهم .. إمعة تصدر عنها الكلمة ، أو التعبير ، أو الصورة ، أو الصوت ، مبتذلة رخيصة ، دونما إحساس غامر أصيل"[١] .

ويرى أن أوقات حكم المجتمع الضعيف في تطبيقه (الالتزام) الإسلامي ، دليل على أن الانحرافات الصريحة في التعبير ـ حينها ـ والتحدّي السافر لقيم الإسلام الثابتة تشكّل في نفوسنا تصوّرا ظاهرا لعاقبة الحرية المطلقة غير المنضبطة في تعبيراتها الذاتية ويضرب مثلا بانحرافات شعر الخمريات عند بعض الشعراء ، وانحراف الصوفية عبر بوابة تعبيرات أهل الحلول والاتحاد بين الخالق والإنسان[٢] .

ويثبت أن نشوء التجربة والدافع للتعبير يزداد انبعاثا عند الأديب المسلم مادام قد قُضي على آلامه وتوتره وعذابه ؛ لأن هذا معين لإثراء معطياته الأدبية التعبيرية . ويكون الإسلام بضبطه وتوازنه ومنهجه (الالتزامي) "فتح الطريق أمامه ـ بعد أن حقق الوئام بينه وبين العالم ـ إلى أن يطرق أبوابا أخرى ، ويجتاز دروبا جديدة ... ويعمِّق برؤيته التي فتحت أمامها الأبواب الموصدة مدى تجربته ... لقد قضى الإسلام على التوتّر بصيغه التي قد تؤثّر على السويّة النفسية ، وتقودها إلى الدمار ،

---

(١) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٣٣-٣٤) .
وتمثيلا لعلاقة الدين بالشعر ، انظر : الالتزام الإسلامي في الشعر ، د. ناصر الخنين (ص٢٩٥-٣١٤) ، والإسلام والشعر دراسة موضوعية ، د. إخلاص فخري عمارة (ص٧-١٠) مبحث "تهم باطلة" .
وفي التزام (المسرح) انظر كلام الأستاذ محمد حسن بريغش حول ظهور المرأة أمام الرجال على خشبة المسرح في كتابه : دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة (ص١٦٣-١٧٥) وفيه يردّ على آراء د. نجيب الكيلاني في ذلك ، مع ملاحظة إقذاع بريغش في الهجاء حينا مما لايليق بالحوار العلمي الهادف ، وانظر : الندوة الثقافية الكبرى ، إصدار الحرس الوطني (ص١٥٤-١٥٥) ورقة عمل للدكتور نجيب الكيلاني ـ رحمه الله ـ .

(٢) انظر : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٢٤-٢٥) .

ولكنه (خلق) [١] في أعماق المؤمنين توتّرا من نوع جديد ، يعرف هدفه معرفة يقينية"[٢] .

وينظر إلى التصوّرات الإسلامية الملتزمة بكونها "تفجّر في وجدان الفنان المسلم ـ أكثر من غيره ــ شعورا حادّا بالزمن ، وتدفعه إلى مزيد من (التعبير) باعتباره عملا يتقرب به إلى الله على الطريقة الإسلامية المتوحّدة ... انبثاق يؤدي بتوحد رائع هدفين اثنين : الاستجابة لحاجة الفنان الملحّة إلى التعبير ، والتقرب إلى الله .. لأن هذه الاستجابة بذاتها ... ليست سوى حمد وتسبيح للخلاق الذي أتاح للإنسان هذه المساحات التي لاتحدّها حدود"[٣] .

والإسلام لايقف أبدا أمام (الأشكال) والقوالب مادام المضمون متوافقا مع التصوّر الأصيل ، بل يرى عماد الدين أن إطلاق الحرية الشكلية قد انسحب على الحكم والإدارة والاقتصاد والاجتماع والآداب والفنون "والإسلام يرفض من الأشكال ـ فقط ـ تلك التي ارتبطت عضويًا بمضامينها ، وأصبح من الصعب فصل إحداهما عن الأخرى ، وإلا تعرَّضتا للقتل ، أو أخرجتا المتشبثين بهما عن قواعدهم العقائدية الأصيلة"[٤] .

ويضرب مثالا على رفض الشكل المرتبط بالمضمون بجانب المسرح ، فيقول : "إذا كان الفنان المسلم يشعر باستعلائه إزاء مايطرحه الفن المسرحي من مضامين عبثية خاوية ، أو ماديّة مغرقة ، أو خيالية مريضة ، أو واقعية هابطة (Realism) أو طبيعية مسرفة ، أو رمزية وثنية (Symbolism) ؛ فإنه ــ من جهة أخرى ــ يفتح صدره للأشكال المسرحية (الدينامية) التي بدأت في العراء المكشوف ، وظلّت تتطوّر حتى بلغت ـ في العصر الحاضر ـ المسرح الآليّ الدوّار"[٥] .

---

(١) سبقت الإشارة إلى استخدام هذه اللفظة ـ الباحث ـ .

(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٥٧) .

(٣) المرجع نفسه (ص٥٨) وهذا ما لم تلق له بالا أنظمة البشر وأفكارهم .
انظر في تقرير هذا : تهافت العلمانية ، د. عماد الدين خليل (ص٤٧-٦٦) وقد ذكر فيها عشر نقاط قيمة في بيان اختراق منهج العلمانية في تعامله وماينبته من انفصام عجيب .

(٤) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٨٤) .

(٥) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

والتقصير في الاستعمال والتوظيف مسؤولية هذه الأمة التي تحب الاتكالية والرتابة ، ونحن "إن لم نُعِدْ تشكيل عقولنا لكي (تعمل) كما أراد لها الإسلام أن تعمل .. فلن تكون لنا خارطة أو مكان في هذا العالم"[١] .

ويمثِّل بضبط هذه التصوّرات لمسألة الخيار ، وأنه لايدخل دائرة الحرمة إلا بالمضامين التي يلتصق بها ويطرحها "فإنْ كانت عبثا وتحلّلا وإثارة ، وتخريبا وهدما وفجورا فهو الحرام بعينه ، وإن كانت جدًّا وبناء والتزاما فكريا وأخلاقيا كانت الحلال بعينه ، بل إنها لتغدو واحدة من الضرورات التربوية التي تعتمد الأدب وسيلة مؤثرة فاعلة لتحقيق أهدافها البنائية"[٢] .

ويلمح في هذا تأصيلا لموقف المرء من (الأدب) عموما في نشاطه ، وأنه نشاط محايد لايحكم عليه ابتداء قبل ممارسة دوره ووظيفته ، ولايرى ـ لزاما ـ على الأديب أن ينتظر آراء الفقهاء ليُقْدِم أو يحجم[٣] ، فإن أصاب فأجران ، وإن أخطأ فواحد![٤]

ونراه ـ في جانب آخر ـ ينتقد أولئك المتعجّلين ، من الدارسين المتشنِّجين ، الذين يريدون تنفيذ قوالب صارمة حين يقومون بتصنيف أعمال إبداعية لأناس يصنّفون اجتماعيا تحت طبقة معينة ، ويرى أنه لايلزم استتباع التصنيف الطبقي بآخر فني ، ويذكر أنه اطّلع على حكم بعضهم ، وحاول "أن يتثبت من هذا الذي يقوله الرجل[٥] .. أن يصدِّق استنتاجاته التي يكتبها بحرارة وإلحاح .. فلا يصل إلى مايرجوه"[٦] .

---

(١) حول تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل (ص١٧٦) .

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٦١) .

(٣) لكن انضباط الأديب يقتضي الاهتداء ابتداء بوصفه (ملتزما) ، وإنما شفاء العيّ السؤال ، وليس الاجتهاد متاحا إلا لمن ملك أدواته ـ الباحث ـ .

(٤) انظر : المرجع نفسه (ص١٦٢) .

(٥) كثيرا ماتقرأ أو تسمع عن بعض الأحكام (العامة) بألفاظها غير المنضبطة وعباراتها الفضفاضة ـ حينا آخر ـ ، وحين تتوجه إلى الأعمال التي أطلقت عليها هذه الأحكام ، وتقترب منها أكثر ، تجد أن هذه الأحكام متجنية .. قد تصيب في شئ من زواياها ، لكنها تعتمد العواطف وإثارتها ، وماهكذا ياسعد تورد الإبل!! ـ الباحث ـ .

(٦) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٦٧-١٦٨) .

ويرى أن هؤلاء سيجنون على أنفسهم بأنفسهم ، وأنه "مهما يكن من أمر فإنهم إن لم يختاروا أن يتعلّموا بأنفسهم من الوقائع والأحداث والمتغيرات ، فستتولّى هذه إرغامهم على التعلّم ماداموا لايؤمنون بالاختيار الثقافي ويصرّون على منطق الحتميات!" (١) .

ويوقن بأن فتح الأعين جيّدا إزاء ماتعرضه الحضارات الجديدة ، والقيام بالانتقاء والفحص هو سبيل التقدّم وفق سلامة التصوّر ، والتزام القيم الإسلامية(٢) وهو مايسميه (الاختيار الحضاري الإسلامي) (٣) .

ولعلّ من الالتزام في الاختيار الحضاري الإسلامي معالجة قضايا الأمة المصيرية ومعالجة فقرها وجهلها ، وحرمانها وأمراضها ، تصويرا وعلاجا .. وهو مما يُعَدّ (عماد الدين) مبرِّزا فيه من خلال معالم شخصيته التي مَرَّتْ بنا آنفا .

وينقل عن (سارتر) قوله : "إن لم يكن الأديب حليفا للمظلومين ، فلن يكون إلا شريكا للظالمين" ، ويرى أن ليس أحد أجدرَ من أدباء الإسلامية ــ في التزامهم وعمق تصوّراتهم وبعد نظرهم ــ بمعرفة حقيقة أنهم إن لم يكونوا مع المظلومين فسيكونون مع الظالمين ؛ لأن الكلمة (فعل) يبرِّر للظالم أو ينتصر للمظلوم وهي حدٌّ وسط بين فاعلية اليد ورفض الباطن الصامت(٤) .

---

(١) المرجع السابق (ص١٦٩) .

(٢) حينما قال نقادنا : (أعذب الشعر أكذبه) ، فإنهم "إنما أرادوا الإشارة إلى الخيال الشعري لا إلى الكذب الذي هو ضد الصدق" ،انظر : قضايا في الأدب الإسلامي ، أ.د. محمد بن سعد ابن حسين (ص٢٩) ، وانظر : رسالة الهناء ، لأبي العلاء المعرّي ، تحقيق كامل كيلاني (ص٩) وانظر (ص١٢-١٧) منه .

(٣) انظر ـ في هذا ـ : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٨١) .
أما إذا اعتقد الأديب مايعتقده غيره ـ مما يخالف تصوّراته وقيمه ـ فستكون لدينا أعمال تستّن بما يعيبها ، من أمثال رمزيّات الصراع بين الإله والإنسان في (أولاد حارتنا) على سبيل المثال . وانظر في ذلك الكتاب النفيس ـ بحق ـ للأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعني "جوانيّات الرموز المستعارة لكبار (أولاد حارتنا)" .

(٤) يرى هذا من خلال الحديث النبوي الشريف "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان" . انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٧٧) .

وحركة (الالتزام) تُحمِّل الكلمة "مسؤوليتها في تاريخ الإنسان وحركته صوب الحق والعدل .. ولكننا نفترق مع هذه الحركات (كالماركسية[١] والوجودية[٢] ...) في تحديد طبيعة الظلم ومساحته .. فالشيوعية ترى مساحته مقصورة على حاجة الإنسان إلى الطعام .. على طاغية يُتْخَم وفقير يموت جوعا .. والوجودية تراها كذلك ، بدافع من مركّب نقصها إزاء الماركسية ومن الانتماء اليهودي الواحد لمؤسّسي الحركتين ، وتضيف إليها مسألة "الحرية" المتبادلة بالالتزام ... (و)[٣] الإسلام يرى أن (الظلم) هو في إخراج الإنسان عن موقعه (الطبيعي) و(الأساسي) في خارطة الكون ، في تدمير (انسجامه) مع نواميس العالم والخليقة ، في تحويله عن "حريته" و"توازنه" و"توحدّه" إلى العبودية والتأرجح والتمزّق"[٤] .

فيكون دور الأديب الملتزم مواجهة هذا الظلم وبعث روح النصرة لإخوانه في كلّ مكان .

وأصدق تعبير عن (التزام) الكلمة ـ كما يراه عماد الدين ـ هو في قول الحقّ ـ جلّ في علاه ـ ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٥] .

---

(١) تعدّ الماركسية الأدب مرآة للمجتمع ، ويلتزم الواقعيون الاشتراكيون أن الإنسان محكوم بالحتمية الاقتصادية فهي التي تحدد التطورات الحضارية والاجتماعية وفق البنيتين العليا والدنيا ، انظر : قضية الالتزام في الشعر العربي ، محمد عزام (ص٢١-٢٢) .

(٢) والإنسان فيها مصدر الوجود والقيمة الحقيقية فيه والإنسان حرّ يفعل مايريد وهو مسؤول عن اختياره !! انظر : المرجع نفسه (ص٢٢-٢٣) .

(٣) زيدت للحاجة بعد الحذف .

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص١٧٧-١٧٨) ، وانظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٤٩) ، ومدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، له (ص٦٠-٦٥) .

(٥) سورة الشعراء : آية ٢٢٤-٢٢٧ . والشعراء المذمومون هم "الذين لامنهج لهم ولاهدف ، وهم يهيمون في كلّ واد من وديان الشعور والتصوّر والقول ، وفق الانفعال الذي يسيطر عليهم في لحظة من اللحظات تحت وقع مؤثر من المؤثرات" . في ظلال القرآن ، سيد قطب (٢٦٢١/٥) . =

فهو فعل "يلتزم .. ويثور .. يؤمن .. ويتحرّك .. ويظل دائما على خط المظلومين حتى يتحقق لهم الانتصار على الظالمين"[١] .

ويذهب إلى أن موقف هذه الآيات "قد رفض الشعر الذي لايؤمن ولايلتزم .. شعر التيه والهيمان في الضباب والفناء الذاتي .. الشعر الانهزامي "المغلق" على حدود "الأنا" الغامضة ، المتميعة الضائعة حينا ، والطاغية الظالمة الأثِرَة ، المستبدَّة حينا آخر"[٢] .

ويشير إلى أن التعبير عن الجمال والحياة والروح لايخالف الحديث عن قضايا الأمة وآلامها وهذا هو الفهم الصحيح للالتزام[٣] .

وردًّا على من يرون في هذا (الالتزام) رَدْمًا لكثير من منابع التجربة ، وإيقافا لتدفُّقها الصاخب يقول : "إن الدراسة النظرية لحرية التعبير الذاتي في القرآن والسنة وكتب الفقه توضح لنا معالم الطريق"[٤] .

ويرى أنه "ليس ثمة عبث ولاجدوى كما يرى (كامي) ، وليس ثمة لامعقولية للحياة والوجود كما يرى (كافكا) ، وليس ثمة حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد كما يرى (سارتر) ، وليس ثمة تناقضات نفسية ، لانهاية لها ، تنتهي دائما بالضياع كما يرى (دستوفسكي) وذلك أن (الفن الإسلامي) يستمد تجاربه الباطنية من خلال الحقيقة لا الزيف ، ومن الاستقامة لا الانحراف ، فللوجود غاية

= ولئن أراد الدكتور غازي القصيبي بآخر الشعراء الذين يتبعهم الغاوون صاحب (الآيات الشيطانية) فإن أقرانه وأشكاله كثيرون على الطريق ، لايقفون عند شخص معين .
انظر كلام د. غازي القصيبي في كتابه : من هم الشعراء الذين يتّبعهم الغاوون (ص٨١-٨٤)
وانظر : قضية الإسلام والشعر ، إدريس الناقوري (ص٣١) .

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٧٩) .

(٢) المرجع نفسه (ص١٨٧) .

(٣) المرجع نفسه (ص١٨٨) .
والالتزام "لايعني أن يعيش الأدباء المسلمون إحساسا واحدا واهتمامات متشابهة ، وعواطف وتصورات وانفعالات نفسية واحدة ، إن وحدة الفكر لاتعني أبدا وحدة الفن" . الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد ، د. أحمد بسام ساعي (ص٣٥) .

(٤) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٢٤) .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[١] ولكدح الإنسان جدوى ﴿يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾[٢] ، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾[٣] ... وحرية الإنسان عميقة في كيانه ، لكنها ليست حرية الفوضى الخلقية التي تنتهي دائما بتهديم الإنسان ، وتمزُّق علائقه مع الوجود الخارجي من حوله"[٤] .

وهذا مايعتقده في حرية الفنان والأديب المسلم ـ مع التزامه ـ في التعبير عما يدور في نفسه ؛ إذ "ليس ثمة مايقف في طريقه صوب التعبير عن أكبر القضايا وأصغرها .. عن أشدّها قسوة وصلابة ، وأكثرها لينا ونداوة .. عن النجم الثاقب في أعماق السماء ، وعن خطفة الإيمان الغائرة في ثنايا الوجدان .. عن الأكوان والسدم والنجوم وهي تَسْبَح في مداراتها الأبدية .. وعن الذرّات التي لاتراها العيون وهي تسبح بصمت وخفاء في تلافيف الأشياء .. عن الملأ الأعلى ، والعوالم الخفية[٥] والأمم التي لانعرف عنها إلا القليل القليل : جنًّا وملائكة ، أرواحا هائمة في الملكوت ، وشياطين متحفِّزة متوثِّبة في الثنايا والمنعطفات .. وعن العالم الراهن بكل مايحويه من متناقضات ومايثقل به من حسّ وعذاب ، ومايؤرّقه من رغبة عاتية في الحرية الحقيقية والعدل والسلام ... الفنان المسلم يجد نفسه (مسؤولا) عن تجسيد المأساة وتصويرها ، وعن تشخيص مافيها من أدواء ، وعن تحديد معالم الطريق الذي يخلِّص الإنسان المعاصر من الدوّامة التي تطحنه"[٦] .

---

(١) سورة المؤمنون : آية ١١٥ .

(٢) سورة الانشقاق : آية ٦ .

(٣) سورة النجم : آية ٣٩-٤١ .

(٤) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٤١-٤٢) ، وانظر نماذج الحرية المنضبطة التي ذكرها في (ص٣٥-٣٦) .

(٥) لعله يعني ـ ولاشك ـ عرض ذلك مما جاء به النصّ ونزل به الوحي فحسب ـ الباحث ـ .

(٦) المرجع نفسه (ص١٨٧-١٨٨) . وانظر : جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر ، يحيى زكريا الآغا (ص٢٦١-٢٦٨) .
وانظر مناقشة شبهة نيل الالتزام من حرية الشاعر ـ في كلام نفيس ـ في : الالتزام الإسلامي في الشعر ، د. ناصر الخنين (ص٣١٥-٣٣٣) .

ويرى أن الأديب أو الفنان الذي لاينتمي لأي فكر أو اعتقاد ، يقع في براثن الغواية دون رشد ، ويضرب مثالا بأولئك الذين "يأتون إلى ساحة التاريخ الإسلامي فيختارون بعض وقائعه ، ويعيدون صياغتها وتركيبها وعرضها فنيا من زاوية شخصية مزاجية حينا ، تجارية مرتزقة أكثر الأحيان .. فإذا بأخطر وقائع هذا التاريخ تتحول في جوهرها إلى قصص حب جارف وغرام ملتهب يكون بمثابة السبب الأكبر والأهم وراء الأحداث والإنجازات التاريخية الكبيرة بما فيها المعطيات العقيدية الصرفة .. وإذا بالعديد من الشخصيات التاريخية التي نزفت ـ عبر كفاحها الطويل ـ عرقا غزيرا ودما كثيرا ، وانتهى بها الأمر ـ في بعض الأحيان ـ إلى الاستشهاد ، إذا بها لا"تتحرك" في كفاحها هذا إلا من خلال عاطفة حب جارف وهيام عنيف آسر بالمحبوب!" [١] .

ومن جميل مطروحه مادبَّجه حول علاقة الشكل بالمضمون في العمل التمثيلي من خلال مفهوم الالتزام وضوابطه المرنة المتميزة[٢] ، ووضع ستة مقترحات مهمة لتبني هذا الاتجاه تمثيلا على قدرة (الأدب والفن الإسلامي) على التشكّل معرفيا وواقعيًّا أمام الناس[٣] .

وهكذا يكون نزول (الأدب الملتزم) إلى الساحة بقوته وقدرته على الإقناع ، متوافقا مع الأطروحات التي تَنْحَى مذاهب أخرى قد تكون متناقضة ـ أساسا ـ مع هذا التوجّه المنسجم وطبيعة الإنسان في فطرته السوية ، المتناغمة مع حقيقة علاقته بالله . مما يجعله أهلا للتأثير والفاعلية ، ملغيا شبهة (التقريرية) و(الوعظية) التي يتّهمه بهما ـ وبغيرهما ـ كثير من مناوئي منهج (الأدب الإسلامي والالتزام) .

---

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢٠٧) ، ويضرب مثلا على الانفصام الذي يكون بهذه الصورة بمن يمثّل دور خالد بن الوليد رضي الله عنه ثم يأتي بعد شهرين فاسقا شرّيرا أو متملّقا ذليلا ، وبمن تمثل دور الشيماء أخت الرسول عليه الصلاة والسلام ثم تمثل دور امرأة ساقطة . انظر (ص٢١٠) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص٢١٠-٢١٣) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص٢١٣-٢١٦) .

فالأدب المشحون بهذا التصوّر المنضبط لايمكن أن ندعوه إلى المباشرة والتقريرية وأن يفصح عنه بفجاجة عن مطالب العقيدة والتصوّر ، وظنّ مثل هذا مردود جملة وتفصيلا ؛ لأن (الالتزام) "لن يتحقق بصيغته المقبولة إلا بأن يتفجر من الداخل .. أما إذا أقحم على العمل الأدبي إقحاما فإنه لن يكون التزاما ولكنه توظيف سئ للفن والأدب"[١] .

وحين يستقر هذا التصور في نفس المرء ؛ فإنه يهتدي به في ظلمات التيه التي تسحق غير المهتدين بهذا القبس!

"ومن ثم يجئ الالتزام عجيبا فذًّا ، لم تشهده مذاهب الفن الأخرى ومدارسه التي دعت إلى الالتزام ، لكنها سرعان مامارست الضغط والإكراه ، والتكلف والثنائية ، والازدواج والوعظ والمدرسية .. لا لشئ إلا لأنها لم تطرح التصور الذي ينسجم وفطرة الكون والإنسان[٢] ، وإلا لأنها لم تشحن حسّ فنانيها بما يفتح وجدانهم على مايحيط بهم من مخلوقات!!" [٣] .

ويستغلّ (الالتزام) حتميّة الصراع والتقابل بين الخير والشر ، والهدى والضلال ؛ لأنه يعلم علم اليقين أن هذا الصراع ضرورة من ضرورات الحياة البشرية ذاتها وهناك "صراع بين الإنسان ونفسه لمجابهة قوة الشرّ التي تستفزه من الداخل ، وهنالك صراع بين الإنسان وبيئته لمجابهة قوى الضلال التي تتحدّاه من الخارج .

---

(١) المرجع السابق (ص١٦٠) .

(٢) يحسن الاطلاع على مقال الروائية الأمريكية (ليليان سميث) تحت عنوان : "الروائي يجب أن يلتزم" . انظر : الفنان في عصر العلم ومقالات أخرى ، مجموعة من المؤلفين ، ترجمة فؤاد دوّارة (ص٥٦-٦٣) .

(٣) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٩١) .
ويقول في موطن آخر : "إن الأدب والفن عموما ، هو تعبير (جمالي) (مؤثّر) عن الرؤى والتجارب والمواقف والقناعات والخبرات .
ليس أدبا أو فنّا ذلك الذي يتشبث بالجمال وحده .
ليس أدبا أو فنّا ذلك الذي يعتمد على التأثير وحده" . مؤتمر الأدب الإسلامي (١/١) ، بحث الدكتور عماد الدين خليل "وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي" .

وفي الحالتين تتحرك الحياة البشرية وتتجاوز مواقع السكون إلى التشكل المستمر والصيرورة المبدعة"[١] ، والحياة التي لاتفيد من هذا الصراع في ذاتها وأفرادها حياة ثابتة "أتراها حينذاك تعدو أن تكون بحيرة راكدة؟ وهل تكون حينذاك جديرة بأن تعاش حقا؟" [٢] .

ويتذكّر (الملتزم) ـ في فعله وقوله ـ التزام رسوله ﷺ في فعله وحركة لسانه ؛ حيث "مضَّى ثلاثة[٣] وعشرين عاما يواصل التزامه ليلا ونهارا .. لم يتساهل ولم يرتح لحظة واحدة .. مضى لكي يؤدي المطالب الصعبة ويضرب بسلوكه النبوي مثلا للذين يعايشونه ، ولكل القادمين فيما بعد علَّهم ينفّذون عشر ماكان عليه الصلاة والسلام ينفّذ"[٤] .

وهو تعامل مع نفس بشرية لها قوتها وضعفها ، وإحساسها بالخير ، وانسياقها مع الشر ، لكنه المنهج الذي يضبط هذه النفس ، ويعلي من قدرها بإعلاء توهُّجها وتوجُّهها[٥] .

ومما يذهب إليه ـ كذلك ـ الدكتور عماد الدين خليل أن الالتزام "أصبح في العقود الأخيرة بخاصة ، نظرية عالمية تأخذ بها وتتبنّاها كبرى المذاهب والاتجاهات الأدبية"[٦] .

لكن فكرة الالتزام (الوجودي) ـ على سبيل المثال ـ التي نادى بها (سارتر) وتلامذته تقوم على النفي المطلق لكل القيم والمقولات والعقائد السابقة ؛ وبهذا ينتج الأديب (الوجودي) رأيا مستقلا تجاه كلِّ واقعة جديدة تمر به ، والحكم مردود إلى رغباته ونزواته ونظراته!

---

(١) الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص١٣٨) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) في الأصل (ثلاثا)ولعل الصواب ماأثبتناه ـ الباحث ـ .

(٤) المرجع نفسه (ص٤١) .

(٥) راجع كلام د. عماد الدين الرائع عن تعامل منهج الإسلام مع الروح والنفس في كتابه "العلم في مواجهة المادية" في تسع عشرة فقرة ـ الباحث ـ .

(٦) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٦٠) ، وانظر : النقد الأدبي قضاياه واتجاهاته الحديثة ، د.عماد حاتم (ص٣٨-٣٩) .

ويرى أنهم موصوفون بمثل قوله تعالى : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ﴾[١] .

يقول سارتر : "قد تسألون : ملتزم بماذا؟ إذا قلنا : بالدفاع عن الحرية كان جوابنا سريعا : هل القضية أن نكون حرّاسا للقيم المثالية ، أم علينا أن نحمي الحرية العينية اليومية"[٢] .

و(سارتر) نفسه يرفض مقولة (الالتزام الشعري) ، ويذهب إلى أن الشاعر لايمكن أن يلتزم[٣] ، فالشعر متفلّت عنده من الشاعر بلا خطام أو زمام ، والالتزام لايكون إلا عن إرادة وقدرة! [٤]

ويستدرك هذا الدكتور عماد الدين بالتفاتة جميلة ؛ حيث يؤكّد قدرة القوة الإيمانية والممارسة على "تطويع الأداة الشعرية لتحقيق الالتزام المرتجى .. ليس هذا فحسب ، بل إنها قادرة على تحقيق التوحد الكامل بين الشاعر والموقف

---

(١) سورة النجم : آية ٢٣ .

(٢) الأدب الملتزم (ص١٠٣) نقلا عن : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٠٨) .

(٣) يعرض بعض الباحثين جانب التزام الشعر (قضايا المجتمع والأمة) على أنه (واقعية اشتراكية)! وفي هذا مغالطات عديدة .
"صحيح أن الاشتراكيين يقتربون من هذا المفهوم ، لكن الأصح من ذلك أن الإسلام قرّر مذهب الالتزام قبل الاشتراكية ، فقد صوّر الشعراء وهم يهيمون في كلّ واد ، واستثنى منهم الشعراء المؤمنين ، إيمانا بتجاوز الحناجر إلى الضمائر ، يؤمنون ، ويعملون الصالحات ، ويذكرون الله ، ليس ذكرا لسانيّا بترديد لاإله إلا الله ، بل ينطلقون من منهج الله" .
انظر : اتجاهات الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ، د. عبد الله الحامد (ص١١) ، والحضور مقالات في الأدب والحياة ، أزراج عمر (ص٢٢٥) .
وانظر : الأنواع الأدبية ، د. شفيق البقاعي (ص٢٢٧-٢٣٠) ، وفي النقد والأدب ، ماكس أديريث ، ترجمة د. عبد الحميد شيحة (ص١٥٢-١٥٤) في مسألة رفض الالتزام .

(٤) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٠٩-١١٠) بتصرّف . ويقارب د. عماد الدين بين مفهوم التفلّت وانزلاقية الشعر إلى الازدواجية القاتلة الواردة في آيات (الشعراء) ولكن نظرة (سارتر) أحادية الجانب تمارس خطيئة التعميم . انظر : المرجع نفسه (ص١١٠-١١١) .

﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[١] "[٢] .

والالتزام الإسلامي يتوسّط في نظرته هنا ، فلا هو بالذي يخرج الشعر من دائرة الالتزام مدّعيا عدم قدرته على تفعيله ، ولا بالذي يصنع منه أداة دعاية! "ولكنه يضعه موضعه الحق على ضوء القدرة البشرية على تحويل المادة الشعرية إلى ممارسة تعبيرية ، يتوحّد فيها القول بالعمل ، ويلتقي الظاهر بالباطن ، وتتّحد الكلمة بالسلوك"[٣] .

وهذه الحرية الإسلامية التعبيرية تنطلق وفق حضارة الإسلام المجيدة[٤] ، لاتحيد عنها ، ولاتنفكّ منها ، ولئن كانت بداياتها ـ بلبوس الالتزام ـ قد تبدو ضعيفة من حيث التعامل الفني ، فتظهر البداية هشّة مسطّحة ؛ إلا إنها تتفاعل وتتنامى مع الزمن ، فتبدو أكثر أصالة وعمقا وتأثيرا ، ويرى أنه قد لايكون حينها ثمة متّسع للتحسين الجمالي ، والتزويق الفنيّ ، لكنّ هذا النوع من التعبير المنضبط ـ بعد ذلك ـ "يتجاوز طرح المعاني المباشرة التي اقتضتها الضرورات التاريخية الأولى"[٥] .

---

(١) سورة الشعراء : آية ٢٢٧ .

(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١١١) .

(٣) نفسه .. وهذا من الردود على من لايرون الصلة بين الأدب والسلوك تفاعلا وتقويما بل يرون أن (الأدب) محايد! وأنه لم توجد فنونه لتخدم الأخلاق ـ الباحث ـ .
وانظر ـ مثالا على هؤلاء ـ : مع الشعراء ، د. زكي نجيب محمود (ص١٨٧-١٩٧) .
ومأأجمل ماكتبه الدكتور محمد رجب البيومي حول الميزان الخلقي في النقد الأدبي في كتابه "بين الأدب والنقد" (ص١٩٩-٢٠٦) ، وانظر كذلك (ص٢٤٥-٢٥٢) ، وانظر : تلبيس مردود في قضايا حية ، د. صالح بن حميد (ص٢٢-٢٧) .

(٤) انظر في مقدرة هذه الحضارة على التأثير : قالوا عن الإسلام ، د. عماد الدين خليل (فصل الحضارة الإسلامية) (ص٣٢٩-٤٠٦) ففيه نقولات معبرة ، وانظر : الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي ، د. عماد الدين خليل (ص١٤٥-١٥٣) مثالا على خصائص الإسلام .

(٥) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢٣٢) .

ويميل عماد الدين إلى أن القرآن الكريم بهر عقول العرب وقلوبهم ، فظهرت آياته مثلا أعلى في التعبير لايطيقونه ، فانساق الشعراء الروَّاد في لحظات الانبهار هذه وراء تأثيره ، ثم لَما ابتعدت الأجيال التالية عن لحظات الانبهار أكثر من ذي قبل عاد تمثّل الشعراء كما كان من جهة التجربة وظهورها بصورة أكثر فنّية وبهاء وجمالا . وهو احتمال خطر في ذاكرته وهو يسترجع أدوار الزمان وعطاء هذه الأمة فيها[١] ، ويراه تخمينا قد يتأكّد وقد يبقى ظنّا[٢] ، ولكنه قد لايخفى أن هناك نماذج ولمحات قيّمة في النتاج المبثوث بعد ذلك ، واكتسب الشعر بعدها خبرة ومرونة وطول نفس ، "وإذا كنا في العقود الأولى لانكاد نعثر إلا على لمحات مبعثرة هنا وهناك ، تكدُّ العين في الوقوع عليها ، فإننا في القرون التالية نجد أنفسنا في إسار صعوبة من نوع آخر تماما : الكثرة المحيِّرة .. بحر من العطاء الشعري الذي لايدري الإنسان ماذا يأخذ منه وماذا يدع!" [٣]

وينادي ـ عبر مقترح جيد ـ إلى أن يتداعى أديب متفرِّغ أو لجنة من أدبائنا ونقّادنا ، لتنفيذ مشروع مهمّ ـ يخدم بيان هذا التوهُّج في النتاج الملتزم عبر تاريخنا ـ حيث تقيد وتصنف الأعمال الشعرية عبر تاريخنا الأدبي كلّه ؛ وفق المعايير والضوابط الإسلامية ، ثم تكون الدراسة والنقد والتحليل ، وقد يعنون لهذا المشروع تحت شعار : (ديوان الشعر الإسلامي) .

"وحشود القصائد الإسلامية مطمورة هناك في خضم تراثنا الأدبي ، وليس سهلا الاطلاع عليها كما لو كانت منتقاة ومعروضة في مكان واحد"[٤] .

ومما يؤكّد في خضم المعركة بين دعاة الالتزام الإسلامي في التصور والعمل أن ضوابط الالتزام تتوافق مع موقف المسلم من (الجمال) المنبعث من ذاكرة التاريخ أو حقيقة الواقع المشاهد ، فليس ثمّة جمال رجعيّ أو تقدّميّ ، وإن كان يزداد توهّجا ونضجا مع الزمن والخبرة والممارسة .

---

(١) انظر في هذا : المرجع السابق (ص٢٣٥) .
(٢) انظر : المرجع نفسه (ص٢٣٥-٢٣٦) .
(٣) المرجع نفسه (ص٢٣٦) .
(٤) المرجع نفسه (ص٢٣٨) .

ولهذا يرى عماد الدين أن معارك ثلاثينيات هذا القرن وأربعينياته حول (القديم والجديد) لم تكن تصدر عن رؤية حقيقية متوازنة ، كما إن "كلا الطرفين كان مصيبا وكلا الطرفين كان مخطئا .. مصيبا من حيث إنه ينافح عما يرتئيه جمالا فيما بين يديه من قديم أو حديث .. مخطئا في إشاحة بصره عن حقيقة أن القديم الذي يرفضه ، أو الحديث الذي يتشنج إزاءه ولايطيق التعامل معه ، يتضمن قدرا من الجمال ليس من السهولة بمكان إلغاؤه[١] من الحساب"[٢] .

ويقف متسائلا عن أولئك الذين يصابون في قدراتهم الحسية ونقائهم الروحي وعدم تمييزهم للجمال الحقيقي لا الموهوم ، كما هم "مصابون ـ أيضا ـ بما يمكن تسميته عمى الألوان .. فقدان القدرة الحسية على تمييز الحدود الفاصلة بين الألوان خلال معاينتهم العمل الفني فيتوهمونه يشعّ حمرة وردية بينما هو يعكس في الوقت نفسه ظلالا هادئة خضراء ، ويرونه يتلألأ بياضا[٣] بينما هو في بعض زواياه يعتم إلى درجة السواد الكثيف"[٤] .

وإذا كان (الأدب الإسلامي) تعبيرا جميلا عن التصوّر الإسلامي للحياة ، فإن الجمالية شرط في تكوين هذا الأدب ؛ لأنه يقوم عليها في كثير من أجزائه ، وهذا لايقف عند آدابنا ؛ بل يتعداها إلى غيرها .

وعلم الجمال[٥] (الاستتيك أو الاستطيقا) (Aesthetic) "يُعْنَى بالمفهوم اللغوي الحرفي وهو دراسة المدركات الحسية ، أو علم المعرفة الحسية التي تشكّل قاعدة الفنون الجميلة"[٦] .

---

(١) في الأصل (إلغاءه) ولعل الصواب ماأثبتناه ـ الباحث ـ .

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص١٧٠) .

(٣) يسوِّغ كثير من مثقفينا التحرّر من (قيود) الالتزام التعسّفية ـ في نظرهم ـ ادعاء للتنفيس عن (المواطن في البلاد الإسلامية والعربية)! وكأنّ آلامه وآماله تنطلق مسارات العمل لها من خلال هذا الانعتاق (الفريد)! ـ الباحث ـ .

(٤) المرجع نفسه (ص١٧٢) .

(٥) يعبر بعضهم بمصطلح (الجماليات) خلوصا من إشكالية مصطلح (العلم) . انظر : في الجماليات نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن ، د. علي أبو ملحم (ص٥) .

(٦) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٣٧-٣٨) .

ويذهب عماد الدين إلى أن الأسس الجمالية لحركة الأدب الإسلامي تركز على دائرة النشاط الأدبي والفني عموما لكونه نشاطا إبداعيا جماليا ، ويحقّق أن تميّز منهج الأدب الإسلامي ذاته يوجب تميز الأسس الجمالية المنبثقة عنه ، ولاتهمل هذه الأسس ـ كذلك ـ مراعاة النظر إلى الكون والوجود والحياة والإنسان بحثا عن طرائق الجمال ومعطياته . وبهاء الشكل وحسن الفعل ركيزتا الجمال المتلازمتان دوما ، لاتنفكُّ إحداهما عن أختها[١] .

ويثبت عماد الدين ماذكره غير واحد من علماء العربية .. وهو أن الجمال ضربان :

أحدهما يُعْنى بالجمال في ذاته ، والآخر يبحث في تأثير الجمال في الآخرين ويربط ذلك بسعيهم في بيان مصطلحات قريبة كالحسن والإحسان والإبداع والزينة[٢] .

ويخطِّئ أولئك الذين يعتقدون أن تجميل التعبير الأدبي والفني قد يتناسب عكسيا مع الارتباط بالتجارب المعاشة ، بالمجتمع والحياة! ، ويؤكّد أننا حين نتبين نظرتهم تلك "ندرك كيف أن دعاة الجمالية رفعوا الجمال فوق الحق وهي علاقة تبدو في التصور الإسلامي ... نوعا من الافتراض الموهوم ، أو على الأقل ، الافتراض الذي يضحّي بالقيم ويعيد جدولتها بما يلحق ضررا بموقع الإنسان ودوره في العالم وطبيعة ارتباطاته بالجماعة ، فضلا عن أنه قد يضع الإبداع في مواجهة ضد القيم وليس في تساوق معها"[٣] .

ويشير إلى ذلك في الموطن ذاته فيقول : "تبدو مبالغة جمالية القرن التاسع عشر في السعي للتحرّر من ضغط القيم والضوابط الروحية والأخلاقية والاجتماعية ردَّ فعل ضدّ مايسميه (جونسون) فجاجة الأخلاقيين والنفعيين في ذلك الزمان ،

---

(١) انظر : المرجع السابق (ص٣٨) .

(٢) انظر في هذا كله : المرجع نفسه (ص٣٨-٤٦) .
وانظر تقسيم العرب للجمال في مقال الأستاذ حمد إبراهيم الحقيل في كتابه "صيد القلم" (ص٨٢-٨٣) .

(٣) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٤٨-٤٩) .

وأن الفن في الواقع فن وليس شيئا آخر ، وأن قيمة الفن توجد في ممارستنا المباشرة له ، وليس فيما يقال عن تأثيره في السلوك"[١] .

وينقل عن (جونسون) نفسه استشهاده بمقولة لناقد الرسم المعروف (روجر فراي) "تؤكّد ضرورة الارتباط بين الجمال والقيمة ، حتى في الفن ؛ من أجل أن تمنحه قدرة على التوغّل والاستشراف ، فتزيده عمقا وخصبا وامتدادا"[٢] .

ويلمح اضمحلال أنصار (الجمالية) في القرن العشرين ، وأنهم انصرفوا صوب المذاهب الأدبية المندفعة بردّ فعل مضادّ ، ومنهم من حملها وفق تصوّراته ، كما فعل الماركسيون ؛ ذلك أن "الجمالية الماركسية تُدين ، وبصيغ تعميم قاطعة ، كافة المحاولات الجمالية خارج دائرة الماركسية ، تتهمها بالسطحية ، وبتجميع ملامح متفرقة ... وهي ـ أي الجمالية الماركسية ـ على طريقة المؤسسة الكهنوتية في العصور الوسطى ، تحصر الحق المقدس للبحث في الجمال في نطاق الكهنوت الماركسي الجديد وحده!" [٣] .

وقد كان لهذه النظرة الطبقية أثرها في تقويم مسيرة النقاد العرب ؛ حيث يرى (أوفسيا نيكوف وسمير نوفا) في (موجز تاريخ النظريات الجمالية) ، أن "تعاليم اللغويين والأدباء العرب هذه هي انعكاس وتعبير نظري عن المفاهيم الشكلية التي كانت منتشرة بشكل واسع في الأشعار الديوانية (نسبة إلى الديوان مكان جلوس الخليفة) وهي معظمها أشعار منمَّقة هدفها المديح ... وقد ظهر هذا التحديد الطبقي أيضا في ترفّعهم عن الإنتاج الشعبي المعاصر لهم مثل الأقاصيص الرائعة (ألف ليلة وليلة)" [٤] .

وفي سبيل دحض هذه الافتراءات ، ينقل عماد الدين كلام نقادنا القدماء وانقسامهم تجاه قضية الشكل والمضمون ؛ مما يضعنا أمام تصور بعيد عن أحادية الرؤية ، وخطأ التعميم في الأحكام النقدية[٥] .

---

(١) المرجع السابق (ص٤٩) .
(٢) المرجع نفسه (ص٤٩-٥٠) .
(٣) المرجع نفسه (ص٥٢) .
(٤) انظر : المرجع نفسه (ص٥٩) .
(٥) انظر : المرجع نفسه (ص٦٠-٦٢) .

ولايرى (الفلسفة الغربية) بعيدة عن شطحات الماركسية والوجودية .. فأطروحات (كانت Kant)[١] و(هيجل Hegel)[٢] الألمانيّين ، و(بيلنسكي) و(جرنجفسكي)[٣] الروسيّين كذلك ـ على سبيل المثال ـ دليل هذا الشطح .

كما كانت كذلك عند (سانت أوغسطين) الذي يمثّل (الاستطيقا النصرانية) التي ترى الجمال في الإله ، والإله لديها مكان الخير الأسمى أو الفكرة (Idea)[٤] .

خلافا للنظرة السليمة للجمال في الإسلام ومنهجه القويم ؛ لأن "الجمال في المنظور الإسلامي ليس هدفا بحد ذاته ـ كما قد يتبادر إلى الأذهان ـ وماثمة في الإسلام (برناسية) تدعو إلى مذهب (الفن للفن) أو (الجمال للجمال) ... الجمال في الإسلام جمال (قيميّ) .. فما يقود إلى قيم إيجابية تبشيرا وتحقيقا وتعزيزا هو الجمال المطلوب ، ومايقود إلى قيم سلبية هو الجمال المخادع ، المرفوض"[٥] .

ويضرب أمثلة عديدة لذلك من كتاب الله تعالى ، مما يقود إلى تلمّس الجمال في هذه الحياة ، "ومن خلال هذا الحوار الذي يفتحه الله سبحانه بين منافذ الإنسان الحسية والكون ، يبلغ أولئك الذين يملكون إحساسا عميقا ، وتوقّزا متّصلا ،

---

(١) يرى (كانت) عزل العمل الفني عن الواقع ، وعزل الشكل عن المضمون ، وأن يجعل منه مطلقا في ذاته . انظر : المرجع السابق (ص٦٤) .
وانظر : الاشتراكية والفن ، ارنست فيشر ، ترجمة أسعد سليم (ص٣١-١١١) .

(٢) يرى د. عماد الدين أن (هيجل) أبان ضعف شكلية (كانت) وأنه جاهر باتحاد الشكل والمضمون وسيطر على أفكار ألمانيا وشبابها ، ويرى أن طابع فلسفته مزدوجة لأنها مثالية المذهب جدليّة المنهج . انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي (ص٦٥) .

(٣) وقد طوّرا فلسفة (هيجل) ، ورفض الأول أسس الجمالية لديه ، وأنكر (بيلنسكي) ـ كذلك ـ نظرية الفن للفن وعدّها رجعية . وألّف الآخر رسالة (الفن وعلاقته بالمجتمع) داحضا آراء (هيجل) باحثا عن الجمال في الوجود ذاته ، بينما كان (هيجل) لايراه في أرض الواقع ، ويرى رسالة الفن في الحياة تربويّا واجتماعيّا وفكريّا . انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي (ص٦٥-٦٦) .

(٤) انظر : المرجع نفسه (ص٦٣-٦٤) .

(٥) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٣٤) ، وانظر (ص٩-٣٣ ، ٣٥-٤٨) .

واستجابة مترعة .. يبلغون ـ في إطار تجربتهم الإسلامية ـ حدًا عاليًا مما يمكن أن نسميه (الحسية الفنية أو التعبيرية) تلك التي تحيل كلّ واحد منهم إلى آلة موسيقية مشدودة الأوتار ، تعزف ألحانها دوما لكي تعبِّر عن أشواقها ، أو ريشة سحرية ترسم بألوانها الفذّة لوحات عن العالم العبقري الذي صنعه الله سبحانه ، أو قلم يحترق نارا لاتكفّ اليد التي تمسك به عن الخفقان"[١] .

وهكذا كان رسول الله ﷺ يفعل مع أصحابه ، محرِّكا فيهم صفاتهم الخاصة وصدقهم الباطني ، وإيمانهم العجيب المطلق ، وفتح لكل واحد منهم ماينا سبه من الحال ، فمنهم من يتحدى الغموض ويستعلي ، ومنهم من يغلب عليه الحياء والحلم ومنهم من يأنس بتخوم المعارك الفاصلة وساعات الملاحم ، ومنهم من يأوي إلى غير ذلك[٢] .

وهكذا شأن (الالتزام) في منظومة الدراسات الأخرى ، والفنون الإسلامية ذات التأثر الواضح بتصورات الإسلام وضوابطه .

ومما أعاد عماد الدين النظر فيه ـ حول هذه المسألة ـ ماكان قد ذكره في كتابه (في النقد الإسلامي المعاصر)[٣] حول الخط العربي وسيلة تزيينية ، فقد أشار إلى كونه لايعكس رؤية إسلامية للعالم والوجود ، وأنه مسألة تاريخية .. لايقدِّم قيمة إسلامية!

فلما جاءت أواخر الثمانينيات ، أعاد النظر في رؤيته ، وأخرج لنا كتاب (الفن والعقيدة) ؛ حيث جمع فيه ماله قيمة من النصوص الفريدة لجملة من المؤرّخين والفلاسفة والآثاريين ، والنقاد والأدباء الغربيين ، ممن اكتشفوا الرؤية العقدية في الخط العربي .

وكلّ ذلك من خلال كتابه (الفن والعقيدة) الذي جاء بعد كتابه (في النقد الإسلامي المعاصر) أي بعد ثلاثة عقود تقريبا[٤] .

---

(١) المرجع السابق (ص٤٩) .

(٢) انظر : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٢٨-٢٩) .

(٣) انظر : (ص٤٤-٤٦) .

(٤) انظر في هذا : لقاء الأردن (ص٥٧) .

إن عماد الدين يقرر ـ بعد ذلك ـ أن العقيدة الإسلامية والتزاماتها وتصوراتها تضبط هذا الفن باتصالها بحبل من السماء .. وهذه التصورات المنضبطة "هي التي صاغته ونفخت فيه روحها ، وجعلته يتميز سواء كان فنًّا معماريًّا[١] أو فنّا تزينيّا مثل الخط والزخرفة"[٢] .

ومن جملة سياقات كتبه ، يطلّ علينا كتابه (الطبيعة[٣] في الفن الغربي والإسلامي) وهو دراسة في الفن التشكيلي عبر حلقة الرسم ، وقدرة الفنان (المسلم) على "أن يعتمد هذا التعبير عن رؤيته بمجرد أن يتجاوز التشخيص المحرم[٤] ويمكن بعد هذا أن تنفتح أمامه الآفاق للتعبير عن الكثير من الرؤى والمواقف والتصورات بقوة اللون وتوزيع المساحات على الطول والعرض في اللوحة الواحدة التي يمكن أن تقول الكثير مما لاتستطيع الكلمات أن تقوله .... بمجرد أن يتجاوز التشخيص المحرم أو أحيانا المكروه"[٥] .

إن انطلاق التصوّر عبر بوّابات الالتزام باستخدام لغة الفرشاة يحملنا على إدراج هذه المسائل وفق زمرتنا العلمية ؛ لأنا نتحدث عن ميزان هذه التصوّرات

---

(١) انظر جميل ماكتبه (Christie. Arnold Briggs) وترجمه د. زكي محمد حسن في كتاب "تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة" (ص١١١-١٦١) ، وكتاب الفن الإسلامي التزام وإبداع ، صالح أحمد الشامي (ص٢٨٥-٣٤٢) .

(٢) لقاء الأردن (ص٥٨) .

(٣) يعني بذلك مفهومها المتّسع في الدراسات الجمالية والفلسفية في شمول (العالم) الخارجي كلّه ، ولكنه قصد في الكتاب (المادة الخام) في الطبيعة التي خلقها الله . انظر : الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي (ص٥-٦) .

(٤) كنحت ذوات الأرواح ونحوها من التماثيل ـ الباحث ـ .
ومن أفضل ماسطّر في ذلك كتاب الأستاذ الفاضل مصطفى عبده "أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي" (ص١١٩-١٢٤) ، وانظر كذلك (ص١٧١-١٧٧) .

(٥) لقاء الأردن (ص٥٩) .

لدى الفنان والأديب الملتزم[١] .

وإن هذه الرؤية الملتزمة تنقض تخبُّطات الباحثين الغربيين في الفنون ، "فإننا لابد وأن نعثر على نوع من الثنائية أو التقسيم التعسّفي للإنسان والعالم .. وكأن تجربة آبائهم وأجدادهم إزاء الكون والطبيعة والعالم ، ألزمتهم بعبارة (إما هذا أو ذاك) ، دون أن يؤمنوا يوما بأن هنالك بديلا منطقيّا لعبارة كهذه ، تلك هي (هذا .. وذاك)! لأن الإنسان والطبيعة ، الروح والمادة ، الفكر والوجدان ، التأمل والعمل ، السكون والحركة ، الاندماج والانفصال ، التقبّل والصراع .. هي كلّها وحدة واحدة ، تسيِّرها نواميس واحدة ، وتشرف عليها من أقطارها الأربع إرادة الله الذي أعطى كلّ شئ خلقه ثم هدى .

إن تصوّر الفنان (المسلم) للفن وموقفه من الطبيعة ينبثق ـ أولا وأخيرا ـ عن هذه القاعدة الكبرى التي أتيح للإنسان والطبيعة أن يتحرّكا على مسرحها"[٢] .

---

(١) وانظر في الفرق بين الطريقين : المرجع السابق (ص٥٨) .
ومن عجب أن يتبنّى بعض كتابنا ومثقفينا مقولة "خسر الفن الإسلامي ، بلا شك ، كثيرا من جرّاء موقفه المتشدّد من مسألتي التصوير والتجسيم" وأنه استعاض عنها بالشعر والنثر و(الموسيقى!!) والزخرفة . انظر ـ من جملة هؤلاء ـ : النظريات الجمالية ، أ.نوكس ، عرّبه وقدم له د. محمد شفيق شيا ـ والكلام السابق بين علامتي التنصيص من مقدّمة المعرّب!!

(٢) الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٨١) .
وإن كان يؤخذ على الدكتور عماد الدين عدم تعليقه على بعض عبارات غيره مما جعله سندا لما يراه من مثل رؤية (جارودي) أن الفن الإسلامي ينسحب من الجوامع الإسلامية والقباب على القبور ، من ضريح تيمور لنك إلى قبر تاج محلّ (المتلألئ!) في الهند!
انظر : الفن والعقيدة ، د. عماد الدين خليل (ص٥٥) .
والعجيب أن جارودي نفسه يعبّر في نهاية مقولته التي نقلها عماد الدين عن أمر الله للإنسان ببناء مثل هذه المعالم! انظر : نفسه ، وانظر العبارات العجيبة التي لم يعلّق عليها عماد الدين أو كان في تعليقاته ثغرات قلمية لم يوفق في الاهتداء إليها ـ والله أعلم ـ حيث خلط في مسألة وجود الله في كل مكان بعلمه وبين وجوده (المحال) بذاته في كل مكان . انظر : المرجع نفسه (ص٦٧-٧١) .
وانظر : إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء ، د. مصطفى حلمي (ص٤١-٥٨) .
وماأحسن كلام الأستاذ فتحي بن الطيب حماسي عن الأصالة في كتابه القيم : إشكالية الأصالة وأخلاقيات المجتمع العربي في الفكر المعاصر (ص٦٧-٦٩) ومواطن أخرى غيرها .

يتحرك الفنان والأديب المسلم (الملتزم) بكلّ تحرّر وراحة ، وقدرة في الميدان[١] .. يضع ريشته حيث تكون "الأرض بما فيها من جبال ووديان ، ومحيطات وبحار ، وجداول وأنهار .. ومافي جوِّها من أبخرة وسحب وأمطار .. وماعليها من نبات وحيوان وطير وإنسان .. جميلة كلّها بديعة الجمال .

هذه النقطة من الّطلِّ المتلألئة في ضوء الشمس ..

هذا البرعم المتفتح تنطلق منه الحياة ..

هذه الورقة النابتة كالطفلة الوديعة تهتزُّ للنسمة الخافقة كما تهتزّ الطفلة بكل تجربة جديدة في الحياة ..

هذه الريشة البديعة في جناح الطائر ، منسّقة الألوان دقيقة التركيب ..

هذا الفرخ الناقف من البيضة ، جميلا في ضعفه ، لطيفا في سذاجته ..

هذه الأضواء والظلال تَقْصر وتمتد في حركة دؤوب ..

هذا الجدول الرقراق .. والنهر المتدفق .. والبحر المتلاطم .. والخِضَمّ المّوَّار..

هذه الهدْأة في الليل الساكن الغافي النعسان ..

والصبح إذا تنفّس من هدأته ، وتنفّست معه الأحياء ..

كلّها ، كلها جميلة بديعة الجمال .." [٢] .

فهل لهذا الدفق من الصور البديعة ـ الممكنة لكلّ أديب أو فنان ـ من منكر أو محجِّر؟!

ولهذا كله "فإن ربط الأدب الذي ينتجه الأدباء المسلمون[٣] بالعقيدة أمر

---

(١) يقول أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري : "بقدرة الأديب أن يلتزم مع بقاء حريته الجمالية . والالتزام لقيم الحق والخير يعوضه أكثر مما أخذ منه إذا كان نافذ البصيرة فيما التزم له . إنّ في محظورات الالتزام مضامينَ يبدع فيها الأديب فنيا إذا كان غير ملتزم" . جدلية العقل الأدبي (ص٨٠) .

(٢) منهج الفن الإسلامي ، الأستاذ محمد قطب (ص٨٩) .

(٣) في الأصل (المسلمين) ولعله خطأ في الطباعة ، والصواب ماأثبتناه ـ الباحث ـ .
ويقول الدكتور محمد عمارة في كلام له ـ مع اختلافنا معه في جوانب فكرية عديدة ـ عن الانتماء الثقافي : إن الحديث فيه (لم يكن لونا من ألوان "الترف الفكري" ، وإنما كان سلاحا لمقاومة الاحتواء الاستعماري للأمة ، وتحقيقا لشرط من شروط التقدم الحقيقي ، الذي يخرج الأمة من مأزق "التخلف الموروث" و"الهيمنة الوافدة") . انظر : الانتماء الثقافي ، د. محمد عمارة (ص١٣) . =

لايشكِّل أيّ خروج عن طبيعة الأدب ، بل إنه يصحِّح مسار العلاقة بين الأدب والعقيدة ، فيربطه بأصدق عقيدة ، ويهيِّئ له أوسع مجال للتصوّر وأدقه وأكثره تلاؤما مع الفطرة البشرية"[١] .

ولئن سار الملتزم بهذه الضوابط كما أريدت منه ؛ فإنه مثبت مقدرته وبراعته .. يقول أحد الباحثين ـ في كلام جميل ـ : "الفن هو الاقتدار على الضبط ، والبراعة في إحسان التحرك ، وإجادة التصرف والحركة في أضيق المساحات والمجالات ، وأدق الأطر دون المساس بها ، أو خدشها وتشويهها أوالمروق عليها[٢] والاقتدار على الحركة داخل هذا الإطار الضيق المحدود[٣] هو وحده المقياس أو المعيار الذي نفرِّق به بين الصادق والدَّعي[٤] ، وبين الأصيل الراكز والدخيل المتطفِّل!"[٥] .

وإذا كان توفيق الحكيم يقول : "الفن الملتزم هو حبس الفنان في سجن المضمون"[٦] .

فإن استمداد البصر بوجوب الموازنة بين المضمون والتعبير المتجدد المواكب لحركة الحياة .. المتناسبِ معها .. العاكس قدرةَ هذه التصورات الفذّة .. يثبت

= وتجدر الإشارة إلى أن مصطلحات "التنويريين" مصطلحات مخيفة في عمومها وتنازلاتها ـ الباحث ـ .

(١) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ، د. عبد الباسط بدر (ص٤٦) .

(٢) لعل الأفصح هو (منها) . انظر : اللسان ، لابن منظور (١٠/٣٤٠-٣٤١) .

(٣) لكأنه يريد ضيق ومحدودية التحذيرات والضوابط ذاتها ، لا مجالات عطاء الأدب الملتزم ـ الباحث ـ .

(٤) ساق الدكتور أحمد محمد علي نماذج مؤكدة الادعاء في التوجهات .. انظر ذلك في كتابه النفيس ـ بحق ـ "الأدب الإسلامي ضرورة" (ص٥٠-٥٥) .
وهذه النماذج لنازك والسياب ومحمد الفيتوري ونصار عبد الله وأبي ماضي وأدونيس وغيرهم.

(٥) من قضايا الأدب الإسلامي ، د. صالح آدم بيلو (ص١١٨) .

(٦) نقلا عن : الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي ، د. شلتاغ عبّود (ص٦٩) .

ـ بيقين ـ أن الدعوة لاتحفل بعبارات عامة .. فالأدب الإسلامي هو الأدب (الملتزم)[١] .. وهكذا يجب أن يكون .. متأثرا بالرؤية الإسلامية الربانية ، ذات القدرة والقوة . وإن نادى غيرُ أهلِ الهدى بشعاراتهم الزائفة ؛ فإنها لاتتعدَّى ماقاله أحدهم عن شعار (الحرّية) مؤكدا أنهم يتخذون لأنفسهم "هدفا ثابتا ، وهو سيطرة الحرية في المستقبل البعيد عن طريق الاشتراكية"![٢]

ومأأجمل ماأكّده الأستاذ محمد قطب .. حين قال : "ونترك أوربا تقول في دينها ماتشاء . ولايعنينا هنا أن نصدّقه أو نكذّبه ، لأننا لانتحدث عن الدين عامة ، وإنما نتحدَّث عن الإسلام"[٣] .

---

(١) انظر ـ للاستزادة ـ في هذا الارتباط :
- الإسلام وقضايا الفن المعاصر ، د. ياسين محمد حسن (ص٢٣-٣٣) .
- في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف (ص١٧٧-١٧٨) .
- نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث ، د. علي شلش (ص٥٣-٥٤) .
- مقدّمات نقدية في دراسة القصيدة القديمة ، د. عبد الله التطاوي (ص٢٦-٤٠) .
- أثر القرآن الكريم والحديث في شعر أبي العتاهية ، د. محمد بن علي الهرفي (ص٤٥-٧٩) .
- أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، د. مصطفى عبد الواحد (ص٥٥-٨١) .
- في القصيدة الجاهلية والأموية ، د. عبد الله التطاوي (ص٨٩-١٠٣) .
- أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ، محمد عادل الهاشمي (ص٢٨٣-٢٩٨) .
- دراسات في أدب الدعوة الإسلامية ، أ.د. محمود حسن زيني (ص١٩٢-٢٨٢) .
- في سبيل الإصلاح ، الأستاذ علي الطنطاوي (ص١١،١٠٣) .
- مجلة الأدب الإسلامي ، ج(٤) ، ع(١٣) (ص١٤،٤٦،٥٧،١١٢) .
- التأثير النفسي للإسلام في الشعر ، د. عبد الرحيم محمود زلط (ص١٢٩-٢١٩) .
- شخصيات إسلامية في الأدب والنقد ، د. وليد قصّاب (ص١٨-١٩) .
- إسلاميات أحمد شوقي ، د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم (ص١١١-٢٢٥) .
- النقد الأدبي في آثار أعلامه ، حسين الحاج حسن (ص١٢٦-١٣١) .

(٢) ماالأدب؟ ، جان بول سارتر ، ترجمة د. محمد غنيمي هلال (ص٢٣٠) ، وانظر : دراسات في المسرح والأدب ، د. هدى حبيشة (ص٢٠٦-٢١٣) ، وانظر : فلسفة الالتزام في النقد الأدبي د. رجاء عيد (ص١٢١-١٤٠) .

(٣) شبهات حول الإسلام (ص١٨٤) .

ولو تركنا الأمر على عواهنه ، دون رعاية أو عناية بأدبنا وأصالتنا ؛ فإن الخرق سيتّسع على الراقع .. "وإن مدينة محاصرة ، لاتسقط أمام وفرة المحاصرين ، في سهولة ، إنما تسقط في سهولة حين يتساءل حماتُها ماجدوى حمايتها"؟![١]

وحين نوقن أن ضوابط ديننا خيرٌ عميمٌ لنا ؛ نكون أهلا لتسلّم الراية وإعلائها .. ولايكون ذلك إلا حين نوقن أن "الإسلام يهب للأمم الكسيحة أقداما تسعى بها ، بل يعطيها أجنحة تقدر بها على التحليق"[٢] .

فلابد أن ينهض الأديب والفنان الملتزم بالنتاج ، بعثا لثلاثة أسئلة مهمة :

لماذا أنتج؟ .. وماذا..؟ ولمن ..؟ [٣]

"وكيف يتأتّى لفنّان ما أن يتساوق بفطرته الصافية ، وحسِّه الكوني العميق مع ماهو خارج عن الفطرة ، ومقيِّد للحركة في مدى محدود تضيق معه الأنفاس"؟![٤]

---

(١) دفاعا عن الأدب ، كلودروي ، ترجمة هندي زغيب (ص١٣) .

(٢) الطريق من هنا ، محمد الغزالي (ص٣٨) .
وانظر : التكريم الإلهي للإنسان ، د. محمد الزحيلي (ص٤٥-٥٤) ، مبحث "تسخير مافي الكون للإنسان" .
وانظر ـ كذلك ـ : على الطريق .. لمحات وكلمات ، د. محمد أديب صالح (ص١٨٣-١٩٠، ٢١٤-٢١٩ ، ٢٢٣-٢٢٧) ، والدافعية ، د. محمد رفقي عيسى (ص٧٣-٧٦) .

(٣) انظر : محاضرات النادي الأدبي الثقافي بجدة ، إصدار النادي ، المجموعة الثالثة (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) محاضرة الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين "الالتزام الإسلامي في الأدب" (ص٣٥٦-٣٥٧) .

(٤) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٢٠٢) .
وانظر : الإسلام وحركة الحياة ، د. نجيب الكيلاني (ص٣٢٨-٣٣٢) .

المبحث الثالث
التحديث والحداثة

زار شاعر أجنبي قرية نائية .. وعرف فيها شاعرا ردئ الشعر ، أكرمه ومن معه طيلة إقامتهم في القرية ، فآثر الضيف ـ وهو يلتقي والدة مضيفه مودِّعا ـ أن يثني على ابنها ، ويمدح نتاجه ، وأنه شاعر تقدّميّ ومع الحداثة! ولكنه دهش وهي تقول ـ مقاطعة ـ : قد يكون تقدّميا ولكنه بلا موهبة ، وقد يكون ساعيا وراء الحداثة ولكنّ الحداثة في الصّين وهو هنا ، وقد يحاول تجاوز نفسه ولكنه يراوح محلّه وقد يحاول في أشعاره معالجة موضوعات عصرية ، ولكنّي لاأفهم حرفا واحدا منها وأعتقد أنه هو نفسه لايفهم!. (١)

لابد أن نطالب أنفسنا بالتحديث دوما .. أن نتجاوز النمط الواحد الثابت الذي لايتحول .. ولكن يكون ذلك وفق (استراتيجية) معيّنة منضبطة ؛ حتى لايكون ثمة عبث وتشتت .

نطالب بالتحديث "مادام أن (الشكل) في معظم حالاته صيغة حياديّة ، يمكن أن تخدم أي تصور على اختلاف التصورات"(٢) .

يقول عماد الدين : "إن هنالك حدودا للتغير والتجديد يتوجب أن يقف عندها الأديب الجاد ، وإلا سقنا معطياتنا الأدبية إلى الضياع الذي لانصل في صحاريه المترامية إلى قطرة واحدة من ماء"(٣) .

فلم يكن النهج القويم ـ في أي مرحلة من مراحل عطائه ـ عائقا أمام الفاعلية والرقيّ .. ونحن نلمح "الموقف الوسطي للنظرية الإسلامية بصدد الثابت والمتحول .. (الستاتيك والديناميك) ، في تيار الإبداع الأدبي .. إنه ـ بتركيز بالغ ـ رفض للسكون التام من جهة، وللحركة العمياء من جهة أخرى .. احترام لعناصر الديمومة والثبات من جهة ، وانفتاح على قوى التجديد والتغيير والتحول من جهة أخرى .

---

(١) انظر ـ ملخّصا ـ في النقد الأدبي ، د. يوسف بكار (ص١٥٥) .

(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٣٧) .

(٣) المرجع نفسه (ص١٤٧) .

إن الأدب الإسلامي لايجد أيما عائق يصده عن قبول الجديد المتغير مادام أنه لايرتطم ورؤيته للكون والعالم والأشياء .. ولكنه لن يضحي ــ خلال تقبله ذاك ــ بأي من العناصر الثابتة التي تمثل عصب الإبداع الأدبي وهيكله العظمي ــ إذا صح التعبير ـ وإلا غدا العمل الأدبي رخوا متميعا ، رجراجا ، لايشده رابط ، ولاتمسك به شخصية مستقلة متبلورة"[١] .

وعماد الدين ممن نادى إلى تحرّر الأديب من عقدة الخوف من (الأشكال) الجديدة في المسرح والشعر والقصة والأقصوصة والرواية ؛ مادام المرء شامخا برؤاه الفكرية وتصوراته وثوابته[٢] ، صامدا أمام رياح تغريبه وتغييبه .

ففي العمل الروائي ، و(تحديث) الشكل فيه جاء كتابه "محاولات جديدة في النقد الإسلامي" تطبيقا واقعيّا عبر مجال النقد لهذه المناداة (التحديثية) من خلال تناول رواية (عمالقة الشمال) لنجيب الكيلاني ، ومجموعات قصصية لآخَرَيْن[٣] .

فقد رأى في أعمال أحد هذين الأخيرين ـ وهو الأستاذ محمود مفلح[٤] ــ القصصية اتكاءً على نمط جديد في التعامل مع (الشكل) في العمل الإبداعي وهو "أن تندمج في الصورة الواحدة والموقف الواحد واللحظة الواحدة أحداث وتجارب وصور ومواقف تخلّقت في أزمان وأماكن شتى ، وأن يعرضها علينا وقد تكسّرت فيها عقارب الساعة ومقياس الكيلومترات .. أن يصوغها بأبعادها الجديدة غير أبعادها المألوفة طولا وعرضا وارتفاعا"[٤] .

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة فسها .

(٢) يقف ـ في مضمار الشعر ـ شعراء إسلاميون مجيدون ، برزوا في شعر التفعيلة إلى جانب الشعر العمودي ، منهم : طاهر العتباني ، ود. حسن الأمراني ، ود. صابر عبد الدايم ، ود. مأمون فريز جرّار وغيرهم ـ حفظهم الله وبارك في جهودهم ـ الباحث ـ .

(٣) انظر : محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢٠٩-٢٨٩) ، وانظر مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، له (ص١٤٣) .

(٣) ستأتي ترجمته في مبحث القصة في فصل التطبيق .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين أديب (ص٢٧٧) .

ويؤكد هذا التوجه منه بقوله : "لاننذهب إلى النهاية مع (آلان روب جرييه) رائد مدرسة (الرواية الجديدة) التي تدعو إلى إلغاء وجود الزمن في العمل القصصي ، وتفكيك سلسلة الأحداث ، وإلغاء الشخصيات ، واستبدالها بأخرى لاتملك أسماء ولاوجوها .. ولاماضيا ولاحاضرا ولامستقبلا .. وتصفية العقدة والحبكة .. إلى آخره .. ولكننا في الوقت نفسه نرفض التشبث التقليدي بالرؤية الفنية أحادية الجانب ، والتي تعتمد شكلا سكونيا محددا تنسج على نوله"[١] .

وهو السعي نفسه في مجال (التحديث) في الشعر .. حين يستخدم النوع الشعري الذي يتخم بالنَّفَس الشعري ، ووقع الموسيقى الداخلية أو الخارجية .

أما (النثر الشعري)[٢] فبناؤه الفني معتمد الموسيقى الداخلية التي لاتتكئ على السُّلَّم الموحّد للقافية ؛ ولكن على "الإيحاءات المشحونة ، وتداعي المعاني والخواطر والأفكار ، وتداخل اللحظات الزمانية والمساحات المكانية ، في نسق معين يشدّه مجرى واحد ، يجري إلى مصيره هادئا حينا ، صاخبا حينا آخر"[٣] .

و(الموسيقى الخارجية) ـ أو التفعيلة ــ في المقطوعة النثرية الشعرية[٤] تلغي الصدى بل الأصداء الخافتة للموسيقى الداخلية إن هي أدخلت عليها بوضوحها وإيقاعها الرياضي .

وهذا مايراه عماد الدين مُذْهبا أثر المقطوعة النثرية ،وقد يصدر "عن عفوية حينا ، وعن جهل تام بالتفعيلة أحيانا أخرى ، وعن تعمد في صياغتها وحشرها بين ثنايا المقطوعة أحيانا ثالثة ، بحيث إننا نجد بين حنايا المقطوعة النثرية مقاطع تقوم على تفعيلة من بحر معين ، بل ومن بحور عديدة في المقطوعة الواحدة"!![٥]

---

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص١٤٥-١٤٦) ، ومحاولات جديدة في النقد الإسلامي ، له (ص٢٨٥) .

(٢) انظر : جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص١٦) ، وانظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، له (ص١٣٧) ومابعدها .

(٣) جداول الحب واليقين ، الصفحة نفسها .

(٤) لإسماعيل العيسى مبحث جيد في المقبول والمرفوض من أوزان الشعر الحرّ . انظر : نقض أصول الشعر الحر ، له (ص١٨٥-٢٠٠) .

(٥) انظر : جداول الحب واليقين (١٦) ، ومدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص١٣٧) ومايليها.

ويضرب مثالا على ذلك بما جاء في كتاب (رحلة الربيع والخريف) لتوفيق الحكيم ؛ حيث جاء في القسم الأول من الكتاب عدد من المقطوعات النثرية الشعرية ، التي كتبها بنزعة (اللامعقول) المستوحاة من البيئة الأوروبية أواخر الحرب الأولى[١] .

وعن الأداء الشعري العروضي ، وقدرته التعبيرية الفائقة ، وروعته وجماله وبحوره ونظامه ، كان القسم الثاني من (جداوله) .. موسقا عبر هذه البحور والتفعيلات ، و"كل بحر منها يضع بين يديك عالما تقرع فيه أجراس ذات نبرة خاصة ، ونداء مستقل .. كل بحر منها يصنع بجرسه وامتداده وتقطيعه وتفعيلاته ، عالما موسيقيا شتان بينه وبين البحور الأخرى .. كل بحر منها يحمل الحروف والكلمات تارة إلى ضفاف الحزن ، وتارة إلى شواطئ الفرح .. بحار شتى تصوغ بنيانها من تفعيلات[٢] اكتسبت ملامحها وإيقاعاتها من عبقرية لغة ... بإيقاع موحد يستمد نبرته من حرف من حروف اللغة ، يعطي للقصيدة وحدتها الصوتية ، بتكرار إيقاعها الموحد ، وضرباتها التي لاتند عن النظام .. والقافية"[٣] .

ويرى الوجدان الشعري وجدانا ينأى عن الأسر والتكبيل ، مادام مربوطا بالفن ذاته .. "وشتائم النقاد وانتماءاتهم إلى القديم والحديث[٤] ، أو إلى المقيد والحر قضية غير مسلّم بها ، مادام الشعر هو الحرية ، ومادامت موسيقاه ــ بأشكالها التي لاحصر لها ـ لاتعرف قيدا ولاأسرا . كل ماهنالك أن مراهقي الشعر قذفوا إلى الأسواق في العقود الأخيرة ، بسيل من كراريس ودواوين لاتحمل إلا زبدا ، اختلط فيها الحابل بالنابل ، وتداخل على صفحاتها الغَثّ والسمين .. وبين قصائدهم

---

(١) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٣٨) ومايليها .

(٢) مما يميز الشعر العربي القديم موسيقاه الخاصة ونغماته المتتابعة المؤثّرة ، انظر ـ في ذلك ـ : الشعر العربي بين الجمود والتطور ، د. محمد الكفراوي (ص١٧٨-١٨٦) .

(٣) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص١٩/٢٠) .

(٤) لازالت المذاهب الحديثة تنبت لنا ـ انطلاقا من أرض غربية ـ توجّهات جديدة ، منها الدعوة إلى نبذ الحداثة بعد انتقادات (لوكاس وهيدغر) لها في الفن والأدب! ، والدعوة إلى (مابعد الحداثة) في ظل النظام العالمي الجديد . انظر : من الحداثة إلى مابعد الحداثة ، عفيف البهنسي (ص٩١-٩٧) .

مقطوعات فقدت تفعيلاتها ، وسموها ـ مع ذلك ـ شعرا حرا .. وآخرون كتبوا نثرا شعريا غطوا على موسيقاه الداخلية الخافتة بتفعيلات صاخبة أنسوا بها جمالا ، فاختلطت الأصوات و لم تعد تدري أهذا الذي يقال شعر أم نثر ، أم مزيج عجيب من الشعر والنثر؟

وفئة ثالثة لم تمكّنْها قدراتها التعبيرية الهشّة أن تصوغ رؤاها وتجاربها ومعاناتها صورا فنية واضحة المعالم والأبعاد ... هؤلاء وقد أحسوا بعجزهم عن البيان والصياغة ، لجأوا ـ مدفوعين بعجزهم دفعا ـ إلى التعمية والتعقيد والإغراب والإلغاز . ونقرأ مايكتبونه فإذا بنا لانقف على شئ مما يريدون أن يقولوه لنا"[١] .

ويذكر أساه وحزنه على هذه المغاليق المعنوية التي لايستطيع أحد أن (يقتلع) منها معنى مستقيما يصلح أن يكون فكرة مستقرة في النفس حين يرتطم بالسمع أو تراه العين مسطَّرا أول مرة[٢] .

وفي هذا المراد يقول الدكتور عماد الدين عن محاولاته في فكِّ هذه الرموز : "وإذا بنا نعمل فكرنا وعقولنا علَّ أمرا خفي علينا في القراءة الأولى يتكشف لنا في المرة الثانية .. أو الثالثة .. أو العاشرة ، فلا نحصل على مانريد . ونعود بعد يومين أو ثلاثة ، علَّ قوة سحرية تكسر جدار اللغز ، ويجئ (علاء الدين) فيفتح بخاتمه العجيب باب الدهاليز ، ويدخل بنا الأروقة التي حفروها تحت الأرض .. ولامن جدوى!!" [٣]

ويرى في هذه الاستخدامات السيئة تغييبا للعبث عبر قوالب الجدة والتحديث ولايَعُدُّ ذلك مسوّغا لأن يرفض النقاد ألوانا واستعمالات جديدة لاتلتزم البحر الواحد والقافية الواحدة .

---

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٤١) .

(٢) الغموض الذي هو من طبيعة بعض الاستخدامات والأساليب البيانية العربية مقبول ؛ ولهذا قال الجرجاني في وساطته : "لو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعرا لوجب أن لايرى لأبي تمام بيت واحد" . الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني (ص٤١٧) . والإفهام ـ كما يقول البلاغيون ـ أساس إلقاء الكلام . انظر : العربية والغموض ، د. حلمي خليل (ص١٣٥-١٣٦) ، وانظر : دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر ، د. عزّ الدين منصور (ص٩٧-١٢٢) .

(٣) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص١٤١) .

كيف يكون ذلك؟وفي عالم الشعر العمودي من لايحسن استعماله ، ويعبث قريبا من هذا النوع ، حين يحشر في قالب البحر "ومن وراء إيقاعات القوافي كلاما لاوجدان فيه ، ولاتوتر ، ولاانفعال ، أو نظما تختفي فيه عبقرية اللغة ، ويضيع البيان"[١] .

ولايرى مبررا مقنعا لرفض بعض الإسلاميين صيغا من صيغ الشعر الحديثة[٢] فيرفضون الإفادة من (ديناميكية) الأشكال المتطورة ، مادامت ـ في نظره ــ حالات محددة لايمكننا تحميلها اعتمادَ شنٍّ هجوم ضد الإسلام ولغته المجيدة[٣] .

أما التجديد والتحديث الرافض لكل قيد ، المتمرد على كل قاعدة ، الذي يجعل العمل الأدبي لغزا غامضا محيّرا ؛ فلا ينبغي أن يحفل به أحد .

ويذكر مثالا على بعض الأعمال الأدبية المختلفة من هذا النوع ، بما كتبه أحدهم تحت عنوان (النافذة) إذ يقول : "الأقمشة الممزقة ممنوحة لي عبر الشمس ، والمدينة مخدوعة بمعاطف السبت . هذا الفسق ماذا يعرف عن يدي؟ في الباحة ، المعلم الهولندي يلتقط الجواهر ـ ويخسرها أيضا ــ والساهرة اليتيمة تعتقل الرغبة هناك"[٤] .

---

(١) المرجع نفسه (ص١٤٢) .

(٢) ينادي عماد الدين إلى وجوب احترام التفعيلة والقافية الموحدة ، ومن خالف التفعيلات والبحر الواحد في القصيدة الواحدة في شعر التفعيلة والشعر العمودي لم يكن شاعرا ، انظر : لقاء الأردن (ص٤٩-٥٠) .

(٣) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٤٢) .
ويقول د. خليل عمايرة : "لسنا حقيقة ممن يحاولون إلصاق كلّ صيحة جديدة تبرز في المعاهد الغربية أو الشرقية بلغتنا الشريفة ، وليس هذا مما يشرّفها ، فقد كفاها تشريفا أن جاءت بها كلمات ربِّ العزة ، وختمت بها رسالة أكرم خلق الله أجمعين" . محاضرات النادي الأدبي بجدة ، ج(٣) ، س(١٤٠٧) (ص٥١١) .

(٤) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٤٨) ، انظر : في النقد الإسلامي المعاصر له (ص١٠٥) ، وفيه نماذج أخرى من خلال مبحث (أزمة التعبير في العراق).

ويأسى من السخف الذي يغطي مساحات واسعة من الصحف والمجلات العربية ، والعبث بالمعطيات[١] ، بدوافع عرقية أو أسطورية[٢] ، كما كان في مجلة (شعر) اللبنانية التي كتب أحد أدعياء (التقدّمية) في بغداد معلّقا على عدد منها ، وأنه أعجب به كثيرا وبخطواته (الواثقة)! ، رغم النداءات اليتيمة التي يطلقها بعض الجاحدين(!)

ويرى هذا (التقدّميّ) أن قصيدة النثر الحديثة "كالكفر في رأي أدباء الأتربة والرفوف ، الذين لازالوا يلازمون الحطيئة وابن الأحنف ، متناسين وضعنا ولحظتنا الراهنة"[٣] .

ويرى عماد الدين أن هذا وأمثاله من أدباء (القفز في الفضاء) لايواكبون لحظتنا الراهنة! فيعرض لقصيدة أحدهم المنثورة باحثا عن (لحظتنا الراهنة) هذه! ، وقد جاء في هذه القصيدة :

---

(١) يقول العقاد رحمه الله : "خطأ الدعوة إلى الاستغناء عن القافية وتعديل أوزان العروض ظاهر لمن يكلّف نفسه قليلا من البحث في حقيقة الصعوبة التي يتوهمونها للأوزان العربية ويحسبونها حائلا دون الشاعر ومايختاره من موضوعات النظم" . أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، عباس محمود العقاد (ص٨٠) .

(٢) تعدّ كثير من الأساطير التي تشحن بها النصوص الإبداعية لونا من الإلغاز والإبهام في الطرح ؛ مما لايثري النص ؛ لأن الإثراء لايكون إلا بما يعلم . انظر ـ في المطالبة بها ـ :
- (الأسطورة) ك.ك.راثفين ، ترجمة جعفر صادق الخليلي (ص٨١-١٠٢) .
- (الحضور) أزراج عمر (ص١٥١-١٥٦) .
وتقول إحدى الأديبات : "وتكشر عن حاجبيها بلقيس . ماالذي دفعك أن ترتدي ثوب شهرزاد . أوه ، حدّثينا ولكن غير أحاديث شهريار . شهريار رمز الدم ، شهرزاد رمز الألعوبة الدنيوية" .
انظر : الحداثة في ميزان الإسلام ، د. عوض القرني (ص٤٤) .
و"إنّ مثلا أعلى لاينهض من الواقع الاجتماعي ، هو مثل لايمتلك إمكانية الإنجاز ؛ لأنه في الأساس لايمتلك الشرعية الاجتماعية التاريخية" . القيم الجمالية في الشعر العربي الحديث ، د.سعد الدين كليب (ص٢٤) ، مخطوط رسالة دكتوراة من جامعة حلب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية .

(٣) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٤٩-١٥٠) .

سحرت نهرا . يصعد ظهر الغشاء . سحرت الغشاء
حربي ذلك السعر لعاب سلاحي يخشخش فرحا
رأس يوسف النجّار على كتفي ، وجميع العصافير ترن فيه
سحرت ذاكرتي .. [١]

ويؤكّد عماد الدين أن التعقيد اللغوي والذهني في مثل هذه الأعمال ، "يضع العوائق والقيود في طريق الأعمال الأدبية ؛ لأنه يصرف الكثير عن الرغبة في قراءة وتتبع تلك الأعمال حتى النهاية ، ويؤدي إلى اضطراب في (التكنيك) الفني للعمل الأدبي ، ويضيع وحدة المعنى وهدفية العطاء"[٢] .

فالعبثية بدعوى التحديث والتجديد أمر مرفوض ، "ولو سمح كل أديب لنفسه أن يعبر بعفوية مطلقة عما في نفسه ، لما بقي هناك أدب ، ولتحطّمت أطره الفنية ، ولما بقيت هناك لغة"[٣] .

---

(١) المرجع السابق (ص١٥٠) .
وانظر : مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإمارات ، ع(٥) ، س(١٤١٣هـ) ، (ص١٣١-١٦٢) .
بحث : الشعر العربي الحديث متى يسترد هويته؟ أ.د. وليدقصاب .
مجلة (الرابطة) ع(٢٩٥) ، س(١٤١٠هـ) ، (ص١٧) .
مقال : "الصليبية من وراء الشعر الحر" ، بقلم : عضو الرابطة .
ولابد من مطالعة فصول الكتابين القيمين :
(أ) أسلوب جديد في حرب الإسلام ، جمعان بن عايض الزهراني .
(ب) الحداثة مناقشة هادئة لقضية ساخنة ، أ.د. محمد خضر عريف .

(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص١٥٠-١٥١) ، وانظر غموض مترجمي الأعمال الأدبية الغربية وزيوفهم في ذلك في : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، له (ص١٧٤) .

(٣) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي _ص١٥٠-١٥١) .
وانظر ـ نحوه ـ الأدب العربي بين الحداثة والمعاصرة ، د. علي أحمد العريني (ص١٠٣-١٢١).
ويقول الدكتور غالي شكري في كلام غريب له : "ولولا أننا نمتلك تراثا عريقا في الشعر ، لكانت إحدى البدهيات أن نعود بشعرنا الحديث إلى أصوله الغربية ، ولكن هذا التراث هو الذي تسبب في (البلبلة) التي أحاطت مولد الحركة الحديثة ، فمن أجل مسايرته تحمّل الشعراء الجدد الشئ الكثير" .
شعرنا الحديث إلى أين ، د. غالي شكري (ص١١٣) .

أما البحث عن مَرْكب الإلغاز والغموض بدعوى الجدة ، فهو منال سهل للراغب لكنه بحر عميق للمتلقي الذي يطوف هنا وهناك باحثا عن مراده فلايجده! ولكن الأديب البارع هو الذي يستطيع أن يستخدم التغطية و"إحاطة الخبرة التعبيرية بأكبر قدر ممكن من المضافات الفنية التي تبعد بها عن الكلام الاعتيادي ، وهذا ـ على الأغلب ـ قد يقودها إلى نوع من الإلغاز أو الغموض ، وهما في الحقيقة ـ وبالنسبة المعقولة ـ مما يميز الإبداع عن المعاني المطروحة على قارعة الطريق .

لكن المبالغة في الإغماض وفق قصد مسبق ، قد يقود التعبير إلى التشرنق ، والعزلة ، ويصده عن الوصول إلى المتلقي فيفقد وظيفته الفنية الأساسية . إن كثيرا من قصائد الشعر الحر ـ على سبيل المثال ـ تتحول على أيدي الأدعياء وأنصاف الشعراء من المولعين بالتقليد والملاحقة ، إلى نوع من لعبة الكلمات المتقاطعة"[١] .

وقد ذمَّ ـ في موطن آخر[٢] ـ هؤلاء الذين سماهم (الأدعياء) ، ممن يحشون خطواتهم جامعين من الناس أكبر عدد ممكن ، متبعين أي أسس لمدرسة جديدة في لون من ألوان الإبداع الأدبيّ والفنيّ ، ومايسمونه (الموجة الثالثة) ويجعلونها ألوانا ممسوخة ، برموز عجيبة ، فيكون عملهم "لغزا محيّرا غامضا يعجز عن حل رموزه أي مفكر أو فيلسوف .. فضلا عن الفنان والأديب!!" [٣] .

ولن يجد قارئ هذا النتاج السقيم الغامض لذة تهزّه .. "أما أولئك القرّاء الذين عايشوا أدب الكبار ، واستذوقوه وتعلموا منه ، أولئك الذين هزّتهم حتى الأعماق أيام (طه حسين) ورسائل (الرافعي) وتراجم (العقاد) وترجمات (الزيات) وشهر زاد (الحكيم) وثلاثية (محفوظ) .. إلى آخره .. فإنهم سيجدون أنفسهم مضطرين لأن يبعدوا هذا الغثاء .. يدفعون أكداسه ذات اليمين وذات الشمال لكي يجدوا الطريق مفتوحا أمامهم"[٤] .

---

(١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٩) .

(٢) النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٠٣) .

(٣) المرجع نفسه (ص١٠٥) .

(٤) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢١٨) .

ويرى عماد الدين أن هؤلاء "الأدباء الكبار في الماضي البعيد والقريب ، ومن هو معاصر منهم ، لم يصلوا القمة بالغموض .. على العكس من ذلك ، كان (البيان) ركيزة أعمالهم الكبرى"[١] .

وهذا مايُظهر خلافَ أعمالِ هؤلاء ومنهجهم غامضا مبهما .. كما قال أحد الباحثين عن قصيدة حداثية "إن الموسيقى الداخليـة للشاعر فيها إيحاء ولكن هذا الإيحاء غامض ، غموض الغموض وسكون السكون ... فقد أوحى لنا بموسيقى مشوشة قلقة مضطربة ... أأراد أن نلغي العقل في همهمات مبحوحة ، وألفاظ ضبابية أقرب إلى النثر منها للشعر ، فيها كلمات محشورة حشرا دون نسق؟ زهر ونجم وحلم وشجر وأمطار .. أهذا قول معتنق عقيدة وصاحب رأي يدعو له؟"[٢]

ويرفض عماد الدين الشكل الذي يكون قد ارتبط عضويّا بمضامين معيّنة ، فأصبح لايفصل بينها ، حتى عُرف أن من تبنى هذا الشكل .. في المسرح والرواية ، والقصة والقصيدة ، كان حاكما بانتمائه العضوي لمن يتبنّى توجها مثله ، فيحذو حذوه ، ويتقيّل خطاه[٣] .

وكأنه يؤكّد بذلك ، تهافت النماذج الباردة غير المؤثرة ، التي يدّعي صاحبها اللحاق بركب الآخرين من غير بني قومه ، بتقديم هذه النماذج المبهمة شكلا ومضمونا .

وهنا يدخل بنا الدكتور عماد الدين إلى مسألة الأخذ عن (الآخر) ؛ للبناء والتحديث وهي القضية التي يراها من الثنائيات المتصارعة في عرف قطاع كبير من المثقفين : هل يأخذون عن (الآخر) أو لايأخذون؟!

ويلمح غموضا واسعا وقلقا ظاهرا من الموقف في ثنائية (الأصالة والمعاصرة) أو (التراث والمعاصرة) ، وهو صراع بين الأصالة وماسمي في حلقات معاصرة (الحداثة) وفي هذا يقول : "تأخذ هذه الإشكاليات صيغا شتى من بينها ـ على سبيل

---

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٢) .

(٢) مجلة الأدب الإسلامي ، س(٢) ، ع(٦) ، (ص٩٢-٩٣) مقال د. يوسف عزّ الدين .

(٣) انظر : في النقد الإسلامي المعاصر (ص١٨٤) .

المثال ـ ذلك الاعتقاد الخاطئ ، السائد لدى العديد من الأدباء الإسلاميين ، بأن احترام التراث يوجب رفض الحداثة والتنكر لها ، أو أن قبول بعض حلقات الحداثة يعني ـ بالضرورة ـ التنكر للتراث"[١] . ويراها مسألة مبنية على أساس خاطئ لايحاول التوفيق بين الجانبين بعيدا عن المنافرة .

فالمنهج الحق يقبل التحديث "مع التحفظ إزاء المفردات التي تنِدّ أو ترتطم بالرؤية الإسلامية ، ومع ملاحظة إلحاح العقل الغربي الذي صاغ معظم هذه المناهج أو وضع ملامحها النهائية ، على الرؤية الأحادية[٢] التي تبالغ في تقدير قيمة (الحالة) التي تتعامل معها على حساب الحالات الأخرى"[٣] .

أما الذين ينقلون عن غيرهم ، ويجترّون ماينقلونه وتلوكه ألسنتهم كلّ حين ، فإنهم كثيرون ، "ولعلهم كلفوا بحمل أسفار المتاعب والعقد الحضارية المستعصية من عالم الغرب إلى عالم الإسلام ... ليس هذا فحسب ، بل إنهم يضيفون عليها وينفخون فيها من أجل تضخيمها ومنحها حجما أكبر من حجمها الحقيقي مع إضافة بعض الأصباغ المحلية لكي تتحقق القناعة المطلوبة ويعتقد السذّج من الناس بأن هذا من صنع الإسلام ، أو على الأقل من صنع المسلمين والبيئة الإسلامية"[٤] .

فهذه التوجّهات للفكر الغريب الوضعيّ[٥] بمنهجه ذي الوجه الواحد ملامح تفيد سقم هذا الفكر وضلالَه وبعده عن واحة الإسلام الغنّاء .

---

(١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٢) .

(٢) انظر : حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص١٤٧-١٥٤) مقاله الرائع : "حين يتساقط الوضعيون" ففيه كلام نفيس ، ومقاله "سخف الفلسفة الوضعية" (ص٥٥-٦٠) ، و"شئ عن الفكر الوضعي" (ص١٠٣-١١٠) .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٧-١٨) ، وانظر نحوه : فن الشعر بين التراث والحداثة ، عبد العزيز النعماني (ص٢٠٥-٢٠٨) ، وانظر كذلك : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، د. محمد عبد المطلب (ص١-٣) .

(٤) حوار في المعمار الكوني ، د. عماد الدين خليل (ص٩٣) .

(٥) المقصود بهذا كلّه ، المدلول اللغوي لكلمة (الوضعية) ، انظر : قالوا عن الإسلام ، د. عماد الدين خليل (ص٣٩) .

ذلك السقم والضعف في التعامل مع الإنسان[١] ، بل حتى في النظرة للإله عزَّ وجلّ .. حين تغالط نظرات هذا الفكر في رسم الصورة التي ينبغي أن تستقرّ في قلب المرء تجاه وجوده وعبوديته لهذا الخالق العظيم[٢] .

ألم يقل (درويش) :

"يالله : جرّبناك ، جرّبناك
مَنْ أعطاك هذا السّرّ؟ مَنْ سمّاك؟
مَنْ أعلاك فوق جراحنا ليراك؟" [٣]

ثم ألم يقل غيره من أصحاب الشعر المُكِبّ :

"الله في مدينتي يبيعه اليهودْ
الله في مدينتي مشرّدٌ طريدْ
أراده الغزاةُ أن يكون
لهم أجيرًا شاعرًا قوّاد
يخدع في قيثاره المُذَهَّبِ العباد
لكنه أصيب بالجنون"[٤]

---

(١) انظر : الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص٥٣-٥٦) ، (ص١٣٣-١٣٦) ، متابعات في دائرة الأدب الإسلامي له (ص١٧٥-١٧٦) .

(٢) انظر : في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص٩٣-١١٤) مخطوط ، وفيه تطبيق على الرواية الغربية ونظرتها إلى الإله .
وعلى هذا مِنْ بيان أزمة الفكر الغربي المعاصر ، بنى الدكتور عماد الدين كتابه (فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر) من خلال المسرح ومشكلات الإنسان والمجتمع والرؤية الكونية والقدر والحرية .
ويبدأ أمل دنقل عمله (كلمات سبارتاكوس الأخيرة) بقوله :
"المجد للشيطان معبود الرياح
مَنْ قال (لا) في وجه مَنْ قالوا (نعم)؟
مَنْ علّم الإنسان تمزيق العدم؟"
انظر : الحداثة في الشعر المعاصر ، محمد القدوسي (ص٢٧-٢٨) .

(٣) المرجع نفسه (ص٢٥) .

(٤) المرجع نفسه (ص١٢) .

نعوذ بالله من هذا كلِّه .. وصدق الله ـ جلّ في علاه ـ ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١] .

أما مسألة الأخذ عن (الآخر) فإن عماد الدين يفرق فيها بين (التأثّر والانبهار) مصطلحين متوازيين ـ في نظره ـ تجاه المعطيات الغربية ثقافة وآدابا وفنونا وبين محاولة (التوظيف) المنصَبِّ على هذه المعطيات وفق سياقات التصوّر الإسلامي "وبخاصة في مجال الدراسات المقارنة التي تقضي بحكم المنهج بضرورة الرجوع إلى الوجه الآخر للظاهرة : الوجه الغربي"[٢] .

ويؤكّد هذا بقوله : "إذا كانت الرؤية الإسلامية للظاهرة هي الأكثر مقاربة للحق فإن ذلك لن يتكشف ويزداد تألّقا إلا بعرضها ومقارنتها ومجادلتها بوجهات النظر الوضعية"[٣] .

ويرى أن النشاط الأدبي الغربي ـ إبداعا ونقدا ودراسة ـ خبرة بشرية عامة ، كغيره من الخبرات المختلفة ، وأن إمكانية (التوظيف) قائمة غير منكرة ..

"فهل ينكر أحد مثلا التفوق الغربي في التقنيات الفنية للعديد من الأنواع الأدبية وبخاصة المسرح والقصة والرواية؟ وهل ينكر أحد مدى هذا التفوق في الأنشطة النقدية ، كأساليب عمل وليس كمضامين مذهبية بطبيعة الحال؟ ... وهل يخطر على بال أحد من الإسلاميين ـ الجادّين ـ أن توظيف المعطى الغربي يمكن أن يقوده إلى التنازل ، بدرجة أو أخرى ، عن مقوماته كأديب أو ناقد يملك رؤيته المستقلة ومنظوره للعالم والحياة والأشياء؟" [٤]

---

(١) سورة الملك : آية (٢٢) .

(٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٦٤) .

(٣) المرجع نفسه (ص١٦٥) .

(٤) نفسه ، وذكر نحوا منه د. محمد حسين دكروب في كتابه : أنثروبولوجيا الحداثة العربية (ص٢٢-٢٣) وبعض الباحثين ينطلق في هذا من منطلقات قومية ، مثل د. خليل أبو جهجة في كتابه : الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد (ص٢٧٧-٢٨١) ، ود. عفيف البهنسي في : الفن العربي الحديث بين الهوية والتبعية (ص١١٠-١١٤) .

فلابد من التحلية فيما نأخذ ، بأن نكون جادين في التلقي بالإفادة دون الانبهار والتأثر الظاهر ، ونسيان معطياتنا التي نفاخر بها ، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[١] .

"وسيكون من فضول القول التأكيد على أن التعامل مع الثقافة الغربية ، ليس في مجال الأدب وحده وإنما في سائر العلوم الإنسانية ، لن يجئ سليم العواقب ، ناضج الثمار ؛ إلا بعد أن يكون المثقف أو الباحث المسلم ، قد تحقق بالحصانة العقيدية والثقافية في دائرة (الإسلامية)"[٢] .

وإذا كان للثقافة الغربية وجهان .. أبيض وأسود ؛ فإن أخذ أولهما يغني تجاربنا وخبراتنا ، وأخذ الآخر يظهر موقفنا الإسلامي مشعا متألقا حال عرضه للناس[٣] .

ولعل دعوة عماد الدين إلى الأخذ عن الآخر ، دعوة للإفادة من خلال الإجراءات الفنية والشكلية دون مساس جانب المضمون المنحرف ؛ لأن المضامين المتفق عليها تمثل أرضية مشتركة لاخلاف فيها .

ولكنه يشد النكير لمن يتشرنقون داخل نسيجهم فيرفضون الحوار تماما دون علة مقبولة ؛ ولذا يقول : "إن التلاقح بين الأفكار المتغايرة في إطار الرؤية المشتركة يقود إلى مزيد من الخصب والتنوع والعطاء ، وهذا أمر بدهي ، مادام هناك قاسم مشترك يجمع المتحاورين على الخطوط العريضة .

لكن الأمر قد لايقف عند هذا الحد ، فقد يمضي إلى ماهو أبعد فيتحول ، وهذا هو الجانب الخطر في الظاهرة ، إلى نوع من الفصام التام ، وإلى التشرذم في نهاية الأمر داخل توجهات متغايرة ترفض الحوار ، وتتشرنق داخل نسيجها الخاص دونما أية محاولة جادة لسماع صوت الآخرين ، فلعل في بعض مفرداته إضاءة أو إضافة ما تعين على النمو المأمول"[٤] .

---

(١) سورة البقرة : آية (١٣٨) .

(٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٦٦) .

(٣) المرجع نفسه (ص١٦٧) . وانظر ـ في مسألة اكتشاف الذات في صورة الآخر ـ : أطياف الحداثة مابين علمانية النخبة وإسلامية الأمة ، محمد جمال باروت (ص٤٦-٥٩) .

(٤) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (٦أ) مخطوط .

ولدينا تياران ـ في الدائرة الإسلامية ـ متباينان في مسألة الأخذ عن (الآخر) والتعامل معه ، أولهما يرفضه ابتداء ، وقد يتهم المنادين إليه بالتخلخل والتنازل وقد يرفض استعارة بعض المصطلحات وتوظيفها إسلاميا ، ريثما يوجد وينحت مصطلح إسلامي خاص بنا .

وثاني هذين التيارين يبالغ في الأخذ دون تمييز في التعامل[١] .

ومن جميل تنبيهات الدكتور عماد الدين في هذه القضية قوله : "وأجدني مضطرا للتأكيد على وجود خارطة ، أو معمار ذي طبقات عديدة في دائرة النشاط الأدب الغربي ؛ لأنها ليست كلها سواء في مدى تماسها مع المنظور الفكري أو العقيدي ، أو حتى الثقافي ، وبالتالي فإن وضعها في سلة واحدة ، والحكم عليها بصيغة المصادرة ، سيقود إلى خطأ في الموقف من التعامل معها في الحالتين ، أي في حالة الرفض الكامل أو القبول الكامل"[٢] .

فليس صحيحا أن يكون موقفنا متشنجا أمام هذه الأمداء الواسعة من الطرائق والوسائل المختلفة ، التي تنمي القدرة ، وتزيد في العطاء ؛ "لأن هناك من المناهج ـ أو بعبارة أدق مساحات ومفاصل في نسيج المناهج ـ مايمكن أن تكون بمثابة أداة حيادية ، تقنية ، صرفة ، قد يكون التفريط بها تضييعا لفرصة ممتازة لإضاءة المسلك أمام الأنشطة النقدية الإسلامية ، وبخاصة في مجال النقد التطبيقي"[٣] .

أما مايترجم إلى العربية في النقل عن الآخر ، "فالمشكلة ليست ذات طابع (كمي) يقوم على شحة ماينقل إلى المثقف العربي من تلك العلوم ، ولكنها مشكلة (نوعية) تكمن في الانتقاء غير المدمج أو المدروس من جهة ، وفي صيغ الترجمة

---

(١) وقد سمّاه (الانتحار الثقافي) ؛ لأنه يُفقد الهوية ويذيب في منظور "الآخر" ، انظر : المرجع السابق (٨أ) .

(٢) المرجع نفسه (٦ب) .

(٣) المرجع نفسه (٧ب) .

ولغتها وطرائقها الفنية من جهة أخرى"[١] ، و"من العيب والإفلاس أن يكون دور الناقد الحداثي ... أن يقول أي كلام ليس من صريح النص ولا من إشاراته ثم يضيفه إلى النص الأعجم ليكون من مناقبه؟!" [٢] .

و"كان بعض العلماء يقولون : إن ترجمة كتاب ترجمة أمينة واعية أصعب من تأليفه"[٣] .

ومن الضوابط في التعامل مع (الآخر) يقول عماد الدين : "وثمة من يتوجس خيفة مما قد يؤول إليه التعامل مع المعطيات الأدبية عامة ، والغربية منها على وجه الخصوص ، من تدمير لمثلنا ، وأخلاقنا وتخريب لبداهاتنا وأفكارنا ، وتشويش لتصوراتنا ورؤانا ، بسبب ماتحمله مضامينها وأشكالها أحيانا ، من قيم تخريبية مضادة على كل المستويات . هذا صحيح إلى حد كبير ، وبخاصة في دائرة مثقفينا الناشئين ، ولاسيما أنه مامن مرآة كمرآة الأدب والفن ، تنعكس عليها تصورات أمة ما من الأمم وقيمها وممارستها ... وبتركيز بالغ فإن مجابهة هذه الاحتمالات قد تتحقق بمزيد من التحصن بعوامل الصحة والعافية والسلامة الفكرية والوضوح العقائدي ... وحينذاك لن يكون التوغل في معطيات الآخرين (المضادة) مما يخشى منه .. على العكس إنه سيفيد مثقفينا"[٤] .

---

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٧٣) .
ويشير في هذا الموطن إلى أن كثيرا من مراكز النشر والترجمة تقف وراءها الصهيونية والاستعمار الجديد ـ شرقيا كان أم غربيا ـ مستغلّة ارتجال السوق العربي لتمرّر أفكارها وغزوها ، وفي حشر الأساطير والتغريب في الترجمة . انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، له (ص١٥١) .
وفي خطر التأثر بالفكر الآخر انظر : مجلة الأمة ، س(١) ، ع(٤) ، (ص٥-١٢) ، مقال : "المبتعثون إلى الغرب" ، د. عماد الدين خليل .

(٢) جدلية العقل الأدبي ، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (ص١٣) .

(٣) الأدب والأنواع الأدبية ، نخبة من الأساتذة ، ترجمة طاهر حجّار (ص٩) .

(٤) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص٧٧) .

ويرى أن هذا من باب أخذ المؤمن بالحكمة أنّى وجدها ؛ لأنه أحق بها على الدوام[١] ، فيأخذ بالتزامه وحسن توجهه مايراه عند غيره ممن سبقه في تقنية معينة أو تناول فريد ظاهر ، وتبقى له خصوصيته وثقافته الأصيلة .

ونحن اليوم "أمام تحد هو التحدي الغربي ، ومايسمى بالحداثة"[٢] ، التي يعلى رموزها بين الناشئة ، وهم في مقام لايسر الناظرين[٣] .

)

---

(١) نسب عماد الدين هذا المعنى حديثا إلى رسول الله ﷺ . انظر : المرجع السابق (ص٨٢) . وهذا المعنى مشهور عند الناس ، وهو معنى سليم ؛ ولكن كونه حديثا غير صحيح ، فقد جاء عند الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ "الكلمة الحكمة ضالة الحكيم ، فحيث وجدها فهو أحقّ بها" وضعفه الترمذي وقال حديث غريب . انظر : سنن الترمذي ، كتاب العلم برقم (٢٩٨٧) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الزهد (٤١٦٩) وضعّفه الشيخ الألباني ، انظر : مشكاة المصابيح للتبريزي ، تحقيق الشيخ الألباني (٧٥/١) ، وضعيف سنن ابن ماجه للشيخ الألباني (٣٤٣) ، وضعيف سنن الترمذي للشيخ الألباني (٣٢٠) . وقد جاء مرسلا عن زيد بن أسلم ، وحكمة تضعيفه فيه ظاهرة ، انظر : فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب ، لأحمد الغماري (٥٦/١) .

(٢) محاضرة "تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر" ، د. عماد الدين خليل (ص٤٢) .

(٣) يرى أدونيس أن النص ذاتي بلا حدود ولا قيود! ولقد كان شاعرهم الفرنسي شارل بودلير ماجنا في ديوانه "زهور الشرّ" ومثله الشاعر الروائي الأمريك (ادجار ألن بو) حيث مات مدمنا للكحول .

ومن رموزهم العربية (أمل دنقل) الذي كان يقول :

(عرفت هذه المدينة .. سكرت في حاناتها .. وزرت أوكار البغاء واللصوص) .

انظر في هذا كله : مجلّة الدعوة ، ع(١٦٢٩) ١٥ شوال ١٤١٨هـ (ص٤٠-٤١) ، مقال الأستاذ سعد بن خلف الغفنان .

وانظر : الإعلام والتغريب الثقافي ، د. عبد القادر طاش (ص٨-١١) .

ونماذج من إبراز الخطيئة بصورة جريئة في شعر بعض الحداثيين تظهر في مثل كتاب : الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة ، د. نزار أباظة (ص٢١٧-٢٢١) .

=

وفي مجال النقد ـ مذاهب ونظريات ـ يبين عماد الدين مدى تضييق هذه المذاهب ـ الأكثر حداثة ـ خناقها على القارئ ، حين تعزله عن النص الإبداعي ؛ لتستأثر هي بالتأويل والتفسير ، "و لم يعد من حق القارئ أن يمارس التجوال الحر عبر النص بعيدا عن رقابة النقد وأثرته ، ذلك الذي يبلغ في أكثر النظريات حداثة ، كالبنيوية والسيميائية والتفسير الانزياحي! ، وباسم المنهج العلمي في النقد ، حدا كادت تطرح معه مقولة فرعون التي أوردها القرآن الكريم على لسانه ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى﴾[١] "[٢] .

ويطالب عماد الدين بالموازنة والاتزان في تلقي هذه التوجهات النقدية الحديثة ، فالأمر ــ في نظره ــ "يستحق محاولات جادة من النقاد والدارسين الإسلاميين تؤشر على مظان الإيجاب والسلب في دعوات أو كشوف كهذه ، فتضئ بالإيجاب منهجها النقدي الذي يطمح لأن يكون متميزا ، وتتخذ من السلب مؤشرا مدعما بالحجة والجدل والبرهان على أن ماكل مايجيئنا من الغرب ، في هذه الدائرة أو تلك من دوائر المعرفة الإنسانية ، يمكن أن يبهرنا ، أو يجعلنا نلهث وراءه متخلين عن أولويات في العمل والمنهج قد تكون أكثر أهمية وإلحاحا وجدوى"[٣] .

ويرى ـ كذلك ـ أن تشريح النص الإبداعي الأدبي بطريقة مختبرية صارمة تنفر المثقف الواعي ، وقد تجر ـ غالبا ــ إلى "احتمال الانقلاب عليها باتجاه النقد الذاتي الانطباعي الحر ، كرة أخرى ، وتلك هي مأساة أحادية الرؤية لدى الغربيين ليس في مجال النقد فقط ، وإنما في سائر الأنشطة والكشوف"[٤] .

= ولازالت أصوات غربية تعارض الحداثة ، انظر : الحداثة في الشعر العربي المعاصر حقيقتها وقضاياها ، د. وليد قصاب (ص١٠٩-١١٢) ، والحداثة أزمة الخطاب الأدبي المعاصر ، د. حلمي بدير (ص٨-١٤) ، وملحق الأربعاء (٢١ ذي الحجة ١٤١٩هـ) ، مقال عماد فؤاد عن كتاب فيليب لاركن "مختارات شعرية" في رفض الحداثة المتطرفة (ص٢٦) .

(١) سورة غافر : آية (٢٩) .

(٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٢) .

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) نفسه .

ثم إن هذا التحليل الصارم يدعي القول الفصل الذي لامرية فيه ، و"تدعي صيحات الحداثيين ، الذين يزح بعضهم بعضا ، العلمية والمنهج العلمي ، رغم أنهم يعملون في دائرة العلوم الإنسانية التي هي في نهاية الأمر نشاط احتمالي كسائر الأنشطة الإنسانية الأخرى"(١) ، ويؤكد هذا الأمر بقوله :

"إن كل حركة نقدية تطلع في الغرب تمثل ولاريب كشفا ذا قيمة ، وغضاءة جديدة ستخدم الأنشطة النقدية من أجل التحقق بإيغال أعمق وأكثر انضباطا في شرايين النص .

هذا أمر يكاد يكون متفقا عليه ، لكن محاولة العقل الغربي المعهودة ... هي محاولة مط الاكتشاف لكي يفسر أكبر قدر من الحقائق سواء في حقله الخاص ، أو - حتى - في الحقول الأبعد نسبيا عن تخصصه ، فيقع في الخطأ"(٢) .

وحين يتعامل المرء مع هذه الكشوف والتوجهات الحديثة في مجال النقد ، فإنه يفرق بين ماكان له صلة فكرية ، أو ماكان منفصلا مستقلا ، وتقنيا خاصا ..

وفي هذا يقول عماد الدين : "إن الناقد الإسلامي ، وهو يتعامل مع نظريات وكشوف ومذاهب كهذه ، يمكن أن يلحظ كيف أن بعض محاولات الحداثة النقدية كالانزياحية مثلا ، لاترتبط بأية رؤية أو منظور ذي طابع عقدي ، وإنما هي تقنيات منهجية صرفة تضع أدواتها في خدمة النص ، بغض النظر عن مدى سلامة هذا المنهج وقدرته على التحليل والتفسير ، بينما تنسج محاولات أخرى ، كالبنيوية مثلا ، حول نفسها منظومة من المفاهيم التي تخرج عن دائرة التقنية باتجاه التعامل مع الإنسان ووضعه في العالم ، وقد يصل بها الأمر حافات العقائدية"(٣) .

ومن خلال هذه المفارقة بين هاتين الحالين فإن موقف الناقد البصير يختلف ، حيث "يفيد ماوسعه الجهد من الحالة الأولى ، ذات الطابع الحرفي الجزئي الذي يتحاشى الشمولية و(الأيديولوجية) ، وأن يكون حذرا من الحالة الثانية ، رغم أن

---

(١) المرجع السابق (ص١٣) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع نفسه (ص١٨-١٩) ، وانظر : دراسات في الغزو الفكري والتبعية الفكرية ، د. أمير عبد العزيز .

حذره من الخفيات يجب ألا يصده عن المضي للإفادة من الجوانب الحرفية الصرفة للمحاولة ، وهي على ثغراتها وادعاءاتها وإلحاحها ذي الطابع (الميكانيكي) الذي تقود إليه (العلمية) يمكن أن تقدم إضاءات ذات قيمة بالغة في التعامل مع النص"[١].

ويمكننا أن نوجز موقف عماد الدين الوسط من الحداثة بكلماته التي جاء فيها "والمهم هو تجاوز الوقوع في إحدى اثنتين : التقبل الكامل لمعطيات الحداثة بدافع الإعجاب والتزام العلمية في العمل النقدي ، أو الرفض الكامل لها بحجة ارتباطها بخلفيات قد ترتطم في مفرداتها ، أو بعضها ، مع المنظور الإسلامي للكون والعالم والإنسان ، ولطبيعة النشاط الإبداعي"[٢] .

وتبقى مسألة (التراث)[٣] والرجوع إليه ـ كل آن ـ مسألة ذات أهمية ، قبالة هذه التحديات المتتابعة .. والأدب الإسلامي المعاصر "لايشكل ملامحه ويأخذ شخصيته المتميزة إلا بالتجذر في اثنتين : العقيدة والتراث ، وإلا فقد خصوصيته ،

---

(١) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٨-١٩) .

(٢) المرجع نفسه (ص١٩) ، ويحذّر من "إلحاح العقل الغربي على تجاوز الثوابت والنزوع إلى التحول والتغيير ليس فقط في دائرة الأدب ، وإنما في جلّ سياقات الفكر والحياة" . حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، له (ص٢) .

(٣) لايلحق بالتراث (الدين) فإن الدين ثابت لايصوب ولايخطأ ، والتراث خزان الحضارة شعرا ونثرا وحقائق حياتية وفلسفات وطبائع وعادات ولايحمل صفة الإلزام . انظر : حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٢) .

وممن يرى الدين مضمّنا في مصطلح التراث د. محمد عابد الجابري في كتابه : "التراث والحداثة" ، ولانوافقه في ذلك .

وانظر في مصطلح التراث Legacy وفق المنظومة المتزنة الكلام النفيس في : التراث والمعاصرة د. أكرم ضياء العمري (ص٢٩-٣٠) .

و : أثر التراث العربي القديم في الشعر العربي المعاصر ، د. ربيعي محمد علي عبد الخالق (ص١١-١٢) .

وللدكتور عماد الدين مقال رائع يسمّي فيه القرآن والسنة أصولا إسلامية ، ولايدخلها في التراث . انظر : مجلة عالم الكتب ، ج(١٣) ، ع(٢) ، رمضان ـ شوال ١٤١٢هـ (ص١٣٩-١٤١) .

فإذا كانت الأصول العقدية للأدب الإسلامي مما لايختلف عليه اثنان ، فإن التراث باعتباره معطى وضعيا ينطوي على هامش من الحرية تفسح المجال للانتقاء"[١] .

وبهذه النظرة صوب التراث ، يرى الدكتور عماد الدين أنه "لم يبق ثمة حجة للاصطراع الموهوم بين فئتين من أدباء الإسلامية تلتصق إحداهما بالتراث بأكثر مما يجب[٢] بحيث إنها لاتكاد تترك بينها وبينه فاصلا مناسبا للرؤية الصائبة التي تتيح الأخذ أو الرفض على هدى وبينة .. وتبعد الفئة الأخرى صوب الطرف النقيض مدعية أن الأدب الإسلامي مادام يحمل لافتة (المعاصرة) فإن عليه أن يفك ارتباطه بالتراث!" [٣]

والتصالح الموزون قائم بين التراث والمعاصرة .. فحركة الأدب الإسلامي "معاصرة بقدر مايتعلق الأمر بتظيراتها وجانب كبير من ممارساتها النقدية والدراسية كما إنها (معاصرة) باستعارتها العديد من التقنيات الإبداعية المتقدمة لدى الغرب . وهي (تاريخية) بقدر تجذرها في المعطى التراثي الخصب ذي الخبرات المتراكمة عبر العصور"[٤] .

---

(١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٢) .

(٢) لعل بعض كلمات عماد الدين خليل في مقاله "ألا يستعبدنا التراث .. ذلك هو الجواب" في كتابه : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، توحي بأمور لايقصد ظاهرها ؛ ولهذا عقّب في نهاية مقاله بأنه لايدعو إلى رفض التراث لأن هذا تنازل عن الهوية ولايُظَنّ من عاقل ذلك ، ولكنْ لو أنه استخدم عبارات أخرى لكان حسنا ـ الباحث ـ . انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي له (ص١٩١-١٩٤) .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٢) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

ومن نظر في بعض الدراسات المتعلقة بالتراث وجدها بعيدة عن الربط بالأصول والثوابت منطلقة من قواعد القومية العربية مبتوتة عن المنطلقات السليمة ، ومثال هذه الدراسات أوراق العمل المقدّمة إلى (الندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية) ـ الباحث ـ .

انظر هذه الأوراق في : التراث وتحديات العصر في الوطن العربي ، مجموعة مؤلفين في (٨٧٢) صفحة .

=

فالمطلوب أن نتحرك بتراثنا ونمارس فعلا حضاريا بنية صالحة مخلصة وفق الضوابط الشرعية "فذلك هو الضمان بخلاف أولئك الذين يتعاملون مع تراثنا من خارج دائرة الإسلامية .. الذين يدسون رؤوسهم في المعطيات التراثية برؤية انتقائية مسبقة لايحكمها ضابط أو معيار ، ويسوقها الظن والهوى ، فتكون النتيجة عبثا بمقدرات هذا التراث وتزييفا لخصائصه"[١] ، ويؤكد هذا بقوله :

"إننا أحرار في تعاملنا مع التراث شرط أن نكون مخلصين لحضور حياتنا وعقيدتنا وثوابتنا وتاريخنا[٢] ، وأن يتجاوز هذا التعامل الصيغ المتخفية الساكنة ، أو حتى (الأكاديمية) البحتة ، وأن يعين ـ بدلا من ذلك ـ على تحريك حياتنا الراهنة وإعادة تركيبها في ضوء الخبرة التاريخية من أجل أن نتجاوز حالة التفكك وانعدام الوزن وضياع الشخصية"[٣] .

والمفردات اللغوية ـ على سبيل المثال ـ من المعطيات التراثية التي يفاخر بها كل من ينتسب إلى لغة الضاد ، ولكنها قد تشيخ وتهرم ، فكيف يكون ذلك؟ وكيف نتعامل معها حينذاك؟!

= ومأجمل ماقاله أستاذنا د. محمد أبو موسى حين ذكر أنه قد "غابت عن الأذهان فكرة انبثاق الجديد من غيب القديم ، وإشاعة طرائق المفكرين المسلمين ... وكيف كانوا يصبون عقولهم على القليل الخافت فيصبح كثيرا نافعا" . القوس العذراء وقراءة التراث ، د. محمد أبو موسى (ص٦٢) .

ويحسن الرجوع كذلك إلى كلام نفيس للأستاذ محمد قطب في كتابه : حول التفسير الإسلامي للتاريخ (ص٢٤٤-٢٦٣) بعنوان : "الثابت والمتطور في حياة البشرية" .

(١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٦) .

(٢) يقول الأستاذ عبد العزيز الرفاعي : "إن أية أمة تحرص على أن يكون لها كيان خاص بها وشخصية بارزة المعالم لابد وأن ترتكز على تراث ، تستمد منه عزيمتها ، وتلتفّ حوله ، وتنطلق من مركزه ، وتبلور مستقبلها على قواعده" .

توثيق الارتباط بالتراث ، الرفاعي (ص٥) ، نقلا عن : عبد العزيز الرفاعي أديبا ، د. محمد بن مريسي الحارثي (ص٢٠٣) .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٦) .

يجيب عن هذا عماد الدين بقوله : "شتان بين أن تعطيك (الكلمة) بعفوية ودونما تكلف ، روحها وجوهرها ، وبين أن تسعى أنت ، بأساليب غير مباشرة إلى التوصل لحقيقة هذه الروح .. وربما لن تصل أبدا!!

وليس مر الأيام والسنين وحده هو الذي يرهق الكلمات ، ويقودها إلى الشيخوخة والتلفع بالأردية خوفا من البرد ، فهناك التكرار الذي يرين بغباره المدوم على روح الكلمات ونفسها العميق ، فيقرب بها يوما بعد يوم من السطح ، ويبعدها عن أعماقها وجذورها .

وماأسهل ـ من ثم ـ أن تتحرك الأشياء ، وهي تطفو على السطح ، دونما جذور تشدها إلى مواقعها الحقيقية الثابتة ... وهكذا فقدت كثير من كلماتنا شخصيتها ونفسها ، ولبست أردية ، وتزيت بأزياء اختفت في طياتها تلك الشخصية واختنقت تلك الأنفاس!!" [١] .

وعن سبب ذلك يقول : "يجب ألا نلقي التبعة على اللمة وحدها ، التي قطعت آلاف الأميال ومئات السنين حتى وصلت إلينا متعبة مكدودة .. ولكننا نحن أيضا نسهم بنصيب فيها لأننا ـ وقد شخنا وتعبنا ـ آل تعاملنا مع الكلمات إلى التشبث السهل بظواهرها وأرديتها الخارجية ، دونما سعي جاد حريص على الكشف عن جوهرها ومعانقة روحها الأصيلة .. ومن ثم فإن هذه العلاقة التأثيرية المتبادلة بين الإنسان والكلمة وبين الكلمة والبيئة هي التي تحدد موقع الكلمة قربا أو بعدا عنه"[٢] .

وعن الدور المناط بنا تجاه هذه المسألة في جانب التراث يرى عماد الدين أنه "بأيدينا نحن أن نعيد الحياة إلى الكلمة ، وأن نفجر فيها مرة أخرى روحها الأولى ، بمجرد أن نكون أكثر جدية وإيجابية في تعاملنا مع الكلمات ، أو بمجرد أن نتخلى عن مواقع الكسل والخمول في هذا التعامل ، وأن نحمل في عقولنا ووجدانا وأفئدتنا فكرا عميقا ، وثقافة واسعة وحسا فنيا تنأى بنا عن العلاقات الآلية مع لغتنا"[٣] .

---

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٨٢) .

(٢) المرجع نفسه (ص١٨٣) .

(٣) المرجع نفسه (ص١٨٣-١٨٤) .

حقا .. إنه لابد من الارتباط بالتراث[١] ، ورفض التحديث غير المنضبط ، الذي يتنازل عن الثوابت أو يقبل أنصاف الحلول فيها مداهنة ومجاملة .

لابد من العطاء الدؤوب المتميز ؛ "لأن الأدباء الكبار يبرزون دائما من قلب الهزائم .. وعلى وهج النار المحمصة تلتمع قرائحهم ، كالنجوم الوضاءة في أعماق الليل ، لكي تبث ضوءها الأزرق الجميل على الكائنات ، وتمنح إبداعها وروعتها لكل راء"[٢] .

وتراثنا ثر أمام أيدينا ؛ فلم لاننهل منه متحصنين ، آخذين الحكمة حيث كانت بعد ذلك ، "ومرفوضة كل محاولة تسعى إلى اتخاذ ممارسات الأمم والجماعات الأخرى مشجبا لتعليق هذه الهزائم وتبريرها .. ولن ينقذنا إلا فعلنا الخاص ، ولن يعيدنا إلى موقعنا المتقدم إلا تحملنا الكامل لمسؤوليتنا"[٣] .

---

(١) لاتعارض بين التراث والمعاصرة ، وفي هذا انظر : نحو أدب إسلامي ، محاضرة الدكتور محمد مصطفى هدّارة "التراث والمعاصرة وئام لا خصام" (ص٤٣-٦٦) .

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٩١) .

(٣) حول تشكيل العقل المسلم ، د. عماد الدين خليل (ص١٧٥) . وانظر ـ في هذا التشكيل والتراث ـ :

* مدخل إلى إسلامية المعرفة ، د. عماد الدين خليل (ص١٥-٢٢) .
* مؤشرات إسلامية في زمن السرعة ، د. عماد الدين خليل (ص١٨٢-١٨٤ ، ٢٠-٢٣) .
* مجلة إسلامية المعرفة ، تصدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي بماليزيا (ص١٠٩-١٢٠) .
* كلمتي للمثقفين ، جمال سلطان (ص٥٧-٦٤) ، وانظر كذلك (ص٧٥-٨١) .
* في معركة التراث ، د. عون الشريف قاسم (ص٩-٤٠) ، وانظر (ص٦١-٧١) .
* علل وأدوية ، محمد الغزالي (ص٢٠٦-٢١٦) .
* الحق الطبيعي وقوانينه ، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (ص١٦-١٧) .
* الغارة على التراث الإسلامي ، جمال سلطان (ص٥-٣٨) .
* الرقابة على التراث ، د. بكر بن عبد الله أبو زيد (ص٥-٩) .
* تجديد الفكر الإسلامي ، جمال سلطان (ص٣٨-٤٢) .
* جهادنا الثقافي ، جمال سلطان (ص٨٠-٨٩) .
* الإسلام والوعي الحضاري ، د. أكرم ضياء العمري (ص٩٩-١٢٨) .
* ابن تيمية وإسلامية المعرفة ، د. طه جابر العلواني (ص٧٢-٨٣) . =

يقول أحد الباحثين عن مناقشة التراث وبعض مراجعاته :

"وعلى الرغم من أن هذا الموقف يبدو مقنعا ومنطقيا ، إلا أنه يفتح الباب لمناقشة التراث ومحاكمته ، مما يجرئ بعضهم على الوقوف عند جوانبه السلبية[١] كما فعل أدونيس وغيره"[٢] .

ويرى أن الأمة "التي تسمح بتشويه أي من ثوابتها التراثية ، تخسر خسارة موازية وربما أشد خطرا من تشبثها بتراثها دونما تمييز"[٣] .

وتراثنا العريق له أثره الكبير في نهضة شعوب كثيرة ، استرفدت من معينه في مجالات عديدة[٤] ، تبين أن هذه الأمة ودود ولود ، تنبت في رحم الزمان من يحمل اللواء بصمود وثبات أمام كل مطمع صغير ، أو مطمح حقير . والحداثة التي تحفظ التراث مقبولة بل يسعى إليها ، أما الحداثة الفكرية المنحرفة ذات الخصائص اخاصة التي تميزها عن غيرها بالتوجه المقصود ، والمآرب التفجيرية المخالفة ، فلها أهلها المنافحون عنها بلا هدى وبيان[٥] .

= * معالم في الطريق ، سيد قطب (ص١١٦-١٤٨) .
* مفاهيم ينبغي أن تصحّح ، محمد قطب (ص٣٣٥-٣٦٢) .
* التراث .. واجبنا نحوه ، د. كامل سعفان (ص١٣-١٥) .
* في الغزو الفكري ، د. أحمد عبد الرحيم السايح (ص١١٧-١٤٤) .
* الهزيمة النفسية عند المسلمين ، د. عبد الله خاطر (ص٥٣-٦٢) .
* الفكر الإسلامي بين الأصالة والتجديد ، د. محمد عبد المنعم خفاجي (ص٤٧-٥١ ، ٢٠٣-٢٠٩) .

(١) لعله يعني ذم الوقوف عند هذه الجوانب وعدم توظيفها في التقويم وتخطيط المنهج - الباحث - .

(٢) التراث في شعر رواد الشعر الحديث ، د. أحمد عرفات الضاوي (ص٦) ، رسالة دكتوراة في الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا .

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٤) انظر : ملحق الأربعاء (٢١ ذو الحجة ١٤١٩هـ) عرض كريم محمد لكتاب : الماضي المشترك بين العرب والغرب ، أ.ل.رانيلا ، ترجمة د. نبيلة إبراهيم (ص٣٩) .

(٥) انظر في خصائص الحداثة المرفوضة : مجلة البعث الإسلامي ، الهند ، ج(٣٥) ع(٧) (ص٧٥-٨٤) مقال : "ولادة الحداثة ونشأتها" د. عدنان علي رضا النحوي . =

أي رزء أصاب قومي فأضحى رمزهم في التطور التغريب
إنما يفسد البلاد دعاوى يتخفى وراءها التخريب[١]

= ولاننسى أن الشيوعية نشرت أفكارها عبر الواقعية الاشتراكية ، وأن الرأسمالية الغربية نشرت فكرها بالترويج لقيم الحرية الفردية ونحو ذلك . انظر : المجلة العربية ، ربيع الآخر ١٤١٢هـ ، مقال : "الأدب الإسلامي الأولية والمصطلح" ، د. حلمي محمد القاعود (ص٩٣-٩٤) .

(١) نقوش على واجهة القرن الخامس عشر ، د. عبد الرحمن صالح العشماوي (ص٦٧) .

المبحث الرابع
المذاهب الأدبية[١]

يتصل حديثنا ـ هنا ـ من باب ذكر العام بعد الخاص ؛ امتدادا للأرضية السابقة حيث عرضنا الأخذ عن (الآخر) ، ثم يكون تأصيل الحديث في هذا المبحث حول مسألة المذاهب والتفصيل في مسارات معينة منها ، كالانزياحية والبنيوية ونحوهما ، ومع ذلك يكون التداول حول انطلاقات التصور الإسلامي في سبيل تكوين منهج ومذهب متميز .

ولعلنا نميل إلى مارآه أحد الباحثين ظاهرا في سياقات عماد الدين في مجال التنظير النقدي ، حيث ينطلق ممارسا الإبداع في هذه السياقات النقدية ، بطرحها وتنضيدها في صفحات طويلة ، قد يظهر فيها (التكرار) ـ ولاشك ـ فيغمس ريشته الإبداعية ويرسم بها لوحاته النقدية ، وقد تختفي بعض هذه الآراء في ذلك الدفق الإبداعي ، وقد رآها هذا الباحث سلبية كبيرة[٢] .

وفي تأسيس تناول الحديث عن المذاهب ــ في السياق العام ــ يؤكّد عماد الدين ـ ابتداء ـ أن "النشاط الأدبي ليس إبداعا فحسب كما أنه ليس قراءة نقدية للنص فحسب ، وإنما هو ـ فضلا عن هذا وذاك ــ مذاهب أو مدارس في الإبداع تتشكل وفق المنظور أو الإطار الشامل الذي يتكون العمل الأدبي في رحمه ، كما إنه "مناهج" و"طرائق" لدراسة الأدب وتصنيفه وفق سياقاته في الزمن والمكان ، وفي ضوء قوانينه وارتباطاته الداخلية ، ثم هو ـ في نهاية الأمر ـ (نظرية) شاملة تلمّ هذا كلّه ، وتبحث عناصر الارتباط والتأثير بين طبقاته ، وتؤشّر على النسب والأبعاد

---

(١) وقد يعبر عنها عماد الدين بالفنية بإرادة (الفنية الشكلية) وأنها أداة قد تحور وفق توجّه معين ، وليس بمعنى (الفن) الخاص . وانظر ـ مثالا عليه ـ : في النقد الإسلامي المعاصر (ص٤٠) .

(٢) انظر ــ في ذلك ــ : مجلة الأدب الإسلامي ، س(٢) ، ع(٦) ، ١٤١٥هـ (ص١٧) دراسة الأستاذ محمد إقبال عروي بعنوان "قراءة في نظرية الأدب الإسلامي" لعماد الدين خليل ، ولعل هذه الظاهرة بادية من خلال كتابه "مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي" ففيه تكرار كان يجمل أن ترتب مواطنه وتأتلف أجزاؤه ليبدو في صورة أكثر حسنا إلى حسنه ـ الباحث ـ .

بين معطياته ، ثم تسعى لاستخلاص التوجهات الشمولية التي تندرج فيها وتصبّ مفردات النشاط الأدبي كافة لكي تصوغ توجّها ذا شخصية محدّدة وملامح متميزة"[١] .

ويؤكّد أن المناهج "أدوات حيادية قد تكون صالحة لتسخيرها من قبل هذا المذهب ، أو التيار الأدبي ، أو ذاك ؛ من أجل إضاءة الدراسة الأدبية ومنح الدارسين فرصا أكثر لإتقان مهمتهم والوصول إلى نتائج أكثر سلامة"[٢] .

ويتساءل عماد الدين عن المنهج الإسلامي ، والتوجه الشامل المتميّز!

يتساءل عنه .. "ألا يجدر به أن يستمد مقوماته من شمولية العقيدة التي ينبثق عنها ، لاسيما وأنه يتعامل مع صيغ التعبير عن التجربة البشرية ، وبالتالي ينسج حيثياته من مطالب هذه الشمولية فيأخذ بكافة الصيغ التي تضئ النشاط الدراسي لآداب الأمم والجماعات والشعوب ، فلا يكاد يغفل عاملا منها مادام أنه يخدم هذا التوجه الشمولي ، ولايرتطم في أساسه ببداهات العقيدة وتوجهاتها؟" [٣]

وإذا كان المعطى الأدبيّ ـ في نظر عماد الدين ــ معمارا ذا طبقات عديدة مرتبطة متصلة فإنه يؤكّد أن تميّز الأدب يكون في انطوائه على الطبقات جميعا ، ومحاولة استكمال الحلقات المفقودة بكلّ جهد ممكن ، بل يرى أن تأمّل ذلك كلّه بيقين ، يثير التحدّي ، ويحفز لاستكمال البنيان الذي يتكوّن من :

---

(١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٠) .

(٢) المرجع نفسه (ص١٥) ، وانظر : مبادئ في الأدب والدعوة ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ص٣١) ، والتيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، د. بدوي طبانة (ص٤٦-٤٩، ٤٤٥-٤٥٢) ، وآفاق الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص٩٠-٩٣) .
وانظر : مجلة الوعي الإسلامي ، ع(٣٤٧) رجب ١٤١٥هـ (ص١٥) مقابلة د. نجيب الكيلاني ، وفي البحث عن الواقع ، د. منصور إبراهيم الحازمي (ص٨٧-٨٩) ، والأدب الإسلامي ضرورة ، د. أحمد محمد علي (ص١١٣-١١٥) .
ومن جميل قول الأستاذ الكبير علي الطنطاوي ــ رحمه الله ــ : "أنا لاأدعو إلى نبذ الحضارة الغربية ، بل أدعو إلى أخذ ماينفعنا منها ، وأن لانأخذها أخذ العاميّ للراد (الراديو) ، لايفهم منه إلا أنه يأتيه بالأصوات فيفتحه على مصراعيه ، ويزعج به الجيران!" . في سبيل الإصلاح (ص٤٣) .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص١٧) .

(١) المعطى الإبداعي المتنوّع وهو أساس هذا المعمار .
(٢) الرؤية الشمولية التي تشكّل هذا المعطى فينتج عنها مابعدها .
(٣) المدرسة أو المذهب الأدبيّ .
(٤) الجهد النقديّ الذي يضئ الأسس الجمالية للنصّ الإبداعيّ ، ويتقدّم هذا الجهد واضعا المبادئ والقواعد ثم ينفذّها بالتحليل باحثا عن القيم الفنيّة والمضمونيّة للنصّ ، ومدى الارتباط بالمذهب .
(٥) المنهج الذي يدرس ويتتبّع الظاهرة الأدبيّة عبر شمولها الزمانيّ والمكانيّ .
(٦) النظريّة التي تجمع ذلك كلّه[١] .

"فإذا كانت الإسلامية قد أبدعت أدبا وفق هذا النوع أو ذاك ، أي في دائرة الشعر أو القصة أو الرواية أو المسرح .. إلى آخره ، وإذا كان هذا الأدب ينبثق بالضرورة عن منظور متميّز ، أو رؤية متفرّدة ، هي الرؤية الإسلاميّة بخصائصها وميزاتها جميعا ، أفلا تكون الإسلاميّة بالتالي ، مدرسة أو مذهبا متميّزا بين الآداب بمذاهبها كافة؟" [٢]

ويؤكّد ذلك بقوله : "يبدو أنه من قبيل الأمور المحتومة أو المسلّم بها ، أن تكون الإسلامية مذهبا وليست مجرّد معيار رؤيويّ تقاس به أو تحال إليه الأعمال أو النصوص الإبداعية . وليس صعبا أن يتأكد المرء من هذا بمجرد أن يتابع الملامح المتميزة للمعطيات الإبداعية الإسلامية التي أخذت تمتدّ عمقا ومساحة عبر العقدين الأخيرين على وجه الخصوص . فإذا تذكرنا أنها شكّلت في الأساس لكي تعبّر عن المنظور الإسلامي ولكي تقدّم البديل (المذهبي) لآداب الغرب التي استأثرت بالساحة الأدبية عبر القرون الأخيرة وجعلت من العالم كلّه "مجالا" لظنونها وأوهامها ،

---

(١) يُضلِّل (المثقف) ـ حينا طويلا ـ ذلكم التعقيد الظاهر في تأصيل بعض النظريات ، وخاصة الحديثة منها .
يقول يوسف وغليسي : "إن إشكالية المصطلح قد نقلت الخطاب من معركة الآليات إلى معركة المفاهيم" . مجلة قوافل ، س(٥) ، م(٥) ، ع(٩) ١٤١٨هـ (ص٥٣) ، مقال : التفكيكية في الخطاب النقدي العربي المعاصر .
(٢) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١١-١٢) .

وأحيانا نزواتها وعبثها الرؤيوي ، عرفنا أن المسألة أكبر من أن تكون مجرّد معيار تقاس به أو تحال عليه هذه المفردة الإبداعية أو تلك"[١] .

والحدود الفاصلة بين (المعياريّة) و(المذهبيّة) في حالة الإسلامية ، كامنة في الدرجة لا في النوع ؛ وهذا لاينفي (مذهبيّة) الأدب الإسلامي ، خاصة إذا أضفنا إلى ذلك كلّه التناسق والجهود القائمة في طبقات البناء السّتّ السابقة .

فالجهد النقديّ يراه عماد الدين متمثّلا حين نطّلع على القائمة (الببليوغرافية) بعنوان (دليل مكتبة الأدب الإسلامي)[٢] ، التي تظهر فيها "المساحة الواسعة للأعمال النقديّة ، التنظيرية والتطبيقية ، التي تحتلّها في القائمة ، وإن كان الأمر يتطلّب ـ إذا أردنا الحق ـ المزيد من الجهد والعطاء على المستويين من أجل تأصيل هذه الحركة وتثبيت ملامحها الإسلامية المتميزة ، وبخاصة على مستوى التقنيات والأسلوبيات"[٣] .

وهكذا الأمر فيما يتعلّق بالدائرة أو الطبقة السادسة (النظريّة الجامعة) ، حيث يرى عماد الدين أن تأسيس هذه النظريّة وبيان مفرداتها ومطالبها قد انطلق به الأدباء الإسلاميّون وفق الخبرات والمعطيات المتأنيّة من خلال الطبقات السّابقة ، وأن الرجوع إلى الدليل السابق (دليل مكتبة الأدب الإسلامي) يبرز عديدا من الإصدارات المثبتة لذلك .

وعند القفول باتجاه الدائرة الخامسة (المنهج الدراسيّ المتميّز) يلحظ عماد الدين خللا ظاهرا في هذه الدائرة لدى الحركة الأدبيّة الإسلاميّة ، وإن كانت الخطوات في بدايات الطريق "وإذا كان لهذا الأدب منظوره المتميّز : أ ـ للإبداع ، ب ـ للتأثيرات الزمنية ، ج ـ للتأثيرات البيئية ، فإنّ منهجا متميّزا للدراسة الأدبيّة سيتمخض بالضرورة عن هذا كلّه ، وقد يحتاج الأمر إلى وقت كاف لبلورة الملامح"[٤] .

---

(١) المرجع السابق (ص١٢-١٣) ، وانظر : مجلة الأدب الإسلامي ، ج(٤) ، ع(١٥) ، (ص٤٠-٤١) لقاء مع عماد الدين خليل .

(٢) وهي للأستاذ الدكتور عبد الباسط بدر حفظه الله .

(٣) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٣) .

(٤) المرجع نفسه (ص١٤) .

عبر هذه الحلقات ، يتدفق التيّار لتأسيس هذه المنهجيّة المتميّزة ، التي تفيد من تجارب الآخرين عبر دوائر المنهج .

ويفرّق عماد الدين بين (المنهج) و(المذهب) ؛ ليضع ـ ابتداء ـ مدخلا للحديث عن الموقف من (المذاهب) .

فالمذهب ـ عنده ـ "يعبر بشكل ما عن رؤية للكون والحياة والعالم والوجود ، ينبثق عن فلسفة أو تصوّر أو عقيدة متميّزة[١] . وفي هذه الحالة فإن الإسلامية ترفض الإذعان ـ ابتداء ـ للانسياق وراء المذهبيات الأدبية ؛ لأنها عند ذاك ستتنازل عن الكثير من مقوّماتها وستفقد شخصيّتها المستقلة .

أما المنهج فهو أداة عمل ، وهو في بعض الأحيان قد يعكس تمذهبا ما بدرجة ما ، ولكنه يظلّ في معظم الأحيان حياديّا يمكن توظيفه لهذا المذهب أو ذاك"[٢] .

ويضرب مثالا على استخدام المنهج بما يوظف من نظرة (سارتر) إلى مسألة الالتزام ، إذ لم يقل أحد إن مسألة الالتزام معطى (سارتريّ) أو (وجوديّ صرف) "لأن أحدا لم يخطر على باله بأن التزامية الماركسية[٣] تمثل انحيازا للوجودية وهي التي سبقتها بكثير ، ثم إن الالتزام الأدبي والفني عموما ليس أمرا جديدا في عالمنا الحديث ، لكي يكون حكرا على هذا المذهب أو ذاك"[٤] .

ويخلص إلى أن "الأدب الإسلامي أدب مذهبي ، بمعنى أنه يعبّر إبداعيا عن منظور متميّز للكون والحياة والإنسان ، يلتزم بمعطيات هذا المنظور ، ويرفض قبول أو احتواء كلّ مامن شأنه أن يعارض أو يصدم هذه المعطيات"[٥] .

---

(١) تصفح ـ مثالا على هذا التلبّس الفكري ـ : أساطير اليونان ، د. عماد حاتم ؛ تجد خلفيات من يُعْمل الأسطورة في نتاجه ، وآثار ذلك على التضليل والتعمية ، وانظر : الفكر الفرنسي المعاصر ، إدوار موروسير ، ترجمة د. عادل العوا (ص١٦١-١٨٩) .
وانظر : المبحث الرائع النفيس "جذور المذاهب" من كتاب : مذاهب الأدب الغربي رؤية إسلامية ، أ.د. عبد الباسط بدر (ص٢٦-٣٢) .

(٢) مجلة الأدب الإسلامي ، ج(٤) ، ع(١٣) ١٤١٧هـ (ص١٤-١٥) لقاء العدد مع الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل .

(٣) سبق تناول (الالتزام) في النظرة الماركسية في مبحث (الالتزام) فليراجع ـ تفصيلا ـ هناك .

(٤) مجلة الأدب الإسلامي ، الإحالات السابقة .

(٥) نفسه .

وعن المصطلحات الغربية ـ بدلالاتها المختلفة ـ يقول عماد الدين : "إذا كان المصطلح عموما جسرا للتواصل ، للعبور إلى الآخرين وتقديم رؤيتنا إليهم ، فإن اعتماده بصيغته غير الإسلامية ليس جرما ، بل قد يكون ضرورة من الضرورات ، وهو في الوقت نفسه يمثل تحدّيا ملحّا يتطلّب منّا أن نشكّل مصطلحاتنا الأدبية والنقدية والجمالية الخاصة بنا ، وألا نقف عند هذا الحد ، بل أن ننشرها على الناس وأن نزيد من فاعليتها في ساحات النقد والأدب ، وأن نجعلها عالمية ماوسعنا الجهد"(١) .

وعند هذه النقطة يقف عماد الدين طويلا ـ في أكثر من موطن ـ ليكشف عن ظاهرة تصاب بها الانطلاقات الحركية الغربية في الدراسات الإنسانية ، حين يكون التعميم والنظرات الأحادية من زاوية واحدة ، بل يتعدى الأمر ذلك صوب زعم هذه الانطلاقات القدرةَ على عمل المستحيل ، بتحويل الكشف الجزئيّ إلى مذهبيّة شاملة لاتقف عاجزة أمام كلّ سؤال! (٢)

ويأتي هنا دور من ينقل هذه النظرات من بني العرب إلى الساحة الثقافية ، حيث "تجد نفسك وأنت تقرأها تعاني الكثير من غموضها وألغازها ومعمياتها"(٣) .

---

(١) المرجع السابق ، وممن دعا إلى ذلك الناقد الأستاذ سعيد الوالي ، انظر : ج(٤) ، ع(١٥) ١٤١٨هـ (ص٨٨-٩١) .

(٢) انظر : حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر (ص٤-٥) ، وانظر آثار ذلك في : الفكر المادي في ميزان الإسلام ، للدكتور صابر طعيمة (ص٣٢-٤٤) ، وانظر : الإنسان بين المادية والإسلام ، محمد قطب (ص٦٩-١٠٩) ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، لأبي الحسن الندوي (١٧٨-١٩٥) .

(٣) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٧٤) .
وفي جولة قام بها المستشرق الفرنسي المعاصر (شارل بيلا) في عدد من الأقطار العربية ، سأله أديب : أيهما تقرأ : الأدب العربي القديم أم الحديث؟ فأجاب : بل أقرأ الأدب العربي القديم وحده . فسأله الأديب : ولماذا لاتقرأ الأدب العربي الحديث؟
فأجاب (بيلا) : لأنه أدب أوروبي مكتوب باللغة العربية!!
انظر : مجلة المسلم المعاصر ، س(١٤) ، ع(٥٤) ١٤٠٩هـ (ص١١٧) ، مقال : الأدب الإسلامي المعاصر ، أ. جمال سلطان . =

وفي نقلة إلى بعض المذاهب والنظريات الحديثة يسجّل عماد الدين خواطرَه ونظراتِه حول هذا المذهب أو ذاك .

فالانزياحيّة ـ في نظره ـ "ليست في نهاية الأمر كشفا جديدا بالكلية ، ولكنها تأكيد وبلورة ، وتنظير لممارسات جمالية ومعطيات بلاغية ، نفذها الشعراء منذ اللحظات الأولى لولادة الشعر في هذا العالم"(١) .

ويؤكّد أنّ هؤلاء القدماء نقلوا المفردات والعبارات اللّفظية من حالاتها اليومية المباشرة ـ عبر تقنيات وأدوات بلاغية ـ إلى حالات جديدة ، ترفض المباشرة واللّفظ القريب(٢) ، فكانوا ـ بذلك ـ قد نقلوا اللّفظ عن محلّه إلى تشكيل جديد وأفق جديد ، جعل الفرق ظاهرا بين الشعر والنثر .

= ومن الكتابات الجيدة في هذا النقل "المشكلات الثقافية في ترجمة المصطلح النقدي" لإيمان أحمد عكور ، وهو بحث استكمالي لمتطلبات درجة (الماجستير) في الترجمة من جامعة اليرموك بالأردن ١٩٨٨م ، انظر ـ على درجة من الأهمية ـ (ص١-٦) منها .

وانظر : الترجمة إلى العربية قضايا وآراء ، د. بشير العيسوي (ص٨٥-١٠٤) .

(١) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٧) .

(٢) وهذا ـ لاشك ـ مخالف لمذهب الرمزية الذي يوغل في الانحراف الأدائي للّغة ؛ استنادا على خلفيات فكرية مبطّنة . انظر : آفاق الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص٧٣-٨٠) ، ولغة الشعراء ، ونفرد نوتني ، ترجمة د. عيسى العاكوب وآخر (ص٢١٣-٢٧٠) ، والشعر الجاهلي ، د. محمد خفاجي (ص٥٧-٦٣) وكثير من دعاة الرمز المنحرف يرفضون مايسمونه بزعمهم (تناظرية الأبيات)وسهولتها!! انظر : النثيرة والقصيدة المضادّة ، محمد ياسر شرف (ص٩٨) ، وقد ذكر عبد الرحمن شكري في كتابه "دراسات في الشعر العربي" (ص٢٢٥-٢٢٧) ثلاثة عشر سببا لنصرة (الرمز) عند أصحابه ، وانظر : القناع في الشعر العربي الحديث رعد أحمد الزبيدي (ص٥-٦) ، ومجلة الجامعة المستنصرية ع(٧) ١٩٨٣م (ص١٦٧) ، مقال "القناع في الشعر العربي الحديث" للدكتور عبد الرضا علي .

ومن الدراسات الجادة في هذا "بحوث في النص الأدبي" ، للدكتور محمد الهادي الطرابلسي (ص١٥٧-١٨٠) ، وانظر : أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم ، تسعديت حمودي (ص١٣-٦٤) . =

والاطلاع على تراث أمتنا النقدي والبلاغي يجعل هذا الأمر ظاهرا لكل بصير . ولكنّ "الإلحاح في تحميل النظرية أو الكشف أكثر مما تحتمل يجعلها تتجاوز حدود المقنع إلى نوع من التمحُّل الذي يفرض على الفاعلية النقدية تعميمات قد تكون على حساب الإبداع ، وقد تبلغ في حالاتها القصوى حدّ المصادرة للنصّ ، وإرغامه على الدخول من عنق الزجاجة"[١] .

ويؤشر على ثلاثِ ملحوظات سجّلها أحد النقاد حول (الانزياح) يرى أنها تضئ الموضوع ، وتكشف عن ثغرات ظاهرة في كتاب (جان كوهين) تحت عنوان (بنية اللغة الشعرية) حيث يثبت فيه وجوب تمزيق بداهات التعبير اللغويّ وإعادةِ تشكيل علاقات جديدة بين المفردات (تنزاح) وتكاد العلاقة تغيب بين التركيب الجمليّ للمقاطع والتعبير وبين الدلالة القريبة الظاهرة .

يسجّل عماد الدين ملحوظات (شعرية الانزياح)[٢] الثلاث ، وهي كما يأتي :

أولا : ظهرت شواهد الانزياح بأنواعه جملا أو أبياتا أو أجزاء من الأبيات ، وبهذا يتبين أن الانزياح في جزء من القصيدة أو أجزاء ، وماتبقّى فإنه يكون على النسق الاعتيادي للّغة ؛ ولذا لايوجد ديوان كامل يعيش هذا الانزياح .

ثانيا : كانت جداول (كوهين) وإحصاءاته تبيّن أن (الانزياح) كثير في نماذج شعرية ، قليل في أخرى ، وفي هذا تجزيئ واضح وتضييق لدائرة الشعر .

= وانظر الملحوظة القيمة للدكتور محمد محمد حسين في كتابه "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" (٢/٢٩٥-٢٩٦) ، وصحيفة الرياض ، ع(١١٢٨٢) (س) ١٤٢٠هـ (ص١٩) ، الخيال الرمزي ، ج.روبرت بارت ، ترجمة د. عيسى العاكوب (ص١٥-٣١) ، النقد الأدبي الحديث ، د. العربي حسن درويش (ص٢٦٧-٢٧٥) ، والمذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا ، فيليب فان تيغيم ، ترجمة فريد أنطونيوس (ص٢٧٤-٢٨٨) ، والصورة الشعرية ، د.ساسين عسّاف (٩٢/١٠١) .

وانظر : "الفن الرمزي ، الكلاسيكي ، الرومانسي" ، هيغل ، ترجمة جورج طرابيشي (ص١٠-٢٥) .

(١) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٧) .

(٢) وهو كتاب للأستاذ عبد الجبار داود البصري .

ثالثا : إذا عُـدَّتِ الشـاعريّة بكـثرة الانزياحـات ، فمعنـى ذلـك أن قصـائد متهلهلة في موضوع الشكوى ، ستفوق رائعة (الحمَّى) لأبي الطيب[١] ، ولاشك أن في هذا "مصادرة قد يضحى فيها بالعديد من القيم النقدية والجمالية ، بل قد يضحى فيها بجانب خطير مـن الفاعليـة الشـعرية ، مـن أجـل التـأكيد علـى أن الانزياحـات المتتابعة هي عصب الإبداع الشعري"[٢] .

ويرى أن نظرية كالانزياحيّة ، حين لاترتبط بأيــة رؤيـة أو منظـور عقـديّ ، فإنه لايمانع ـ حينها ـ من التعامل معها ، مادامت مجـرد تقنيـات منهجيّـة يفـاد منهـا بنسب ممتدّة ، بقطع النظر عن مدى سلامة هذا المنهج وقدرته التحليليّة[٣] .

ويصوّر لنا مثلا على الانحـراف في بعـض المذاهـب والنظريـات الأدبيـة ذات الخلفيّات المنحرفة ، وماكان منها حديثـا فـإن رؤاه قـد تكـون أشـدّ انحرافـا ؛ نظـرا للهُوَّة السحيقة التي يقع فيها المرء حين يبتعد عن هدى الله لعباده في الأرض .

"وبمجرد إلقاء نظرية سـريعة علـى أيّ عمـل أدبـي واقعـي ، أو طبيعـي ، أو واقعي اشتراكي ، أو سريالي ، أو طليعي .. فإننا سنجد أنفسنا إزاء تيارات تتدفق ، في معظمها باتجاه مناقض لمجرى القيم ، والرؤية ، والتصور الذي ينبثق عـن الإسـلام .. وهذا يؤكّد ، أكثر فأكثر ، ضرورة أن يكون للإسلاميين مذهبهم الأدبيّ المتمـيز وألا يتلفتوا ذات اليمين وذات الشــمال طـالبين المعونـة مـن هـذا المذهـب أو ذاك ، اللهم إلا بقدر مايمكّنهم ذلـك مـن أدواتهـم الفنيـة ، ويزيدهـم قـدرة علـى (التعبـير

---

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي المعروف بالمتنبي ، ولـد سنة ٣٠٣هـ بالكوفـة وهو من شعراء العربية المشاهير ، مدح كثيرا ، ومن أشهر ممدوحيه سـيف الدولـة الحمدانـي ، وقد نشأ فقيرا ، وقتل في رمضان سنة ٣٥٤هـ .
انظر : المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس ، د. محمد التونجي (ص١٦-١٩،١٥٣-١٥٦) .

(٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٨) .

(٣) انظر المرجع نفسه (ص١٩) .

الجمالي المؤثِّر) للتصور المتفرد الذي يحملونه ، أو التجربة الخصوصية الـتي يعيشـونها أفرادا وجماعات"[١] .

ويقف عند معطيات (الطليعيّة) ؛ لأنه يرى أن سواها ـ كالواقعيّة الاشـتراكية قد أصبحت معروفة لـدى كـلّ قـارئ ، سـواء في البنيـان الداخلـي أو في مقارناتهـا بالإسلاميّة[٢] .

ويذكر أن (الطليعيّة) تسمّى ـ كذلك ـ (مذهب العبث) و(اللامعقول) .

"ومنذ البدء فإننا نجد أنفسـنا بـإزاء موقـف تصـوّريّ نقيـض بالكليـة لموقـف (الإسلامية) القائم على ارتباطية الكون ، وغائية الحياة ، وجدوى الكدح البشري ، وعدالة المصير"[٣] .

فقيام هذه المدرسة المستقلة ـ في نظره ــ لايكـون إلا علـى الفوضـى والبعـث واللامعقول منذ أن بدأ (ألبير كامي) [٤] أساسـها وبداياتهـا ، مـن خـلال النظـرات المضادّة لسيطرة العقل قرنين من الزمان ، فأصبح الوجود في نظر هؤلاء (الطليعيّـين) وجودا لايبرره منطق ، بل هو عبث من العبث!!

ولهذا دعـا (ريتشـارد ــ كـو) إلى صـدِّ هـذا الاجـتراء حـين أبـان أن كتّـاب (الطليعيّة) يكتبون دراما الساعات المكسورة ، فأبطالهم يحيون عالما توقّفـت سـاعاته فالزمن ـ بذلك ـ مفقود ، بل غير معتبر ؛ مما يلغـي تراكميـة التجـارب والنفـع مـن ورائها .

---

(١) مدخل إلى نظريـة الأدب الإسـلامي ، د. عمـاد الديـن خليـل (ص١٥٦) ، وانظـر : المذاهـب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ، د. شكري عياد (ص١٤٣-١٩٩) .

(٢) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع نفسه (ص١٥٧) ، و"القول بعبثية الوجود يجعل الوجوديـة فلسـفة إلحاديـة لاتؤمـن بمـا وراء الحياة من ناحية ، ولاتقنع بغاياتها الكريمة من ناحية أخرى".
قراءة النص وجماليات التلقي ، د. محمود عباس عبد الواحد (ص٦١) .

(٤) يعد كامي Camus أول من كرّس جلّ مسـرحياته للتعبـير عـن فوضـى الكـون ــ في نظـره ــ وجعل أبطال أعماله يعبرون عن رؤاه الخاصة . انظر : فوضى العالم في المسرح الغربي المعـاصر د. عماد الدين خليل (ص١١٥) .

والطليعيّون ـ كذلك ـ يَعْرضون في نتاجهم الفني والأدبي مايتراءى لهم واقعا شاملا بكلّ مافيه من خواء وعبث ، وتبدو الدنيا في نظرهم بلا طعم ولا لون ، ويكون الوجود عبثًا بلا هدف ، ومادام الأمر كذلك ، فلماذا لايضحك المرء من كلّ شئ!! [١]

ولهم موقف من (الموت) ؛ حيث يرونه سببا رئيسا في سلبيّة الحياة ، وعدم جدواها ، ويؤكّدون عبثيّة العالم حين يؤول إلى هذه النهاية!

هكذا يتأمّلون الموت في أعمالهم المختلفة ، كما عند (يونسكو) في (قاتل بلا أجر) ، أو (الملك يحتضر) ، و(صموئيل بيكت) في (الأيّام السعيدة) .

والإنسان ـ في قياسهم ـ يركض للخلاص دون جدوى ، فهو لايستطيع نقل خطواته ويصرخ دون جواب ؛ لأنه لايقدر أن يخرج كلماته من شدقيه!

وهذا هو تعبيرهم عن الكون والحياة في مظلّة (العبث) ، فقد تحطّمت أسس الزمان والمكان ، ولم يعد للشخصيات وجود ، في ظلّ التناقض بين المأساة والملهاة .

ولكلّ مامضى ؛ يعلّل عماد الدين سعي الطليعيّين إلى التعلّق المسرحيّ بالأحلام و(الكوابيس) في الشكل والمضمون ، حيث يتبنّونها "لاعتقادهم العميق أنه مامن إطار يجعل الناس يرون واقعهم اليومي الذي يتخبطون فيه كالأسماك ، مثل الحلم ... مادام الكون والعالم يفتقدان ـ أساسا ـ الخطّ الفاصل بين المعقول واللامعقول ، فلماذا يرتكب الإنسان خطأ الفصل بين اليقظة والمنام؟" [٢]

ويؤكّد أن ادّعاء اليقين ـ في نظر الطليعيّين ـ أمر ممجوج ؛ فلا يقين في أيّ شئ ولذا كان الخيال مفرًّا لهم في كلّ حين[٣] .

ومن جملة هؤلاء (صموئيل بيكت) الذي يرى العداء متأصّلا بين الإنسان والكون من حوله ، فالوجود للإنسان فحسب ، والكون أعمى أصمّ أبكم! وهي

---

(١) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٧-١٥٩) ، ومدارس النقد الأدبي الحديث ، د. محمد عبد المنعم خفاجي (ص١٨٧-١٨٩) .

(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص١٦١) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص١٦٢) .

فلسفة إمام الوجودية النصرانية (بسكال) التي يدين بها (بيكت) . والكون ـ في نظر بسكال ـ "إن أهلك الإنسان ، فإن الإنسان يكون أشرفَ ممن يهلكه ؛ لأن الإنسان يعلم أنه يموت ، أما الكون فلا يدري ماذا يفعل؟" (١)

ويجمل عماد الدين رؤى (الطليعيّة) تجاه الحياة كلها بأنها "فوضى تعمّ الكون والعالم ، ولاتدع لحركة الإنسان فيهما هدفا محدّدا أو مصيرا معلوما . كون أنشأته الصدفة العمياء!! وعالم لايقوم على قاعدة من العقل .. وإذا كان الناس طيلة تاريخهم قد اتفقوا على مواضعات وأخلاق وقيم وتقاليد ، فما ذلك إلا لأنهم مجانين ، أو عميان لم يروا بوضوح عبث الكون ، أو يعقلوا سخف العالم . إذْ أنَّى لهم أن يصطلحوا على ماهو ثابت في حياتهم ، وليس هنالك شئ يمتلك عناصر الثبات"(٢) !!

فكانت لذلك إجاباتهم المحزنة عن كثير من الأسئلة المتعلّقة بالوجود والإنسان والمصير ، والحكمة من خلق الكون ونحو ذلك !

وهذا نابع عن الأرضيّة الفكريّة التي انبثقت منها (الطليعيّة) بانحرافاتها المختلفة تجاه الإنسان ووجوده ؛ لأن "المضامين في معظم الأحيان ، ألصق بالنسيج الحضاريّ الذي تخلّقت آدابها فيه : تصوّرا وفلسفة ، ورؤية للحياة والوجود ، وسلوكا وخبرات ، وعملا يوميا .. قد تلتقي هذه المضامين عند الإنسان ، ولكنها تفترق في الرؤية التي تقدمها عن مركز الإنسان في الكون ، وفي فلسفتها إزاء وجوده ومصيره"(٣) .

وهذا ماأكّده عماد الدين ـ في أكثر من موطن ـ حيث إن "المذهبية في الأدب الغربي ترتبط ارتباطا وثيقا بالتصوّر الغربي للكون والإنسان"(٤) .

---

(١) صموئيل بيكت والأيام السعيدة ، مقال : جلال العشري ، مجلة المسرح ، ع(٨) (ص١٠٤) نقلا عن مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٦٢-١٦٣) .

(٢) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص١٦٣) .

(٣) المرجع نفسه (ص١٢٣) .

(٤) محاضرة : تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (٤٠) .

وغالبا ماتكون هذه الارتباطات وثيقة بالنظرة الأحاديّة ، وهذا مايجعلها تفقد توازنها ، وتخرج نتائج بعيدة مهزوزة ، تسقط المذهب أو تظهر تهافته فيفقد مصداقيته "كما حدث مع الماركسية والوجودية والفرويدية .. وغيرها وصولا إلى البنيوية التي أخذت منذ الستينيّات تتلقى ضربات قاسية"(١) .

وهذا خلاف نظرة الإسلام ورؤيته المتميّزة لمسألة وجود الإنسان ومصيره(٢) لأنها نظرة شمولية "بل إن مايميز الإسلام نفسَه عن سائر المذاهب والأديان المحرفة والوضعية إنما هو شموليته .. قدرته على لمِّ سائر الأطراف والقضايا في معادلة وضع الإنسان في العالم"(٣) .

وفي مسألة تعامل الإنسان مع هذا الكون ، يوقفنا عماد الدين في جملة من كتبه عند كشفٍ لضَلال الفكر المنحرف ، الذي تتبناه جملة من المذاهب في علاقة الإنسان ومايدور حوله .

يقف بنا عبر بوّابة (المسرح الغربي) في كتابه النفيس : (فوضى العالم في المسرح الغربيّ المعاصر) على نماذج عديدة من الرؤى المنحرفة في هذا الجانب الفكريّ الذي تتكشّف فيه الحقائق ، ويبدو فيه التوازن ، ويبدع فيه المنهج ثبوتا وإقناعا .

هذا الكون بآياته وعجائبه وغرائبه ، وبنسقه وتوازنه ، لايستطيع أحد أن يجد فيه ثغرة أو عيبا ، كما قال الحقّ ـ جلّ في علاه ـ ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾(٤) .

---

(١) حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٥) .

(٢) ترتبط ـ ولاشك ـ مسألة القدر بحرية الإنسان ، وماموقفه من أفعاله وحركات الزمان وأحداثه انظر مثالا على هذا الارتباط في : فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٨٠-١٨٣) ، وانظر الكتاب النفيس : دراسة المضمون الروائي في أولاد حارتنا ، عبد الله محمد المهنا (ص١١١-١١٤، ١٤٩-١٥٩) .

(٣) مجلة الأدب الإسلامي ، ج(٤) ، ع(١٥) (ص٤٣) ، د. عماد الدين خليل (سؤال في التأصيل) .

(٤) سورة الملك : آية (٣-٤) .

"أي انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا أو فطورا"[١] . هذا الكون كلّه .. لم يخلق عبثا ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[٢] ، و"خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وإنما جعلوا ظانّين أنه خلقها للعبث لا للحكمة ... لأنه لما كان إنكارهم للبعث والحساب ، والثواب والعقاب مؤدّيا إلى أنَّ خَلْقها عبث وباطل جُعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه"[٣] .

ويقف بنا عند الجانب التصوّري العقديّ ، ولايُعني بالحديث عن جانب الاشتراك في الناحية المادية ؛ لأن الناس كلّهم يجمعون على إبداع هذا الكون ونسقه العظيم وإن اختلفوا في المصدر ، أهو الله؟ أم الروح المطلق ؟!أم الطبيعة؟!

ويعبّر عن هذا العبث من خلال مسرحيّات (كامي) التي جاءت تحت هذه اللافتات (كاليغولا) ، و(سوء التفاهم) ، و(حالة الحصار) ، و(العادلون) .

وتناول أعمال غيره من أمثال (سلاكرو) ، و(هارولدبنتر) ، و(ديرنمات) ، و(بيتر فايس)[٤] .

وقد خاطب هؤلاء العابثين بلفظ (العبث) . خاطبهم بقوله في قصيدة (إلى اللا منتمين) :

وَتَشْكُوْنَ .. رغْمَ السَّنَى والجَمَالْ
وإشْراقَةٍ في ليالي القَمَرْ
عَلَى زَورقٍ منْ خَيَال
يَسِيْرُ بكمْ في بحار السَّحَرْ
وتَبْكُوْنَ .. رغْمَ غنَاءِ الشَّجَرْ!![٥]

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ ابن كثير (٣٩٦/٤) .
(٢) سورة (ص) : آية (٢٧) .
(٣) تفسير النسفي ، للإمام عبد الله بن أحمد النسفي ؛ تحقيق مروان الشعار (٦١/٤) .
(٤) انظر : فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١١٦-١٢٧) .
(٥) جداول الحب واليقين ، د. عماد الدين خليل (ص١٣٩) .

ويخبر عن هؤلاء بأنهم :

مَشَوْا يَعْبُرُونَ الظِّلالْ
بلا فكرةٍ أو حَنِيْنْ ..
بلا خَفْقةٍ من فُؤَادٍ
ولانفثةٍ من جَوَى العاشقين
سوى خَفْقَة الموتِ عندَ الرُّقَادِ
وإيماءةِ الذَّابِلِيْن[١]

ويشهد بتفاؤله واعتقاده ، مندِّدا بهذه التشاؤمات حيث يقول :

من اللَّيل يَنْسَابُ ضوءُ الشُّرُوقْ
ويركُضُ خَلْفَ الظَّلامْ
لِيَجْلُوْه عَنْ مسرح الكائناتْ
ومن باكيات الغمام
تَشُقُّ الورودُ الطَّريقْ
فَيُزْهِرُ دربُ الحياة!![٢]

ويَصِمُ هؤلاء (اللامنتمين) ـ حسب تعبيره ـ بأنهم لم يتّخذوا موقفا واضحا يختارونه بل أعلنوا فلسفة خاصّة ، يوهمون الناس أنها الحق وماوراءها الضلالُ المبين![٣]

وهذا مايؤكّد لديه فقدان الفلسفات الوضعيّة ـ والمذاهب الأدبية والفنية المنطلقة منها ـ النظرات المتوازنة ، الساعيّة إلى "العمل من أجل تنمية قيم البطولة وتعميق مواقف الرفض والثورة ، يقابلها العمل من أجل تحقيق الصفاء والانسجام والإحساس الغامر مع سُنَنِ الكون والعالم ونواميسها وموجوداتها"[٤] .

---

(١) المرجع السابق (ص١٤٠) .

(٢) المرجع نفسه (ص١٤٤) .

(٣) انظر : الرؤية الإسلامية ، د. عماد الدين خليل (ص١١١-١١٣) ، وانظر : حوار في المعمار الكوني ، له (ص٧٧-٧٨) ، وانظر ـ كذلك ـ : قالوا عن الإسلام ، له (ص٣٥-٣٨) .

(٤) مجلة الأمة ، ع/ربيع الآخر ١٤٠٣هـ (ص١٣) مقال د. عماد الدين خليل : وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي .

ولذلك سعى عماد الدين إلى كشف زيوف نظرات هذه المذاهب ، من خلال المجهر المسرحيّ ، حين تكون الفرصة مواتية "لاكتشاف تناقضات الحياة الغربية على مستوى الفكر والواقع ، وعلى مستوى الإنسان والمجتمع والرؤية للكون والحياة والوجود والمصير .. تناقضات مترعة بالشروخ لايمكن أن تنسجم وبدهيات العقل البشري"[١] .

وفي تعليله لظاهرة التأزّم والتمزّق الذي تعيشه كثير من هذه المذاهب ، يقول "إن هذه الأزمة تعكس مأساتَها بشكل حتْميّ في معطيات الفكر والفن المعاصرين ، حيث لاتستطيع أقلام المتأزّمين إلا أن تخط كلمات كالضياع والعبث واللاجدوى والتمرد والتمزّق والغثيان والهجر والقلق واللامعقولية والعدم ، وغيرها كثير .. وكلها تشير في مداها البعيد إلى فقدان الإنسان لعنصري فاعليته وإيجابيته وهما وحدة الذات الإنسانية والإيمان اليقيني بالخلود"[٢] .

ويعتقد "أن مايقوله هؤلاء ، ويعيدون فيه ويبدئون[٣] ، لايظلم منطق الوجود والعالم وإنما يظلم الإنسان؟ يصبّ عليه عذابا وهميا لاوجود له .. وينصب في طريقه مارآه في (الكوابيس)؟ يريد أن يقول له : إن واقعك ليس سوى كابوس ، وإنك لاتستطيع أن تركض أو أن تصرخ ، لأن الجدران تقف أمامك ، تمنعك من الصراخ .. من أن تصل إلى الآخرين .. أن تصافحهم وأن تتقدم معهم إلى مشارف الملكوت"[٤] .

---

(١) لقاء الأردن (ص٤٢) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٦١) .

(٣) في الأصل "ويبدأون" ، ولعل ماأثبتناه هو الصواب ـ الباحث ـ .

(٤) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص١٩٩) .
وانظر تقويمه لفلسفات التفسير المثالي عند هيغل ، والمادي عند ماركس وإنجلز ، والحضاري لتوينبي في كتابه القيم "التفسير الإسلامي للتاريخ" (ص٢٣-٩٤) .
وتقويمه لغيرها في : العلم في مواجهة المادية (ص١١٨-١٢٤) يظهر لك ـ بعد رؤيتها ـــ عمق الرجل في استخلاص الاستدراك وترتيب أجزائه ـ الباحث ـ .

وهذا التصادم بين الفطرة والانحراف التصوّريّ عند هؤلاء وغيرهم في النظر إلى الكون ، وعدم التوازن بين الوجود الإنساني وماسخر حوله من مقدّرات وإمكانات ، يقودنا إلى الحديث عن انحراف تصوّريّ آخر ، يقع فيه الفكر الغربيّ ، ألا وهو النظر إلى القدر والحرّية .

وقد هَيّأَ لذلك عماد الدين فصلا كاملا في كتابه (فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر) [١] ، وطبع مستقلا في كتيّب خاصّ بذلك .

وقضية (القدر والحرية) محور أساس تنطلق من أرضه كثير من المذاهب وتشكلت به أعمال أدبية متنوعة ، يقف (المسرح) في مقدمتها .

يقول عماد الدين : "المسرح أساسا من معطيات القارّة الأوربية ، تميّزت به منذ أن طلعت (أثينا) على العالم بتراجيدياتها الكبرى ، وإلى اليوم ، حيث يطلع من هذه القارة بالذات رواد مدارس ومذاهب مسرحية لايقرّ لها قرار ، حتى تطلع بعدها موجات جديدة تكتسحها وتطغى عليها . ومعروف أن علاقة هذه القارّة الصغيرة بالله ، منذ فجر التاريخ وحتى الآن ، لم تقم يوما على أساس صحيح مما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الخالق والعباد"[٢] .

ويركّز الحديث في سبب نشوء الصراع بين الإنسان وربِّه ـ في نظر الغربيّين باختلاف فلسفاتهم وتنوعها ـ ، حيث "ظلّتْ أعين الأوربيين مركزة في الأرض ، وأقدامهم مغروزة في الطين ، وظلت أمكنتهم وأزمنتهم نهبا للصراع القاسي المرير الذي كانت أوروبا تشهده طيلة عصورها بلا استثناء ، ومن ثمَّ جاءت نظرة الأوربي إلى العلاقة بين الله والإنسان ، وليدة هذه الظروف الصعبة القاسية : مطبوعة بطابع الصراع ، وموسومة بميسمه الذي لايزول"[٣] .

---

(١) انظر (ص١٤٥-١٨٣) ، ويجمل أن يعود قارئ هذه الصفحات المشار إليها إلى فصل (مشكلة الإنسان في المسرح الغربي المعاصر) ؛ لتكون البدايات التأصيلية هناك ـ الباحث ـ .
وانظر ـ كذلك ـ : الاتجاهات الأدبية الحديثة ، ر.م.ألبير يس ، ترجمة جورج طرابيشي (ص٢٢-٣٧) ، وفي الأدب الفرنسي المعاصر ، د. سامية أحمد أسعد (ص٧-١٢) .

(٢) فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر (ص١٤٨) .

(٢) المرجع نفسه (ص١٤٩) ، وانظر : قضايا أدبية رؤية إسلامية ، أ.د. عبد الباسط بدر (ص٣٩-٥٧) ، والصورة الفنية في الشعر الإسلامي عند المرأة العربية في العصر الحديث ، د. صالح بن عبد الله الخضيري (ص٤٩٤-٤٩٧) .

ويذكر أن العصر (الكلاسيكي) شهد آلهة كثيرة مزعومة ، تمتلئ (صراعا مع الإنسان) بل قام الصراع بينها في العصر (المسيحي) وفق التخبُّط المصاحب لفكرة الخطيئة والتكفير والفداء ، ثم في العصر (العلمانيّ) الماديّ الحديث برفض فكرة وجود إله! وفي بعض دوائرها قام رفض (الإله) في الأرض ، وحصره في السماء!

ولكنه يؤكّد مع ذلك ، أن فكرة وجود قوة ما تسيطر وتتملّك ، لازالت تسيطر على عصب الأوروبيّ وفكره ؛ مما أظهر ذلك على خشبة المسرح مثلا .

ويبقى من المسلّمات لدينا أن أحفاد (سوفوكليس) و(اسخيلوس) و(يوربيدس) لازالوا ـ وهم في العصر الحديث ـ يستقون من منبع النظرة إلى حتمية الصراع بين الإنسان وهذه القوّة الغيبيّة .

ولكنّ المسرح الغربيّ المعاصر حين يعترف بالقَدَر وفق قدرة هذه القوّة الغيبيّة يختلف في نظراته إليه يمنة ويسرة لدى كاتب وآخر .

فكاتب مثل (آرمان سلاكرو Arman Salacrou)[١] يرى الجبريّة المطلقة على رقاب الناس ، بينما (سارتر Sartre) يرفض وجود قدرة فوق قدرة الإنسان! ؛ لذا يدعو إلى الحرّيّة المطلقة (المفتوحة) للإنسان من الوجود الفوقيّ والقدر! ويقف بينهما كتّاب ومفكّرون متباينون بين هذا وذاك[٢] .

والحرّيّة لدى المدرسة (السارتريّة الوجوديّة) لاتتحقّق إلا بشجاعة الإنسان النابعة من قدراته الذاتيّة ، ومعطياته وملكاته ، عبر دوائر الإرادة والعقل والحكمة ، والخيط الذي يشدّ مسرحياته كلّها هو (الحرّيّة) والاختيار الرافض لكلّ المواصفات السابقة الحادّة من حرّيّة المرء! إذْ "ليس هناك مِنْ مرشد ، ليس هناك من قاض ولامُعْذِر ، ليس هناك من جبرية ، لامن الطبيعة ولاممّا فوق الطبيعة .. الإنسان حُرٌّ الإنسان هو الحرّيّة"[٣] .

---

(١) انظر كلامه عنه في فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر (ص١٥١-١٥٧) ، ويرى أن كامي تظهر لديه في مسرحياته صورة أشدّ قتامة ومأساوية تجاه القدر ، انظر (ص١٥٨-١٦٤) .

(٢) انظر بعضا من آرائهم في المرجع نفسه (ص١٦٤-١٧٨) .

(٣) الذباب ، سارتر ، ترجمة د. محمد القصاص (ص١٦-١٧) ، نقلا عن : المرجع نفسه (ص١٧٩) .

ولذا يحمّل سارتر الإنسان مسؤوليّته تجاه نفسه وتصرّفاته ، وماتؤول إليه .

وهذه النظرة إلى مسألة القدر والحرية تبيّن فوضى الفكر الغربي المعاصر .. تلك الفوضى التي "تبدأ من أعمق أعماق الإنسان ، وتنتهي بالكون وخالق الكون . تبدأ بالإنسان فتمزّقه ، وتصعد صوب العلاقات الاجتماعية فتدمّرها ، ثم تلقي ظلالها على العالم والكون فتخيّل للناظر أن البعث يلفّهما في طيّاته ، وتصل أخيرا إلى العلاقة بين الإنسان وخالقه فتسمّمها وتسفوها بالرماد ، علاقة خصام أبديّ بين إرادة الله وإرادة الإنسان"(١) .

ويقف بنا عماد الدين عند مسألة مهمّة ، وهي أن هؤلاء المسرحيّين جعلوا رؤاهم مذاهب شاملة لتفسير الوجود الكونيّ والإنسانيّ ، وطبيعة علاقة الإنسان بما حوله ، بنظرات ملزمة ؛ فحادوا بذلك عن الخطّ الصحيح والمسار المستقيم ؛ مما أفقد كثيرا من أعمالهم مقوّمات الفنيّة كالحركة والحيويّة والبعد عن التجريد الفكريّ . ولاغرو في هذا التأكيد لمسألة القسر الفكري لدى هؤلاء الكتّاب ؛ حيث انطلق جُلُّهم من تجاربَ شخصيّة مؤثّرة ، كان لها بصمات ظاهرة في نفوسهم وأفعالهم فالعبث واللاجدوى عند (كامي) كان بعد إصابته بالسِّلِّ ، وعَمَّه اليأسُ من الشفاء أمدا طويلا .

والطليعيّون أرادوا دَكَّ حصون العقل ودكتاتوريته التي سيطرت على الفكر الأوربيّ قرابة القرنين ؛ وهذا ماجعلهم يأرزون إلى الأحلام والكوابيس! (٢)

ويؤكّد مسألة ثابتة حيث يقول : "ليس الأمر إذن سواء في معطيات المسرح الغربي المعاصر .. فبقدر ماكان هذا المسرح صادقا وعميقا ورائعا لدى حركته في مدى الإنسان وعالمه ، بقدر ماكان كاذبا وتلفيقيّا وبشعا لدى تخبُّطه في أمداء الكون والعلاقة بين الله والإنسان"(٣) .

---

(١) المرجع السابق (ص١٨٧) .

(٢) انظر في ذلك ـ باختصار ـ : المرجع نفسه (ص١٩٢-١٩٤) .

(٣) المرجع نفسه (ص١٩٧) . وانظر كلامه الجميل حول أزمة الفكر وأزمة العصر (ص١٩٨-٢٢٧) ، وكذلك : في النقد الإسلامي المعاصر ، له (ص٦١-٦٣) .

وحين يكتب لمذهب ما انتشار وذيوع ؛ فإن ذلك لايعني ـ بالتأكيد ـ قدرته وبراعته ، واتّساقه وتوازنه ، ولكنه من (غياب البديل) ـ كما سمّاه عماد الدين ـــ أو ضعفِه حين يوجد متهافتا مرتطما بقناعات الإنسان ومسلّمات التصور . ويضرب مثلا بالماركسيّة .. حيث بقيت منتشية منتفشة بين عشرينيّات وثلاثينيّات هذا القرن حين كانت عقيدة متفرّدة لأوروبا "ونقطة الجذب ذات البريق المثير ، والكعبة التي كان معظم المثقفين : مفكرين وفنانين وأدباء ، يجدون أنفسهم مسوقين للحج إليها!" [١] .

وهذا ماجعل كثيرا من هؤلاء ـ على اختلاف توجّهاتهم ـ يميلون إلى الامتلاء بالانتماء ، فهرعوا إلى الماركسيّة ليربطوا بها مصائرهم [٢] .

وحين يسدل الستار على الفطرة القويمة ، بعيدا عن الغبش والتضليل ، والتعمية وتجزيئ النظر ؛ فإن الإنسان عائد ـ لامحالة ـ إلى تميّزه وبريقه الخاصّ ، لأننا نعلم أنه "ستظلّ البشرية تعاني ، وتزداد أزماتها تعقيدا وإرهاقا ، يوما بعد يوم ، حتى يتأتّى لها ـ يوما ما ـ أن تؤمن بالنور الذي تنزّل من السماء ، وانصَبّ ، عبر فترات من التاريخ ، على الظلمات التي ظلّتْ البشرية تتخبّط فيها" [٣] .

ولهذا كان للتصور السليم نظراته المتوازنة المنضبطة تجاه هذه المذاهب المختلفة وقياس أمدائها وأبعادها ، وفق ميزان ثابت ، يراعي سلّم الإيجاب والسّلب ، ويقف ـ ببعد نظر ـــ عند الاتصال الفكريّ لهذا المذهب أو عدمه ، ووفق منظومة التصوّرات المنضبطة ، فإن النظرية الثابتة في الفكر والفن والأدب تجافي الانحراف وتنأى عن التميّع ، وتدعو ـ في الوقت ذاته ـ إلى التميّز الذي يعكس أثر الالتزام وتأثيره في الرؤى .

---

(١) مجلة الأمة ، ع/ذو القعدة ١٤٠٦هـ ، (ص٨) ، مقال "غياب البديل" ، د. عماد الدين خليل.

(٢) انظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٢٢٦-٢٢٧) .
وانظر : أجيال ضد الماركسية ، علاء الدين وحيد (ص٢٩/٣٤) .

فالتصوّر الإسلاميّ ومذهبه المتميّز ، قد يكون ثمة التقاء بينه وبين بعض المذاهب الأدبية والفنية من جهة ما ، "ولكنه يبقى مذهبا أدبيّا إسلاميّا مستقلا ؛ لأنه في الأصول والكلّيات لايمكن بحال أن يلتقي مع أيٍّ من المذاهب الأدبية الأخرى .. إنه إذا حدث أن تمّ لقاء ما في (الشّكل) ، فإنه يندر على مستوى (المضمون) .. والمذهب عموما"[١] .

فالخلاف كبير في الأصول ؛ حيث ينبعث المذهب المنضبط من خلال الرؤى الموافقة للفطرة السليمة ، في الوقت الذي تصدر رؤى المذاهب الأدبية الأخرى "عن رؤى بشرية وضعية قاصرة[٢] ، تتضمّن الكثير من المناقص ، والأخطاء والثغرات والأحكام النسبية ، والاختلال والتطرّف والشذوذ"[٣] .

ويرى هذا ـ باديا ـ على مستوى المضمون بصورة كاملة ، خلافا للشكل لأنه (حياديّ) في كثير من مواطنه ، "ومادام أن المضمون يتلبس (المذهب) ويدخل في صميم نسيجه ، في سُداه ولحمته ، فإن التباعد بين (الإسلامية) والمذاهب الأخرى يصبح أمرا محتوما إلا في حالات عرضية لاتصلح أن تكون قاعدة يقاس عليها"[٤] .

---

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٣) .

(٢) أشار د. محمد خفاجي في مجلة الدعوة ع(١٦٢٩) شوال ١٤١٨هـ إلى أهمية النظر إلى خلفيات المذاهب الأدبية الغربية . انظر (ص٣٩) ، وانظر : من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، محمد خلف الله أحمد (ص١٥-١٨) ، وفي الأثر الأجنبي انظر : صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر ، أنور الجندي (ص٦٥-٧٥) ، والمؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر ، د. يوسف حلاوي (ص٢١-٩٨) ففيهما بيان لنماذج من آثار هذه الخلفيات الفكرية في الطرف المتلقّي ، وانظر ـ كذلك ـ : دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر ، د. محمد غنيمي هلال (ص٤٨-٦٤) ، وانظر : سيرة القارئ ، نبيل سليمان (ص٢٣-٢٧ ، ١٨٥-١٩٠) ، وقلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها ، د. محمد هنادي (ص٥٢) ومابعدها .

(٣) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص١٥٣) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

ويرى الدكتور عماد الدين أن الأستاذ محمد قطب يتفرد بذلك الطرح الموسّع لملامح التصوّر الإسلامي التي ينبثق عنها المذهب الإسلامي في الأدب والفن عموما . انظر : نفسه . ويشير فيها إلى كتاب محمد قطب الشهير (منهج الفن الإسلامي) .

ويؤكّد أن هذا الفرق يكون ظاهرا حين تجري المقارنة مع المذاهب الأكثر حداثة لتغلغل الرؤية الفكريّة فيها بدرجة كبيرة ، فيتساءل مثلا : "ترى هل ثمّة مساحة ولو ضيّقة تجمع بين (الطليعيّة) هذه وبين (الإسلاميّة)؟ إن مايقال هنا يمكن أن يقال بالنسبة لمعظم المذاهب الغربية الأكثر حداثة"[١] .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن هذا لايعبّر عن نظرة (التشنّج) تجاه ماهو حديث وجديد من المذاهب ، وقد سبقت الإشارة إلى موقف عماد الدين من (الآخر) ، ولكنّه الشعور بالتميّز والارتباط بالمنهج المنضبط العادل ، النابع من وحي السماء[٢] ؛ لأن عزّته توحي إليه أن خطوات الركض وراء سراب التجديد غير المنضبط "لاتقدر على إقناع المبصرين بأن الأسود الفاحمَ أبيضٌ ناصع ، ولاتقدر على إقناع المتذوقين بأن الزّقّوم تمر وزبد"[٣] .

وهاهو عماد الدين يتحدّث عن (البنيويّة) في كتابه المخطوط (متابعات في دائرة الأدب الإسلامي) [٤] وأنه من خلال متابعة صحف وندوات عالمنا العربيّ خلال السنوات الأخيرة يتبيّن لنا مدى الحفاوة التي يلقاها مذهب (البنيويّة) ، كما كان (سارتر) يلقى من حفاوة صارخة في عواصم البلاد العربية ، ثم مالبث أن شكَّ هو في أفكاره ، وثارت علاماتُ تعجُّبٍ كثيرة ، وهكذا يبدأ بريق هذه المذاهب حين "تحمل في البدء بريقها الذي يبهر الأبصار ثم مايلبث أن يخفت الوهج فيتراجع الأتباع ، ويجد المذهب نفسه منساقا إلى زوايا الظلمة والنسيان"[٥] .

وقد بدأ بريق (البنيويّة) يخفت بعد خمسة عشر عاما من انبثاقها حركة ومذهبا في فرنسا ، ولكن لازال عنفوانها دائما لدينا في كثير من البلاد ؛ لأن "مثقّفنا اليوم لايجرؤ على رفض ، أو حتى الشك فيما يعتبره منهجا علميا صارما في التعامل مع النص ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه"[٦] .

---

(١) المرجع السابق (ص١٦٣) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص١٦٤) ، وانظر : الأدب الإسلامي ضرورة ، د. أحمد محمد علي (ص١٠٨-١١٥) .

(٣) في الفكر والأدب ، د. حسن الهويمل (ص٤١) .

(٤) انظر (ص١٣٦-١٥٠) من الكتاب .

(٥) المرجع نفسه (ص١٣٦-١٣٧) .

(٦) نفسه .

والبنيوية حين تكون فلسفة خاصّة في تعاملها مع الإنسان[١] ، وحين تكون ـ في مستوى النقد ـ منهجا لاعتبار النصّ الحكم الأول والأخير في عمليّة التقويم ؛ مما يتطلّب تشعّبا كبيرا في الحاجة المعرفيّة من علم اللغة والجنس والفلسفة والاجتماع والنفس والتاريخ ونحوها ؛ فإن ذلك كلّه لايسوِّغ وقوعها في الخطيئة العظيمة من ممارسة العقل الغربيّ[٢] بالتعميم والتمطيط والتحجّر على الضوابط والقياسات العلمية ، مما يراه المرء في كتابات الغربيين ويسمّى (مابعد البنيوية) .

ويرى عماد الدين أن (البنيوية) ردّة فعل ضدّ الماركسيّة والوجوديّة ، وأنها مندفعة نحو "التخلّي عن النزعة الإنسانية ونزوعها إلى التعالي الذي يلغي التاريخ ويعتقل الإنسان في أقبية النسق والبنية والوحدة والنظام"[٣] .

فكان هذا سببا في التمرّد عليها من خلال بدايات مظاهرات الطلبة الفرنسيّين في عام ١٩٦٨م ضدّ البنيوية مذهبا فكريّا ، ومن ثمّ تحوّلت كتابات (البنويّين) الفرنسيّين ؛ مما دعا (رولان بارت) عام ١٩٧٠م إلى إعلان هجر البنيويّة فكتب مدخله إلى (التحليل البنيوي للنص) .

وعند مطالع السبعينيات أفَلَتِ (البنيويّة) هناك ، وظهرت حركة (جاك ديريدا) لتدمير البنيوية حسب فهم البنيويّين السقيم![٤]

---

(١) انظر : فن القصة في النظرية والتطبيق ، د. نبيلة إبراهيم (ص٧-٦٨) ، والتفكيكية النظرية والتطبيقي ، كريستوفر نورس ، ترجمة رعد جواد (ص٧-٩) ، ومجلة فصول ، ج(٤) ، ع(١) ١٩٨٣م (ص١٤٣-١٥٢) مقال : "النقد البنيوي بين الأيديولوجيا والنظرية" لمحمد علي الكردي .
وانظر : النقد البنيوي للحكاية ، رولان بارت ، ترجمة انطوان أبو زيد (ص٩٣-١٠٠) ، ومدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، رولان بارت ، ترجمة د. منذر عيّاش (ص٢٥-٢٩) ، والبنيوية ، جان بياجيه ، ترجمة عارف منيمنة وآخر (ص٩٧-١١٧) .

(٢) بهذا تنسج (البنيوية) حول نفسها منظومة من المفاهيم التي تخرج بها عن دائرة التقنية باتجاه التعامل مع الإنسان ووضعه في العالم ، انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٩) .

(٣) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص١٤٠) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

والناقد البنيويّ يتخلّى عن النقد المعياريّ عبر عصوره العديدة ، ويتّكئ كثيرا على المنهج اللغويّ في تقويم النصّ ، والمقدّمات الجماليّة مرفوضة عنده في تقويم النصّ بنيويّا ، و(التناصّ) هو الأداة الشرعيّة لديه لفهم الأثر الفني ، وتجريد اللّغة يجب فيه التخلّي عن العواطف والأفكار ، والتركيز على مقدار ماتتبناه اللّغة من رموز وشفرات . والأرقام العدديّة لاعواطف لها!

وفي (البنيويّة) لااجتهاد خارج النصّ ، والنص لايتبنّى الوظيفة الأخلاقيّة ، فالنصّ ـ في نظرهم ـ سياق في النظام الصّوتي لا الفكريّ ، حيث يجرّدون النصّ من التاريخ والاجتماع الخاصّين به ، وفي هذا كلّه إهانة لإرادة الكاتب حيث هو ـ بلا ارتياب ـ يعبّر عن فكرة أو فلسفة معينة .

وهذا التوجّه الذي يتبنّونه يكشف عن زيفه بذاته ، واللغة (وهي رأس مال البنيوي) وعاء الأدب ، والأدب (النصّ عند البنيويّة) "نشاط فكريّ يجري في الذهن والحواس . وإذا ماطبّقنا المنهج البنيوي على نص معين فسنجده يحيل النص إلى علاقات لاإنسانية ، بل إلى أصوات بدائية ... ولهذا لايعترف البنيويون بجودة نص أو رداءته لأنهم يتعاملون مع أصوات ، ولهذا فإنهم لايقيمون وزنا للتكنيك لأنه في رأيهم لعبة لخداع القارئ . ولهذا فإن الناقد البنيوي حينما يحلّل نصا أو يكتب عنه فإن حكمه يأتي تجريديا ... ومعنى ذلك أن تصبح كلّ النصوص لغة لا أدبا"[1] .

أما إلغاء البنيويّة للمعياريّة فإنه ـ في حقيقته ـ إلغاء للإبداع ذاته وللتراكم المعرفيّ بقدمه!

ولئن كانت (البنيويّة) تقترب بالعمل الإبداعي نحو المنهجيّة العلميّة ، وتتوغّل في البنية اللفظية والدلالية (السيميائيّة) في جدولة وتشريح ؛ فإنها تبقى نظرة أحاديّة تجزيئيّة ، تتناسى تراكم الخبرات النقديّة السابقة التي تزيد النصّ وضوحا وفهما في تحليله والنظر إليه .

---

(١) المرجع السابق (ص١٤٣) .
وانظر ـ في هذه المسألة ـ : الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، إبراهيم عبد الله عبدالجواد (ص١٦٦-١٦٧) .

كما تقود (البنيويّة) الإبداع إلى المختبرات الصوتية وعلم اللغة والبحث عن العنصر والمركّب مما يضيّق الخناق على الإجراءات النقدية ، ويفقدها (الحسّ الجمالي) الذي يحتاج شيئا من الفسحة والانطلاق .

ويقول عماد الدين في كلام نفيس له ننقله ـ على طوله ـ : "والبنيوية ـ بسعيها إلى فكّ الارتباط بين الأديب وعمله لم تأت بأمر جديد بالكلّيّة ، لقد سبقتها محاولات متواصلة لتحقيق هذا الانفصال في مجالي الآداب والفنون التشكيلية (كذلك الذي قال به ـ مثلا ـ سوريو وبايير في مجال الرسم) وكلّ الذي فعلته هو إلحاحها على هذا الفصل فيما يمكن اعتباره "قتلا للإنسان" إذا اعتمدنا عبارة غارودي وسحبناها من الفلسفة إلى النقد ، فما دام العمل الإبداعي هو نفحةَ الفنان أو الأديب نفسه ، هو تعبيره الخاصّ الذي يتخلّق في أتون تجربته الخاصّة أو رؤيته الذاتية للظواهر والأشياء ، فإن فصله عن صاحبه قد يقود إلى نتائج ماخطرت على بال الأديب أو الفنان .

بل إن الأمر يتضمن خطأ ما على مستوى الأنشطة الجمالية إذ لايمكن بحال فصل البنية التركيبية للعمل الإبداعي عن التصاميم الواعية للأديب وحتى عن معطياته (اللاوعيية) .

ومعظم النقاد مارسوا تجربة الإبداع ، وهم يعرفون جيدا كيف يتخلّق العمل بعيدا ، فيما يبدو للوهلة الأولى ، عن صاحبه ، مستقلا ، يقيم بنيانه بمنطقه الخاص الذي طالما دهش لمعماره الأديب نفسه .. هذا حق ، وحق كذلك أن عملية التخلق هذه لايمكنها إلا أن تتدفق بين ضفتين لاتندّ عنهما : خبرات الأديب ، وتوجّهه التعبيريّ ، أي أسلوبه الإبداعي ولغته المنتقاة[١] إلى حدّ كبير من الوعي المسبق على مستوى النوع الأدبي والتركيب اللغوي"[٢] .

---

(١) يرى عماد الدين أن نويّات البينوية المبكرة قد تُلمّح من خلال بعض معطيات نقّادنا القدامى في مثل نظرية النظم عند الجرجاني . انظر : حول استراتيجية الأدب الإسلامي (ص١٧) ، وانظر : لقاء الأردن (ص٥٢) .

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٤٧) .

وهكذا يرى عماد الدين القضية متصلة غير منفصلة ، فما دام النصّ معبّرا عن صاحبه فلا فصل ـ حينها ـ بينه وبين تكوينه نفسيّا واجتماعيّا ، وانتمائه عقديّا وفكريّا ومالديه من المعرفة والثوابت ؛ لأن هذه كلّها "منسربة هناك في نسيج إبداعه موغلة في شبكة مفرداته وجمله وتعابيره . ومن ثمَّ فإن إضاءة العمل النقدي لخلفيات الأديب النفسية والاجتماعية والمعرفية والعقدية والبيئية والوراثية ، تعدّ ضروريّة لفهم هذا العمل وإدراك أبعاده ومضامينه"[١] .

ويذهب إلى الموازنة بين هذه النظرة وفصل النصّ لمتابعة مفرداته ووحداته تقابلا وتضادًا ، وأننا بهذين المسارين نكون متوسّطين ، خارجين بنتائج أفضل ؛ مادام أننا نعلم أن العلوم الإنسانية هذه ـ والنقد جزء منها ـ ليس فيها حقيقة نهائية لاتعقّب عليها ، ومادام أصحاب النظريات والدراسات والمذاهب يؤوبون للمراجعة كلّ حين![٢]

وحينما يتحدث عن مقارنة (الإسلاميّة) و(البرناسيّة)[٣] يذكر أن (الجمال) في الإسلام ليس هدفا بذاته ، وليس لدينا (برناسيّة) خاصّة تدعو إلى مذهب (الفنّ للفنّ) أو (الجمال للجمال) ، ولكنّ (الجمال) حياة مؤثّرة تحقّق أهدافا نافعة للإنسان ، فهو انطلاق (قيميّ) يعزز الجمال الحقيقيّ المطلوب ؛ حيث الجمال المخادع .. ذلك الذي يقود إلى السّلبية والتمويه والتغطية .

والإسلام ـ كما يثبت عماد الدين ـ "واقعيّ في أحكامه الجمالية ، كما هو واقعي في مواقفه كافّة ، إنه لايسم بالقبح والبشاعة ماهو جميل بذاته ، ولكنه يذهب

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) وانظر في هذا ـ كذلك ـ : حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٣).

(٣) (البرناسية) مذهب يَتْبعه مذهب (الفن للفن) وميدانها ـ ابتداء ـ الشعر الغنائي ، وقد برزا مع الواقعية ـ وميدانها الأساس القصة والمسرحية ـ بعد اضمحلال الرومانسية الأوزوبية أواسط القرن التاسع عشر الميلادي .
انظر : الدراما ومذاهب الأدب ، د. فايز ترحيني (ص٢١٤) ، والنقد الأدبي ، لأحمد أمين (ص٤٣٢) .

إلى ماوراء الوجه الجميل ، ويتجاوز (الديكور) الخارجي للشيء المتزيِّن ، بحثا عن الهدف الذي يؤول إليه"[١] .

---

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص٣٤) .
ومن أهم الدراسات التي تثبت ذلك كتاب الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد ، د. أحمد بسّام ساعي ، انظر (ص٧-٣٦) ، وكذلك انظر : الشعر الجاهلي ، د. محمد عبد المنعم خفاجي (ص٥٥-٥٧) .
وانظر زيف الواقعية الاشتراكية وأصول الكاتب لديها في كتاب "غزو في الصميم" عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ص٣٢٤-٣٢٥) ، ويصف رينيه ويلك (Rene Wellek) الواقعية الغربية بأنها رديئة فاسدة .
انظر ـ في هذا وغيره ـ البحث القيّم للدكتور عدنان محمد وزّان عن المذهب الواقعي في مجلة بحوث كلية اللغة العربية ، بجامعة أم القرى ، الصادرة عن الجامعة س(٤) ، ع(٤) ، ١٤٠٧-١٤٠٩هـ (ص٣١٧-٣٤٣) .
وانظر : مدخل إلى الأدب الروائي الانجليزي ، لأرنولد كيتل ، ترجمة أ.د. لطيفة عاشور (٢٨/١-٤١) ، وفصول في النقد الأدبي وتاريخه ، د. ضياء الصدّيقي وآخر (ص٢٢٢-٢٢٧ ، ٢٢٩-٢٣١) .
ويؤكّد الدكتور عبد الباسط بدر انقسام الواقعية إلى الواقعية الحرفية والواقعية الاشتراكية والمذهب الطبيعي .
انظر ذلك في ورقة عمله المتميّزة التي قدمها لمؤتمر الأدب الإسلامي بالمدينة النبوية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٩/٢-٢٤) .
ومن أيد الدكتور عبد الباسط في هذا التفرع (دريني خشبة) في كتابه "أشهر المذاهب المسرحية" (ص١٢٣-١٢٤) .
وانظر ـ كذلك ـ : مدخل إلى الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص١٤٤-١٤٦) ، والقصة العربية ٩٤ ، صادر عن دار ومطابع المستقبل بالاسكندرية (ص٩٦-١٠١) ، ودراسات في الأدب المسرحي ، د. سمير سرحان (ص٥٥-٩٧) .
ويقول دريني خشبة في كتابه "أشهر المذاهب المسرحية" : "إنه مذهب لايحمل رسالة ولاينطوي على فلسفة ولايهدف إلى إصلاح" (ص١٦١) .
وانظر ـ لتقف على الحقيقة ـ النقد الأدبي ، ويليام . ك . ويمزات وآخر ، ترجمة د. حسام الخطيب ومحيي الدين صبحي (ص٦٥٠-٦٧١) ، وانظر نماذج تسير وراء الواقعية حذو النعل بالنعل في كتاب "أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية" ، د. محبة حاج معتوق ، وحركة نقد القصة القصيرة في العراق ، حمزة فاضل يوسف (ص٢٥-٤٧) ، والأدب الإيطالي ، لبول ارّيغي ترجمة هنري زغيب (ص١١٦-١٢٤) . =

ويقول في موطن آخر : "إن (الواقعيّة) و(الطبيعيّة) بصفة خاصّة لتبالغان في تجميل القبيح وإلقاء رداء الكلمة الحلوة والفن الجميل على جسده البشع .. ولشدّة التأكيد على ممارسة فنيّة كهذه ، يتجاوز القبيح دمامته في نظر الناس ، ويتحوّل بكلّ مايحمل من قيم لا أخلاقية ، وتراكيب دميمة ، إلى قيمة مطلوبة وشئ جميل"[١] .

ويتحدّث عن (السرياليّة) معتمدا كتاب (عصر السرياليّة) للكاتب الأمريكي الدكتور (والاس فاولي) ليدلّل على الارتباط الثابت بين (المذهب) و(التصوّر الفكريّ) من خلال التأشير على محاور ثلاثة ، أوّلها العلاقة بين (السرياليّة) و(اليهوديّة) ، وثانيها مابينها وبين (الفرويديّة) إلى حدّ العدميّة ، وثالثها دعوتها بإلحاح شديد إلى التفكيك والتخريب للّغة ؛ مما يؤكدّ هذا الارتباط ويوثّقه .

أما العلاقة بين (السرياليّة) و(اليهوديّة) فظاهر من خلال (عصر السرياليّة) ومافيه من تأكيد دور اليهود في المسيرة الفنية والفكرية ؛ مما جعلهم يركبون مطيّتها لتحقيق مآربهم حيث "السريالية تبلغ من العنف والنزعة التخريبيّة للإجهاز على كلّ القواعد والقيم والعلاقات والمؤسّسات اللغوية والدينية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية"[٢] .

ويذكر أن (ماركس) و(فرويد) اليهوديين قد صنفا ضمن قائمة السرياليّين (فوق الواقعيّين) ، وأن السرياليّة مرتبطة بالشيوعيّة في أشدّ حالاتها الانحرافية ، مستخدمة المظهر التحرّري ، موجهة العقل العام نحو النظريات المبهرجة .

ويدلّل على ذلك بأن سحق الموازين البنائيّة منهج لهم ، حين يفقدونها توازنها المعتاد[٣] .

= وانظر : الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني ، د. حلمي القاعود (ص١٣-٨٠) أنموذجا للواقعية المنضبطة .

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٤١-٤٢) .

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٢٢) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص١٢٣) ، والرومانتيكية مالها وماعليها ، روبرت جلكنر وإنسكو ، ترجمة د. أحمد حمدي محمود (ص١٥٧-١٧١) .

وتركز السرياليّة على (اللاوعي) أسطورة تؤرجح الفكرةَ بالحدس وتلغي مقاييس المجتمع![١]

ويشير عماد الدين إلى انطلاق النتاج السرياليّ من منطلق الشوق إلى الكهنوت الإسرائيليّ وسحره وتعازيمه[٢] .

وصلة (السرياليّة) و(الفرويديّة) ظاهرة عبر نظرية (اللاوعي) والفكر الفرويدي الذي يعيد الأمور كلّها إلى الجنس بدعوى التحرّر من الكبت والعقد ، وتدميرًا للثقة بالعقل والوعي ، حيث يرون في (اللاوعي) سعة أفق تفسّر الإنسان لنفسه!

ويرى (مُتّبعو هذه النظرية) أن نماذج الواقعييّن أمْلتها عوامل المجتمع ، لا رغبتنا وذواتنا ، ويعتقدون أن التكشف من خلال الأحلام والغريزة أصدق وأكثر واقعيّة منه في السلوك اليومي الظاهر ، وهذا أساس ثابت لدى (السرياليّين)[٣] .

ويرون حسب وصف (فاولي) أن "البطل الجديد إذن هو الإنسان غير المنسجم ، هو الجوّابُ أو الحالم ، أو مقترف الأفعال اللامنطقية"[٤] .

يقول (فاولي) ـ كما نقل ذلك عماد الدين ـ : "يمكننا أن نعثر ، فيما يعتبره العالم حالات جنون ، على قوة داخلية مكبوتة معذبة ، ويمكن للإنسان إذا مالبى رغائبه الإنسانية ، أن يعيش تجربة أكثر حقيقية من واقع العالم المنطقي الموضوعي"[٥] .

---

(١) يشير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي إلى أن هناك مذهبا عصريّا حديثا يسميه (المودرنزم) وهو خليط بين (السريالية) و(الواقعية) سائد في أمريكا .
انظر : الشعر الجاهلي (ص٦٥) .

(٢) انظر : المرجع نفسه (ص١٢٤) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص١٢٤-١٢٥) ، والمدارس الأدبية ومذاهبها ، د. يوسف عيد (١/١٨٠) .

(٤) عصر السريالية ، د. والاس فاولي (ص٢٠) نقلا عن "متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د.عماد الدين خليل (ص١٢٥) .

(٥) المرجع نفسه (ص١٢٧) .

إذن فالوصف اللازم هو التفكيك والتدمير لكلّ العوائق!! ولذا تحارب (السرياليّة) الفكرة التي تنادي إلى أن يكون الأدب صورة تعبيريّة عن المجتمع ، يتحدّث عما يهمّه ويفيده!

ولئن كانت (الدادائية) [١] في أوائل عشرينيات هذا القرن تنشد الحرّيّة ، وتثور ضدّ المجتمع واللغة والدين والذكاء ؛ فإن (السرياليّة) قد حلّت محلّها في هذا الهدم . فنراها تنادي إلى رفض المجتمع والعائلة حيث نشأ الإنسان بلا اختيار!

وتدعو إلى رفض الحياة والاستقرار ، حتى إن الفتى السريالي (جاك فاشيه) يُعَدّ ـ في نظرهم ـ شهيدا ، بعد أن انتحر بجرعة كبيرة من المخدّرات!

ولم يقف الأمر عند حدّ إعلان استشهاده! بل تعدّى ذلك إلى المفاخرة بشعره وتمجيده ، واعتباره تحقيقا شعريّا أو سرياليّا للذّات! [٢]

أما اللغة أداة التواصل البشريّ ، فلم تسلم من عبثهم وتدميرهم ، حتى جعلوها فريسة سهلة لمن جاء بعدهم من (روّاد العبث) ، وآخرهم الطليعيّون .

واستعرض عماد الدين شيئا من دراسة (فاولي) للشاعر الفرنسي (رامبو) الذي يمثّل أنموذجا لفقد إحسان التعبير عن التجربة من خلال الشعر ؛ إذ هو ممن "جُلّ همّهم هو أن يقدّموا طيفًا قزحيًا للحياة ، وأن يبتكروا نسقا جديدا للإشارات وترتيبا غريبا مدهشا للصيغ"[٣] .

إنهم يرون البداية بالكلمات بدل الموضوع أو الفكرة[٤] ؛ ولهذا تراهم يحاربون (الواقع) ويهربون من عبودية البلاغة إلى إكساب الكلمات حرّية الحركة بتمارين الكتابة الآليّة ، وهكذا لايحسنون التعامل مع هذه اللّغة العظيمة ، أداة

---

(١) حركة هدمية في أوائل العشرينيّات من هذا القرن ، وهي حركة خاطفة كانت عام (١٩١٦-١٩١٧م) ، انظر : المرجع السابق (ص١٢٧) ، ومواقف نقدية ، د. منصور الحازمي (ص٢٠٤).

(٢) متابعات في دائرة الأدب الإسلام ي، د. عماد الدين خليل (ص١٢٨) ، وانظر : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، د. نجيب الكيلاني (ص١١٥-١١٦) .

(٣) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (ص١٣٠) .

(٤) انظر ـ في هذا ـ : المدارس الأدبية ومذاهبها ، د. يوسف عيد (ص٣٠٨-٣٠٩) .

التواصل والعطاء ، ويفقدون القدرة على تطويعها ، فيتسابقون إلى تفكيكها وتدميرها !!

"إن النحّات ـ على سبيل المثال ـ عندما تجابهه تحديات ومصاعب الكتلة التي يعمل فيها إزميله ، لايسعى إلى تحطيم هذه الكتلة ، ولكن إلى الالتفاف حولها ، وتطويعها ، وإرغامها على أن تستجيب لإرادة الإنسان وإصراره وتطلّعاته .. وهذا هو الفرق بين الفعل المجّانيّ ، الرخيص السهل المبتذل ، وبين التفنّن والإبداع"(١) .

حقّا إن "السريالية بنت الجنون والدجنّة"(٢) .

ويقول عماد الدين عن قدرة لغتنا العربية على الإبداع والإيصال بلا انحسار "إن لغتنا العربية الشاعرة الحسّاسة ، الخصبة بمفرداتها ومجازاتها واستعاراتها التي مالها من نفاد .. لايمكن بذلك أن تبخل بقدراتها الإبداعية وأدواتها الفنية لتوصيل التجربة ، فليس إلا العجز والانحسار في قدرات الأديب نفسه ، ذلك الذي يغمض في التجربة فيمنعها من الوصول إلى الآخرين"(٣) .

ويخلص عماد الدين إلى أن (الإسلاميّة) ـ أخيرا ـ ليست كالمذاهب الأدبية الأخرى تماما .. "وبمجرد إلقاء نظرة سريعة على أي عمل أدبي واقعي ، أو طبيعي أو واقعي اشتراكي أو سريالي أو طليعي .. فإننا سنجد أنفسنا إزاء تيارات تتدفق في معظمها باتجاه مناقض لمجرى القيم والرؤية والتصور الذي ينبثق عن الإسلام .. وهذا يؤكد ، أكثر فأكثر ، ضرورة أن يكون للإسلاميين مذهبهم الأدبي المتميز ، وألا يتلفتوا ذات اليمين وذات الشمال طالبين المعونة من هذا المذهب أو ذاك ، اللهم إلا بقدر مايمكّنهم ذلك من أدواتهم الفنية ، ويزيدهم قدرة على (التعبير الجمالي المؤثر)

---

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٣٥) .

(٢) كلمة قالها (أراغون) في روايته (فلاح باريس) ، انظر : نفسه .
وانظر : نماذج من هذيان السريالية في كتاب "حول استراتيجية الأدب الإسلامي" ، د. عماد الدين خليل (ص١٥-١٦) .

(٣) مجلة الأدب الإسلامي ، ج(٤) ، ع(١٣) (ص١٧) لقاء العدد مع د. عماد الدين خليل ، حوار محمد رشدي عبيد .

للتصور المتفرد الذي يحملونه ، أو التجربة الخصوصية التي يعيشونها أفرادا وجماعات"[١] .

وحين يكون انطلاق مسيرة هذا التصوّر راسخا ثابتا عزيزا ؛ فإنه ـ ولاريب ـ يصبح عصيّا على الزعزعة والميلان ، والنكوص والتقهقر ، فهو "فنٌ يأبى الانحراف .. يأبى ـ مثلا ـ تأليه الإنسان (كلاسيكيا) ، وإغراقه الذاتي الأناني (رومانسيا) ، وتمجيد لحظات الضعف البشري (واقعيا) ، وتصوير الانحراف الفكري أو النفسي أو الأخلاقي[٢] (وجوديا) ... ذلك أن الفن الإسلامي يستمد تجاربه الباطنية من خلال الحقيقة لا الزيف ، ومن الاستقامة لا الانحراف"[٣] .

والمذهبيّة الإسلاميّة نقيض ـ ابتداء ـ للمذاهب الغربيّة ؛ حيث إنها "ترفع خطابا يختلف في بنيته وفي خلفيّاته التصوّرية الفكريّة عن الخطاب الذي ترفعه ... المذاهب الأخرى التي تختلف في الفلسفات الصادرة عنها جذريا عن الرؤية الإسلامية"[٤] .

ولعلنا نختم بمثال واحد على هذا الخلاف الأصيل ، بما ذكره عماد الدين عن (الواقعية الإسلامية) ، وأن المذاهب الوضعية تحجر المرء في واقع ضيق بلا أمل يقصد أو تجعله حالما غارقا في غير واقعه!

أما التصوّر الإسلاميّ الفريد فإنه يحيي الإنسان هذه الواقعية بتوازن ، وبدون نظرة أحادية .

---

(١) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٦) ، وانظر : الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ، د. عدنان النحوي (ص٣٣١-٣٤٥) .

(٢) حين أنشأ الدكتور أحمد زكي أبو شادي جماعة (أبوللو) وأصدر مجلّتها ، كان ينحرف بقصائده ؛ حيث ينشرها مذيلة أو مجاورة لبعض الصور العارية والمناظر الجنسية المثيرة ، وسار على هذا النهج كثير من تلاميذه الشباب!! انظر : جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث ، جمال سلطان (ص١١٨-١١٩) .

(٣) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٤٢) .

(٤) لقاء الأردن (ص٥٦) بتصرّف يسير .
وانظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص١٢٦-١٣٦) .

"فإذا ماأحلنا هذه الأطروحة على دائرة الأدب الإسلامي استطعنا أن نعرف ـ ابتداء ـ ملامح الواقعية الإسلامية ، وصبغتها وشعارها الذي تتميز به على سائر الواقعيات . وسواء كان الأمر على مستوى التنظير أم النقد التطبيقي أم الإبداع .. فإن الأديب المسلم يجد نفسه ، وهو يتعامل مع الواقعية ، إزاء مساحة واسعة ممتدة لحركته وحركة شخوصه ، ماعرفتها سائر الواقعيات الأخرى على اختلاف الصيغ والمسمّيات ، ... فهناك فيما وراء الواقع ، تلك الضفاف البعيدة المفتوحة التي تناديه"[١] .

وهذا يؤكّد مايتميز به التصوّر الصحيح من قدرة على العطاء ، مما يكون دليلا على تفرّده وبراعته وإقناعه ، ويبقى تألّقه كلما كتب لمثقف دارس أن يقارنه بغيره عطاء وثباتا[٢] ، في ظلِّ المواجهة بين الحقِّ والباطل ..

---

(١) متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٥٦) .
وانظر أثر (الواقعية) الإيجابية في : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د. محمد محمد حسين (٢٥٠/١-٢٦٥) .

(٢) لعلّه من الطريف ، أن يكون كثير من أتباع المذاهب الأدبية الغربية أنفسهم ، في أوائل الصفوف المعارضة لهذه المذاهب ؛ ومن ذلك قول الناقد الماركسي (جورج لوكاتش) : "إن الأدب الذي أنتجته الواقعية الاشتراكية أدب يتميز بالجمود وضيق الأفق" . انظر : معنى الواقعية المعاصرة ، جورج لوكاتش ، نقلا عن : مؤتمر الأدب الإسلامي ، بالجامعة الإسلامية (٢٤/٢) ، ورقة الأستاذ الدكتور عبد الباسط بدر بعنوان "مذاهب الأدب الغربي .. رؤية إسلامية" .
وانظر ـ كذلك ـ مايلي :
* الأدب المقارن ، د. محمد غنيمي هلال (ص٣٩٦-٤٠٠) .
* بين الأصالة والتغريب ، د. حسين سعد (ص٣١-٣٦) .
* مجلة الأدب الإسلامي ، س(٢) ، ع(٦) (ص٨٢) عرض من مكتبة الأدب الإسلامي .
* كيف نفهم الإسلام ، محمد الغزالي (ص١٥٩-١٨٨) .
* مدخل إلى الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص١٤٢-١٤٧) .
* معالم الهدى إلى فهم الإسلام ، مروان القيسي (ص١٤٥-١٥٤) .
* في سبيل الإصلاح ، علي الطنطاوي (ص١٧-١٨) .
* حول القصة الإسلامية ، د. نجيب الكيلاني (ص٢٠-٢٢) . =

بين التثبيت والتطبيع![1]

وسيظلّ المذهب المستقيم شامخا عزيزا ، يتميّز بصموده ، ويستعلي بتفرّده وصلاحيته ، وإنْ أَخَذَ وأفاد ، فإنما هو الامتلاء باستيعاب وفحص ، وسبر وتقسيم[2] .

= * العقل المسلم ، د. عبد الحليم عويس (ص٦٣-٦٥، ١٧٧) .
* الإسلامية والقوى المضادة ، د. نجيب الكيلاني (ص١٦٢-١٦٥) .
وانظر ادعاء (الجمود الفكري) في الانطلاقات السليمة القويمة ، حيث يعرض بعض كتاب التنوير والتقدمية بضاعتهم المزجاة مدعين السعي وراء الحرية .
انظر ـ مثلا ـ : عربي بين ثقافتين ، د. زكي نجيب محمود (ص٢٧١-٢٨٤) ، وبلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل (ص٧٣-٩٧، ١٧٨) .
ويقول جهاد فاضل في كتابه "قضايا الشعر الحديث" عن الشعراء الذين يتبعون فكر غيرهم "إن عددا من هؤلاء ... ينتمي إلى أقليات عرقية ودينية ومذهبية في العالم العربي تتميز عادة بمحاولة تخطي الحواجز المعوقة والالتقاء على أصعدة أيديولوجية جديدة ، وفي هذه المحاولة يصبح التاريخ العربي عبئا والتخلص منه ضروريا" . (ص٩) وإن كنا نفاخر بتاريخ إسلامنا لامجرد عروبتنا ـ الباحث ـ .

(١) انظر حقيقة التطبيع في : كلمات غريبة ، منصور إبراهيم الخميس (ص١٤٨-١٤٩) .
ويقول جبران خليل جبران في كتابه : البدائع والطرائف (ص٥٧-٥٨) : "إن الغربيين كانوا في الماضي يتناولون مانطبخه فيمضغونه ويبتلعونه محولين الصالح منه إلى كيانهم الغربي ، أما الشرقيون في الوقت الحاضر ، فيتناولون مايطبخه الغرب ويبتلعونه ولكنه لايتحول إلى كيانهم بل يحولهم إلى شبه غربيين ، وهي حالة أخشاها وأتبرم منها ، لأنها تبين لي الشرق تارة كعجوز فقد أضراسه وطورا كطفل بدون أضراس" .

(٢) يتحدث الأستاذ الكبير محمود شاكر رحمه الله عن أولئك الذين لايفرقون بين (الحضارة) و(المدنية) وتراهم يواجهون حضارة الغرب بطيش وغفلة واستكانة ، وينقلون الأصول الفكرية للحضارة الغربية ظانين أنهم ينقذون العباد والبلاد من التأخر والانحطاط!! ويطيل الحديث في بيان ذلك بجلاء وسناء .
انظر : دراسات عربية وإسلامية ، إعداد أيمن فؤاد سيد وآخرين (ص٤٢٦-٤٣٠) . وهذا الكتاب جدير بالقراءة والمطالعة والتمثّل ـ الباحث ـ .
وانظر في تفرّد المنهج الإسلامي وطريقة إفادته من الآخر وكيف تخلّى عنه أبناؤه : =

.....

= * ظلام من الغرب ، محمد الغزالي (ص٤٥-٥٥ ، ٣١٥-٣٢٥) .
* على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم ، أنور الجندي (ص٥-٣١) .
* نظريات وافدة كشف الفكر الإسلامي زيفها ، أنور الجندي (ص٣-٢٢) .
* حصاد الغرور ، محمد الغزالي (ص٦٧-٧٢) .
* دلالات التراكيب ، د. محمد محمد أبو موسى (ص٣-٦) .
* التصوير البياني ، د. محمد محمد أبو موسى (ص١٨-١٩) .
* نحن والآخر ، د. عاصم حمدان علي حمدان (ص١٣٩-١٧١) .
* وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي (٢/٧٧-٧٩) .
* واقعنا المعاصر ، محمد قطب (ص٢٩٥-٣٠٤ ، ٣٤١-٣٥١) .
* الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية ، أنور الجندي (ص١٠٣-١٢٠) .
* مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب (ص٤٨٧-٤٩٥) .

ويندب محمد قطب أحوال أولئك الذين لايربطون أدب وفن أوروبا بتصوّرها المنحرف ، وينسون أن الأدب والفن الأوروبي - في جميع أدواره التاريخية - كان مشغولا بالمعبود عبر الفن الإغريقي ثم ماكان من الأدب الكنسي وعبودية الطبيعة والإنسان ثم فوضى الفكر والتوجهات في العصر الحديث . انظر : المرجع نفسه (ص٤٨٧-٤٨٨) .

الفصل الثاني

المنظور النقدي والأعمال الإبداعية

الفصل الثاني
المنظور النقدي والأعمال الإبداعية

ينطلق الدكتور عماد الدين في كثير من دراساته وكتاباته من خلال ملاحظة طغيان الجوانب الإبداعية على الوجود التطبيقيّ ، والدراسات التفصيليّة التي تتتبَّع ملامح الإبداع هنا وهناك ، بل يذكر أن التوازن ذاتَه في العمل الإبداعي يتأرجح فلا يمكن أن نسم به الحركة بصفة عامة[١] .

ولهذا لزم إخراج دراسات تضبط ذلك ، أو تشارك في هذا الضبط ؛ لتبرز عددا من محاولات التطبيق الذي يتقصّى إبداعات مختلفةً في دائرة الشعر والقصّة وغيرهما ؛ لأن "محاولة إحصائها وتغطيتها النقدية تكاد تكون مستحيلة ما لم ينهض نقادنا كافة ، ويفعلوا مايفعله الآخرون خارج الإسلامية .. أن نمسك بأيدي بعضنا .. أن نشدّ عليها .. أن نشير بضوابط النقد وإضاءاته الكاشفة إلى مظانّ التألّق والخمود .. وأن نبين عناصر القوة والضعف في هذا العمل أو ذاك .. أن نصغي جيّدا إلى الأصوات المبدعة ، وأن ندخل معها في حوار يكسر جدران القطيعة ويضع يده على النبض الذي يعد بالكثير"[٢] .

ويرى أن على (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) مسؤوليةَ تقويم هذا الإبداع الذي يسير بدرجة سريعة[٣] ، ويمضي قدما وهو بحاجة أكيدة للإرشاد والتوجيه .

---

(١) انظر : في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص١) ، ويقول الشاعر الفلسطيني إبراهيم نصر الله : "قطار الشعر يسير بالطاقة النووية ، وقطار النقد يزحف بالفحم" صحيفة المدينة ، ع(١٢٣٦٨) ، (ص١٦) ١٦ شوال ١٤١٧هـ .

(٢) في النقد التطبيقي ، الصفحة نفسها .
وقد أشار د. نجيب الكيلاني رحمه الله إلى أن الدكتور عماد الدين مّمن قدّموا العديد من الدراسات التطبيقية الجادّة ، وأشاد بهذه الدراسات .
انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني (ص٤٩) .

(٣) في النقد التطبيقي (ص٢) .

ولايخفى علينا أن النصّ الأدبيّ يعدّ "تعبيرا عن تجربة خاصّة يرمي المبدع إلى إيصالها إلى القارئ ليستخلص منها قيمتها وبنحو شامل"[١] .

ولايمكن أن نتهم النقد التطبيقيّ الذي يبيّن الانحراف الفكريّ والزيغ النفسيّ نوعا من الكبت والمقاييس الجاهزة ، والهيمنة والمصادرة ، والتقسيم المتعسّف كما يذهب إلى هذا جملة من النقاد المحدثين[٢] .

والناقد ـ في نظر عماد الدين ـ يتعامل مع (النصّ الأدبيّ) [٣] بتوجّهات مختلفة إذ هو حينا يحاول مقاربة النصّ فلا يدع نسيج النصّ إلا بعد أن يظهر فيه كلّ صغيرة وكبيرة حسب رؤيته الخاصّة ، فينظر إليها من جهة استقلالها وتشكّلها فيه ، ومن جهة الارتباط الأكيد بالمعطيات الأخرى للنصّ .

وهو ـ مع خروجه بنتائج ـ يعتقد أنه يمارس نشاطا معرفيّا إنسانيّا "قد يكون احتماليّا أكثر منه منضبطا ـ كما هو الحال في بعض العلوم الصّرفة أو التطبيقية (Exact Sciences) ، وقد يكون تذوُّقيّا يمنح مذاقات متغايرةً بين ناقد وآخر ، وبين متلقٍّ وآخر"[٤] .

ولاشك أن دائرة المتذوّقين تتّسع بالنقد ، حيث يبسط سلطانه على النفوس رغبة في النهوض بالروح البشرية ؛ لتصبح حيّة بعد أن أنهكتها التوجّهات المادية الزائلة[٥] .

---

(١) حركة نقد القصة القصيرة في العراق ١٩٦٨-١٩٨٠م ، حمزة فاضل يوسف (ص٢) .
وانظر المحاضرة النقدية القيمة (كيف أفهم النقد؟) في كتاب : كيف أفهم النقد؟ نقد ورد ، د.جبرائيل سليمان جبّور (ص١٢-٣٧) ، وانظر : النقد الأدبي ، سيد قطب (ص١١٤-١١٦) ومجلة (آداب الرافدين) ع(٢٥) (ص١١٠-١٢٤) .

(٢) منهم اعتدال عثمان في كتابها : إضاءة النص (ص١٠٥-١٠٦) .

(٣) كتب الدكتور إبراهيم خليل كتابه : النصّ الأدبي ـ تحليله وبناؤه ، مدخل إجرائي ، وهو من أجود ماكتب في هذا الباب حديثا ـ الباحث ـ .

(٤) في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص٤) ، وانظر : فكر ومباحث ، علي الطنطاوي (ص٤٣) ، ومأأجمل ماكتبه الأستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابه : النقد الأدبي ، مبحث "قواعد النقد الأدبي بين الفلسفة والعلم" (ص١٠٥-١١٣) فراجعه هناك .

(٥) فصول في تدريس الأدب والبلاغة والنقد ، د. إبراهيم طه الجعلي (ص١١٧) .

ولهذا يعد كثير من النقاد عملية النقد إبداعًا وضربًا آخر من ضروب النتاج الأدبي ؛ لما فيه من فطنة ونفاذ بعيد إلى الرؤى والأسرار ، وحاجة إلى الخبرة والثقافة[١] .

وينادي عماد الدين في تطبيقاته كلّها إلى التوازن ، وتحقيق قدر منه "بين الموضوع والذات .. بين القانون والحرية .. بين العلم والذوق .. بين التشريح والرؤية الشمولية ، مادام الأمر ينصبّ على المعطى الإبداعي الذي يصعب ، بل يستحيل ، إدخاله من عنق زجاجة العلم أو القانون أو المعادلة الرياضية .. وبدون التحقّق بتوازن كهذا فقد يخشى من حدوث ردّ الفعل المتوقّع ، بل المؤكّد ؛ لأن المسألة ـ ببساطة ـ أن قراء النقد وجماهير الأدب يريدون أن يقرأوا شيئا ممتعا ومجديا في الوقت نفسه .. شيئا يفسّر لهم النصّ ويضعهم فيه ـ كذلك ـ أي يجعلهم ينفعلون به ويتأثرون ، ويدركون بلمسة التعامل المشترك بين الناقد والقارئ ، الملامح الجمالية للنص وأبعادَه التعبيرية"[٢] .

وقلّما يُستخدم منهج واحد في النقد التطبيقي يتيسر تحديده ، فربما جُمع بين الخبر والتفسير والإيضاح والتقريظ وغيرها في تقويم نصّ أدبيّ واحد[٣] .

ويؤسّس عماد الدين قضيّة مهمّة في ممارسة التطبيق والموازنة الثابتة ، إذْ يقول "إن هذه الممارسة النقدية تحاذر أن تقع في ثنائية الشكل والمضمون ؛ لأنها تدرك تماما ـ في الحالات الأكثر اتساعا ـ أنْ ليس ثمة أيُّ خندق ، أو فاصلٍ ، يعزل

---

(١) انظر : في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص٤) ، ودراسات في النقد الأدبي ، د. وليد قصّاب (ص٢٦) ، ويرى د. محمد مندور أن نقد العمل الأدبي للحكم عليه يعطينا نقدا قيميا ، وأن نقده بغير نظر إلى الحكم يعدّ نقدا وصفيا ، وهذا تقسيم جيد .
انظر ذلك في : النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور (ص٣٧٥) .

(٢) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٢-١٣) .

(٣) انظر ـ في هذا ـ مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ديفد ديتشس ، ترجمة د. محمد يوسف نجم (ص٤٣٣) .

المضمون عن التقنيات الفنية التي يتلبّسها ويتشكّل فيها"[١] .

فمع هذه الوقفات التطبيقية التي تكشف جوانب عديدة مما سبق ذكره على مستوى التأصيل والتنظير .

---

(١) في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص٤) ، وانظر كذلك : فكر ومباحث ، علي الطنطاوي (ص٥٦) .
ويرى الدكتور محمد مندور وجوب الفصل بينهما في العمل النقدي أثناء الدراسة التقويمية دون إهمال لتلاحمهما واتصالهما الأكيد ، انظر : الأدب وفنونه (ص١٤٤-١٤٥) .
وانظر : النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين ، د. العربي حسن درويش (ص١٨٤) في بيان اهتمام كثير من النقاد بالمضمون .

أوّلا : في (الرواية) .. من خلال نموذج مختار من نقده .

يتحدّث عماد الدين عن الاحتمال الخاطئ بأن الإسلام حرّم أعمالا إبداعية يجود فيها الشعر ، وتنشط القرائح ، ويجود القلم ، ويؤكّد أن هذا الاحتمال متهافت "بمجرد أن نتذكر كيف أن الإسلام إذْ سدَّ نوافذ تتلقّى منها شرايين الشعر الدم الأزرق الفاسد فتتدافق بالزيف والخديعة والكذب ، وتنفث نَفَسها المحترق ضدّ الإنسان وقيم الإنسان .. الإسلام إذْ سدَّ هذه النوافذ فتح ـ في المقابل ـ أبوابا عريضة واسعة على مصاريعها ، فتدفق عبرها الدمُ النقيُّ القاني إلى رئاتٍ لو عرفَتْ كيف تتمثّل الدم الجديد الصافي لحلّقت في السماوات بألف جناح ، ولذهبت إلى آفاق بعيدة نائية ماحلم بها يوما شاعر من الشعراء أو فنّان من الفنّانين"[١] .

ومما رآه يمثّل ذلك من الأعمال الإبداعية ، ويثبت هذا الانطلاق عبر الأبواب العريضة الواسعة ، رواية (عمالقة الشمال)[٢] للكاتب الإسلاميّ الكبير (نجيب الكيلاني)[٣] ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ ، وهي من أهمّ أعماله الروائيّة ، ويعدّها عماد الدين من أكثرها نضجا[٤] .

ويلتمس عماد الدين المناخ الشعري المشجي ، وحضور القارئ ضميمَ مجرى الرواية من خلال إشارته إلى استعمال الكيلاني ضميرَ المتحدِّث[٥] في هذا العمل ،

---

(١) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص١٢) .

(٢) نشرت دراسته هذه في كتابه : محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص٢١١-٢٥٦) .
وقد سرّ بهذه الدراسة الدكتور نجيب نفسه حيث نقل أجزاء منها في كتابه : رحلتي مع الأدب الإسلامي (ص١١١-١٢٦) .

(٣) حين نتحدث عن التزام أديب ما فإنه ينبغي أن نستصحب معنا إحساسا بعدم العصمة حيث لابد من الزلّة والأخرى ، خاصّة في باب الأدب ومساحاته الخيالية الواسعة ـ الباحث ـ .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص٢١١) .

(٥) قد يكون استخدام ضمير المتحدّث ـ المتكلم ـ سبيلا إلى الوقوع في إسار الذاتية ؛ مما يلجئ كثيرا من الروائيين إلى التخلّص من هذا المزلق ، ومن ذلك استخدام أسلوب (الراوي الشاهد) الذي لايتدخل ولايحلّل ويكون بمثابة العين الناقلة ، انظر في ذلك :
الرؤية السياسية في الرواية الواقعية ، د. حمدي حسين (ص٢٥٩-٢٦٩) ، وبحوث في الرواية الجديدة ، ميشال بوتور ، ترجمة فريد أنطونيوس (ص٦٤-٦٧) .

ومما جاء فيه مستشهدا به :

"اسمي عثمان أمينو ، انحدرت من قبائل الفولاني في شمال نيجيريا ... وقد كانت لنا حروب وغزوات وممالك"[١] .

ويصوّر عماد الدين هذه المقدّمة متدفقة كواحد من أنهار أفريقيا غزارة وحلاوة وروعة ، ويذكر طريقة الكيلاني في فرش إضاءة لأفكاره المطروحة . كما يبيّن أنه سيضطر إلى (التلخيص) الذي سيعالج به الرواية ابتداء في عرضها والحديث عن فكرتها العامة ، وفي هذا يقول :

"إن التلخيص سيقتلها ولاشك .. ولكن لابد مما ليس منه بُدّ .. ويبدو أن جريمة القتل الوحيدة التي لايحاسب عليها إنسان هي هذه .. تلخيص العمل الفني .. ومن ثم سأحاول أن أخلُصَ من جريمتي بأسرع وقت ، لا خوفا من القانون ... ولكن .. تخلّصا من الإحساس الثقيل بالذنب!!" [٢] .

وفي بيان إبداع الكتّاب ذوي التوجهات الجادة ، والتصوّرات الأصيلة ، في استخدام الأحداث ، ورسم الصور ، ينقل عماد الدين إعجابه بدقة التصوير في الرواية في جانب الشخوص والأبطال .

"(لم أتزوج بعد!) وبهذه الضربة[٣] يلج بنا الكيلاني عالم أبطاله الخاص .. ومنذ هذه اللحظة وحتى نهاية الرواية ، سيتعانق الخاص والعام ، الإنسان والأمة ، الضمير والعقيدة ، البطل والتاريخ ، عثمان أمينو ونيجيريا .. وسنتابع مأساة هذا البلد من خلال حركة أبطاله .. والتوافُق بين الطرفين مرسوم بعناية فائقة .. فلم يشأ القاصّ أن يستسلم لإغراء التاريخ فتفقد حبكة روايته شدَّها وكثافتها وتركيزها وتتميّع العلاقات الدرامية بين أبطاله"[٤] .

---

(١) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص٢١١) .

(٢) المرجع نفسه (ص٢١٣) .

(٣) يقول أحد الكتّاب : "أعطني الكلمة الصحيحة باللهجة الصحيحة ، وسوف أحرك العالم" . انظر : الرواية والقصة القصيرة في الإمارات ، ثابت ملكاوي (ص٦٦) .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص٢١٢) .

ويذهب إلى أن الكيلاني استطاع ـ بدقة بالغة ـ أن يرسم ملامح شخوصه ، ويبديها متميّزة على المستوى النفسي ، في طريقة التفكير والسلوك والتجربة ، وأنه ركّز على هذه القضايا تاركا الألبسة المادية للشخوص ؛ لأنه لايحفل بذلك كثيرا ، "والمهم هو صميم التركيب الشخصاني لأبطال الرواية .. الأعماق التي تصطرع وتتوحد ، وترفض وتريد"(١) .

وأخذ يعدِّد شخوصه الرئيسة التي تظهر وتصطرع عبر الأحداث ..

أما (عثمان أمينو) فمسلم واقعيّ ، وداعية محترق من أجل عقيدته ، مكافح من أجل توحّد المسلمين ، لايسمح لنفسه أن تفقد توازنها يوما ، ولم يعتزل الناس والأحداث بل سار بينهم مكافحا ومنافحا .

وأما (الشيخ عبد الله) فقيادة صامدة ، وواقعيّة فاعلة ، مطمئن ثابت ، يقف مع (عمالقة الشمال) وجنوده ثابتين أمام الأعاصير الداخليّة والخارجيّة ، ويراه شخصيّة مقنعة مؤثّرة .

وأما (نور) فيمثّل تأرجح المسلم المعاصر في هذا القرن ؛ لأنّه "ظلّ هناك في أسفل السفح يتأرجح بين السلب والإيجاب ، ولم يقم بمحاولة جادّة لوقف مأساة تأرجحه ، فما لبث أن سقط في نهاية الأمر وداسته الأقدام"(٢) .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٤٩) .

وتؤدّي الشخوص دورا مهمّا في عمل أدبيّ كالرواية ، وانظر في ذلك :

* بناء الرواية ، د. سيزا أحمد قاسم (ص١٤٠-١٤١،١٦٥) .
* تقنيات الرواية في النقد العربي المعاصر ، د. أحمد الحسن (ص٢٧٧) .
* نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة ، د. نبيلة إبراهيم (ص٨٤-٩٢) .
* تذوّق النص الأدبي ، د. رجاء عيد (ص٢٠٦-٢١١) .
* نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر ، د. أحمد إبراهيم الهواري (ص١٤١-١٥١) (ص١٦٩-١٨٨) .
* تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، آمنة يوسف ، ص٢٥) .
* الواقعية في الرواية الحديثة في بلاد الشام ، د. إبراهيم حسين الفيومي (ص٦٨-٨٢) .

(٢) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢٥٠-٢٥١) .

ويتساءل عماد الدين عن سبب تسميته "لماذا سمي بنور؟ لست أدري!!" [١]

وكأنه يستدرك مقترحا تسمية أخرى ، ـ وإنْ لم يُشِرْ إليها ـ لكنه أضاء هذه الإضاءة باستفهامه ونفيه معرفة العلة والهدف .

وأما (جاماكا) فيراها شخصيّة تبعث التوازن في شخصيّة (عثمان أمينو) من الناحية الوجدانيّة ؛ حيث ترفض النصرانية ومحاولاتها اليائسة ، وتقف مسلمة ثابتة ، صانعة للأحداث ، يرى من خلال لقائها في نهاية المطاف رمزا يشير إلى التقاء أبناء نيجيريا العذاب والمأساة .

وأما (الأب توم) فمُنَصِّرٌ ماكر خبيث ، لايرتاح للمنافسة الحرّة ، والمجابهة المكشوفة ، يقصم ظهور خصومه ولو بارتضاء الدناءة والخسّة! [٢]

ويتابع عماد الدين حركة هذه الشخوص في تسجيل الحدث وانتقال الصورة وإبانة الفكرة ، بتوازن ظاهر ، في الحبكة الفنية الرائعة بين جانبي السَّرد والحوار في الرواية .

ويراه حوارا مسرحيّا متميّزا ، مركّزا متوتّرا متصارعا ، مع استخدام ضمير المتحدِّث الذي ينقل القارئ "من مقطع حواريّ إلى آخر .. يفرش الخلفيات ويصل بين المقاطع ويسلّط الأضواء على المساحات كافة .. على السطح وفي الأعماق" .

ويمتدّ النفس الشاعريّ إلى هذا الحوار ـــ كما يراه عماد الدين ـــ فيذكّرنا بروايات نجيب محفوظ في الستينيّات[٣] .

ويؤكّد قدرة الكيلاني ـ وهو أحد كتّاب الإسلامية ـ على صنع الأرضيّات المناسبة لروايته عبر مسالك عديدة .

ومسلك (الصّراع) من المسالك المهمّة التي يراها عنصرا (دراميّا) مؤثّرا ظاهرا في هذه الرواية ، فالصّراع فعل سائر في أكثر من اتجاه ، قد يكون أبرزَه صراعٌ عاشه بطلُ الرواية (عثمان أمينو) مع نفسه في حبه (جاماكا) فهو صراع شديد ، يزيده اشتعالا وحركة ذلك التوقّد والأزّ العجيب من صديقه (نور) .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٥١) .

(٢) انظر تفاصيل تحليل شخوص الرواية في الصفحات (٢٤٩-٢٥١) من دراسة الدكتور عماد الدين في المرجع نفسه .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص٢٥٤) .

ومن شواهد هذا الصراع قول (أمينو) :

"كنت أعرف أن التجوّل في (سابون غري) مدعاة للشبهة وسوء السمعة ، وأن الاقتراب من بيت موبوء قد يلحق بي عدوى المرض .. لكنّ دافعًا داخليًا يحرّضني على الذهاب ، وصوت خافت في وجداني يصرخ بي : اذهب ، تعلم ، يجب أن تعرف الحياة بكلّ جوانبها ... ولاحظ صديقي نور ماأعانيه من حيرة وتمزّق فهتف :

– لاقيمة لعفّتك ما لم تكن صامدا في وجه الإغراء .. إنك لم تَرَ الإثم ، ومن ثمّ فأنت تفتقد لذّة الصّراع"[١] .

فهو ـ في نظر عماد الدين ـ صراعلإ بين البطل ونفسه ، يأخذ شكلا فنيًا آخر . ومن جميل ملحوظاته ، أن هذا الصراع امتدّ إلى المكان ، حيث الحيّان المختلفان .. حيّ قديم شرقيّ ملتزم ، وآخر حديثٌ غربيّ منحرف[٢] .

يقول عماد الدين عن هذا الصّراع :

"ويمتد الصّراع ـ من ثمّ ـ ويتّسع .. تنداح دوائره لكي تغطّي مساحة الحدث الروائيّ[٣] كلّه فتمنحه القدرة على الحركة الفنية حتى آخر لحظة ... وثمة ــ فضلا عن هذا وذاك ـ صراعُ المواقف إزاء التجربة الواحدة ... وهذا الصراع الذاتيّ يصل حدّ الرعب في بعض لحظاته ، خوفا من فقدان التوازن والسقوط النهائي"[٤] .

ويؤكّد أنه صراع منذ بداية العمل حتى منتهاه ؛ مما كان له أثر في قدرة الرواية على تجاوز الرتابة والسّردية ؛ حيث يبدأ الصراع ثم ينطفئ ثم يشتعل ، ولايكون في جهة دون أخرى ، أو شخصيّة دون أخرى ، ولكنه يسير متوازنا هنا وهناك في لحظات الرواية الحاسمة ، وفي أحداثها المختلفة .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٢٢) .

(٢) المرجع نفسه (ص٢٢٣) .

(٣) يذكر الدكتور حلمي القاعود ـ ضمن ملحوظاته ــ أن الدكتور عماد الدين يعتمد الحدث ويتّكئ عليه في روايته (الإعصار والمئذنة) في ثورة (الشوّاف) ضدّ الحكومة في بغداد أيام عبدالكريم قاسم .

انظر : الرواية الإسلامية المعاصرة دراسة تطبيقية ، د. حلمي القاعود (ص٦٦-٧١) .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص٢٢٣-٢٢٤) .

يلاحظ ذلك في مستوى التاريخ ، حيث اختار الكيلاني السنوات (١٩٦٥-١٩٧٠م) زمنًا لروايته ، ويثبت أن الأحداث العظيمة في هذه السنوات جعلته يختار هذا الزمن ليمدّ الصراع إلى أقصى نقطة .

كما يلاحظ هذا في مستوى الشخوص ، ويستدلّ عليه بالتقاء (عثمان) (جاماكا) حيث "لم يُتِحْ له أن ينطفئ قبل أن يمضي به إلى نهاية المطاف .. ومن ثمّ كان يصنع من الأحداث مايفرّق به بين الطرفين .. حتى اللحظات الأخيرة .. كان يتجاوز تنفيذ اللقاء ، بل إنه أباقه كأمل .. كرمز .. على وحدة نيجيريا"[١] .

وهكذا مسألة (المكان) كذلك ، حيث تبدأ الرواية عند منابع نهرها ، بالحديث ـ عن طريق بطل الرواية ـ عن نيجيريا وملامح البيئة ؛ بيانا لمسرح الأحداث ، يختم الحديث فيها (عثمان أمينو) بأسطر محدّدة ، وهي ضرورة فنيّة ؛ "إذ الفنانُ ليس جغرافيّا ، وعليه إذا ماأراد تجاوز الخطر أن يكثّف معطيات البيئة بأقلّ قدر من الكلمات"[٢] .

وهكذا يكون الحدث مرتبطا بالمكان[٣] والزمان ؛ ليكون مجالا يمتح منه الأديب ويصوغ لوحاته الفنية لتبدو بصورة قريبة منظورة مشاهدة .

بل إنه "لايمكن للراوي أن يبني حكايته مجردة من البيئة المكانية بل يجب عليه أن يرصد مايطرأ عليها من متغيّرات أثناء الزمن"[٤] .

أما (الرؤى الإسلامية) فيرى عماد الدين أن الكيلاني قد استطاع توزيعها على مساحات الرواية بنجاح ، دون وعظ أو تقرير يخرج بالرواية عن دائرة الفنيّة ، وهذا ماكان ينادي إليه دوما في حديثه عن الإبداع في الدائرة الإسلاميّة .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٣١) .

(٢) المرجع نفسه (ص٢١٢) .

(٣) تقوم اللغة بتعدّي مرحلة التصوير الجغرافي للمكان إلى جعله حقيقة معاشة ، تعرف أبعاد العمل الإبداعي من خلاله . وانظر في هذا : المكان في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف ، للباحثة غدير عثمان الخروبي (ص١١١-١٣٤) .

(٤) فنّ الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور ، د. السيد محمد ديب (ص٢٩٧) .

فقد كان (الكيلاني) يدخل هذه اللّمسات في لحظات التوتّر أو المناخ المناسب "وتلك الرؤى تغدو حينذاك استمرارا طبيعيّا للّحظة أو المناخ .. يتناغم معهما ويتجاوب ، ويظلّ - من ثمّ - يحمل حيويته وتعبيريته الفنية وقدرته على التأثير وذلك هو التنفيذ الأكثر براعة لمفهوم الالتزام"[١] .

ويصوّر معالجة (الكيلاني) للالتزام من خلال الرواية بوجه عامّ حيث تعالج موضوعا إسلاميّا ، ومن خلال الرؤى الإيمانية المشحونة التي تؤكّد نجاحه في هذا العمل أكثر من غيره من الأعمال الإبداعيّة الأخرى .

ويسوق عماد الدين نماذج من الرواية تؤكّد ماذهب إليه في هذه النظرة[٢] .

بل يميل إلى أن اللّمسات الاجتماعيّة التي تعالج بها قضايا الأمّة المصيريّةُ قد ظهرتْ وبرزتْ في رواية (عمالقة الشمال)[٣] ، حيث كانت تعرّى فيها مواقف الظلم من الجريمة والهدم ، وأفعال المخرّبين الذين يشير إليهم (الكيلاني) في الرواية وأحداثها .

ويؤكّد عماد الدين أن مستوى الأداء الفنيّ المصوّر لهذه الأحداث واللّمسات ليس سواء "فحينا يجئ لمسات موحيةً غيرَ مباشرة ، مرسومة بعناية في خلفيّتها المناسبة ، وحينا آخر سردا تقريريّا وحملات نقديةً قاسيةً أشبه بتلك التي تشنّها الأقلام في ساحات الصحافة والإعلام"[٤] .

وبناء الرواية الذي قامت عليه يحكي هذا الالتزام في شخصيّة الرجل النظيف الداعية المسلم (عثمان أمينو) الذي يغريه صديقه فيتعرف على (جاماكا) الممرّضة النصرانيّة ، ثم تستمرّ الأحداث حاكية إسلام (جاماكا) وسجن (عثمان) وصُوَرًا أخرى.

---

(١) محالاوت جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢٣٢) .

(٢) انظر ذلك في المرجع نفسه (ص٢٣٢-٢٤٠) .

(٣) يسمي بعض النقاد هذا النوع من الروايات (روايات النضال) ، انظر مثلا : اتجاهات الرواية العربية ، د. شفيع السيد (ص٢٠٣-٢٢٢) .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص٢٤١-٢٤٢) .

ومنطلق تفكير (عثمان) بصورة (جاماكا) كثيرا مفسَّر عند (الكيلاني) بالرمز إلى الأمل ، والتقاء فصائل بلاده نيجيريا الأمّ ، فهو همٌّ يسير معه أنّى سار ، فالسّلام الحقيقي ـ في نظره ـ أن تكبّر نيجيريا لله وحده ، حيث الإيمان وحرية النفس . فلم يمل به حبُّه لجاماكا صوبَ الجسدية .

إلا إنّ إشارةً كان يجدر بالدكتور عماد الدين خليل أن يرتضيها في هذا المجال ، وهي أن تصوير هذا الأمل يمكن أن تتاح له المساحة دون إخلال بالأصول المعتبرة في السلوك الإسلاميّ ، الذي ينكر التقاء منفتحا لدرجة كبيرة وبخلوة تامة قبل عقد الزواج ، ولعلّ المقطع الآتي يصوِّر شيئا من هذا الإخلال .

"وصمتت عن الكلام ، وانبعثت أنفاسها هادئة رتيبة ، فتناولْتُ ملاءة بيضاء نظيفة وسَبَلْتُها عليها وجلست إلى جوارها وهي نائمة أنظر إلى وجهها الملائكيّ .. وبقيت متيقظا حتى الصّباح"[1] !!

ولعلّ مايشفع للكيلانيّ رحمه الله أنه ينطلق من خلال بيئته التي عاش فيها وكان لها أثر في بناء أعماله ، وإنْ كان لزاما على الأديب في الدائرة الإسلاميّة أن يجافي نفسه عن ذلك ؛ حتى يكون عمله صافيا خالصا ليس فيه خلل من النواحي الفكرية والتصوّرية .

ويتحدّث عماد الدين عن التزام (الكيلانيّ) وتوازنه ، وأنه "يعرف كيف يناغم بين الخاصّ والعام ، فلا يطغى الخاص ويستأثر فيغدو العمل الفني ترفيهيا محضا .. ولايمتد العام ويطول فيجعل العمل الفني منبرا للوعظ أو كرسيّا مدرسيّا"[2] .

وهذا الالتزام يقودنا إلى أهمية روايات نجيب الكيلانيّ[3] ، وهذه خاتمة توصّل إليها عماد الدين حيث تكشف للمسلم مايدور حوله في صورة قشيبة .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٢٠) .

(٢) المرجع نفسه (ص٢٤٨) .

(٣) ومايحمل الحسّ العام منها بوجه خاصّ مثل : "طلائع الفجر" ، و"عذراء جاكرتا" ، و"ليالي تركستان" ، و"دم لفطير صهيون" ، و"أرض الأنبياء" وغيرها ـ الباحث ـ .

"والصوت الذي يمكن أن يسهم اليوم في إسماعنا هذه الشكوى ويجعلنا نُحَمُّ من أجلها لهو صوت جدير بالتقدير حقّا .. فلعلّ حرارة الحمى تهزّنا"[١] .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٥٦) ، وهذه السطور تكتب في زمن يهتك فيه الروس الغاشمون حرمات إخواننا المسلمين في الشيشان ، ومامن سميع ولامجيب إلا مايقذفه الله من رحمة ومن أصوات مباركة تصور هذه المأساة شعرا وشعورا ، ودفقا أدبيا إسلاميا متميزا . ـ الباحث ـ .

ثانيا : في (المسرحية) .. من خلال نموذج من نقده .

لم يكن نتاج عماد الدين غزيرا كما كان في المسرح[١] ؛ حيث نجد له رواية واحدة مطبوعة[٢] . بينما "كتب مجموعة من المسرحيات الطويلة ، وأخرى من ذات الفصل الواحد"[٣] .

وهذا أمر غير خاف على من استعرض سلسلة مؤلّفاته ودراساته ؛ حيث نجد مجموعة جيّدة من نتاجه المسرحيّ إبداعا وتناولا بالدرس النقديّ .

ولعلّ ذلك عائد إلى مايطرحه بعض الأدباء من كون "طابع المسرحية والقصّة القصيرة بما فيه من ضغط وتركيز وإيجاز وتلميح[٤] هو الأدنى إلى طابع العصر الحديث في مستقبله القريب"[٥] .

---

(١) الكتابة في فنّ المسرحية تستعصي على كثير من الأدباء ، وتحتاج مهارة فنية متميِّزة .
انظر ـ في هذا ـ دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن ، د. محمد زكي العشماوي (ص٣٥-٥٥) .

(٢) وهي (الإعصار والمئذنة) كما سبق ذكره .

(٣) الرواية الإسلامية المعاصرة دراسة تطبيقية ، د. حلمي محمد القاعود (ص٥٩) .
والمسرحية ذات الفصل الواحد (One-act play) نوع من المسرحيات كتب بعد أواخر القرن التاسع عشر ، وشخوصها معدودة ، ومنظرها الذي تدور فيه الأحداث واحد ، وحدثها واحد بلا حبكات ثانوية ، وقد تقدّم مقدّمة لمسرحية طويلة ، أو يجمع بين اثنتين أو ثلاث منها ويقوم بتمثيلها هواة لسهولتها وقلّة تكاليفها وحوارها .
انظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس (ص٣٦٢) .

(٤) طبيعة الحوار في القصّة قد يكون لها مقاربة للمسرح ، وكذلك يكون الأمر في بناء الشخصيات والحديث عن البيئة المحيطة ، مما يكوِّن لذلك كلّه بناء دراميّا يشكّل القصّة بثوب مسرحيّ ، وممن أشار إلى شيء من هذا خيري شلبي في كتابه : في المسرح المصري المعاصر (ص٥٠) ، ود. عصام بهيّ في بحثه : "فنّ المسرحية" (ص١٢٧) من كتاب : المدخل لدراسة الفنون ، إصدار قسم اللغة ، جامعة قطر .

(٥) ليلة الزفاف ، توفيق الحكيم (ص٨) ، وانظر : تقنية المسرح ، فيليب فان تيغيم ، ترجمة بهيج شعبان (ص٧-٨) .
ويذكر الدكتور علي شلق أن المسرحية تصعيد للحياة مداره أفق الجماهير تتناول هموم الناس وتحكي واقعهم تصعيدا أو سخرية من عبثه . =

ويمكن أن نردّ سبب هذا النتاج الغزير في مسرح عماد الدين إلى استعداده الفنيّ لذلك ، وكونه يمارس جوانب من ضروب الفكر والفلسفة[١] والحوار[٢] حول قضايا مطروحة يتّسع لها التناول من خلال المسرح وطبيعته ومساحته .

ولاننسى أن "الخطاب الفكري ينطوي ـ بالضرورة ـ على أدواته الجمالية حتى وهو يتعامل مع أكثر القضايا جدّية وثقلا . ذلك هو قَدَر اللغة العربية التي سماها العقّاد يوما : (اللغة الشاعرة)" [٣] .

ومن الظاهر للدارس ، أن إجراءات عماد الدين التطبيقيّة في جانب المسرح أقلّ عددا منها في جانب الشعر والرواية والقصة ، ولعلّ هذا من محاكاة واقع الدرس النقديّ الحديث ، وماتؤثّر به الساحة المحيطة للناقد .

والنموذج الذي بين أيدينا ـ في جانب النقد المسرحيّ ـ تقويم لمسرحية (مركب بلا صيّاد) [٤] للكاتب الأسباني المعاصر (اليخاندرو كاسّونا) التي تحكي وتسلسل قصة البطل (ريكاردو ـ رجل أعمال له وجوده في سوق البورصة) حين يتعرّض للعبة خبيثة ماكرة من مُضَارب يهوديّ اسمه (يوشع مندل) ؛ مما يسبّب لهذا البطل مواقف محرجة ، حيث يَنْفر عنه الأصدقاء والموظّفون ، والأحباب والعملاء ، واحدا تلو الآخر ، ومجموعة بعد مجموعة ، بل أقرب الناس منه ، تتركه وترتمي في أحضان اليهوديّ الماكر![٥]

= انظر : نقاط التطور في الأدب العربي ، د. علي شلق (ص٤٧٣-٤٧٤) ، وحيرة النص المسرحي بين الترجمة والاقتباس والإعداد والتأليف ، د. أبو الحسن سلام (ص٢٣-٢٥) ، وسينوغرافيا المسرح عبر العصور ، د. كمال عيد (ص١٢٩-١٥٣) ، وفنّ التمثيل ، محمد ماهر فهيم (ص١٣) ، والمدخل إلى المسرح العربي ، د. هند قوّاص (ص١٣٨-١٤٠) .

(١) انظر ارتباط الفلسفة بالمسرح في : المسرح بين الفن والفكر ، د. نهاد صليحة (ص٣٥-٥٧) .

(٢) يعدّ (الحوار) من أخطر عناصر المسرحية وأكبر قيد على الكاتب المسرحي .
انظر : النقد التطبيقي التحليلي ، د. عدنان خالد عبد الله (ص١٢٩) .

(٣) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٢٥) .

(٤) انظر : في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٦٩) .

(٥) لعلّ تتابع الأحداث بطريقة بنائية ظاهرة في هذه المسرحية أوجد فيها حبكة رائعة تجعل من هذا النموذج مثالا رائعا للصياغة الجيدة ، والحبكة مدار يقوم عليه جانب المسرح . انظر في ذلك : مدخل إلى فنّ كتابة الدراما ، عادل النادي (ص٥٦-٦٨) .

وفي هذا الموقف الحرج ، يلج الشيطان باب الحدث ، بل يصنع أحداثا أخرى حين يصوّره الكاتب رجلا أنيقا في زيّه وهندامه ، يدلف إلى ساح البطل في ظلّ هذه الأزمة ، وهنا يبارك عماد الدين للكاتب هذا الاختيار الزمنيّ المناسب ؛ لأنها "لحظة مناسبة للاختيار .. لحظة الضعف والخوف من المصير .. المصيدة التي أوقع فيها الشيطان ملايين من بني آدم .. وبلباقته المعهودة ومنطقه المغري يجر (ريكاردو) إلى حافة الهاوية حيث يوافق هذا على ارتكاب جريمة قتل مقابل أن يُرْجع إليه الشيطان ماله وذهبه"![1]

ومإن توافرت هذه النيّة ـ نيّة القتل ـ لدى (ريكاردو) حتى كان ذلك كافيا لانتصار الشيطان في هذه اللّحظة التي أزَّ فيها البطل ؛ إذْ ليس المهمّ في عالم المبادئ والقيم أن يكون الفعل ماديّا ـ كما يقرّر عماد الدين ـ ، بل مجرّد ولوج هذه النيّة في القلب شاهد لانتصار الرجل الأنيق!!

وخطّط الشيطان للجريمة مكانا بعيدا .. قرية صغيرة على بحر الشمال ، يُعرف أهلها بصيد السمك .

وتظهر هنا شخصية جديدة ، إنه (بيتر اندرسون) صيّاد كادح ، اشترى مركبه الجديد بعد كدح وتعب ، وهو مَنْ يُغْرَ (ريكاردو) بالفتك به إرضاء للشيطان ووعدا منه بإعادة مافاته من مال وثروة ، وأحباب وأصحاب!! وبعدها يتحطم المنافس اليهودي (مندل) كما وعد الشيطان !!

ولكنّ الصرخة التي سمعها (ريكاردو) وهو ينفّذ ماأملاه الشيطان ــ انطلقت من امرأة نادت : بيتر!! ـ غيّرت الأحداث كثيرا ؛ حيث لازالت هذه الصرخة تعيش في أعماق بطل المسرحية .

ويسدل ستار الفصل الأول من المسرحيّة كما أراد (كاسّونا) على هذه النَّفْس القلقة الوجلة ، حيث يتساءل (ريكاردو) :

"هل في العالم كلّه مال يكفي لإزالة هذه البقعة من الدماء؟ ... بكم يستطيع المرء أن ينزع من أذنيه صرخة مذعورة أطلقتها امرأة؟ أيّ نهر من الذهب يستطيع أن يعيد النور إلى هذه العيون الزرق التي جمدت فيها النجوم من بَرْد الموت؟"[2]

---

(١) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٧٦) .

(٢) المرجع نفسه (ص٧٧) .

وهكذا يقف الفصل الأول من هذه المسرحية عند هذه النقطة الحرجة من سلسلة الحدث وسرده المسرحيّ[١] ؛ ليقف معها السامع أو القارئ أو المشاهد متأزّما مشدودا .

ويبدأ مابعده من تتابع يحكي قصة القرية التي شهدت الجريمة بعد سنتين ، حيث (استيلا) الأرملة الشابة وجدَّتُها التي أعدَّتْ طعاما لاثنين لا ثلاثة .

ثم تخرج علينا (فريدا) أختا تحاول مساعدة وعون (استيلا) التي تعرض عن ذلك بإصرار عجيب! فلماذا؟

يأتي الجواب : إنها تشكُّ في زوج أختها ؛ لأنه كان رفيقا ملاصقا لـ(بيتر) وكانا متنافسين دوما .. والغلبة ملازمة (بيتر) أبدا .. في زواجه ممن رغب رفيقه الزواج بها ، وفي شراء مركبه الجديد بعد كدَّ السنين ، ولم تكن تُعْلم أختَها بهذه التداعيات في النفس .

ولكنْ عبر حوار أثار روح التحقيق تكشف (استيلا) لأختها شكوكَها في (كريستيان) زوجِها ، وأنها على يقين بأن الريح لم تُسْقط زوجها من سفح الجبل ، ولكنّ شخصا ما ـ رأته (استيلا) في جنح الظلام ـ قذف به بعد أن غدر به واغتاله غيلة من وراء ظهره!

ويقف الحدث هنا متأزّما ؛ إذ تطلب (استيلا) من أختها ألا تغادر المكان هكذا ، كما يلاحظ المتابع تأثّر (فريدا) بما سمعت ، بل إن ماسمعت حطّم فؤادها ؛ إذْ تخاطب أختها عن هذا الجرح الغائر ، فتقول لها :

"ماالذي تريدين لي أن أنتظر؟ إنني حينما خرجت من بيتي تركت هناك رجلا كان مستودع إيماني ، رجلا كنت أستطيع تقبيله والسعادة تغمر نفسي . والآن أعود حاملة إليه صمتا حزينا يلقي بالبرودة الثقيلة على مائدة طعامنا .. لقد ألحقْتِ بي شرَّ مايمكن أن يصيبني من أذى ، وأسوأ مافيه أنه أذى لاطائل منه

---

(١) يأخذ السرد في المسرح أشكالا عدّة ، انظر ـ في ذلك ـ :
المعجم المسرحي ، د. ماري الياس ، ود. حنان قصّاب حسن (ص٢٤٩-٢٥١) .

ولاجدوى من ورائه ، إذ إنه لم يؤدِّ بك إلى استعادة ماكنت تتوقين إليه من طمأنينة وسلام ، وكل ماوصلت إليه هو أنك سمَّمت طمأنينتي وسلامي!!"[١]

وهنا ينتقل الكاتب إلى شخصية (ريكاردو) الذي ظلّ يراجع نفسه والصمت المطبق يلفّها ، وينقلنا إلى صوت الضمير[٢] وهو يهزّ وجدانه ووجوده .

"وهاهي سفينة ركاب تلقي مرساتها ذات يوم على ساحل القرية . ينزل (ريكاردو) ويعلن لأحد مقرّبي العائلة المنكودة أن صديقا (لبيتر اندرسون) يريد أن يزور أهله .. تتفتح أبواب البيت وقلوب المرأتين الوحيدتين لهذا الذي جاء يذكرهما بالفقيد العزيز"![٣] ويتجاذبون أطراف الحديث ، وإحياء عبق الذكريات ، ويبقى (ريكاردو) ضيف القرية لمدة أسبوعين ريثما تعود السفينة[٤] !!

وحين يتجاوب هواه مع مافي القرية ، ويحلم أن ينسى الذكريات المرة ، تذكّره (استيلا) أن الزمن يُنسي الإنسان همومه وأوجاعه ، ويقول مجيبا عن سؤال لها :

– نعم . الراحة . ومن يدري فلعلّ هنا ـ أي القرية ــ السلامَ الذي أسعى إليه.

وحين تحين ساعة الوداع يدور حوار بين (الجدّة) و(استيلا) تشكو فيه الثانية غموض (ريكاردو) والتواءه وتستّره ، وبينما يدور الحوار ، ينقلنا الكاتب (كاسّونا) إلى سعي (ريكاردو) إلى الاعتراف بكلّ ماجرى!

– (إن حياة رجل واحد تعني حياة البشر جميعا) هكذا سُرَّتْ حين سمعت هذا الحديث من (ريكاردو) قبل أن يهمّ بالاعتراف الذي عقد عزمَه عليه .

---

(١) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٧٩) .

(٢) انظر المقال الرائع : "العدل وخطوط الدفاع الأربعة" ، من كتاب : الرؤية الإسلامية للدكتور عماد الدين خليل (ص١٠٥-١٠٩) .

(٣) في النقد الإسلامي المعاصر ، الصفحة نفسها .

(٤) يمثل (الحدث) وتسسله وطبيعته حجرَ الزاوية في البناء المسرحي ، والقارئ حين يتابع الحدث يلمح هذا التطور الطبعيّ مما يكون له أثر في تلقّيه وتقبّله .
انظر ـ في ذلك ـ : دراسات في الأدب المسرحي ، د. سمير سرحان (ص٢٣-٢٤) .

ولكن! تعلن السفينة أهبتها للرحيل ، والوداع!

وحين يبدأ بالاعتراف ، تدخل (فريدا) ــ أخت استيلا ــ مذعورة وجلة ؛ حيث خرج زوجها (كريستيان) ـ المتهم في نفس استيلا ــ ليجرب عجلة القيادة الجديدة في مركبه ، ولكن أمواج البحر علته وقذفت به يلفظ أنفاسه ، ولاينطق إلا باسم (استيلا) ويتركهما (ريكاردو) ليذهبا ويبقى وحيدا متعجّبا!! أكرستيان هو القاتل؟ (١)

وهنا يدخل إليه الشيطان رجلا أنيقا ، فيواجهه ريكاردو ويعنّف عليه بشدة.

"(الشيطان) : هنا موضع خطئك . صحيح أنك لم تقتل .. ولكنك أردت القتل ، وهذه هي الحقيقة ذات القيمة بالنسبة لي .. لأنني أردت أن أعرف مدى القوة الخلاقة التي تتضمنها فكرة مجردة!" (٢)

ويودّ الشيطان أن يلزم (ريكاردو) بتنفيذ مااشترطه عليه ليعود إليه ذهبُه وماله ، وأن عليه أن يقتل مادام وعد بذلك!!

يعلن (ريكاردو) أنه سيقتل ، ولكن من؟!

إنه سيقتل الذي "يستسهل التجارة في عَرَق الآخرين ولو لم يبذل قطرة عرق ... لايهمّه أن يُلقي في ماء البحر بمحاصيله كاملة دون أن يفكّر في جوع من يبذلون حياتهم من أجلها وجمعها" (٣) .

نعم ، إنه يعني قتل نفسه السابقة بكلّ سلوكيّاتها وتصوّراتها واهتماماتها!!

ولهذا قال : "اليوم الذي لايبقى فيه من روحي أثر لذلك الرجل هو اليوم الذي يمكن أن أقول فيه : إن ريكاردو قد قتل ريكاردو بلا دماء" (٤) .

---

(١) وهذا مايسميه النقاد (التحوّل) في الحدث ، انظر : دراسة في نظرية الدراما الإغريقية ، محمد حمدي إبراهيم (ص٦٧-٧٢) ، وكتابات في المسرح ، د. سمير سرحان (ص٥٧-٥٨) ، ودينامية النص ، د. محمد مفتاح (ص١٦١-١٦٤) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٨٤-٨٥) .

(٣) المرجع نفسه (ص٨٥) .

(٤) نفسه .

وهنا تنتصر القيم والمبادئ ، وينتصر (ريكاردو) على (الشيطان) .. وتعود (استيلا) بعد إعلانها مسامحة (كرستيان) وموقفها من ذلك بالقبول الكامل .

وترحل السفينة دون أن يكون (ريكاردو) على ظهرها !! فقد قرّر الزواج .. وبناء علاقة المحبّة التامّة مع مَنْ منحته الحياة .

"وينزل الستار الأخير ونار الموقد تشتعل بورقة العَقْد الذي كان (ريكاردو) قد وقّعه مع الشيطان يوما"[١] .

ويلمح عماد الدين من هذا كلّه .. ومن وراء تداعيات الأحداث واتّصالها قيَمًا ورؤى إيمانية ، يتلمّسها الدارس في ثنايا هذه الأحداث ، وأعطاف ماجرى . يلمح انتصار الخير على الشرّ ، "والحياةِ على الموت والقيمِ على الانحلال ، في غنائية تنساب في جنبات الوجدان"[٢] .

ويلمح الإدراك الموافق للفطرة في النظر إلى موقع الإنسان في الكون ، وكيف يكون قدرُ الله عونا بأسبابه ؛ لإنقاذ مصير الإنسان من أزمة ومحنة ، إلى فرج ومنحة وأن هذه الأسباب قد تتأخّر عن إدراكه ؛ "لا لكي يحطِّم الإنسان ويُدخله صراعا غير متكافئ ، ولكن لكي يُعْلمه أن ينظر إلى بعيد وأن يستبطن الأحداث والأقدار لكي يصل إلى هدفها ومداها ، ولكي يعرف أن الله سبحانه قد وضع له في كلّ حادثة أو مأساة أو فرحة أو انتصار فجائيّ[٣] عنيف : أملا أو مصيرا عظيما"[٤] .

ويؤكّد عماد الدين أن "هذه الرؤية بعيدة الحدود ، عميقة الأغوار ، ممتدّة المساحات"[٥] .

ومما قرّره كذلك أن هذه المسرحيّة ، تحكي (الوضع الطَبَعيَّ للأشياء) .. وأن إرادة[٦] الإنسان قد تتخلّف حينا من الزمن ، وتسير بها أهداف الشيطان صوب

---

(١) المرجع السابق (ص٨٦) .

(٢) المرجع نفسه (ص٦٩) .

(٣) هو فجائيّ بالنسبة إلى نظر الإنسان ، وإلا فهو في سابق علم العليم الحكيم سبحانه ـ الباحث ـ

(٤) المرجع نفسه (ص٧٠) .

(٥) المرجع نفسه (ص٧١) .

(٦) لعل المقصود بالإرادة هنا الإرادة الممكنة التي يحاسب عليها العبد ويعاتب ، لأن الله هداه النجدين ، وحين تتخلف إرادته يكون مقصرا في عدم تعريضها للطريق المستقيم ـ الباحث ـ .

هدف ما ، مما قد لايكون نفعه ظاهرا ، بل قد تكون صورته شوهاء .. ثم يكون الإياب في يوم ما ، "وعندئذ يعيد الإنسان تشكيل هذا الواقع من زاوية رؤياه الجديدة وقيمه الإيمانية ، ومن ثم يضع كلّ شئ في مكانه الطبعي"[١] .

ومن الرؤى الإيمانية التي يراها عماد الدين في هذه المسرحية ، تلك الدعوة المبطّنة في ثنايا الأحداث ـ خفيّها وظاهرها ـــ إلى الجمال ، والهيام به أنّى كان ، وإشاعة روح الأمل ، والصور المتفائلة[٢] ، والوعد الدائم بانتصار الخير على الشرّ .

ورؤية مسرحية (مركب بلا صيّاد) تجاه (الشيطان) [٣] ، حقيقة غيبيّة أكيدة تنطلق من خلال التصوير الدقيق لإثارة الصّراع في وجدان البطل ، حتى يقع في الجريمة ، ثم يمتدّ هذا الصراع وتطول ساحته ، وتشطر حياة البطل شطرين ، يمثل الشيطان في أحدهما ، ويتضاءل حضوره حين يحسّ من نفسه الفشل فيقول :

"ولكنّي أرجوك ألا تقصّ على أحد مادار بيننا ، فالناس يعجبهم دائما أن يروني في موقف يبعث على السخرية والضحك ، بل إن أكثرهم نفاقا لايتورّعون عن أن يستنبطوا من مثل هذا الموقف مايدّعونه عظة أو عبرة"[٤] .

ومن الرؤى الإيمانيّة التي تمليها الفطرة ، وتحكيها أحداث المسرحيّة ، إدانة الإنسان لحضارة التكاثر الماديّ ، التي تدعو المرء للتكاثر من أجل التكاثر .

"إن كاسّونا يسهم ـ قدر مايسمح به بناء المسرحية ـ بهذا النقد وهذه السخرية من الحضارة التي ضيّعت الإنسان ، إنه يقدم لنا نماذج مجسدة من حضارة الأثرة والكراهية والتكاثر ، هذه النماذج التي طالعتنا في بدء المسرحية ، والتي تطالعنا في كلّ مكان منها"[٥] .

---

(١) المرجع السابق (ص٨٦) .

(٢) خلافا لمن يزرع التشاؤم والنفور من الزمن والحدث ، وممن ساق نماذج غربية أمثلة على ذلك الدكتور محمد مندور في كتابه : في المسرح العالمي ، انظر مثلا (ص١٤٤-١٤٥) .

(٣) يذكر الدكتور عماد الدين أن دخول الشيطان خشبة المسرح وقع قبل ذلك لدى (جوته) و(مارلو) و(فاليري) و(هواتينج) وغيرهم ، وذهب إلى أن دخوله يشكّل حلقة كبيرة من حلقات الصراع الذي يمثّل أساسا معلوما في المسرح .
انظر : في النقد الإسلامي المعاصر (ص٨٧) .

(٤) المرجع نفسه (ص٨٨) .

(٥) المرجع نفسه (ص٩٠) .

ويصوّر (كاسّونا) القَدَر في مسرحيّته .. رحمة تواسي المنكودين المكدودين في الأرض ، الذين حطّمتهم الدنيا ، وأرهقتهم بكلكلها .

فالقدر عنده يوافق الرؤية السليمة ، حين يكون "نفحة رحمة تتنزّل على الخاطئين وهم يتخبّطون في الدرك ، وضربة سريعة حاسمة تقصم ظهور الذين ظلموا أنفسهم .. اسمعوا أبطال (كاسّونا) وهم يتحدّثون .. إن القدر يبدو من كلامهم منحة عظمى للإنسان في ساعات حزنه ووحدته واكتئابه"[١] .

ويسوق عماد الدين أمثلة من عبارات هؤلاء الأبطال مما جاء في المسرحيّة وسياقاتها ، من مثل :

(يامن ساقه إلينا الله) ، (حاكما وحيدا لتصريف الحياة والموت) ، و(يهدي الكادحين في ظلمات البرِّ والبحر) .

يقول عماد الدين : "والحق إننا إذا مارجعنا إلى المسرحية لنقرأها من جديد ، باحثين عن القَدَر[٢] فيها فإننا سنجده في كلّ مكان يقف الإنسان فيه عاجزا حائرا وحيدا .. كما سنجده في لحظات الصعود والهبوط واليأس والانتصار ، والحب

---

(١) المرجع السابق (ص٩٥-٩٦) .

(٢) وارتضاء هذه المسرحية نموذجا لكشف هذا الجانب (القَدَر) جعل عماد الدين يبرز هذه الرؤية ويسجّل هذا المثال على غياب النظرة الصحيحة المنضبطة في الآداب غير الإسلامية في مسائل كثيرة ، منها (القدر) .

ويذكر أن المسرح بالذات منذ عهد اسخيلوس وسوفوكليس وغيرهما ، وحتى عصر الطليعيين الحديثِ له قصةٌ مع القدر ، بل قصص وأحداث ، سلبا وإيجابا ، "وجاءت نظرة الأوربيّ إلى العلاقة بين الله والإنسان ، وليدة هذه الظروف الصعبة القاسية : مطبوعةً بطابع الصراع ، وموسومة بميسمه الذي لايزول" وساق على هذا أمثلة معبّرة ، يحسن أن تراجع في موطنها هناك .

انظر ـ في ذلك كلّه ـ : فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر (ص١٤٧-١٨٣) .

وانظر ـ كذلك ـ : في النقد الإسلامي المعاصر (ص٩٧-٩٨) ، والتمثيل والتمثيلية وفن التمثيل زكي طليمات (ص٤٤-٥٣) ، وفن المسرح ، أوديت أصلان ، ترجمة د. سامية أحمد أسعد (١/١٦٣-١٦٦) .

والكراهية ، يحدو الهابطين إلى الصعود ، واليائسين إلى الأمل ، والخاطئين إلى التوبة"[١] .

وهذا ماجعله يقرّر ابتداء في حديثه أنّ في هذه المسرحية "نموذجا للأدب والفن اللّذين ينبثقان عن تصوّر إيماني للحياة والعالم والأشياء دون اعتساف ولامباشرة ولاروح تعليمية"[٢] .

وفي ظلّ هذه الرؤية الواضحة تكون واقعيّة الفنّان الملتزم ، حين يصوّر ضعف المرء وقوته ، ولايقف عند نقاط الضعف ، ويلقي الضوء عليها طويلا ، بل يعرضها في سقوطها وضعفها ، لتعود من جديد وتنتصر .

و"هذه الواقعية التي تستند إلى خلفية صامدة من القيم الثابتة التي لايضيع معها الإنسان ولايتيه في زحمة الواقع وثقله وتمخضه"[٣] هي الواقعية المطلوبة المرغوبة .

وهذا البعد في الرؤية ، والطريقة الثابتة في العرض ، هو كلّه "الذي نريد أن نراه من الإسلاميين في القصيدة والقصة ، في المسرح والرواية والتجريد ؛ لكي نقول إن الفن الإنساني حقيقة واقعة ، وإن الإسلام صنع القاعدة البشرية التي ستقدّم للحضارة (فنّا) لم يشهده التاريخ ، فنّا يربط الأرض بالسماء ، والإنسان بالكون والعالم ، والقدر بالحرية ، والواقع بما وراء الواقع ، والحقيقة بالخيال ، والظاهر بالباطن ، والخطيئة بالتوبة ، والسقوط بالانتصار .. فنّا يعمّق العاطفة الإنسانية ، ويوسّع أبعاد الجمال ، ويقدّم ـ بغير ما مباشرة ولاتعليم أو وعظ ـ تجربة المؤمنين الذين يسعون دائما إلى حياة أشدّ تركيزا ، ويطمحون أبدا إلى رؤية أبعد مدى ، ويعرضون لنا الحياة من خلال تعبيرهم الذاتيّ : ساحة رائعة جيّاشة من الصراع

---

(١) في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل (ص٩٦-٩٧) .
وهذا يحكي مايسميه النقاد (الصراع الداخلي) الذي يجسّد التناقضات الداخلية عند البطل ، ويحرّك الحدث .
انظر : مجلة آداب الرافدين ، ع(١٧) ، ١٩٧٧م (ص٨٧) .

(٢) في النقد الإسلامي المعاصر (ص٦٩) .

(٣) المرجع نفسه (ص٦٩-٧٠) .

والتوحّد[١] ، والتنافر والانسجام ، والخير والشر ، والحب والكراهية ... لا لكي تقف عند هذا الحدّ لاتتعداه ولكن لكي تقول لنا ـــ عن ثقة ويقين ـ إن الصراع سيؤول إلى الانسجام ، والخير سيغلب الشر ، والحب سيكتسح الكراهية"[٢] .

وهذا جزء من مفهوم الالتزام الشامل الذي يسعى إليه الأدب الإسلاميّ وماسبق بيانه في مبحث الالتزام سلفا .

واختيار عماد الدين لمركب (كاسّونا) ماكان إلا لأنه يلتقي ـ التقاء جزئيّا على الأقل[٣] ـ التصوّر الإسلاميّ ، فاختارها ارتضاء لهذا ممّا مال إليه قبل ذلك غيره من الدارسين حين اختاروا نماذج توافق التصوّر الإسلاميّ وتلتقيه ولو في جوانب منه .

---

(١) عرض هذا في نقطة تفصيلية سماها (الحضور والغياب) . انظر : المرجع السابق (ص٨٨-٩٠) .

(٢) المرجع نفسه (ص٧٠-٧١) ، وانظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢١٦) .

(٣) انظر : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (ص٢١٣-٢١٩) .

ثالثا : في (الشعر) : من خلال نموذج من نقده[١]

نقف هنا مع نموذج يطالعنا فيه الدكتور عماد الدين خليل بإشارات عبر دراسة لأحد الشعراء السابقين ، وهو الرحّالة الأندلسيّ المعروف (ابن جبير)[٢] ؛ ليكون الحديث عنه ، ممثّلا عطاء المغرب الإسلاميّ بعد أن أخذ من المشرق ، "ولقد كان عطاؤه ـ بحقّ ـ سخيّا موفورا"[٣] .

ولماذا يكون هذا الاختيار والتوجيه؟ يجيب عن ذلك عماد الدين بأنه "ليس بمقدور باحث يكتب عن عصر الحروب الصليبية إلا ويجد نفسه مضطرًّا للرجوع إلى واحد من أكثر شهود هذا العصر أهمية : ابن جبير ، الذي قدّم بلغة الشاهد الجغرافيّ المعاين عن كثب الكثير من التفاصيل عن عالم الإسلام في النصف الثاني من القرن السادس الهجري"[٤] .

فمع هذه الوقفات التي دلف بها عماد الدين إلى هذا النصِّ القديم ، لتكوين هذه الرحلة الظّريفة مع الرحّالة المسلم ابن جبير[٥] .

ويؤكّد عماد الدين ـ ابتداء ـ أن الأمر يختلف في الحديث عن رحلات ابن جبير وإشاراته لأن "ماهو ليس بمعروف للكثيرين ممن تعاملوا مع الرحلة الخصبة ، أن صاحبها شاعر وأن شهادته أطلّتْ على العصر بمنظور آخر موازٍ هو المنظور

---

(١) نقف هنا مع نموذج لنصٍّ قديم وآخر حديث ؛ لاختلاف البيئتين وطريقة الأداء ـ الباحث ـ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ، رحّالة أديب ، نظم الشعر الرقيق ، زار المشرق ثلاث مرات إحداها سنة ٥٧٨هـ وألّف فيها "رحلة ابن جبير" ومات بالاسكندرية في رحلته الثالثة ، وله ديوان شعر هو "نظم الجمان في التشكّي من إخوان الزمان" ، وله ديوان آخر رثى به زوجته أمّ المجد . ولد سنة ٥٤٠هـ وتوفي سنة ٦١٤هـ .
انظر : الأعلام ، للزركلي (٥/٣١٩-٣٢٠) .

(٣) في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص٥١) .

(٤) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥) ذكر لي الأستاذ الدكتور (منجد مصطفى بهجت) محقّق ديوان ابن جبير ـ في رسالة جميلة أتحفني بها ـ أن دراسة الدكتور عماد الدين كانت مقدّمة لتحقيقه للديوان السابق ـ الباحث ـ .

الشعري[١] الذي مهما تضخمت في زجاجته الذاتُ على حساب الموضوع فإنه يبقى ضروريّا للمؤرّخ الذي يريد أن يعرف أكثر عن هذا العصر"[٢] .

وقد ذكر ـ كذلك ـ أن الاطّلاع على هذا الثراء الشعريّ يجعل الأمر مهمّا من جهة ملاحظة الأحداث والوقائع ؛ لأنها شهادة على العصر ، وانعكاس لما يتكوّن فيه ، ويكون النفع ظاهرا حين يتولّى ذلك محقّق يلتزم التصوّر الإسلاميّ المنضبط ، ويقف على قضايا التراث بوثوق ودقّة ؛ مما يسجّل خطوة بل خطوات للأدب الإسلامي الملتزم الذي نادى إليه الدكتور عماد الدين خليل في إثراءاته وكتاباته ، ومشاركاته وحواراته كلّها ؛ مما يحقّق ـ بطريقة مباشرة ـ معقد كثير من آماله ومايرجوه ، ويكون من الخطوات التي تسهم "في تجذير حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، وتعدّ امتدادا لمحاولات أخرى تَمَّتْ وسوف تتمّ بإذن الله في هذا السياق"[٣] .

ومما أبرزه عماد الدين دليلا على أهميّة هذا الديوان ــ لبنةً في طريق الأدب الإسلاميّ ـ أنه يؤكّد حقيقة الالتزام الأدبي الرفيع ، وأنّ ذلك لايحجب أبوابا من الإبداع يحقّ للأديب أن يطرقها ويلج من خلالها إلى من يتذوّقون هذا النتاج ، ويقول ـ وهو يتحدّث عن ذلك ـ :

"إن الشعر الذي يطرحه ابن جبير في ديوانه المجموع هذا ، يوسّع مدى المعطيات الأدبية الإسلامية ، فهي كما تؤكّد متابعة أغراض هذا الشعر ، ليست مقتصرة على موضوع دون موضوع ، كما أنها بالضرورة ليست مأسورة في زمن دون زمن ولامقيدة بمكان دون مكان"[٤] .

---

(١) لعل مما يزيد هذا المنظور الشعري أهمية أنه يكاد يربو على الخمسمائة بيت . انظر : في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص٥١) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع نفسه (ص٥٢) .

(٤) نفسه .

وفي تشكيل العمل الشعري من جهة الزمان والمكان ، انظر : التفسير النفسي للأدب ، د. عزّ الدين إسماعيل (ص٤٧-٦٨) .

ومما يلحظه كذلك ـ انطلاقا من هذه الوقفة المتأنية ـ أن كثيرا من موضوعات الديوان لم تقف عند قضية الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية ـ على عظم وقعها وأثرها في الأمة حينئذ ـ ، حيث إنها "لاتقف عندها ، وإنما تمضي لكي تتحدث عن مواضيع شتى بالالتزام نفسه ، بالحرص ذاته على كل ماهو إسلامي أصيل"(١) .

فعلى مستوى المكان يُلمح عماد الدين إلى كون الهاجس الإيمانيّ والهدفِ الإسلاميّ هو هو لم يتبدل مع تبدّل المكان ، فنحن في هذا الديوان مع هموم الأندلس في أقصى الغرب ، ولكنّنا "نستمع إلى النداء نفسه ، ونتعامل مع الوجدان الإيماني ذاته ، ذلك الذي صنعه الإسلام ، والذي يحكي بلغة الشعر عن الهموم نفسها ، تلك التي تحدّث بها صحابةُ رسول الله ﷺ زمن النبوة .. المجاهدون في سبيل الله أيام الفتح .. المدافعون عن حرماته عصر الغزو الصليبيّ .. الواقفون على التخوم قُبَالَةَ الرعب المغولي .. الموغلون في أعماق أوروبا تحت رايات العثمانيين .. المتصدّون لهجمات الاستعمار في مشارق الأرض الإسلامية ومغاربها في القرون الأخيرة"(٢) .

ومما يرصده عماد الدين في حقل أغراض ابن جبير الشعريّة احتفاؤه بغرض (الحكمة) مما جعل مقاربته للإمام الشافعيّ(٣) ـ رحمه الله ـ ظاهرة بادية .

---

(١) في النقد التطبيقي ، وهذا مايؤكد أثر الخصائص الموضوعية في دراسة النصوص جنبا إلى جنب مع السمات الفنية ، وممن مارس ذلك د. يوسف حسين بكار في كتابه : قراءات نقدية (ص١٦٧-١٧٧) .
وسمّاه بعضهم (التجاوب الفكري) ، ومنهم د. حسن جاد حسن في كتابه : الأدب العربي في المهجر (ص٤٢٣) .

(٢) في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص٥٣) .

(٣) هو محمد بن إدريس بن العباس الشافعي الهاشمي القرشي ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤هـ ، كان فقيها أديبا يجيد الرماية ، وأفتى وهو ابن عشرين سنة ، له (الأمّ) في الفقه ، و(المسند) في الحديث وغيرهما .
انظر : الأعلام ، للزركلي (٢٦/٦) .

ويستدرك فيقول : "ولايذهبن إلى الظنّ أن الأمر مادام كذلك فإننا سنقرأ نظما لا شعرا ، أو أننا بإزاء توظيف للأداة الشعرية يبعد بها شيئا فشيئا عن مطالبها الفنية ونبضها الوجداني باتجاه الدعوة إلى هذه القيمة الخلقية والإرشاد الاجتماعي أو تلك .. هنالك حيث يتضخّم المضمون على حساب الشكل ونجد أنفسنا إزاء مقطوعات من الشعر تفتقر إلى الدم وتعاني من التضحّل والهزال"[١] .

ويؤكّد أن الحكمة غرض مستعمل بحدّين متنافرين ؛ إذ يمكن أن يتوصل إليه بسلوك سبيل المباشرة مما تميل معه الصياغة الشعرية صوب نقص النواحي الفنيّة ، وقد يكون قافزا إلى القمّة عبر هذه الصياغة الشعرية المتميزة .

ويضرب على ذلك مثالا بحكم المتنبي "فإنها من بين شعره الخصب الجزل ، ظلّت متألّقة تهزّ وجدان الأجيال ، وتملأ إحساسها بطعم الفنّ العذب المؤثّر الجميل"[٢] .

وليس الأمر محاولة تعليميّة صرفة كما يكون في النظم ؛ لأن باب الحكمة ـ كما يذكر عماد الدين ـ باب آخر ، حيث هي خبرة حيويّة يتعامل الشاعر عبرها فيعيد تركيب الحكمة في باب الشعر ، فتبدو بصورة مختلفة ، وفي هذا يقول :

"وطالما تعامل الشاعر مع الحياة ، وكان يمتلك في الوقت نفسه أداتَه الفنيّة بشكل جيد ، قدر على اجتياز التجربة بنجاح وارتفع بالتعبير الشعري إلى المستوى المطلوب الذي لايخفت فيه نبض الشاعرية .. بالعكس ، فإنه بتركيزه البالغ الذي هو أحد المطالب الفنية ، قد يجعل البيت والبيتين يهزّان العقل والوجدان .

وبالمقابل فإن التعالم بفجاجة فنية مع الحكمة سيؤول ولاريب إلى مثلبة كهذه وسنجد أنفسنا إزاء شعر تعليميّ قد يعيننا على حفظ سلّم القيم الخلقية بسرعة أكثر ولكنه لايمنحنا طعما شعريا"[٣] .

---

(١) في النقد التطبيقي (ص٥٣) .
(٢) المرجع نفسه (ص٥٤) .
(٣) نفسه .

ويذكر أن الباحث الغربي (رينيه ويليك) الذي يؤكّد الفرق بين الأفكار والأدب ولكنّه يثبت العلاقة بينهما في حالتي الخصب الفني والضمور "وذلك يكمن في طبيعة تلبّس الفكر في نسيج العمل الأدبي .. فإذا عرف الأديب كيف يحقّق التطعيم بشكل عفويّ ، دونما أي قدر من المباشرة أو التقحّم .. إذا عرف كيف يحقن الكلمات والتعابير والموسيقى بالأفكار والخبرات كطبيب متمرّس ، لايكاد يجعل المرء يحسّ بأن هنالك تحميلا للبناء الفني بما هو فوق طاقته ، أو خارج عن مقتضياته ، فإنه سيبعث إلى الوجود بعمل جليل حقّا ، وإلا فإنه التوظيف السيئ الذي قد يقود العمل إلى التيبُّس ويضعه في خانة التعليم"[١] .

وثلاثون قطعة شعرية من باب الحكمة خاصة ـ يضاف إليها مقطوعات طويلة أخرى ، تكون الحكمة من بين ثناياها ـ كلُّ ذلك شاهد على هذه الملحوظة.

ونلمس النَّصَفَ والعدل في الحكم النقديّ حين نقرأ لعماد الدين قوله عن مقطوعات ابن جبير هذه :

"ولن نكون موضوعيّين إذا قلنا بأنها جميعا قد اجتازت تجربة التعامل مع الخبرة بنجاح ، أو أنها جميعا تنحدر باتجاه التعليميّة والمباشرة ، وبالتالي فإننا قد نقرأ مايمنحنا بالفعل شعرا ، وقد نقرأ مايعلّمنا ولكنه يخرج بنا من مملكة الشعر"[٢] .

ويمثل على تفاوت شعر الحكمة لديه بعدة أبيات صاغها (ابن جبير) ، منها قوله:

أمَا في الدَّهْرِ مُعْتَبَرٌ ... فَفِيهِ الصَّفْوُ وَالْكَدَرُ
فَسَلْنِي عَنْ تَقَلُّبِهِ ... فَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ
صَحِبْنَاهُ إلى أَجَلٍ ... نُراقِبُهُ ونَحْتَذِرُ
فَيَا عَجَبًا لِمُرْتَحِلٍ ... وَلايَدْرِي مَتَى السَّفَرُ![٣]

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) المرجع نفسه (ص٥٥) .
(٣) نفسه .

وقوله :

عَلَيْكَ بكتْمَان المصَائِبِ وَاصْطَـبْر ... عَلَيْها فَمَا أبْقَى الزَّمَانُ شَفِيقًا
كَفَاكَ مِنَ الشَّكْوَى إلى النَّاسِ إنَّهَا ... تَسُرُّ عَدُوًّا أوْ تَسُوءُ صَدِيقًا[١]

وقوله :

النَّاسُ مِثْلُ ظُرُوفٍ حَشْوُها صَبِرٌ ... وَفَوْقَ أَفْوَاهِهَا شَيٌّ منَ الْعَسَلِ
تَغُرُّ ذائِقَهَـا حتَّى إذَا انْكَشَفَـتْ ... لَهُ تَبَيَّنَ مَاتَحْوِيْهِ مَـنْ زَغَـلِ[٢]

وقوله :

تَنَـزَّهْ عَنِ العَوْرَاءِ مَهْمَا سَمِعْتَهَا ... صيَانَةَ نَفْسٍ فَهْـوَ بالحُـرِّ أَشْبَـهُ
إذا أنْتَ جَاوَبْتَ السَّفِيهَ مُشَاتِمًا ... فَمَنْ يَتَلَقَّى الشَّتْمَ بِالشَّتْمِ أسْفَهُ[٣]

ويتجاوز بنا إلى ملاحظة قيّمة ــ عبر باب الحكمة ــ ومافيه من وجوب الموازنة بين مستوى الأداء وقيمة الفكر إذ يقول :

"الشاعر الجيد هو ذلك الذي يعرف كيف يتحاور مع الخبرات الأكثر عمقًا وتأثيرًا ، والأقدر على دخول ساحة الشعر ، وأن يتجاوز الجزئيات الأخلاقية الاجتماعية الصّرفة لكي لاتهبط بشعره عن سوّيّته المطلوبة ، فإن جزئيات كهذه ليست من مهمة الشاعر على أية حال"[٤] .

وفي باب الطرح الإسلاميّ أثناء المعالجات الشعريّة لابن جبير ، يقف عماد الدين مبيّنا ارتفاع منحنى الشاعريّة بالأفكار الجيّدة ، ولكنه يلاحظ أن ذلك "يرقّ ويشفّ ويذوب وجدانية حينا ، ويغلظ ويباشر ويحشد الأفكار حينا آخر ، حتى ليكاد يغدو ناظما لايأخذ من مطالب الشعر إلا تفعيلاته وبحوره وقوافيه"[٥] .

ويجد أن قصيدة (ابن جبير) الثالثة والعشرين من أعذب وأصدق قصائده ، "وقد زادها بحر المتقارب المشجي ، الذي يكثر الرجل منه في ديوانه ، جمالا

---

(١) المرجع السابق (ص٥٥-٥٦) .
(٢) المرجع نفسه (ص٥٦) .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه .
(٥) المرجع نفسه (ص٥٦-٥٧) .

شعريا"[١] . ورائيته الطويلة ـ كذلك ـ معلم في حنايا هذا الطريق ؛ حيث استطاع ابن جبير ـ رحمه الله ـ أن يوظّف ـ من خلالها ـ الموقف والحدث ، حين اقترب من مدينة رسول الله ﷺ فاكتوى بنار التجربة ، فكانت كالجمر متوهجة ، وكيف لا!! "فمن ذا من شعراء عالم الإسلام كلّه ، يوشك أن يبلغ مدينة نبيه وقائده ومعلمه ، ثم هو لايكاد يذوب وجدا ، وتذوب معه في نار الشعر كلماته وأبياته وقوافيه؟" [٢]

وينقل عنه شيئا من هذا الحنين الذي جعله يبكي ، "ويقينا فإن العمل الشعريّ الذي يبكي هو الشعر"[٣] ، إذ يقول :

أَقُولُ وآنَسْتُ باللّيْلِ نَارَا ... لعلَّ سِرَاجَ الهدى قد أنارَا
وإلا فَمَا بَالُ أُفْقِ الدُّجَى ... كأَنَّ سَنَا البَرْق فيهِ اسْتَطَارَا
ونَحْنُ مِنَ اللَّيْلِ فِي حَنْدَسٍ ... فَمَا بَالُهُ قَدْ تَجَلَّى نَهَارَا؟ [٤]

ويضرب مثلا لتلك القصائد التي أبحرت صوب المباشرة ، ولم تكن على حدٍّ من الفنية الشاعريّة ، و"يمكن أن يضع المرء يديه على قصائد كثيرة تهبط بدرجة أو أخرى صوب المباشرة .. تحمل قيما إسلامية .. نعم .. ولكن ليس بالمستوى الذي تتطلبّه تقنية الشعر ومطالبه الفنية .. لنستمع ـ مثلا ـ إلى هذه الأبيات :

بَنْي الإسْلام جُدُّوْا في الجِهَادِ ... بسُمْرِ الخطّ والبيضْ الحِدَادِ
وبيعُوها فربُّكُمُ اشْتَرَاهَا ... نُفُوسًا تَرْبَحُوْهَا في المَعَادَ
عُدُوُّكُمُ بِعُقْرِكُمُ مُقِيْمٌ ... لِيَسْتَوْلِيْ عَلَى مُلْكِ البِلادِ[٥]

---

(١) المرجع السابق (ص٥٧) .
(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه .
(٥) المرجع نفسه (ص٥٨) .

ومن الأمثلة الرائعة لمديحه ضمن دائـرة العطـاء للأمّـة خطابـه لصـلاح الدّيـن الأيوبيّ[١] حين يناديه :

وحُبُّكَ أنْطَقَنْي بالقَرِيْضْ وَمَاأبْتَغِي صِلَةَ الشَّاعِرِ![٢]

ويؤكّد عماد الدين أن هذا نـوع مـن المديـح الصّـادق المجـافي سـبل الإطـراء والتزجية الرخيصة ، ولكنه الصدق الظاهر في أبيات هذه المقطوعة الرائيّة[٣] .

أما محاور وتوجّهات مقطوعات (ابن جبـير) ، الـتي كـان فيهـا شـاهدا علـى عصره فلا تخرج عن محورين اثنين ـ كما يؤكّد عماد الدين ـ وهما :

أ- الجهاد ضدّ خصوم الإسلام من صليبيي المشرق .

ب- إعلان الحرب ضدّ الحركة الفلسفيّة وماكان عليه زعماؤها[٤] .

ومما يمثل المحور الأول ، رائيته السابقة التي يمدح فيها (صلاح الدّين) عبر بحـر المتقارب الذي يولع به الشاعر ، وفيها :

أَطَلَّتْ عَلَى أُفْقِكَ الزَّاهِرِ سُعُودٌ مِنَ الفَلَكِ الدَّائِرِ

فَأَبشِرْ فإنَّ رِقَابَ العِـدَا تُمَدُّ إلى سَيْفِكَ البَاتِرِ![٥]

وفي مسألة (الفلسفة) والردّ على تيّارهـا المبـالغ ، الـذي يـأخذ بـأمور العقـل ويدع ماصح من النقل ، يفسّر (عماد الدين) توجّـه (ابـن جبـير) في ذلـك ، ويـبرز احتفاءه بهذا التأكيد المستمرّ ، حين يتحدّث في قصائده عن ذمّ الفلسفة ، وفي هـذا

---

(١) هو يوسف بن أيوب أبو المظفر ، صلاح الديـن الأيوبـي ، الملقّـب بـالملك النـاصر ، وهـو مـن الأكراد ، نشأ في دمشق وتفقّه وتأدّب ، خاض معارك كثـيرة ، كـان أعظمهـا انتصـاره علـى الفرنج يوم حطّين ثم افتتاح القدس سنة ٥٨٣هـ ، كـان رقيـق النفـس والقلـب ، بعيـد النظـر متواضعا مع جنده ، ولد عام ٥٣٢هـ ، وتوفي عام ٥٨٩هـ وخلّـف مـن الأولاد سـبعة عشـر ذكرا وأنثى واحدة .
انظر : الأعلام ، الزركلي (٨/٢٢٠) .

(٢) في النقد التطبيقي (ص٥٨) .

(٣) انظر : المرجع نفسه (ص٥٩) .

(٤) انظر : المرجع نفسه (ص٦٠) .

(٥) نفسه .

يؤكّد (عماد الدين) : "أن كثيرا من فلاسفة المسلمين ومن خلال انبهارهم بالفسلفة اليونانية اندفعوا أكثر مما يجب في تقبل سائر معطياتها حتى ولو كانت تستضيف أجساما وثنية غريبة أو عروقا طبيعية أو دهرية ، وتوجهات قد تصطدم مع مراكز الثقل الغيبية في عقيدة الإسلام ، بل إن بعضهم أوشك أن يصير (عقلانيا) صرفا فيما هو مرادف اليوم (للعلمانية) ، الأمر الذي قاد أو كاد يقود المجتمع الإسلامي إلى ماهو ليس في صلب تكوينه أساسا : ثنائية ماأنزل الله بها من سلطان بين الوحي والعقل ، بين الفلسفة والدين .. وهو أمر معروف في سائر المجتمعات البشرية إلا في مجتمع كمجتمع الإسلام ، يشهد تأكيدا يوميا للالتحام بين العقل والدين ، بين السماء والأرض ، وبين الوحي والمنطق ، بل بين سائر الثنائيات على امتدادها"[(١)] .

أما النصّ الحديث ، فنقف مع (عتبات الجنّة السّمراء)[(٢)] ، حيث يتغاير فيه المناخ الشعريّ مع ديوانين آخرين للشاعر نفسه[(٣)] .

وتكون انطلاقة عماد الدين متوجّهة في ابتدائها نحو تساؤل مهمّ ، يحكي أسباب تراجع الأدب الإسلامي ـ بشتّى توجيهاته وأنواعه ـ عن طرح فكرة مماثلة لهذا الديوان!.

لم لايدخل الأدب الإسلامي ـ وهو قادر ـ دوائر فكريّة معيّنة ، يحاور ويجادل ويكون له وجوده وحضوره المميّز ، الذي يشار إليه؟!

وفي هذا يقول عماد الدين :

"نجد مثلا أن الشعر الإسلامي المعاصر ، والأدب الإسلامي عموما ، اتخذ موقفه ، وقال كلمته في كثير من القضايا والمعضلات الراهنة ، بل إنه أعاد القول في بعضها فيما وضعه على حافة التكرار ، لكنه لم يحاول ـ لماذا؟ لاأدري ـ أن يتوقف

---

(١) المرجع السابق (ص٦١-٦٢) .

(٢) ديوان شعري حديث للشاعر حكمت صالح ، انظر : متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ، د.عماد الدين خليل (ص١٠٧-١١٧) ، ومنه استقيت مادة هذه الوقفات .

(٣) هو حكمت صالح ، شاعر إسلامي معاصر ، له طرح متميّز ، وله من دواوين الشعر : (الفرار إلى الله) ، و(حيّ على الفلاح) ، و(عتبات الجنة السمراء) .
انظر : المرجع نفسه (ص١٠٧) .

ولو لحظات عند مسائل لاتقل أهمية وخطورة ، بل لاتقل قدرة على إثارة الاستجابة الفنية بما تمتلكه من شحنات ونقاط توتّر إنساني قد تبلغ بها حدّ المأساة"[١] .

وهذه وقفة تبيّن ماذكرناه سابقا من تأشيرات عماد الدين على هذه المسألة المهمّة ، في وجوب التفاعل والإثراء ، وهو مايصوِّر ــ بظهور ــ وظيفة الأدب الإسلاميّ خاصة ، والأدب بوجه عام ، ومما يجدر بأصحاب الفكر السليم ، والمنهج القويم أن يتبنّوه ويسلكوه .

والفلك الذي يدور حوله الديوان ، يتابع بدقّة مسألة من المسائل المحرجة لحضارة الغرب الماديّة ، التي تتّخذ من المنفعة شعارا ، ومن المصلحة دثارا! وهذا يكشف الزيف وينير الدرب ، ويوضح السبيل ، ويعري الوجه القبيح لهذه الحضارة المزيّفة ، التي تحتمي بإطلاق الشعارات ، وتختبئ خلف دروب التعمية والتمويه .

هذه المسألة هي (وضع السُّود في العالم) وليس في منطقة معيّنة كإفريقيا أو غيرها ، حيث إثارة العَجَب والاشمئزاز في الوقت ذاته .

و"إنه تناقض من الطول إلى الطول ، بين ماتطرحه الرؤية الإسلامية لموقع الإنسان في العالم ، حيث يقف الجميع أمام الله ، سواسية كأسنان المشط ولاتفصلهم طبقة عن طبقة ، ولايعزلهم لون عن لون ، وبين هذه الواقعة المبهظة التي تدفع بهذا الإنسان أو ذاك ، وبهذه الفئة أو تلك إلى الخط الثاني والثالث ، وربما العشرين ، حيث يكون الاستعباد ، وحيث يباع الإنسان ويشترى بالأشياء وكالأشياء ، لا لشئ إلا لأنه خلق هكذا : أسود اللون ، أو بعبارة أكثر صراحة : لأنه خلق يحمل قشرة تختلف درجتها اللونية عن سائر الناس!"[٢] .

ويثني عماد الدين على براعة (حكمت صالح) في إهداء ديوانه ، حين وجَّهه إلى الصوت المؤمن الحُرِّ ، الذي يجأر بالعبودية ونداء الله بالوحدانية ، ممثّلا ذلك في شخص الصحابيّ الجليل بلال ـ رضي الله عنه ــ ؛ ذلك لأنه ــ رضي الله عنه ــ

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) المرجع نفسه (ص١٠٧-١٠٨) .

"يسكن فينا جميعا ، يتحرك لكي يرفع صوته النديّ المؤمن ، المحرّر ، عند كل نداء ، قبالة ألف من محاولات الردّة التي تفتك بالإنسان ، تريده أن يرجع إلى عصور الاستعباد والمهانة والاحتقار .. أن يتجاوز موقع (الكرامة) و(التفرّد) الذي أراده له الله ، فيكون اللّون ، من بين عشرات من عوامل الشدّ الأخرى ، عاملا لشطر البشرية نصفين ، وتقسيمها إلى فوق ودون .. إنها قضيّتنا إذن ، قضيّة أدبنا الإيماني الواقف إلى جانب الإنسان ، بمواجهة كل محاولات الغش والتدليس والزيف التي تجد في لون القشرة مبرّرا وطريقا للمرور إلى أهدافها المضادة للإنسان"[1] .

وإزاء هذا كلّه يستشهد (عماد الدين) بعمل أدبيّ خدم هذه القضية ـ مع اختلاف الأسلوب الأدائيّ .. إنه (الجذور) للكاتب الأديب (اليكس هيلي) حين استطاع أن يشدّ الأبصار نحو عمله رغم اقترابه من (السيرة الذاتية)!

وحين تقوم المقارنة نجد أن عمله قد خرج بصورة "بعيدة إلى حدٍّ ما عن دائرة الإبداع المؤثّر الجميل"[2] .

ويؤكّد (عماد الدين خليل) ـ في المسار ذاته ـ أن الإسلام سبق (الماركسيّة) التي طرحت شيئا ما في هذه المضمار ، وسبق الأطروحات العرقيّة والوطنيّة الأخرى بصوته الواضح النقيّ ، الطاهر الممتدّ ، العميق الأصيل ، الذي يصعق هؤلاء المدّعين حين يبيّن انعدام العبث في ساحته ؛ حيث يأمن الإنسان في ظلّ الإسلام وكنفه .

وفي أهمية هذا الصوت ، ووجوب وصوله ، يقول (عماد الدين) :

"فمن أجل التحقق بالتوازي المطلوب بين أدبنا الإسلامي وقضايانا الملحّة ، ومن أجل الإعلان عن هذه الحقائق "الموضوعية" كافة ، كان لابد من صدور ديوان كهذا يتحدّث ، في دائرة الرؤية الإسلامية ، عن السّود ، يحكي عن أوجاعهم ، يبثّ همومهم وأحزانهم ، ويعدهم بالغد المرتجى حيث لاتستطيع قوة في الأرض إلا هذا الدين ، ولايقدر كائنٌ مَنْ كان إلا الله وحده ، على الاستجابة لأشواقهم وإعادتهم ـ بحقٍ ـ إلى مواقعهم الصحيحة في خارطة العالم ، حيث يجد المرء نفسه

---

(١) المرجع السابق (ص١٠٨) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

مضطرًا لأن يتذكر كيف أنهم في ظلّ الإسلام ، وربما لأول مرة ، أقاموا دولا وحضارات دفعت بإفريقيا خطوات واسعة إلى الأمام"[١] .

وينقل في هذا واقعة من مذكّرات (أديب أسود) هو الروائيّ الأمريكي (ريتشارد رايت) ، تكشف زيف الشيوعية وعجزها في تجاوز عقدة التفريق بين الأبيض والأسود ، حين يذكر (رايت) أنه في ربيع عام (١٩٣٥م) أخذ يُعِدُّ شأنه لمؤتمر الكتّاب الأمريكيّين اليساريّين ، فسافر إلى (نيويورك) برفقة بعض المندوبين ، وحين وصلوا في المساء سجّلت الأسماء لإعداد الجلسات وترتيبها ، ثم أخذ يعدّ نفسه للنوم والراحة ، ولكن!

سأل عن معدات النوم وأماكنه ، فاختلط الأمر على أعضاء نادي (جون ريد) وهم شيوعيّون (بيض!!) ، يقول (رايت) :

"أنا الشيوعي الزنجي الأسود ، لقد كنت خلال رحلتي قد نسيت أنني أسود والآن وأنا أرى رفيقا أبيض يتحدث بعصبية إلى آخر عن لون جلدي بدأت أشعر بالاشمئزاز"[٢] .

وبعد السؤال والانتظار ، وبَحْثِ أحدِهم عن (مكان مناسب!!) جاءه صاحبه "الشيوعي الأبيض زائغ النظرات يغطّيه العرق ، فقلت له : لعلّك وجدت شيئا؟ فأجاب وهو يلهث : لا ، ماوجدت شيئا بعد ، ولكن انتظر لحظة فسوف أتحدّث إلى شخص أعرفه . قلت : لاتزعج نفسك . سوف أجد لي مكانا . فقال بلهفة لم يفلح في إخفائها : أتعتقد حقّا أنك تستطيع أن تجد مكانا؟" [٣]

ثم سار الرجل بدهشة!! وهو يحمل جلده الأسود ولايكاد يحمل نقودا!! ثم تساءل قائلا :

"إن المشكلة التي بَدَتْ لي على جانب من الأهمية هي : هل يستطيع الزنجي في هذا البلد أن يحيا حياة قريبة من حياة البشر؟" [٤] ، هكذا!!

---

(١) المرجع السابق (ص١٠٩) .

(٢) المرجع نفسه (ص١١٠) .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

وهي حقّا صورة متباينة ، بين رجلين أسودين ، أحدهما تمتّع بحلاوة المساواة في ظلّ الإسلام ، والآخر ظلّ في حزب الشيوعيين فضَلَّ ونسي واحتقر بين بني ديانته وتوجّهه !

وفي ديوان حكمت صالح يوقفنا (عماد الدين) ـ عبر رؤيته المتميّزة ـ عند مايسمّيه "الإدانة الشعرية للابتزاز الذي مارسه الغربي الأبيض ولايزال للإفريقي الأسود .. لإهدار قيمة الإنسان في الإنسان نفسه .. للاستلاب الذي يبني ناطحة سحاب من جماجم الملونين .. يقيم مزارع ومصانع ومؤسسات ومدنا من آلامهم وأوجاعهم"[1] .

ومن مقطوعات (حكمت صالح) في هذا قوله :

بَاعُوا الإنْسَانَ بمشْرُوباتٍ رُوْحِيّةْ
بزُجَاجاتِ نبيذٍ وبجُرْعَةِ خَمْرٍ
بَاعُوْهُ بدَرَاهِمَ مَعْدُوداتْ

* * *

قَدْ يُقْلعُ بَعْدَ قَلِيل
تُجَّارُ البَحْرِ
وَيَرفُّ شِرَاعْ
لَكِنْ أيْنَ سَتَنْغَرزُ الشَّوْكَةْ؟
في تُرْبَةِ مَنْ مِنْ مُّلاكِ الإقْطَاعْ؟
أبمزرعةٍ إسبَانيَّةْ
أمْ في حَقْلٍ في جُزُرِ الهِنْدِ الغَرْبيةْ؟

* * *

الأيْدِيْ الَمْشُدودَةُ بالعَصَبِ الصُّلْبِ
تُنْجبُ مَوْلُودَ حَضَاراتِ الغَرْبْ
وعَلَى أنقَاضِ شَوَاطِئ "سِيراليُونْ"

---

(١) المرجع السابق (ص١١٠-١١١) .

وعَلَى الأَكْتافِ الزِّنْجيِّةْ
شَمَخَتْ نَاطِحَةُ السُّحْبِ الأوروبيَّةْ
وَمَحَطَّاتُ فَضَاءٍ أمْرِيكِيّةْ ... [١]

وينقل عنه قوله في قصيدة أخرى :

دمٌ نازفٌ بقَنَانِيْ النَّبِيذْ
مَعَ الأمْتِعَةْ
تُصَدِّرُهُ سُفُنُ العَاجِ والأبنُوسْ
إلَى المُدُن القَابعَةْ
عَلى وَحْشَةِ الأَرْخَبِيْلْ ... [٢]

وفي ثالثة من روائعه يقول :

تَأَفْرقَتْ عَيْنَانِ صَارتَا هُنَا
لافتةً زرقاءْ
يقرؤُهَا الصَّبَاحُ وَالمَسَاءْ
(يُسْمَحُ للبِيْضْ ، وللبِيْضِ فَقَطْ
تَنسُّمُ الهَوَاءْ)
تُشَرَّع الأبْوَاب للسيِّدة الغربيّة
تَسْحَبُ حَبْل فِضّةْ
بِطوْقِهِ كَلْبٌ مِنَ الكِلابْ
وَنَحْنُ يُوْصِدُونَ في وُجُوهِنَا
مَدَاخِلَ الأبوابْ [٣]

ومما يلحظه عماد الدين في هذا الديوان الشعريّ ، أن شهادة الشعر تتضامن مع شهادة التاريخ في ردّ شبهة خطيرة ، يتّهم فيها الإسلام بتردّي ثوب ملطّخ بالدم في إفريقيا .

---

(١) المرجع السابق (ص١١١) .
(٢) المرجع نفسه (ص١١١) .
(٣) المرجع نفسه (ص١١٢) .

فتجئ هذه الشهادة الشعريّة المثبتة "لكي تمارس هي الأخرى دورها في التكشف .. في إعادة الأمر إلى نصابه الحق .. فما دام أن الموقف يتضمن في نسيجه بعدًا مأساويًّا ، فإن للقصيدة الحق كلَّه في أن ترفع صوتها محتجة هي الأخرى"[١] .

وفي هذا يصوّر (حكمت) وحشية وتسلُّط الغرب ، فيقول :

مِنْ أبْشَعِ مفهومٍ للوحْشِيَّةْ
مِنْ كَهْفِ كواليس البَشَرِيَّةْ
تَنْطَلِقُ الأسْهُمُ عَبْرَ مَهَبِّ رِيَاحْ
يَنْطلقُ الأوروبيُّ الملاحْ
يَتَجَشَّم بحْرَ الظُّلُمَاتْ
في عَهْدِ الرقِّ
ليستعبدَ آلافَ الأطْفَالِ الأفْرِيقِيِّينْ

* * *

الأوروبيُّ .. الأمريكيُّ .. الأبْيَضْ
والوسطاءُ المأْجُورُونْ
يَقْتنصونَ بكَلْبِ الصَّيْدِ المَشْدُودِ إلى العَرَبَاتْ
طِفْلا .. شَابّا .. رَجُلا مَفْتُولَ العَضَلاتْ
عَادُوا بالأَسْرَى للشَّاطِئْ
والشَّمْسُ تَلُفُّ عَلَى الأُفْقِ
خُيُوطَ الحَسَرَاتْ[٢]

ويسطّر (عماد الدين) شهادته للشاعر بالبراعة والتفوق ، حين يظهر بجلاء صدقه الفنيّ رغم المسافات الزمانيّة والمكانيّة بينه وبين إفريقيّا ؛ لأن الشاعر ـ كما يقول (عماد الدين) ـ "استطاع ـ بمهارة ـ أن يوظف أدواته الفنية وخبرته ، لتحقيق هذا الهدف الصعب : الكلمة ، التعبير ، الصورة ، المفردات ذات النكهة

---

(١) المرجع السابق ، الصحفة نفسها .

(٢) المرجع نفسه (ص١١٢-١١٣) .

المحلية ، الأفكار المتأقلمة ، الاستشهادات الإفريقية في مطالع القصائد ، الجغرافيا ، التاريخ ، والموسيقى"[١] .

ومما يُظْهِر به (عماد الدين) ذلك ماكان يستعمله الشاعر من مصطلحات إفريقية جاءت من عمق إفريقيا تحمل صورتها ، وتحسّ طعمها : (سفن العاج والأبنوس) ، و(حفل العرس) ، و(قرع الطبل بأعراس الخميلةْ) ، و(أبواق الجاز) ، و(نخيل الجوز والموز وعنقود الكاكا والهشّ) ، و(بالعرق المتصبِّب من قسمات الوجه الأسمر والأذرعة الفولاذية) ، و(تقبع تحت الأحراش مداخن كانو) ، و(ظلال الصَّمغ والمطّاط والقطن) وغيرها من التصويرات[٢] .

ومما وقف معه الاستشهاد بالجرس الإيقاعي الإفريقي المتميّز ، الذي يختلف من حال إلى حال ، ومن قصيدة إلى أخرى .

وهذه الإيقاعات "تخفت ضرباتها في بعض المقاطع حتى لتكاد تغيب ثم مايلبث شلالها الصوتي أن يعلو على حين غفلة ، ويعلو حتى ليوشك أن يصكّ الأسماع"[٣] .

ومن القصائد التي تغرس هذا الأمر ، وتصوّر هذه القدرة الفائقة ، والمعايشة الظاهرة ، قوله :

مَثْنَى ..
مَثْنَى ..
وَسْطَ الدَّارْ
دُوْ .. رُوْا
دُوْ .. رُوْا
آ..هٍ
آ..هٍ
ماأروعَهُ مِنْ دَوَرَانْ!

---

(١) المرجع السابق (ص١١٤-١١٥) .
(٢) انظر في هذا المرجع نفسه (ص١١٥) .
(٣) نفسه .

الموجَةُ تستوعِبُهَا المَوْجَةْ
الموجَةُ تستوعِبُهَا المَوْجَةْ
تَكْبُرُ
تَكْبُرْ
تَكْبُرُ
تَكْبُرْ
فِي البحر السِّحْرِيّ الأَخْضَرْ
بَحْرِ العِطْرِ
المِسْكِ
العَنْبرْ

* * *

يتناثَرُ إيقاعُ (الرومبا)
فَيَرِفُّ جَنَاحُ الوجْدَانْ
تتصارَخُ ترنيماتٌ ألوانْ
تتكهربُ أعصابُ
عُرُوق الشُّبَّانْ
إيقاعاتٌ مَوْسَقَهَا عَصْرُ الرَّفْضْ
وقْعُ الكَفَّيْن يُمَزِّقُ جَلْدَ الأرْضْ
تَتَمَطَّى أنْغَامُ الجَازِ الثَوْرِيَّةْ
أعْشَقُ
أَعْشَقُ
أَعْشَقُ
جَسَدَ الزَّمَنِ العَارِيْ
مسكونًا بتشَنُّجِ إعصارٍ نَارِي
رَصَّعَهُ وَشْمُ الحُرِّيَّةْ

* * *

دُوْ .. رُوْا
دُوْ .. رُوْا
يَاشُبَّانْ
آ .. هٍ
آ .. هٍ
مَاأطْيَبَ هَذَا الدَّوَرَانْ! [١]

ويُبرز عماد الدين مقدرة الشاعر ـ في ديوانه عامة ـ وفي هذه القصيدة خاصّة على منح القارئ والسامع (مناخ) إفريقيا ، بالحرارة المتوقّدة ، والزخّات العنيفة ، والعنفوان الصّاخب الطبعيّ ، والصّرخات الفطريّة الحادّة ، وإيقاعه المنبعث من ألوف الطبول التي يضرب عليها الإفريقيّ ، وتشاركه في ذلك الجبال والوديان ، والوحوش في صراخها ، والأنهار والشلالات في هديرها .

و"لقد أحسن صاحبنا استخدام المفردات خصوصية الطابع ، ورسم الصور بعناية ، وعرف كيف يفيد من إمكانات البحور العربية فاختار منها ، في كثير من الأحيان ، تلك التي تستجيب للإيقاع الإفريقي فتتوافق معه وتعينه على أن يتكشف أكثر ، وأن يتلبس في الوقت نفسه بالمزيد من الأحاسيس والأفكار ، هنالك حيث يحكي ، بلغته الخاصة ، كيف يتألم الإفريقي الأسود ، كيف ينتزع ، بدون رحمة ، من بيئته ووطنه ، وكيف يتغرب .. يحكي لنا أيضا كيف يحب هذا الإفريقي ويعشق وكيف يلتاع" ، وهكذا يحملنا عماد الدين لنحلّق صوب هذا العمل المتألّق عبر هذه الحلقات من عرض حقيقة مشاركة الأدب الإسلاميّ لمجتمعه وهمومه وذلك باستصحاب المقدرة الفنيّة المتميّزة ، والنَّفَسِ الشعريّ [٢] ، والأداء المتوازن ، الذي يعيش فيه المتلقّي عن قرب ، بجوِّه وظلاله .

---

(١) المرجع السابق (ص١١٥-١١٧) .

(٢) في أهمية هذا الاستصحاب ، انظر : قراءة الشعر ، د. محمود الربيعي (ص١١٩-١٢٣) ، وفي الشعر المعاصر ، د. أحمد ماهر البقري (ص٨-٩) .

رابعا : في (القصة) : من خلال نموذج من نقده .

كثير من قصص الأدب الإسلامي حبيسُ الصَّمْت المطبق ، الذي يفرضه نقّادٌ بعدوا عن تحسّس مواطن التميّز والإبداع في هذه النصوص ، فمرّ عليها الزمن بستارة من حديد ، حجبتها عن أعين الناس ومشاعرهم! نرى "عشرات من النصوص الإبداعية يقتلها الصمت ، وعشرات أخرى لاتجد فرصتها إلا في أبواب "كتب صدرت حديثا" على الصفحات الأخيرة من الصحف والمجلات .

وأدباؤنا الإسلاميّون تستغرقهم الهموم "الأكاديميّة" حينا ، وتحقيق المخطوطات العتيقة حينا آخر .. والكسل العقليّ يهيمن على الكثيرين منهم ، فلا يجدون مايحفزهم لأن يبذلوا جهدا إضافيا لإضاءة الطريق بقوة النقد ، وآلياته ، أمام المبدعين الإسلاميين الذين مايلبثون أن يجدوا أنفسهم محاصرين بالصمت فينطفئون!"[١]

ولهذا نذر (عماد الدين) وقته ونفسه لتجلية هذه الصّور ، وتَبَنِّي هؤلاء المبدعين عبر تأشيراته على نصوصهم ، وإبرازه مواطن الإبداع ، ووقفاته في جوانب عديدة هنا أو هناك أو هنالك[٢] .

ونشارك (عماد الدين) في مرفأ من نقده قصصا للأديب (محمود مفلح)[٣] ،

---

(١) حول استراتيجية الأدب الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص١٧١) .

(٢) وفي نقد القصة نجد مواطن عديدة له في أمثال كتبه :
* في النقد التطبيقي .
* حول استراتيجية الأدب الإسلامي .
* محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، وغيرها ـ الباحث ـ .

(٣) هو الأستاذ محمود مفلح ، ولد في سمخ بفلسطين عام ١٩٤٣م ، ونزح بعد حين إلى سوريا ودرس فيها حتى نال الإجازة (الليسانس) من جامعة دمشق عام ١٩٦٧م في اللغة العربية ، ثم سافر إلى المغرب ثم انتقل موجها تربويا لمادة اللغة العربية بالسعودية ، وقد بدأ النشر أواسط الستينيات ، له سبعة دواوين مطبوعة منها : (المرايا) و(الراية) و(حكاية الشال الفلسطيني) و(شموخا أيتها المآذن) و(إنها الصحوة) ، وله مجموعات قصصية هي : (المرفأ) و(القارب) و(إنهم لايطرقون الأبواب) . =

مما يمثّل صورة من معرض صور مشاركة (الأدب الإسلامي) في ساحة العطاء الأدبيّة بتميز (مفلح) في جانبين من جوانب الإبداع هما الشعر[١] والقصّة .

ويتساءل (عماد الدين) عن سرِّ انقطاع (مفلح) عن القصة حينا ، ثم معاودته الكتابة فيها؟! وكأنه يشير إلى رغبة مكنونة في صدره .. أن يلتزم "التعبير من خلال هذا الأسلوب .. ترى .. هل سيكفّ عن كتابة الشعر ، ويتفرغ للقصة القصيرة كلّية؟" [٢]

والإبداع في مجال القصّة ليس متاحا بدرجة كافية لكلّ قاصّ ، بل هي من أشدّ الأشكال الأدبيّة تعقيدا وعسرا ؛ "لأنها تتطلّب جهدا فائقا في العثور على اللّحظة الفنيّة المناسبة .. على الحدث أو الموقف .. وضغطها في أضيق حيّز ممكن بما فيها من أحداث ، وشخوص ، وخلفيّات"[٣] .

ويؤكّد (عماد الدين) أن النظر إلى العمل القصصيّ ـ مجموعة متكاملة ـ يحتاج إلى تتبّع الخيوط العامّة والخاصّة ، والوحدة والتنوّع .

= انظر : من الشعر الإسلامي الحديث ، إصدار رابطة الأدب الإسلامي (ص٢٢٨) ، وإنها الصحوة ، محمود مفلح (ص١١٩) ، أناشيد الدعوة الإسلامية ، اختيار حسني جرّار وأحمد الجدع (ص١٧) .

(١) له شعر رائع ، منه قوله :

قَدْ أصَابَ النّسرَ الذي قدْ أصابَهُ ... فَدَع اليَأْسَ مَرَّةً والْكآبَةْ
لاتُفَجِّرْهُ في النّسر شَوْقَ الأَعَالي ... فلقَدْ تقتُلُ النّسُورَ الصَّبَابَةْ
لاتَلُمْهُ فالنومُ أثقَلَ جفنَيْهِ ... وأَرْخَى عَلَى المُنَى أهْدَابَهْ
دَعْهُ في سَكْرَةِ الحنِين فَإِنّى ... أتَقَرّى في مُقْلَتَيهِ الصَّلابَةْ

انظر : نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني ، محمود مفلح (ص١٢٨) ، وقد وصف د. عماد الدين خليل قصائده بأنها تبلغ حدّا من الإبداع لايسع المرء إزاءها إلا الإعجاب . انظر : محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص٢٦٧) .

(٢) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) في النقد التطبيقي ، د. عماد الدين خليل (ص٧٤)

"وإذا كان العثور على الخاصّ المتنوّع سهلا ، لأن تجربة القصّة القصيرة هي في جوهرها إبداع بهذا الاتّجاه .. فإنّ وضع اليد على الخطّ الشامل الذي يمتدّ إلى المجموعة كلّها .. الخيط الذي يسلك حباتها في نسق معين .. يغدو أمرا صعبا"[١] .

ويخصّص ويكثّف هذه الصعوبة ودرجتها حين تكون البدايات .. والبحث فيها .. حيث مرحلة (الاختباريّة) والبحث عن صيغ فنيّة مقنعة دائمة ، واضحة متماسكة .. ومن القضايا المهمّة في هذا الباب : "أن يواصل الكاتب الطريق .. أن يقطعه حتى نهاية الشوط ، متحققا أكثر فأكثر ـ وبحكم قوانين تراكم الخبرة ، وإنضاج الزمن ـ بمطالب عمله الإبداعي وشرطه على مستويي الشكل والمضمون . ولن يكون هذا إلا بقدر من الطموح يأخذ بتلابيب الأديب .. بوعد يقطعه على نفسه أن يواصل المسير"[٢] .

ويؤشّر على المضامين المتوحّدة عند (مفلح) .. تلك التي تصدر عن توهّجه الإيمانيّ ، ودفقه الشعوريّ الأصيل ، حيث القيم والمضامين الملتزمة[٣] ، التي ألبسها لبوسا حسنا ، ومنحها طعما خاصّا ؛ إذْ "يسوق حركة البناء الفني بحيث تخدم الهدف فلا تشذّ ولاتنحرف ، وإنما تصبّ كلماته وتعابيره في المجرى العام ، المتوحّد الذي يشق طريقه نحو المصبّ حيث تتمزّق البراقع ، وتتكشّف المصائر ، وتنبني القيم والمبادئ التي تتجاوز حدود الزمان والمكان"[٤] .

وتكون انطلاقة (مفلح) بالأسلوب العربي المتين في قصصه ، بالبيان والوضوح والجزالة والقوّة التعبيريّة ، مع استدراك لاستعماله (الألفاظ العاميّة) التي تتخلّل حواره هنا وهناك .

---

(١) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص٢٧٩) .

(٢) في النقد التطبيقي (ص٦٦) .

(٣) وهذه المضامين تبرز من خلال العرض المتميز لها عبر دائرة القصة الإسلامية .
انظر في أهمية ذلك : خصائص القصة الإسلامية ، د. مأمون فريز جرّار (ص٢١٦-٢١٨) .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص٢٦٩) .

ويؤشّر هنا عماد الدين ، بأن فصحانا أولى بالاستعمال والتحريك ؛ لأنها "فصحانا الجميلة الشاعرة التي يتذوقها العالم والمثقف ، ويهتزّ لها العامل والفلاح"(١).

ويقف مع تميّز (مفلح) في الشعر ، وأثر ذلك في قصصه ، حين يستعرض قوله :

"كان .. مايزال قويّا يبدّد ماتراكم من الظلام في أعماقه ويفرشها بأشعة خضراء ، فنكص على عقبيه وهو يطارد شبح الجريمة من مكان إلى مكان بانتظار شمس الصباح"(٢) .

فيقف مع (فرش الأعماق بأشعة خضراء)!

ويراها صورة شعريّة متميّزة مؤثّرة ، ورؤية شعريّة "تمتد حتى لتجعل البطل ـ الإنسان ـ يندمج في قلب الطبيعة ، ويذوب في كينونة العالم ، سنبلة في حقله ، وقطرة من ينبوعه .

إن قدرات القاصّ الشعريّة هي ولاريب المعين الذي يمنحه القدرة على شحن قصصه وتكوينها بهذه التعابير التي تخرجها من إطار واقعيتها الباهظة الصرفة إلى سماوات الشفافية والذوبان والصفاء"(٣) .

فهي ـ في نظره ـ فرشاة تضرب هنا وهناك لتمنح صورة ملوّنة أو دفقا شعريّا ، ومن ذلك قول (مفلح) ـ كما ينقل عنه ـ :

"كانت الشمس زورقا أصفر صغيرا ينساب قليلا قليلا في الأفق الغربي .. بعد قليل سيطوي شراعه ويغيب"(٤) .

ويلاحظ شيئا من ذلك في قصّة (مرآة الضمير) التي تعتمد ضمير المتكلّم ، وتصوّر الحدث تصويرا ساخرا ، ينقم من تضييع الأمانة(٥) .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٧١) .
(٢) المرجع نفسه (ص٢٦٩-٢٧٠) .
(٣) المرجع نفسه (ص٢٧٠) .
(٤) المرجع نفسه (ص٢٧١) .
(٥) انظر في ذلك : المرجع نفسه (ص٢٧١-٢٧٢) .

ومن هذا التصوير الفنيّ المتميّز ، مايجده عماد الدين في (المرفأ) .. حيث يتفنّن (محمود مفلح) في عمل هو أمتن حبكة وأعمق تأثيرا وأكثر نضجا ، حين يصوّر أحداث قصّة شاب ينتقل من القرية إلى المدينة لإكمال المرحلة الجامعية ، ويخاف أهله على تأثّره بعد نقائه في القرية ، وهو نفسه يخشى ذلك كلّه ، وفي هذا يقول عماد الدين :

"قصّة مألوفة ، أليس كذلك؟

لكن مايمنحها الجدة والخصوصية تلك الصور والتعابير التي تلامس تجربة البطل من الداخل وتمنحنا رؤياه .. تجربة كل أولئك الذين غادروا قراهم البريئة إلى المدينة حيث يتوجب الصراع (وهذا مايعطي القصة توترا أكثر) .. ورؤية كل الذين تأرجحوا طويلا قبل أن يقرروا الصمود للمحنة أو الانجراف مع التيار"[١] .

ومما يستشهد به من ريشة (مفلح) التصويرية على ذلك ، قوله عن هذا الشاب وماحكاه على لسانه في (المرفأ) :

"أنا سمكة صغيرة قادمة من نهر ريفيّ ، عصفور خجول طار عن شجرة قروية ليحط فوق هذه الأتون"[٢] .

وتمضي هذه الريشة في تصوير مأساة الحضارة المعاصرة ، بالآلية العملاقة والروح القزم ، من خلال رمز مكثّف ينقله عماد الدين عن (مرفأ مفلح) حين يصوّر وجوه الناس - في نظر البطل - وكأنها قروش ممسوحة ، تمنح ذهبا ، لكنها لاتهب تعبيرا ، وتغدو المدينة ليست إلا أرجلا تسرع وصدورا تعبر ، وكأنّ أصوات الباعة في هذه القطعة من الأرض أبواق سيّارات ، ولعلّ حناجرهم صنعت من النحاس!!

ويجد مفلح في (المئذنة) رمزا يوحي بالأمان في هذه المدينة التائهة يستظلّ بظلّه هذا الشاب ، و"يختاره القاصّ من بين ملايين الرموز لكي يوقفنا أمامها وهي تمتدّ عالية شامخة ، متحدّية الخوف والماديّة والتفكّك والهبوط"[٣] .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٧٤-٢٧٥) .

(٢) المرجع نفسه (ص٢٧٥) .

(٣) المرجع نفسه (ص٢٧٦) .

فوجد (مفلح) في هذه المئذنة شموخا وتأثيرا ، فذكر حال هـذا الشاب وهو يمدّ بصره عبر نافذة الزجاج ليراها "شامخة شاهقة ، مغسولة بوهج المساء ، تعكس أحزمة من الذهب اللامع ، ثمة أعداد من السنونو تحوم فوقها شابحة مجنحة ، غاطسة ... ابتسم وهو يردّد : ماأروعك وأنت تشمخين هكذا فوق العمارات وسكانها وفوق الضجيج والصفير ، فوق الأرصفة والراكضين عليها ، وفوق الجدران وماتحمله .. في هذه اللحظة تماما انفتحت كوَّةٌ في جسم المئذنة وانطلقت منها خيول جامحة فوقها رايات خضراء ، الخيول تسرع في كل اتجاه ، الرايات مغروسة في أطراف الأرض وحول الرايات تتدفق الينابيع ، وتسمو الأشجار ذات الثمار الثقيلة الناضجة"[١] .

وهذا مايسمّيه عماد الدين (تيّار الوعي والتداعي) ، وهو مايراه مفقودا في بعض قصص مفلح الأخرى .

وهذا (التداعي) [٢] تجمع فيه الصور الماضية ، والأفكار المتخيّلة ، حين يجدّد الأديب ، و"يخترق ـ بين الحين والحين ـ جدار المنظور ويتجاوز مسلمات المكان والزمان ... تندمج في الصورة الواحدة والموقف الواحد واللحظة الواحدة أحداث وتجارب وصور ومواقف تخلقت في أزمان وأماكن شتى ... يعرضها علينا وقد تكسّرت فيها عقارب الساعة ومقياس الكيلومترات ... يصوغها بأبعادها الجديدة غير أبعادها المألوفة طولا وعرضا وارتفاعا .. بعبارة أخرى أن يجردها من هذه الأبعاد .. أن يقوم بتعريتها وصولا إلى البعد الأهم والأخطر .. البعد الرابع الذي لايلمس ولايرى إلا بالعين الأخرى : عين الفنان ، وعيون أولئك الذين يعرفون كيف يتعاملون مع لغة الفن"[٣] .

ويؤكّد ذلك بقوله :

---

(١) المرجع السابق (ص٢٧٦-٢٧٧) .

(٢) يجعله بعضهم بابا من أبواب التذكّر عن طريق القرائن . انظر مثلا : المدخل في علم النفس الحديث ، د. أكرم طاشكندي وآخران (ص٢٩٨-٢٩٩) .

(٣) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢٧٧) .

"ليس صوت الفن الإسلامي سوى ذلك النداء الشفاف الذي يدعونا للتحرك صوب الآفاق البعيدة مع التركيز البالغ الملتزم المسؤول بكل ماهو واقعي يومي منظور ، إذ كيف يقدر المؤمن على التحرك صوب الآفاق البعيدة إن لم ينطلق أساسا من عالم أفضل ، عالم غير عفن ولامفكك ولامنخور؟" .

وهذا الذي يضفي لديه قيمة هذا التداعي ، حين تجتمع به الأصوات المتنافرة فتخرج وحدة نغمية توافقية تلهب الوجدان .

ويلمح عماد الدين مقدرة مفلح في إجادة (الحبكة) [١] مع اقتصاد اللغة وتكثيف الموقف ، حتى لاتفقد القصّة قيمتها ، ويرى هذا سببا للاعتناء بهذا الجانب كما هو الأن في المسرح ، "فهو الآخر ، بدون تركيز الموقف واقتصاد الكلمات ، يفقد قدرته التأثيرية ويبهت ، فيميل إلى أن يكون (صورة) أكثر منه (صراعا)[٢] " .

ويرى لزاما على مفلح أن يعتني بالعقدة[٣] في عمله بدرجة أكبر ؛ لتظهر بصورة مشوّقة تشدّ الاهتمام ، حين يهندس حركة أبطاله في ممرّات محدّدة لكنّها أبعد ماتكون عن التكشّف والوضوح الظاهر ، الذي يعرف فيه القارئ ماسيدور بعد قليل[٤] .

يقول عماد الدين : "إن العقدة الأكثر إبداعا هي تلك التي تحجب النهايات عن تخميناته مهما كان ذكيّا قديرا على التنبّؤ ، تلك التي تجعله مبهور الأنفاس لكي

---

(١) الحبكة (Plot) تشير إلى مجموعة أحداث متّصلة ومترابطة تسير في اتجاه معيّن وتتلازم مع الشخصية تلازما شديدا ، وبها (يحبك) القاصّ أحداثه للوصول إلى نتيجته .
انظر : النقد التطبيقي التحليلي ، د. عدنان خالد عبد الله (ص٧٦) .

(٢) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢٦٨) ، وتبرز أهمية ذلك في إنشاء الحوار وطريقته في المسرح لأنه يعتمده اعتمادا حيويا لايوصف ، بينما هو في القصّة عنصر من عناصرها الحيوية ولكنّ اعتماده في المسرح أشدّ ، ولايعني هذا عدم الاتكاء على غيره ، كما مال إلى ذلك د. عبد العزيز شرف في كتابه : الأسس الفنية للإبداع الأدبي (ص٢٠٣) .

(٣) العقدة ، أو (الأزمة) هي اللّحظة التي تصل فيها الحبكة إلى أقصى درجات التكثيف والانفعال وهي نقطة التحوّل في القصة ، وهي بداية التمهيد للحلّ .
انظر : المرجع نفسه (ص٧٧) ، والمنهاج في الأدب العربي وتاريخه ، د. عمر فرّوخ (٧/١) .

(٤) محاولات جديدة في النقد الإسلامي (ص٢٦٨) .

يطلع ، بصبر فارغ ، على الموقف الذي ستنحلّ فيه العقدة ، وتتضح المصائر"[١] .

وفرض العقدة[٢] ـ كما يرى عماد الدين ـ يجب أن يكون من أوّل ضربة في العمل القصصيّ القصير حيث "يتوجّب أن تفرض العقدة نفسها على القارئ ، وتظلّ جاثمة على وعيه الظاهر والباطن وهو يتابع السطور تلو السطور ، فلا تكفّ عنه إلا وقد منحته الجواب .. الجواب الذي يستحسن أن يظلّ بيد الفنان ، يختار اللّحظة المناسبة لتقديمه .. لا أن يمتلّكه القارئ منذ اللّحظات الأولى فإذا ماجاء لم يهتزّ له و لم يفرح به"[٣] .

ويؤكّد أنّ مفلحًا قد استطاع في عدد من مشاركاته القصصية بناء مواقف الأبطال على العقد الصعبة ، ومنح هذا العدد طعما خاصّا لذيذا[٤] .

في قصّة (ماجن الليل) يرى (عماد الدين) أن القاصّ اعتمد الحوار الداخلي[٥] (المنلوج الداخليّ) خاصّة في المقاطع الأخيرة من القصّة .

لكنّه يستدرك عليه شيئا من (المباشرة) يرتطم بها القارئ في المقاطع الأخيرة من هذه القصّة ، وهي "المباشرة التي تضعف في العمل الفنيّ تدفّقه الذاتيّ وتخلفه الحرّ ، والتي تكاد تختفي في عدد من قصصه الأخرى"[٦] .

فالصورة لديه في هذا الجزء الأخير ، تبعد "فتغيب عن العيان المباشر لكي تومض من بعيد فتمنحنا نفسها بلغة الفن التي تشفّ عمّا وراءها دون أن تكشف

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) يرى بعض النقاد أهمية إيجاد هذه العقدة ، حتى على مستوى الأشكال الأدبية الأخرى ، ومن هؤلاء د. ميّ يوسف خليف ، حيث قدّمت دراسة لعناصر القصة عبر نتاج شعراء الجاهلية ، ومن ذلك العقدة أو (الذروة) في طريقة رصد حركة الأبطال ، وتقريب ذلك من الحسّ الدرامي في الأعمال الروائية والمسرحية .
انظر : العناصر القصصية في الشعر الجاهلي ، د. ميّ يوسف خليفة (ص٩،١٧٣-٢٠٥) .

(٣) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢٦٨) .

(٤) المرجع نفسه (ص٢٦٨-٢٦٩) .

(٥) ويسميه بعضهم (الحوار الأحادي) . انظر : دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، د. سليمان الطراونة (ص١٨٢) .

(٦) محاولات جديدة في النقد الإسلامي ، د. عماد الدين خليل (ص٢٧٠) .

عنه النقاب ، فتزيده حضورا وجدانيا وقدرة تأثيريّة هما ـ في نهاية التحليل ـ قاعدة كلّ فنّ"[١] .

ومنْ نَصَفِ (عماد الدين) موازنته في نقده ، وفيما سبق إشارات لذلك ، في الحديث عن التوافق والتنافر ، ولكنه يختم ذلك بتأصيل جميل ، يقول فيه ــ حول هذه المباشرة ـ :

"ومَنْ منّا لم يتأرجح بين المباشر وغير المباشر في معطياته الفنيّة؟ مَنْ يجرؤ على هذا الادّعاء؟ أكثر من هذا .. إن كبار الأدباء والفنّانين (الملتزمين) في العالم لم ينجوا بجلدهم من مأساة هذا التأرجح .. إنها في الحقيقة مأساة الإنسان ونسيجه .. فما دام الإنسان فكرا وروحا .. جسدا وعاطفة .. عقلا ووجدانا ، فإنه سيظلّ نهبا لهذه الحركة ذات اليمين وذات الشمال"[٢] .

وقوّة الدين وعبقريته تكمن في هذا التوازن الذي يوحّد هذه الأقطاب وهو مايرجوه متحقّقا في عالم خاصّ كعالم الأدب والفنّ .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٧٩) .

(٢) المرجع نفسه (ص٢٨٠) .

الخاتمة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على رسوله المجتبى ، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى .

أما بعد :

فالشكر لله أولا وآخرا على مامنّ ويسّر ، وأعان وتفضّل .

ثم إنني أجمل مابسطَتْه فصول هذه الرسالة ومباحثها في النقاط الآتية :

أولا : استفتحت الحديث بمقدّمة ذكرت فيها حمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، ثم أهمية هذا البحث وأسباب اختياره ، كما أشّرت على الدراسات السابقة واختلاف وجهة البحث فيها .

ثم أجملت المصاعب التي واجهتها خلال مسيرتي هذه ، وطريقة تقسيم البحث بابا وفصلا ومبحثا .

ثم كان منهج الدراسة وطريقة الأداء فيها .

ثم ختمت المقدّمة بشكر وثناء .

ثانيا : وقف "التمهيد" على أهمية دراسة الشخوص الأدبية ، وطريقة النقّاد في ذلك مع بيان ندرته وقلّته ، ونماذج منه تبيّن ذلك ، مع ملاحظة صعوبته ودقّته ، وملحوظات النقّاد حول مايتعلّق بنرجسيته ، كما أشرنا إلى طريقة الأداء فيه .

ثالثا : كان الباب الأول "الشخصية مؤثرات ومعالم" وفيه فصلان ، أولهما عن المؤثرات من خلال مظانّها ومصادرها .. كالحياة وحركتها ومواقفها ، والوثائق والكتابات ، بالإشارة إلى ماكتبه ؛ مما نفيد منه تلمّس هذه المؤثرات .

ثم أشرنا إلى الحوار الذي أجريناه مع الدكتور عماد الدين خليل في الأردن (شعبان عام ١٤١٨هـ) وأثره في وضع النقاط على الحروف ، كما أشرنا إلى مصادر أخرى .

ثم فصّلنا الحديث في هذه المؤثّرات من التشكّل الاجتماعي وآثاره من خلال المنزل .. الأب .. الأم .. العائلة .. الأبناء ، وهكذا .

ثم تناولنا جرعات القراءة وأهميتها في حياته ، وعشقه الشديد لها ؛ مّما جعله يعدّها زادا لاينضب ، ومعينا لايُفَارَق .

ثم ذكرنا أثر التشكّل النفسي وحساسيته تجاه العالم والأشياء مما يكشف له الستر ، وينير له دروب الإبداع .

ثم كان الحديث عن آثار معلّمية فيه ، والآخرين من زملاء وكتّاب كبار أناروا طريقه ومهّدوا له .

ثم عشقه للموصل ، بلده الحبيب الذي لايفارقه ، وماكان في الحياة من مواقف أثّرت فيه تأثيرا بالغا ، وحفزته لتقديم المزيد من العطاء ، ثم هموم الأمة وآمالها وآلامها .

وأَبنّا كذلك آثار المرجعية التأصيلية ، وندائه بالمنهجية وأهمية الترتيب ، وكره العبث وملاحظة كيفية الاستمداد من المراجع والثوابت فيما ارتضاه منهجا له.

أما الفصل الثاني ففيه تقديم لوحة عامة فيها ذكر صفحات عن حياته ونسبه وتعليمه ودرجاته العلمية ومشاركاته ، ومؤلّفاته في التاريخ والفكر والإبداع والنقد بدراساته التطبيقية ، ثم الحديث عن صفاته الظاهرة في حياته ومسيرته العلمية من الإنصاف والحركة وحبّ الجديد والنظرة الجماعية والبعد عن المهاترات ، وبعد النظر وقيمة الحياة في نفسه وأثر موازنته فيها ، ثم أشرت إلى معالمه في مرآة الآخرين.

ثم كان الباب الثاني وفيه رؤاه النقدية المتميّزة حول قضايا مطروحة في الساحة الأدبية والنقدية وهي :

(١) الأدب الإسلامي ، مصطلحا وحقيقة ، وتميّزا ونظرات .

(٢) الالتزام وسماته في الأدب الإسلامي .

(٣) الحداثة وحقيقتها والفروق بينها وبين التحديث .

(٤) المذاهب الأدبية وكيفية التوازن بين الأخذ والترك .

ثم كان الفصل الثاني منه تطبيقا لهذه الرؤى من خلال النصوص التي أشّر عليها عماد الدين في الرواية والمسرح والشعر والقصة ، وألحقت ذلك بخاتمة وذكر للمراجع والفهارس .

وماكان من توفيق فمن الله ، هو نعم المولى ونعم النصير .

والحمد لله أولا وآخرا .

فهرس المراجع

* **القرآن الكريم**

(١) **ابن تيمية وإسلامية المعرفة** ، طه جابر العلواني ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، السعودية ، الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

(٢) **ابن الرومي ملامح وأبعاد** ، د. علي شلق ، الشركة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٣) **ابن شهيد الأندلسي أديبا وناقدا** ، محمد سعيد محمد ، منشورات جامعة سبها ، ليبيا ١٩٨٨م .

(٤) **ابن طباطبا الناقد** ، د. محمد عبد الرحمن الربيع ، إصدار النادي الأدبي بالرياض ، السعودية ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٥) **أبو تمام الطائي : حياته وحياة شعره** ، د. نجيب البهبيتي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، بدون ذكر الطبعة .

(٦) **أبو حنيفة الدينوري ومدرسته في الأدب والنقد** ، د.السيد تقي الدين السيد ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٧) **أبو الفرج الأصبهاني** ، شفيق جبري ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٨) **اتجاهات الأدب العربي** ، محمود تيمور ، كتبة الآداب ومطبعتها ، مصر ، ١٩٧٠م ، بدون ذكر الطبعة .

(٩) **الاتجاهات الأدبية الحديثة** ، ر.م.ألبيريس ، ترجمة جورج طرابيشي ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٨٣م .

(١٠) **الاتجاهات الأساسية للشعر الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة** ، د.نزار أباظة ، دار الفكر ، سورية ، دمشق ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(١١) **الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث** ، إبراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد ، الجامعة الأردنية ، الأردن ١٩٩٤م .

(١٢) **اتجاهات الرواية العربية** ، د. شفيع السيد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ١٩٩٦م .

(١٣) **اتجاهات الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية** ، د. عبد الله الحامد العلي الحامد ، مؤسسة الجزيرة للصحافة والنشر ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١٤) **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر** ، محمد محمد حسين ، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، السعودية ، التاسعة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(١٥) **أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي** ، د. يوسف عزّ الدين ، دار الصافي ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(١٦) **أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية** ، محمد عادل الهاشمي ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(١٧) **أثر الإسلام في شعر الفرزدق** ، د. مصطفى عبد الواحد ، دار الإصلاح ، الدمام ، السعودية ، الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(١٨) **أثر التراث العربي القديم في الشعر العربي المعاصر** ، د. ربيع محمد علي عبد الخالق ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، ١٩٨٩م ، بدون ذكر الطبعة .

(١٩) **أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم** ، تسعديت آيت حمودي ، دار الحداثة ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

(٢٠) **أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية** ، د. محبة حاج معتوق ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٤م .

(٢١) **أثر الصحراء في الشعر الجاهلي** ، د. سعدي ضناوي ، دار الفكر اللبناني بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٣م .

(٢٢) **أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي** ، مصطفى عبده ، دار الإشراق ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٢٣) **أثر القرآن الكريم والحديث في شعر أبي العتاهية** ، محمد بن علي الهرفي ، دار الإصلاح ، الدمام ، السعودية ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨١م .

(٢٤) **أجيال ضد الماركسية** ، علاء الدين وحيد ، دار الأصالة ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٢٥) **أحاديث في الأدب** ، رشيد الزواوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٦) **أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة** ، د.محمد الهادي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ١٩٨٩م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٧) **الأدب الإسلامي أصوله وسماته** ، محمد حسن بريغش ، الرسالة ، بيروت لبنان ، الثالثة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٢٨) **الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته** ، د. عدنان علي رضا النحوي ، دار النحوي ، الرياض ، السعودية ، الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

(٢٩) **الأدب الإسلامي الصوفي حتى نهاية القرن الرابع الهجري** ، د. علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

(٣٠) **الأدب الإسلامي المفهوم والقضية** ، د. علي علي صبح ، د. عبد العزيز شرف ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٣١) **الأدب الإسلامي ضرورة** ، د. أحمد محمد علي ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .

(٣٢) **الأدب الإسلامي عبر العصور** ، أ.د. محمد بن سعد بن حسين ، دار عبد العزيز آل حسين ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٢هـ .

(٣٣) **الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية** ، جراهام بيلي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٨م .

(٣٤) **الأدب الإسلامي قضية وبناء** ، د. سعد أبو الرضا ، عالم المعرفة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٣٥) **الأدب الإسلامي وصلته بالحياة** ، محمد الرابع الحسني الندوي ، دار الصحوة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٣٦) **الأدب الإيطالي** ، بول أريغي ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨٨م .

(٣٧) **أدب البحر** ، أحمد محمد عطية ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨١م .

(٣٨) **أدب الدنيا والدين** ، الماوردي ، دار الريان للتراث ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٣٩) **أدب الصحوة الإسلامية** ، واضح رشيد الحسني الندوي ، دار الصحوة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٤٠) **الأدب العربي الحديث** ، د. محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

(٤١) **الأدب العربي الحديث** ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٤٢) **الأدب العربي بين الحداثة والمعاصرة** ، د. علي أحمد محمد أحمد العريني ، مكتبة الخريجي ، الرياض ، السعودية ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٤٣) **الأدب العربي في المملكة العربية السعودية** ، د. يحي محمود ساعاتي .

(٤٤) **الأدب العربي في المهجر** ، د. حسن جاد حسن ، دار قطري بن الفجاءة ، قطر ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، بدون ذكر الطبعة .

(٤٥) **أدب الكاتب** ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون ذكر الدار والطبعة والتاريخ .

(٤٦) **الأدب المقارن** ، د. محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٦٢م .

(٤٧) **الأدب اليوناني** ، فرنان روبير ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨٣م .

(٤٨) **أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب** ، د. السيد أحمد فرج ، دار الوفاء ، المنصورة ، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٤٩) **الأدب والأنواع الأدبية** ، نخبة من الأساتذة ، ترجمة طاهر حجار ، طلاس للدراسات والترجمة ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٩٨٥م .

(٥٠) **الأدب وفنونه . دراسة ونقد** ، د. عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٥١) **الأدب وفنونه** ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٦٦م بدون ذكر الطبعة .

(٥٢) **أديب** ، د. طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، السابعة ١٩٧١م.

(٥٣) **أديسون** ، محمد كامل حسن المحامي ، المكتب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦م ، بدون ذكر الطبعة .

(٥٤) **آراء في الفكر والفن** ، عبد الوهاب علي المؤيّد .

(٥٥) **أزمة البلقان في الشعر** ، د. عبد الله بن إبراهيم الزهراني ، دار التربية والتراث ، مكة ، السعودية ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(٥٦) **أساطير اليونان** ، د. عماد حاتم ، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٩٤م .

(٥٧) **الأسس الفنية للإبداع الأدبي** ، د. عبد العزيز شرف ، دار الجيل ، بيروت الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(٥٨) **الأسطورة** ، ك.ك.راثفين ، ترجمة جعفر صادق الخليلي ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨١م .

(٥٩) **أسلوب جديد في حرب الإسلام** ، جمعان بن عايض الزهراني ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، السعودية ، الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٦٠) **إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء** ، د. مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٦١) **الإسلام والشعر** ، د. إخلاص فخري عمارة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٢م .

(٦٢) **الإسلام والمستقبل** ، د. محمد عمارة ، دار الرشاد ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(٦٣) **الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي** ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(٦٤) **الإسلام والوعي الحضاري** ، د. أكرم ضياء العمري ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٦٥) **الإسلام وحركة الحياة** ، د. نجيب الكيلاني ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

(٦٦) **الإسلام وقضايا الفن المعاصر** ، د. ياسين محمد حسن ، دار الألباب ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٦٧) **إسلاميات أحمد شوقي** ، د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ، مكتبة مدبولي القاهرة ، مصر ، الأولى ١٩٨٧م .

(٦٨) **الإسلامية والقوى المضادة** ، د. نجيب الكيلاني ، الرسالة ، بيروت ، لبنان الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٦٩) **الإسلامية والمذاهب الأدبية** ، د. نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٧٠) **أشتات مجتمعات في اللغة والأدب** ، عباس محمود العقاد ، نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٥م .

(٧١) **الاشتراكية والفن** ، ارنست فيشر ، ترجمة أسعد سليم ، بدون .

(٧٢) **إشكالية الأصالة وأخلاقيات المجتمع العربي في الفكر المعاصر** ، فتحي بن الطيب خماسي ، دار قتيبة ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

(٧٣) **أشهر المذاهب المسرحية** ، دريني خشبة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٧٤) **الأصالة الأدبية** ، مصطفى السحرتي ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٧٥) **أصول الحوار** ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، وحدة الدراسات والبحوث ، الرياض ، السعودية ، الثانية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٧٦) **أصول النقد الأدبي** ، د. أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، الثامنة ١٩٧٣م .

(٧٧) **إضاءة النص** ، اعتدال عثمان ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨٨م .

(٧٨) **أطروحات جمالية** ، محمد الجندي ، مكتب الخدمات الطباعية ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٧٩) **أطياف الحداثة** ، محمد جمال باروت ، دار الصداقة ، حلب ، سورية ، الأولى ١٩٩٦م .

(٨٠) **الإعصار والمئذنة** ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٨١) **إعلان** ، صادر عن مكتب التربية بدول الخليج ، وأُقرّ في مؤتمر الدوحة ٣/٦/١٤٠٥هـ .

(٨٢) **الأعلام** ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الثالثة عشرة ، ١٩٩٨م .

(٨٣) **الإعلام والتغريب الثقافي** ، د. عبد القادر طاش ، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

(٨٤) **أغان وأشعار .. طاغور** ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

(٨٥) **آفاق الأدب الإسلامي** ، د. نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٨٦) **أفراح الروح** ، سيد قطب ، دار ابن القيم ، الدمام ، السعودية ، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٨٧) **الالتزام الإسلامي في الشعر** ، د. ناصر عبد الرحمن الخنين ، دار الأصالة ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٨٨) **الالتزام في الشعر العربي** ، د. أحمد أبو حاقة ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، الأولى ١٩٨٩م .

(٨٩) **الإمام الغزالي بين مادحيه وقادحيه** ، د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٩٠) **أمة اقرأ .. لاتقرأ** ، حسن آل حمادة ، دار الراوي للنشر والتوزيع ، الدمام السعودية ، الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٩١) **الأمثال العربية ، دراسة تاريخية تحليلية** ، د. عبد المجيد قطامش ، دار الفكر دمشق ، سورية ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٩٢) **أنا والشعر** ، د. شفيق جبري ، الشركة المتحدة للتوزيع ، دمشق ، سوريا الثانية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٩٣) **أناشيد الدعوة الإسلامية** ، اختيار حسني جرّار وأحمد الجدع ، دار الضياء عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

(٩٤) **الانتماء الثقافي** ، د. محمد عمارة ، نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٧م .

(٩٥) **أنثروبولوجيا الحداثة العربية** ، د. محمد حسين دكروب ، إصدار الهيئة القومية للبحث العلمي ، طرابلس ، ليبيا ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٢م .

(٩٦) **الإنسان بين المادية والإسلام** ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان الثامنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٩٧) **الإنسان في الأدب الإسلامي** ، د. محمد عادل الهاشمي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، السعودية ، ١٤٠٦هـ ، بدون ذكر الطبعة .

(٩٨) **إنها الصحوة** ، ديوان شعر ، محمود مفلح ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الثانية ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

(٩٩) **الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس** ، د. شفيق البقاعي ، مؤسسة عز الدين بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١٠٠) **الأيام** ، د. طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الخامسة والستون ١٩٩٢م .

(١٠١) **الإيجابية في حياة الداعية** ، د. عبد الله يوسف الحسن ، دار المنطلق ، دبي الإمارات العربية المتحدة ، الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

(١٠٢) **البحث الأدبي (طبيعته ، مناهجه ، أصوله ، مصادره)** ، د. شوقي ضيف دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٧٦م .

(١٠٣) **بحوث في الرواية الجديدة** ، ميشال بوتور ، ترجمة فريد أنطونيوس ، دار عويدات ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٨٦م .

(١٠٤) **بحوث في النص الأدبي** ، د. محمد الهادي الطرابلسي ، الدار العربية للكتاب طرابلس ، ليبيا ، ١٩٨٨م ، بدون ذكر الطبعة .

(١٠٥) **بحوث كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى** ، العدد الرابع ، إصدار جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(١٠٦) **بحوث ودراسات أدبية** ، د. سيد حامد النساج ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٨٧م .

(١٠٧) **البدائع والطرائف** ، جبران خليل جبران ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٧م .

(١٠٨) **البطل المعاصر في الرواية المصرية** ، د. أحمد إبراهيم الهواري ، دار المعارف القاهرة ، مصر ١٩٧٩م .

(١٠٩) **بغداد مشاهدات وذكريات** ، علي الطنطاوي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(١١٠) **بلاغة أرسطو بين العرب واليونان** ، د. إبراهيم سلامة ، بدون .

(١١١) **بلاغة الخطاب وعلم النص** ، د. صلاح فضل ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، بدون ذكر الطبعة .

(١١٢) **بناء الرواية** ، د. سيزا أحمد قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ١٩٨٤م ، بدون ذكر الطبعة .

(١١٣) **بناء شخصية الطفل المسلم** ، محمد عثمان جمال ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

(١١٤) **البنيوية** ، جان بياجيه ، ترجمة عارف منيمنة ، بشير أوبري ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ١٩٨٥م .

(١١٥) **بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين** ، سليم بن عيد الهلالي ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية ، الثالثة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(١١٦) **البيئة والإنسان عبر العصور** ، إيان ج.سيمونز ، ترجمة السيد محمد عثمان المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(١١٧) **بين الأدب والسياسة** ، د. تاج السر الحسن ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

(١١٨) **بين الأدب والنقد** ، د.محمد رجب البيومي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(١١٩) **بين الأصالة والتغريب** ، د. حسين سعد ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(١٢٠) **التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة** ، د. عبد الرحيم محمود زلط ، دار اللواء ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(١٢١) **تاريخ الأدب العربي** ، أحمد حسن الزيات ، الرابعة والعشرون ، بدون ذكر الدار والتاريخ .

(١٢٢) **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** ، د. إحسان عباس ، دار الشروق ، عمان الأردن ، الأولى ١٩٩٣م .

(١٢٣) **تجديد الفكر الإلامي** ، جمال سلطان ، دار الوطن ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٢هـ .

(١٢٤) **تجديد ذكرى أبي العلاء** ، د. طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، السابعة ١٩٦٨م .

(١٢٥) **تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية** ، د. نجيب الكيلاني ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(١٢٦) **تجربتي مع النقد الإسلامي المعاصر** ، د. عماد الدين خليل ، محاضرة له ألقيت في ١٤١٠/٨/٢٣هـ في نادي المدينة النبوية الأدبي ، دار العلم بجدة ، الأولى ١٤١٦هـ .

(١٢٧) **التحليل النفسي والأدب** ، جان بلامان نويل ، تعريب د. عبد الوهاب ترودار منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٦م .

(١٢٨) **تحليل للتاريخ الإسلامي** ، د. عماد الدين خليل ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(١٢٩) **تذوق الأدب** ، د. محمود ذهني ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٩م .

(١٣٠) **تذوق النص الأدبي** ، د. رجاء عيد ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(١٣١) **التراث .. واجبنا نحوه** ، د. كامل سعفان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٣م .

(١٣٢) **تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة** ، كريستي أرنولد بريغس ، ترجمة د. زكي محمد حسن ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، سورية ، الأولى ١٩٨٤م .

(١٣٣) **التراث في شعر رواد الشعر الحديث** ، د. أحمد عرفات الضناوي ، مخطوط رسالة دكتوراه في الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، تحت إشراف أ.د.محمود السمرة ، عمان ، الأردن ١٩٩٣م .

(١٣٤) **التراث والحداثة** ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩١م .

(١٣٥) **التراث والمعاصرة** ، د. أكرم ضياء العمري ، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، الثانية ١٤٠٦هـ .

(١٣٦) **التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة)** ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٧م .

(١٣٧) **تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس** ، د. محمد السيد الزعبلاوي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(١٣٨) **الترجمة إلى العربية .. قضايا وآراء** ، د. بشير العيسوي ، دار الفكر العربي القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(١٣٩) **التصوير البياني** ، د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(١٤٠) **تطور النشر الجزائري الحديث** ، د. عبد الله ركيبي ، بدون .

(١٤١) **تعريف برابطة الأدب الإسلامي العالمية** ، د. سعد أبو الرضا ، صادرة عن رابطة الأدب الإسلامي ، لكنو ، الهند ، الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

(١٤٢) **التفسير الإسلامي للتاريخ** ، د. عماد الدين خليل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الخامسة ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

(١٤٣) **تفسير القرآن العظيم** ، الحافظ ابن كثير الدمشقي ، دار الحديث ، القاهرة مصر ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(١٤٤) **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** ، الإمام عبد الله بن أحمد النسفي ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(١٤٥) **التفسير النفسي للأدب** ، د. عز الدين إسماعيل ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، الرابعة ١٩٧٧م .

(١٤٦) **التفكير النقدي عند العرب** ، د. عيسى علي العاكوب ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(١٤٧) **التفكيكية النظرية والتطبيق** ، كريستوفر نورس ، ترجمة رعد عبد الجليل جواد ، دار الحوار ، اللاذقية ، سورية ، الثانية ١٩٩٦م .

(١٤٨) **تقنيات الرواية في النقد العربي المعاصر** ، د. أحمد الحسن ، رسالة دكتواره مخطوطة ، جامعة حلب ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(١٤٩) **تقنيات السرد في النظرية والتطبيق** ، آمنة يوسف ، دار الحوار ، اللاذقية ، سوريا ، الأولى ١٩٩٧م .

(١٥٠) **تقنية المسرح** ، فيليب فان تيغيم ، ترجمة بهيج شعبان ، دار عويدات ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ، ١٩٨٥م .

(١٥١) **التكريم الإلهي للإنسان** ، د. محمد الزحيلي ، دار القلم ، دمشق ، سورية الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

(١٥٢) **تكوين الخطاب النفسي في النقد العربي القديم** ، د. حسن البنداري ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، مصر ١٩٩٢م ، بدون ذكر الطبعة .

(١٥٣) **تلبيس مردود في قضايا حية** ، د. صالح بن عبد الله بن حميد ، مكتبة المنارة مكة المكرمة ، السعودية ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(١٥٤) **التمثيل والتمثيلية وفن التمثيل** ، زكي طليمات ، مطبعة حكومة الكويت الكويت ، بدون تاريخ وطبعة .

(١٥٥) **تنمية القوى الذاتية** ، سمير البعلبكي ، دار الأصدقاء ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(١٥٦) **تهافت العلمانية** ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، السابعة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

(١٥٧) **التوازن في التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة** ، د. محمد رأفت سعيد ، دار الهداية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(١٥٨) **التيارات المعاصرة في النقد الأدبي** ، د. بدوي طبانة ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، بدون ذكر الطبعة .

(١٥٩) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، التاسعة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(١٦٠) **الثقافة الأدبية للطالب** ، د. علي جواد الطاهر ، دار الرائد العربي ، بيروت الثانية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(١٦١) **جبران خليل جبران** ، د. فوزي عطوي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان الأولى ١٩٨٩م .

(١٦٢) **جداول الحب واليقين** ، د. عماد الدين خليل (ديوان شعر) ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(١٦٣) **جدلية العقل الأدبي** ، أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، دار ابن حزم ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٥هـ .

(١٦٤) **جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث** ، جمال سلطان ، مركز الدراسات الإسلامية ، برمنجهام ، بريطانيا ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(١٦٥) **جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر** ، يحيى زكريا الأغا ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(١٦٦) **جماليات المكان** ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(١٦٧) **جمهرة الأمثال** ، أبو هلال العسكري ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٨م .

(١٦٨) **جهادنا الثقافي .. مواقف .. وإشارات** ، جمال سلطان ، مركز الدراسات الإسلامية ، برمنجهام ، بريطانيا ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(١٦٩) **جوانيات الرموز المستعارة لكبار "أولاد حارتنا"** ، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(١٧٠) **الجواهري في العيون من أشعاره** ، أ. محمد مهدي الجواهري ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، سوريا ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(١٧١) **جوزف هل** ، دراسة الدكتور طه أحمد إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(١٧٢) **جولة مع ضياء الدين ابن الأثير** ، أحمد محمد عنبر ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٥٤م ، بدون ذكر الطبعة .

(١٧٣) **الحداثة .. أزمة الخطاب الأدبي المعاصر** ، د. حلمي بدير ، مؤسسة مصر القاهرة ، مصر ، الأولى ١٩٩٠م .

(١٧٤) **الحداثة .. مناقشة هادئة لقضايا ساخنة** ، د. محمد خضر عريف ، دار القبلة جدة ، السعودية ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(١٧٥) **الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد** ، د. خليل أبو جهجة دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٥م .

(١٧٦) **الحداثة في الشعر العربي المعاصر حقيقتها وقضاياها** ، د. وليد قصاب ، دار القلم ، دبي ، الإمارات ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(١٧٧) **الحداثة في الشعر المعاصر** ، محمد القدوسي ، بيت الحكمة ، القاهرة ، مصر بدون ذكر والتاريخ .

(١٧٨) **الحداثة في ميزان الإسلام** ، عوض بن محمد القرني ، هجر للطباعة والنشر الجيزة ، مصر ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(١٧٩) **حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق** ، د. عبد الحكيم بلبع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، بدون ذكر الطبعة ، ١٩٨٠م .

(١٨٠) **حركة الشعر بين الفلسفة والتأريخ** ، د. عبد الله التطاوي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ١٩٩٢م ، بدون ذكر الطبعة .

(١٨١) **حركة نقد القصة القصيرة في العراق (١٩٦٨-١٩٨٠م** ، حمزة فضال يوسف ، رسالة ماجستير مخطوطة ، كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ، ربيع الأول ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

(١٨٢) **حركة نقد القصة القصيرة في العراق (١٩٦٨-١٩٨٠م)** ، حمزة فاضل يوسف ، جامعة صلاح الدين ، العراق ١٩٨٨م .

(١٨٣) **حصاد الغرور** ، محمد الغزالي ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(١٨٤) **الحضور .. مقالات في الأدب والحياة** ، أزراج عمر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، الجزائر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٣م .

(١٨٥) **حفريات في الذاكرة من بعيد** ، د. محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٧م .

(١٨٦) **الحق الطبيعي وقوانينه** ، أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، دار ابن حزم الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٦هـ .

(١٨٧) **الحكمة في شعر المتنبي** ، د. حسن علي قرعاوي ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(١٨٨) **حوار في المعمار الكوني** ، د. عماد الدين خليل ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(١٨٩) **حول استراتيجية الأدب الإسلامي** ، د. عماد الدين خليل ، قيد النشر .
(١٩٠) **حول التفسير الإسلامي للتاريخ** ، محمد قطب ، المجموعة الإعلامية ، جدة السعودية ، الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
(١٩١) **حول تشكيل العقل المسلم** ، د. عماد الدين خليل ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية ، الخامسة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
(١٩٢) **حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر : وقف لمراجعة الحساب** ، د. عماد الدين خليل ، ورقة عمل قدمها في مؤتمر بماليزاي نهاية شهر رجب عام ١٤١٨هـ .
(١٩٣) **حول القصة الإسلامية** ، د. نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
(١٩٤) **حيرة النص المسرحي بين الترجمة والاقتباس والإعداد والتأليف** ، د.أبوالحسن سلام ، النرجس للطباعة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية الثانية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
(١٩٥) **خالد الفرج حياته وآثاره** ، خالد سعود الزيد ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، الكويت ، الثانية ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
(١٩٦) **الخرافة والأسطورة في الرواية العربية المعاصرة** ، د. عبد البديع عبد الله ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
(١٩٧) **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية** ، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
(١٩٨) **الخصائص العامة للإسلام** ، د. يوسف القرضاوي ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، التاسعة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .
(١٩٩) **خصائص القصة الإسلامية** ، د. مأمون فريز جرار ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
(٢٠٠) **خطوات في الهجرة والحركة** ، د. عماد الدين خليل ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
(٢٠١) **خفايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر** ، د. عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ١٩٨٠م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٠٢) **الخيال الرمزي** ، ج.روبرت بارت ، ترجمة عيسى علي العاكوب ، الهيئة القومية للبحث العلمي ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٩٢م ، بدون ذكر الطبعة .
(٢٠٣) **الدافعية دراسة نقدية مع نموذج مقترح** ، د. محمد رفقي عيسى ، دار القلم الكويت ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
(٢٠٤) **دراسات تاريخية** ، د. عماد الدين خليل ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
(٢٠٥) **دراسات تطبيقية حول التفسير الإعلامي الحديث** ، د. عبد العزيز شرف ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .
(٢٠٦) **دراسات عربية وإسلامية** ، إعداد أيمن فؤاد سيد وآخرون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، مصر ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، بدون ذكر الطبعة .
(٢٠٧) **دراسات في أدب الدعوة الإسلامية** ، د. محمود حسن زيني ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٢م .
(٢٠٨) **دراسات في الأدب العربي والتاريخ** ، محمد عبد الغني حسن ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
(٢٠٩) **دراسات في الأدب المسرحي** ، د. سمير سرحان ، مكتبة غريب ، القاهرة مصر ، ١٩٧٧م ، بدون ذكر الطبعة .
(٢١٠) **دراسات في الرواية الإنجليزية** ، د. انجيل بطرس سمعان ، بدون .
(٢١١) **دراسات في الرواية العربية** ، د. أنجيل بطرس سمعان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م ، بدون ذكر الطبعة .
(٢١٢) **دراسات في الشعر العربي** ، د. محمد مصطفى هدارة ، دار المعرفة الجامعية مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٢م .
(٢١٣) **دراسات في الشعر العربي** ، عبد الرحمن شكري ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
(٢١٤) **دراسات في الغزو الفكري والتبعية الفكرية** ، د. أمير عبد العزيز ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٤م .
(٢١٥) **دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة** ، محمد حسن بريغش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٢١٦) **دراسات في المسرح والأدب** ، د. هدى حبيشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٦م .

(٢١٧) **دراسات في النقد الأدبي** ، د. وليد قصاب ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢١٨) **دراسات في النقد الأدبي والبلاغة** ، د. عبد العزيز قلقيلة ، دار العلوم ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤٠٠هـ١٩٨٠م .

(٢١٩) **دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن** ، د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م ، بدون طبعة .

(٢٢٠) **دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر** ، د. عز الدين منصور ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٢٢١) **دراسة المضمون الروائي في أولاد حارتنا** ، عبد الله بن محمد بن ناصر المهنا دار عالم الكتب ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(٢٢٢) **دراسة في السيرة** ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الثانية عشرة ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

(٢٢٣) **دراسة في شعر نازك الملائكة** ، د. محمد عبد المنعم خاطر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٢٤) **دراسة في نظرية الدراما الإغريقية** ، محمد حمدي إبراهيم ، دار الثقافة ، القاهرة ، مصر ١٩٧٧م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٢٥) **دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية** ، د. سليمان الطراونة ، الأولى ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، بدون ذكر الدار .

(٢٢٦) **الدراما ومذهب الأدب** ، د. فايز ترحيني ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٢٢٧) **دريوان المبشرات والقدسيات** ، عبد المنعم الجلياني ، جمع وتحقيق ودراسة د. عبد الجليل حسن عبد المهدي ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

(٢٢٨) **دفاعا عن الأدب** ، كلود روى ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات بيروت ، باريس ، الأولى ١٩٨٣م .

(٢٢٩) **دلالات التراكيب** ، د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٢٣٠) **دليل الناقد الأدبي** ، د. نبيل راغب ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٢٣١) **دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث** ، د. عبد الباسط بدر ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(٢٣٢) **دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر** ، د. محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٢٣٣) **دوستويفسكي .. مقالات ومحاضرات** ، أندريه جيد ، ترجمة الياس حنا الياس ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨٨م .

(٢٣٤) **دينامية النص** ، د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٩٠م .

(٢٣٥) **ديوان جراح وأفراح** ، د. حسان حتحوت ، دار القلم ، الكويت ، الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٢٣٦) **ديوان (لزوم مالايلزم)** ، أبو العلاء المعري ، حرره وشرحه د. كمال اليازجي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٢٣٧) **ديوان أبي نواس** ، لأبي نواس (الحسن بن هانئ) ، حققه وشرحه وضبطه أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٢٣٨) **ديوان سيد قطب** ، سيد قطب ، جمع وتوثيق عبد الباقي محمد حسين ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

(٢٣٩) **ديوان شظايا حب وزعتر** ، زاهر محمد الجوهر ، دار الكتب للطباعة والنشر الموصل ، العراق ١٩٩٤م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٤٠) **ديوان المبشرات والقدسيات** ، عبد المنعم الجلياني ، جمع وتحقيق ودراسة د. عبد الجليل حسن عبد المهدي ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

(٢٤١) **ديوان محمود سامي البارودي باشا** ، البارودي ، ضبط وتصحيح علي الجارم ومحمد مغروف .

(٢٤٢) **ذكريات** ، الشيخ علي الطنطاوي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، ح(١) ، ج(٢) (الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ج(٥) (الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٩٢م) ج(٦) (الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) .

(٢٤٣) **ذكريات لامذكرات** ، ثروت أباظة ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٧م .

(٢٤٤) **ذكرياتي** ، رانبدرانات طاغور ، ترجمة صلاح صلاح ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات ، الأولى ١٩٩٥م .

(٢٤٥) **ذيل الأعـــلام** ، أحمد العلاونة ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية الأولى ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(٢٤٦) **رؤية إسلامية في قضايا معاصرة** ، د. عماد الدين خليل ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر (سلسلة كتاب الأمة) ، الأولى ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

(٢٤٧) **الرؤية الإسلامية** ، د. عماد الدين خليل ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٢٤٨) **الرؤية السياسية في الرواية الواقعية** ، د. حمدي حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٢٤٩) **الرؤية المعاصرة في الأدب والنقـــد** ، د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٣م .

(٢٥٠) **الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديـــد** ، د. مصطفى نعمان البدري ، بدون .

(٢٥١) **الرحلات** ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الرابعة ١٩٨٧م .

(٢٥٢) **رحلتي مع الأدب الإسلامي** ، د. نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٢٥٣) **رسائل الجاحظ** ، للجاحظ (جزء الرسائل السياسية ، والرسائل الأدبية ، والرسائل الكلامية) ، شرح د. علي أبو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٩٥م .

(٢٥٤) **رسالة الهناء** ، أبي العلاء المعري ، شرح وتحقيق كامل الكيلاني ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٢٥٥) **الرقابة على التراث** ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٢هـ .

(٢٥٦) **رمل وزبد** ، جبران خليل جبران ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٧م .

(٢٥٧) **الروائي والأرض** ، د. عبد المحسن طه بدر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر الثانية ١٩٧٩م .

(٢٥٨) **الرواية الإسلامية المعاصرة ــ دراسة تطبيقية** ، د. حلمي القاعود ، طباعة نادي جازان الأدبي ، السعودية ، الأولى ١٤١٩هـ .

(٢٥٩) **الرواية والقصة القصيرة في الإمارات** ، ثابت ملكاوي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات ، بدون تاريخ وطبعة .

(٢٦٠) **الرومانتيكية مالها وماعليها** ، روبرت جلكز ، جيرالد إنسكو ، ترجمة أحد حمدي محمود ، الهيئة المصرية للكتب ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٦م.

(٢٦١) **ريبورتاج .. حوار في الهموم الإسلامية** ، د. عماد الدين خليل ، مخطوط لما ينشر .

(٢٦٢) **الزمن في الأدب** ، هانز ميرهوف ، ترجمة د. أسعد رزوق ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٢م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٦٣) **الزيات ناقدا** ، علي عبد المطلب الهوني ، منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها ، ليبيا ، الأولى ١٩٩٤م .

(٢٦٤) **سلبيات يجب أن تختفي من حياة الإسلاميين** ، د. محمد علي الهاشمي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٢٦٥) **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٢٦٦) **سنن ابن ماجه** ، لابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون .

(٢٦٧) **سنن الترمذي** ، للإمام الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٨هـ .

(٢٦٨) **سيد قطب الأديب الناقد** ، د. عبد الله عوض الخباص ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢٦٩) **سيد قطب حياته وأدبه** ، عبد الباقي محمد حسين ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٢٧٠) **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد** ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار القلم ، دمشق ، الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٢٧١) **سيرة القارئ** ، نبيل سليمان ، دار الحوار ، اللاذقية ، سوريا ، الأولى ١٩٩٦م .

(٢٧٢) **سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب** ، يوسف ميخائيل أسعد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٦م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٧٣) **سينوغرافيا المسرح عبر العصور** ، د. كمال عيد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(٢٧٤) **شئ من التباريح سيرة ذاتية .. وهموم ثقافية** ، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ، بدون .

(٢٧٥) **شاعر الإسلام محمد عاكف** ، د. عبد السلام عبد العزيز فهمي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة ، السعودية ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٢٧٦) **شاعر الحب والوطن** ، عبدالعزيز النعماني ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة مصر ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(٢٧٧) **الشاعر القروي سيرة وعطاء** ، صالح الدسوقي ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٢٧٨) **الشاعر مؤرخا** ، د. عبد الله التطاوي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، مصر ١٩٩٦م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٧٩) **شبهات حول الإسلام** ، محمد قطب ، إصدار الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، السالمية ، الكويت ، الثالثة ١٩٨٥م .

(٢٨٠) **شخصيات إسلامية في الأدب والنقـــد** ، د. وليـد قصـاب ، دار الثقافـة الدوحة ، قطر ، الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(٢٨١) **الشخصية** ، ريتشـارد س.لازاروس ، ترجمـة د. سـيف محمـد غنيـم ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الرابعة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

(٢٨٢) **شرح ديوان المتنبي** ، عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٨٣) **شروح سقط الزند** ، مجموعة محققين بإشراف الدكتور طه حسـين ، الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٢٨٤) **الشعر الجاهلي** ، د. محمـد عبـد المنعـم خفـاجي ، دار الكتـاب اللبنـاني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٨٥) **شعر الطبيعة في الأدب العربي** ، د. سعيد نوفل ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٧٨م .

(٢٨٦) **شعر الطبيعة في الأدب المصري** ، عـوض علـي الغبـاري ، الهيئـة المصريـة العامة للكتاب ، ١٩٨٩م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٨٧) **الشعر العربي بين الجمود والتطويـــر** ، محمـد عبدالعزيـز الكفـراوي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، بدون ذكر التاريخ .

(٢٨٨) **الشعر في إطار العصر الثوري** ، د. عـز الديـن إسمـاعيل ، دار الحداثـة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٥م .

(٢٨٩) **الشعر وطقوس الحضارة ، دراسات في الشعر العربي الحديـــث** ، محيـي الديـن صبحـي ، دار الملتقـى للطباعـة والنشـر ، بـيروت ، لبنـان ، الأولى ١٩٩٦م .

(٢٩٠) **شعراء الدعوة في العصر الحديث** ، أحمد الجدع وحسني جرار ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(٢٩١) **شعرنا الحديث إلى أين** ، د. غالي شكري ، دار الشروق ، القاهرة ، مصـر الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .

(٢٩٢) **الشميســي** ، د. تركـي الحمـد ، دار السـاقي ، بـيروت ، لبنـان ، الأولى ١٩٩٧م .

(٢٩٣) **الشوقيات** ، أحمد شوقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر التاريخ والطبعة .

(٢٩٤) **شئ من التباريح** ، أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، دار ابن حزم ، الرياض ، الأولى ١٤١٥هـ .

(٢٩٥) **الشيخ الغزالي كما عرفته** ، د. يوسف القرضاوي ، دار الوفاء ، المنصورة مصر ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٢٩٦) **الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبية** ، د. محمد بن سعد بن حسين ، مطابع اليمامة ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٢٩٧) **شيللر حياته وأعماله** ، د. مصطفى ماهر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٧م ، بدون ذكر الطبعة .

(٢٩٨) **صحيح مسلم بشرح النووي** ، للإمام النووي ح(٢) ، دار الريان ، القاهرة مصر ، الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٢٩٩) **صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر** ، أنور الجندي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٩٧٩م .

(٣٠٠) **صور وخواطر** ، علي الطنطاوي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٣٠١) **الصورة الشعرية** ، د. ساسين عساف ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٣٠٢) **الصورة الشعرية** ، د. ساسين عساف ، دار مارون عبود ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٥م .

(٣٠٣) **صورة العربي في الأدب الإسرائيلي** ، وليد أبو بكر ، دار الكرمل ، عمان الأردن ، الأولى ١٩٩٦م .

(٣٠٤) **الصورة الفنية في الشعر الإلامي عند المرأة العربية في العصر الحديث** ، د.صالح بن عبد الله بن عبدً العزيز الخضيري ، مكتبة التوبة ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٣٠٥) **الصورة بين البلاغة والنقد** ، د. أحمد بسام ساعي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٣٠٦) **صيد القلم .. شذرات ونوادر** ، حمد إبراهيم الحقيل ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٣٨٩هـ .

(٣٠٧) **ضعيف سنن ابن ماجه** ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٨هـ .

(٣٠٨) **ضعيف سنن الترمذي** ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١١هـ .

(٣٠٩) **طاغور** ، محمد كامل المحامي ، المكتب العالمي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٦م .

(٣١٠) **طبقات الشعراء** ، محمد بن سلام الجمحي مع تمهيد ، بدون .

(٣١١) **طبقات فحول الشعراء** ، محمد بن سلام الجمحي ، شرح محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، بدون ذكر الطبعة .

(٣١٢) **الطبيعة في الشعر الجاهلي** ، د. نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٣١٣) **الطبيعة في الفن العربي والإسلامي** ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

(٣١٤) **الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية** ، أنور الجندي ، دار الصحوة ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٣١٥) **الطريق إلى نوبل ١٩٨٨م عبر حارة نجيب محفوظ** ، د. محمد يحيى ومعتز شكري ، الدار المصرية للنشر والتوزيع ، الأولى ، القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م

(٣١٦) **الطريق من هنا** ، محمد الغزالي ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٣١٧) **طلائع الفجر** ، د. نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، السابعة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

(٣١٨) **طه حسين أديبا وناقدا** ، د. يحيى شامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٥م .

(٣١٩) **طه حسين بصيرا** ، د. محمد صادق الكاشف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٣٢٠) **ظلام من الغرب** ، محمد الغزالي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٣٢١) **عباقرة الأدب** ، مصطفى غالب ، منشورات دار حمد ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٧٨م .

(٣٢٢) **عبد العزيز الرفاعي أديبا** ، د. محمد بن مريسي الحارثي ، صادر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣٣م .

(٣٢٣) **عبد العزيز الرفاعي أديبا** ، محمد بن مريسي الحارثي ، إصدار النادي الأدبي الثقافي بجدة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(٣٢٤) **عبد الله بن المعتز شاعرا** ، د. غصوب خميس غصوب ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٣٢٥) **عجز الثقات** ، محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

(٣٢٦) **عربي بين ثقافتين** ، د. زكي نجيب محفوظ ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٣٢٧) **العربية والغموض** ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، الأولى ١٩٨٨م .

(٣٢٨) **عصر العقاد** ، د. عبد العزيز شرف ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٣٢٩) **العقد الفريد** ، ابن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق أحمد أمين وغيره ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

(٣٣٠) **العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري** ، د. عبد الحليم عويس ، مكتبة الفلاح ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٣٣١) **علل وأدوية** ، محمد الغزالي ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، مصر ، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .

(٣٣٢) **العلم في مواجهة المادية** ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٣٣٣) **علم نفس النمو** ، د. حامد عبد السلام زهران ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، الرابعة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٣٣٤) **علماء ومفكرون عرفتهم** ، محمد المجذوب ، دار الشواف ، القاهرة ، مصر الرابعة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٣٣٥) **على الطريق .. لمحات وكلمات** ، د. محمد أديب الصالح ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة ١٩٦٨م .

(٣٣٦) **على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم** ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٧٩م .

(٣٣٧) **على الماشي** ، علي بن محمد العميد .

(٣٣٨) **على مائدة الأدب** ، عبد الله حمد الحقيل ، دار أبها ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٣٣٩) **علي أدهم بين الأدب والتاريخ** ، أحمد حسين الطماوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ١٩٩٠م .

(٣٤٠) **عماد الدين زنكي** ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٣٤١) **عمر أبو ريشة ، دراسة في شعره ومسرحياته** ، محمد إسماعيل دندي ، دار المعرفة ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٣٤٢) **عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى** ، د. عباس بيومي عجلان ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨١م .

(٣٤٣) **العناصر القصصية في الشعر الجاهلي** ، د. ميّ يوسف خليفة ، دار الثقافة القاهرة ، مصر ، ١٩٨٨م ، بدون ذكر الطبعة .

(٣٤٤) **الغارة على التراث الإسلامي** ، جمال سلطان ، مكتبة السنة ، القاهرة ، مصر الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٣٤٥) **غزو في الصميم** ، د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٣٤٦) **فتح الباري** ، الإمام ابن حجر العسقلاني ، ج(١) ، دار الريان ، القاهرة ، مصر ، الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

(٣٤٧) **فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب** ، أحمد الغماري ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٨هـ .

(٣٤٨) **فتنة السرد والنقد** ، نبيل سليمان ، دار الحوار ، اللاذقية ، سوريا ، الأولى ١٩٩٤م .

(٣٤٩) **فصل في النقد الأدبي وتاريخه** ، د. ضياء الصديقي ، د. عياش محجوب ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

(٣٥٠) **فصول في الأدب والثقافة** ، د.جعفر ماجد ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٨٤م .

(٣٥١) **فصول في التفكير الموضوعي** ، د. عبد الكريم بكار ، دار القلم ، دمشق سوريا ، الثانية ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

(٣٥٢) **فصول في تدريس الأدب والبلاغة والنقد** ، د. إبراهيم طه الجعلي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٣٥٣) **الفقيه الشاعر عبد الله بن علي آل عبد القادر** ، عبد الله الشباط ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، مكة ، السعودية ، الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

(٣٥٤) **الفكر الإسلامي بين الأصالة والتجديد** ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .

(٣٥٥) **الفكر الفرنسي المعاصر** ، إدوارد موروسير ، ترجمة عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٩م .

(٣٥٦) **الفكر المادي في ميزان الإسلام** ، د. صابر طعيمة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٣٥٧) **فكر ومباحث** ، علي الطنطاوي ، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٣٥٨) **فلسفة الالتزام في النقد الأدبي** ، د. رجاء عيد ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٨م .

(٣٥٩) **فلسفة ميخائيل نعيمة** ، د. محد شفيق شيا ، منشورات بحسون الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٨٧م .

(٣٦٠) **الفن الإسلامي التزام وابتداع** ، صالح أحمد الشامي ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٣٦١) **فن التمثيل** ، محمد ماهر فهيم ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٨٨م ، بدون طبعة .

(٣٦٢) **الفن الرمزي الكلاسيكي الرومانسي** ، هيغل ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٦م .

(٣٦٣) **فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور** ، د. السيد محمد ديب ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر ، الثانية ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

(٣٦٤) **فن السيرة** ، د. إحسان عباس ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الخامسة ١٩٨٨م .

(٣٦٥) **فن الشعر بين التراث والحداثة** ، عبد العزيز النعماني ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .

(٣٦٦) **الفن العربي الحديث بين الهوية والتبعية** ، عفيف البهنسي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(٣٦٧) **فن القصة في النظرية والتطبيق** ، د. نبيلة إبراهيم ، مكتبة غريب ، القاهرة مصر ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٣٦٨) **فن المسرح** ، أوديت أصلان ، ترجمة د. سامية أحمد أسعد ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ١٩٧٠م ، بدون ذكر الطبعة .

(٣٦٩) **فن المقالة** ، د. محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ، بدون ذكر التاريخ .

(٣٧٠) **الفن والعقيدة** ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

(٣٧١) **الفنان في عصر العلم** ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة فؤاد دوارة ، إصدار دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، بغداد ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

(٣٧٢) **الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة** ، د. أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٣٧٣) **فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر** ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

(٣٧٤) **في أصول الحوار** ، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، السعودية ، الثالثة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

(٣٧٥) **في الأدب الإسلامي** ، د. محمود شاكر سعيد ، دار المعراج ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٣هـ .

(٣٧٦) **في الأدب الإسلامي تجارب .. ومواقف** ، محمد عادل الهاشمي ، دار القلم دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٣٧٧) **في الأدب الفرنسي المعاصر** ، د. سامية أحمد أسعد ، الهيئة المصرية للكتب القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٧٦م .

(٣٧٨) **في الأدب والأدب الإسلامي** ، محمد الحسناوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٣٧٩) **في الأدب والنقد** ، د. محمد مندور ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٨م .

(٣٨٠) **في البحث عن الواقع** ، د. منصور إبراهيم الحازمي ، دار العلوم ، الرياض السعودية ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٣٨١) **في الجماليات ، نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن** ، د. علي أبو ملحم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

(٣٨٢) **في ظلال القرآن** ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، الثانية عشرة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٣٨٣) **في الشعر المعاصر** ، د.أحمد ماهر البقري ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، مصر ١٩٨٩م ، بدون ذكر الطبعة .

(٣٨٤) **في الغزو الفكري** ، د. أحمد عبد الرحيم السايح ، صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، الأولى ١٤١٤هـ .

(٣٨٥) **في الفكر والأدب دراسات وذكريات** ، د. حسن بن فهد الهويمل ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، الأولى ، ١٤٠٨هـ .

(٣٨٦) **في القصة القصيرة والرواية** ، د. إخلاص فخري عمارة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، الأولى ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٣٨٧) **في القصيدة الجاهلية والأموي (درس تحليلي)** ، د. عبد الله التطاوي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨١م .

(٣٨٨) **في المسرح العالمي** ، د. محد مندور ، نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون تاريخ وطبعة .

(٣٨٩) **في المسرح المصري المعاصر** ، خيري شلبي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ١٩٨١م ، بدون ذكر الطبعة .

(٣٩٠) **في النقد الأدبي** ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الخامسة ١٩٧٧م .

(٣٩١) **في النقد الأدبي إضاءات وحفريات** ، د. يوسف بكار ، دار المناهل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

(٣٩٢) **في النقد الإسلامي المعاصر** ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٣٩٣) **في النقد التطبيقي** ، مخطوط ، عماد الدين خليل .

(٣٩٤) **في النقد والأدب** ، ماكس أديريث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر بدون ذكر الطبعة ١٩٨٩م .

(٣٩٥) **في سبيل الإصلاح** ، علي الطنطاوي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الرابعة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(٣٩٦) **في مسيرة الحياة** ، أبو الحسن علي الحسني الندوي ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٣٩٧) **في معركة التراث** ، د. عون الشريف قاسم ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٣٩٨) **القاضي الجرجاني الأديب الناقد** ، د. محمود السمرة ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٩٧٩م .

(٣٩٩) **القاضي الجرجاني والنقد الأدبي** ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ١٩٩١م .

(٤٠٠) **قالوا عن الإسلام** ، د.عماد الدين خليل ، ط/الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٤٠١) **قاموس الجيب الصغـــير** ، وجـدي غـالي ، دار المعرفـة ، بـيروت ، لبنـان ١٩٨٧م .

(٤٠٢) **القاموس المحيط** ، الفيروزآبادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٤٠٣) **قبضة من حروف في المرأة والأدب والحياة** ، يحيى بشير حاج يحيـى ، دار حواء ، الكويت ، الأولى ١٤١٥هـ/١٩٤م .

(٤٠٤) **قراءات نقدية** ، د. يوسف حسين بكار ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنـان ، الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٤٠٥) **القراءة أولا** ، محمد عدنان سالم ، دار الفكر ، دمشق ، سـوريا ، الثانيـة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(٤٠٦) **قراءة الشعر** ، د. محمود الربيعي ، دار غريب للطباعـة والنشـر والتوزيـع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٧م ، بدون الطبعة .

(٤٠٧) **قراءة النص وجماليات التلقي** ، د. محمود عباس عبـد الواحـد ، دار الفكـر العربي ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٤٠٨) **القصة العربية ٩٤** ، دار المستقبل ، القـاهرة ، مصـر ، الكتـاب الثـاني ، ١٩٩٤م .

(٤٠٩) **قصيدة الهجاء عند دعبل الخزاعي وابن الرومي** ، د. عبد الحميد جيـدة ، دار الشمال ، طرابلس ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٥م .

(٤١٠) **قضايا أدبية (رؤية إسلامية)** ، د.عبـد الباسـط بـدر ، مكتبـة العبيكـان ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٤١١) **قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر** ، د. عز الديـن إسمـاعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٠م ، بدون ذكر الطبعة .

(٤١٢) **قضايا الحداثة عند عبد القادر الجرجاني** ، محمـد عبـد المطلـب ، الشـركة المصرية العالمية للنشر ، الجيزة ، مصر ، الأولى ١٩٩٥م .

(٤١٣) **قضايا الشعر الحديث** ، جهـاد فـاضل ، دار الشـروق ، القـاهرة ، مصـر ، الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٤١٤) **قضايا في الأدب الإسلامي . وقفات تصحيحيـــة وبحـوث أخـرى** ، أ.د.محمد بن سعد بن حسين ، دار عبد العزيز آل حسين ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٦هـ ، بدون ذكر الطبعة .

(٤١٥) **قضية الإسلام والشعر** ، إدريس الناقوري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، الثانية ١٩٨٦م .

(٤١٦) **قضية الالتزام في الشعر الأموي** ، د. مي يوسف خليفة ، دار الثقافة ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٨٩م .

(٤١٧) **قضية الالتزام في الشعر العربي من العصر الجاهلي وحتى عصر الانحطاط** محمد عزام ، دار طلاس ، دمشق ، سورية ، الأولى ١٩٨٩م .

(٤١٨) **قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها** ، د. محمد عبد القادر هنادي مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

(٤١٩) **قمم أدبية** ، د. نعمات أحمد فؤاد ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٨٤م .

(٤٢٠) **القناع في الشعر العربي الحديث** ، رعد أحمد علي الزبيدي ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ١٩٩١م .

(٤٢١) **القوس العذراء وقراءة الـــتراث** ، د. محمد أبو موسى ، دار غريب ، القاهرة مصر ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٤٢٢) **القيم الجمالية في الشعر العربي الحديث** ، د. سعد الدين كليب ، مخطوط رسالة دكتوراه ، جامعة حلب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، إشراف د. فؤاد المرعي ١٩٨٩م ، حلب ، سوريا .

(٤٢٣) **الكامل في النقد الأدبي** ، كمال أبو مصلح ، بدون .

(٤٢٤) **كتابات على بوابة القرن الخامس عشـــر** ، د. عماد الدين خليل ، د. عبدالحليم عويس ، دار العلوم ، الرياض ، السعودية ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٤٢٥) **كتابات في المســـرح** ، د. سمير سرحان ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ١٩٩٨م ، بدون طبعة .

(٤٢٦) **كتب وشخصيات** ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٤٢٧) **كتبت يوما في الأدب .. النقد .. الفكر .. الفن** ، د. نعمات أحمد فؤاد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، بدون ذكر الطبعة .

(٤٢٨) **كلمات غريبة** ، منصور إبراهيم الخميس ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٤٢٩) **كلمتي للمثقفين** ، جمال سلطان ، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، السعودية ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(٤٣٠) **كيف أفهم النقد؟ نقد ورد** ، د. جبرائيل سليمان جبور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٤٣١) **كيف تتكامل الشخصية** ، هيلين شاكتر ، ترجمة أحمد زكي وداود حلمي دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٤٣٢) **كيف نفهم الإسلام** ، محمد الغزالي ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، مصر ، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .

(٤٣٣) **لسان العرب** ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، السادسة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٤٣٤) **لغة الشعراء** ، ونفرد نوتني ، ترجمة د. عيسى العاكوب ، د. خليفة العرابي معهد الانتماء العربي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٦م .

(٤٣٥) **لقاء الأردن** ، حوار قام به الباحث مع الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل في الأردن في شهر شعبان ١٤١٨هـ ، وهو في ملحق الرسالة .

(٤٣٦) **لويس لامبر دراسات فلسفية** ، بلزاك ، ترجمة ميشيل خوري ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، ١٩٩٤م ، بدون ذكر الطبعة.

(٤٣٧) **ليلة الزفاف** ، توفيق الحكيم ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ١٩٧٦م ، بدون ذكر الطبعة .

(٤٣٨) **مؤتمر الأدب الإسلامي** ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، بدون .

(٤٣٩) **المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر** ، د. يوسف حلاوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٧م .

(٤٤٠) **مؤشرات في زمن السرعة** ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٤٤١) **ما الأدب** ، جان بول سارتر ، ترجمة د. محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ، ١٩٩٠م .

(٤٤٢) **ماالأدب** ، جان بول سارتر ، ترجمة د. محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٧م ، بدون ذكر الطبعة .

(٤٤٣) **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين** ، أبو الحسن الندوي ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، الثامنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٤٤٤) **مبادئ في الأدب والدعوة** ، د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٤٤٥) **متابعات في دائرة الأدب الإسلامي** ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

(٤٤٦) **المتنبي .. مالئ الدنيا وشاغل الناس** ، د. محمد التونجي ، عالم الكتب ، الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(٤٤٧) **المتنبي الإنسان والشاعر** ، د. نورة الشملان ، دار مصر للطباعة ، القاهرة مصر ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٤٤٨) **المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين** ، د. حسن الأمراني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

(٤٤٩) **المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد** ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ج٢٢ ، الأولى ، ١٩٨٢م .

(٤٥٠) **محاضرات النادي الأدبي الثقافي بجدة (المجموعة الثالثة)** ، إصدار النادي الأدبي الثقافي بجدة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٤٥١) **محاضرات النادي الأدبي الثقافي بجدة** ، إصدار النادي الأدبي الثقافي بجدة جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٤٥٢) **محاولات جديدة في النقد الإسلامي** ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٤٥٣) **محمد حسن عواد شاعرا** ، آمنة عبد الحميد عقاد ، دار المدني للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية ، الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٤٥٤) **محمود درويش شاعر الأرض المحتلة** ، رجاء النقاش ، دار الهلال ، مصر ، الثانية ١٩٧١م .

(٤٥٥) **المختار من الأدب الإسلامي** ، د. أحمد محمد قدور ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٤٥٦) **مختصر منهاج القاصدين** ، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ، دار الفيحاء ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٤٥٧) **مداخل ومشكلات حول القصيدة العربية القديمة** ، د. عبد الله التطاوي ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٩٦م .

(٤٥٨) **المدارس الأدبية ومذاهبها** ، د. يوسف عيد ، دار الفكر اللبناني ، بيروت لبنان ، الأولى ١٩٩٤م .

(٤٥٩) **مدارس النقد الأدبي الحديث** ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(٤٦٠) **مدخل إلى إسلامية المعرفة** ، د. عماد الدين خليل ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، السعودية ، الثالثة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٤٦١) **مدخل إلى الأدب الإسلامي** ، د. نجيب الكيلاني ، دار ابن حزم ، بيروت لبنان ، الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

(٤٦٢) **مدخل إلى الأدب الروائي الإنجليزي** ، أرنولد كيل ، ترجمة د. لطفية عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٩٤م ، بدون ذكر الطبعة .

(٤٦٣) **المدخل إلى التاريخ الإسلامي** ، د. محمد فتحي عثمان ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٤٦٤) **مدخل إلى التحليل البنيوي** ، رولان بارت ، ترجمة د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سورية ، الأولى ١٩٩٣م .

(٤٦٥) **المدخل إلى المسرح العربي** ، د. هند قواص ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، ١٩٨١م ، بدون ذكر الطبعة .

(٤٦٦) **مدخل إلى فن كتابة الدراما** ، عادل النادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، مصر ١٩٩٣م ، دون ذكر الطبعة .

(٤٦٧) **مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم** ، د. عماد الدين خليل ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٤٦٨) **مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي** ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٤٦٩) **المدخل في علم النفس الحديث** ، د. أكرم طاشكندي ، وآخران ، مكتبة مصباح ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

(٤٧٠) **المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية** ، إصدار قسم اللغة العربية ، كلية اللسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة ، قطر ، الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٤٧١) **مذاهب الأدب الغربي رؤية إسلامية** ، د. عبد الباسط بدر ، لجنة مكتبة البيت ، الكويت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، بدون ذكر الطبعة .

(٤٧٢) **المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا** ، فيليب فان تيغيم ، ترجمة فريد أنطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٩٨٣م .

(٤٧٣) **المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين** ، د. شكري محمد عياد ، صادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٣م .

(٤٧٤) **مذاهب فكرية معاصرة** ، محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٤٧٥) **مراجعات في الفكر والدعوة والحركة** ، د. عمر عبيد حسنة ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٤٧٦) **مراجعات في الفكر والدعوة والحركة** ، د. عمر عبيد حسنة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، أمريكا ، الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٤٧٧) **المستشرقون والسيرة النبوية** ، د. عماد الدين خليل ، دار الثقافة ، الدوحة قطر ، بدون ذكر الطبعة ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

(٤٧٨) **المسرح** ، د. محمد مندور ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ١٩٨٠م.

(٤٧٩) **المسرح بين الفكر والفن** ، د. نهاد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م ، بدون ذكر الطبعة .

(٤٨٠) **مسرح توفيق الحكيم** ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، الثالثة ، بدون ذكر التاريخ .

(٤٨١) **مسلمون لانخجل** ، د. حلمي القاعود ، دار البشير للثقافة ، طنطا ، مصر الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(٤٨٢) **مشكاة المصابيح** ، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

(٤٨٣) **المشكلات الثقافية في ترجمة المصطلح النقدي** ، إيمان أحمد عكور ، جامعة اليرموك ، الأردن ١٩٨٨م .

(٤٨٤) **مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا** ، د. مصطفى الشكعة عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، الثالثة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٤٨٥) **مصطلح الأدب الانتقادي المعاصر** ، ريمون طحان ، دنيز بيطار طحان ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٤م .

(٤٨٦) **مع الشعراء** ، د. زكي نجيب محمود ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الرابعة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٤٨٧) **معارك أدبية قديمة ومعاصرة** ، عبد اللطيف شرارة ، دار العلم للملايين ، الأولى ١٩٨٤م .

(٤٨٨) **معالم الهدى إلى فهم الإسلام** ، د. مروان إبراهيم القيسي ، المكتبة الإسلامية عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٤٨٩) **معالم في الطريق** ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الخامسة عشر ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٤٩٠) **معالم في الطريق** ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ١٤٠١هـ ، بدون ذكر الطبعة .

(٤٩١) **المعجم المسرحي** ، د. حنان قصاب حسن ، ود. ماري الياس ، مكتبة لبنان بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٩٧م .

(٤٩٢) **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** ، مجدي وهبة وكامل المهندس مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٤م .

(٤٩٣) **المعجم الوسيط** ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، المكتبة الإسلامية ، استانبول تركيا ، الثانية ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

(٤٩٤) **المغول** ، د. عماد الدين خليل ، مسرحية ذات سبعة مشاهد ، الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

(٤٩٥) **مفاهيم ينبغي أن تصحح** ، محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، الرابعة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٤٩٦) **المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ** ، وليد نويهض ، دار ابن حزم ، بيرو ، لبنان ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٤٩٧) **مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة** ، د. محمد بركات حمدي أبو علي ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٤٩٨) **مقال د. رجاء بن سلامة في جريدة الحيـــاة** ، ع(١٢٩٩٢) ، الثلاثاء ٨ جمادى الأخرى سنة ١٤١٩هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ١٩٩٨م . ص (ج) .

(٤٩٩) **مقالات في كلمات** ، الأستاذ علي الطنطاوي ، دار المنارة للنشر والتوزيع جدة ، السعودية ، الثانية ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(٥٠٠) **مقدمات نقدية في دراسة القصيدة القديمـــة** ، د. عبد الله التطاوي ، دار الثقافة ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٢م .

(٥٠١) **مقدمة ابن خلـــدون** ، تحقيق د. درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، الأولى ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

(٥٠٢) **مقدمة في دراسة الأدب الإســـلامي** ، د. مصطفى عليان ، دار المنارة ، جدة السعودية ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥٠٣) **مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي . المنهج والتطبيق** ، عباس المناصرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(٥٠٤) **مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي** ، د. عبد الباسط بدر ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥٠٥) **مقومات الشخصية المســـلمة** ، د. ماجد عرسان الكيلاني ، صادر في سلسلة كتاب الأمة عن مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر ، الدوحة ، قطر ، الأولى ١٩٩١م .

(٥٠٦) **المكان في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف** ، الباحثة غدير عثمان الخروبي ، ١٩٩٣م ، بدون .

(٥٠٧) **الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي** ، د. شلتاغ عبود ، دار المعرفة ، دمشق ، سورية ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٥٠٨) **من أدب الرحلات** ، د. عماد الدين خليل ، مخطوط كتاب تحصل الباحث على نسخة منه ولما ينشر .

(٥٠٩) **من الحداثة إلى مابعد الحداثة في الفن** ، عفيف البهنسي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(٥١٠) **من الشعر الإسلامي الحديث** ، إصدار رابطة الأدب الإسلامي ، دار البشير عمان ، الأردن ، الأولى ١٤١٩هـ/١٩٨٩م .

(٥١١) **من الوجهة النفسية في دراسة الأدب** ، د. محمد خلف الله أحمد ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، السعودية ، الثالثة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٥١٢) **من بدائع الأدب الإسلامي** ، محمد بن سعد الدبل ، إصدار نادي المدينة المنورة الأدبي ، دار البلاد ، جدة ، السعودية ، بدون ذكر الطبعة .

(٥١٣) **من سمات الأدب الإسلامي** ، د. مصطفى عبد الواحد ، صادر عن رابطة العالم الإسلامي ، بدون ذكر الطبعة ، شعبان ١٤١٣هـ .

(٥١٤) **من قضايا الأدب الإسلامي** ، د. صالح آدم بيلو ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥١٥) **من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي** ، د. محمد عويس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٥١٦) **من قضايا التراث العربي** ، د. فتحي أحمد عامر ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، مصر ١٩٧٧م ، بدون ذكر الطبعة .

(٥١٧) **من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون؟** ، غازي عبد الرحمن القصيبي ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٩٤م .

(٥١٨) **مناهج البحث العلمي** ، د. محمد الجوهري وآخر ، بدون .

(٥١٩) **مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق** ، ديفد ديتشس ، ترجمة د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٦٧م .

(٥٢٠) **المنجد في الأدب العربي** ، صالح ساسه ، بدون طبعة ودار نشر .

(٥٢١) **المنظور التاريخي في فكر سيد قطب** ، د. عماد الدين خليل ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

(٥٢٢) **المنهاج في الأدب العربي وتاريخه** ، د. عمر فروخ ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، بدون ذكر الطبعة .

(٥٢٣) **منهج البحث الأدبي عند ابن خلكان** ، فخر الدين محمد يوسف عامر ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ١٩٩١م ، بدون ذكر الطبعة .

(٥٢٤) **منهج الفن الإسلامي** ، محمد قطب ، دار الشروق ، الثامنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

(٥٢٥) **مهارات التفكير الابتكاري** ، د. محمد عبد الغني هلال ، مركز تطوير الأداء والتنمية ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٩٧م .

(٥٢٦) **مهارات في فنون الأدب والمراسلات** ، د. محمود عباس عبد الواحد ، بدون .

(٥٢٧) **الموازنة بيئتها ومناهجها في النقد الأدبي** ، د. محمد فوزي عبد الرحمن ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ، قطر ، الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٥٢٨) **مواقف نقدية** ، د. منصور إبراهيم الحازمي ، دار الصافي ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٥٢٩) **مواقف نقدية** ، د. منصور الحازمي ، بدون .

(٥٣٠) **موسوعة أمثال العرب** ، د. أميل بديع يعقوب ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

(٥٣١) **ميخائيل نعيمة .. منهجه في النقد واتجاهه في الأدب** ، د. شفيع السيد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٩٤م .

(٥٣٢) **النثيرة والقصيدة المضاة** ، محد ياسر شرف ، من إصدارات النادي الأدبي بالرياض ، الرياض ، السعودية ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، بدون ذكر الطبعة .

(٥٣٣) **نجيب محفوظ يتذكر** ، جمال الغيطاني ، مؤسسة أخبار اليوم ، مصر ، الثالثة ١٩٨٧م .

(٥٣٤) **نحن والآخر** ، د. عاصم حمدان علي حمدان ، إصدار نادي المدينة المنورة الأدبي ، المدينة المنورة ، السعودية ، الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

(٥٣٥) **نحو أدب إسلامي** ، محاضرات ألقيت في جامعة أم القرى ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٥٣٦) **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد** ، د. عبد الرحمن رأفت الباشا ، دار الأدب الإسلامي ، قبرص ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٥٣٧) **نحو مسرح إسلامي** ، د. نجيب الكيلاني ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .

(٥٣٨) **نحو نظرية الأدب الإسلامي** ، د. محمد أحمد حمدون ، المنهل ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٥٣٩) **الندوة الثقافية الكبرى** ، إشراف د. عبد الرحمن بن سبيت السبيت ، إصدار المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، الجنادرية ، السعودية ، ١٤١٠هـ ، بدون ذكر الطبعة .

(٥٤٠) **النزعة الروحية في أدب جبران ونعيمة** ، د. ريمون قبعين ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٥٤١) **نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث** ، د. علي شلت ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٩٢م .

(٥٤٢) **النص الأدبي ــ تحليله وبناؤه** ، د. إبراهيم خليل ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٩٩٥م .

(٥٤٣) **نضرة النعيم** ، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف د. صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح ، دار الوسيلة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

(٥٤٤) **نظرات في الأدب** ، أبو الحسن علي الحسني الندوي ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٥٤٥) **النظريات الجمالية** ، أ.نوكس، عربه وقدم له د. محمد شفيق شيا ، منشورات بحسون الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥٤٦) **نظريات وافدة كشف الفكر الإسلامي زيفها** ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ١٩٧٧م .

(٥٤٧) **نظرية الأدب في ضوء الإسلام** ، د. عبد الحميد بوزوينة ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م .

(٥٤٨) **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب** ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

(٥٤٩) **نقاط التطور في الأدب العربي** ، د. علي شلق ، دار القلم ، بيروت ، لبنان الأولى ١٩٧٥م .

(٥٥٠) **النقد الأدبي** ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الرابعة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٥٥١) **النقد الأدبي** ، كارلوني وفيللو ، ترجمة كيتي سالم ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، الثانية ١٩٨٤م .

(٥٥٢) **النقد الأدبي** ، وليام . ك. ويمزات ، كلينث بروكس ، ترجمة د. حسام الخطيب ، محيي الدين صبحي ، جامعة دمشق ، دمشق ، سورية ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م بدون ذكر الطبعة .

(٥٥٣) **النقد الأدبي أصوله ومناهجه** ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر السادسة ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٥٥٤) **النقد الأدبي الحديث** ، د. العربي حسن درويش ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٩١م .

(٥٥٥) **النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء** ، د. عدنان علي رضا النحوي ، دار النحوي ، الرياض ، السعودية ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(٥٥٦) **النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين** ، الدكتور العربي حسن درويش ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ١٩٨٨م ، بدون ذكر الطبعة .

(٥٥٧) **النقد الأدبي في آثار أعلامه** ، . حسين الحاج حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(٥٥٨) **النقد الأدبي في المغرب العربي** ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٨٨م .

(٥٥٩) **النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقري** ، د. هدى شوكت بهنام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٨٤م .

(٥٦٠) **النقد الأدبي قضاياه واتجاهاته الحديثة** ، د. عماد حاتم ، دار الشرق العربي بيروت ، لبنان ، الثانية ١٩٩٤م .

(٥٦١) **النقد البنيوي للحكاية** ، رولان بارت ، ترجمة أنطون أبو زيد ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، الأولى ١٩٨٨م .

(٥٦٢) **النقد التطبيقي التحليلي** ، د. عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، الأولى ١٩٨٦م .

(٥٦٣) **النقد التطبيقي التحليلي** ، د. عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، الأولى ، ١٩٨٦م .

(٥٦٤) **نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر** ، د. أحمد إبراهيم الهواري دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الثانية ١٩٨٣م .

(٥٦٥) **نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة** ، د. نبيلة إبراهيم ، مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر ١٩٧٧م ، بدون ذكر الطبعة .

(٥٦٦) **النقد الفني وقراءة الصورة** ، عفيف البهنسي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

(٥٦٧) **النقد المنهجي عند العرب** ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، مصر ، الثانية ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٥٦٨) **نقد النثر** ، قدامة بن جعفر بن قدامة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٥٦٩) **نقد وتأصيل** ، أبو زيان السعدي ، دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس ، الأولى ١٩٨٧م .

(٥٧٠) **نقض أصول الشعر الحر** ، إسماعيل جبرائيل العيسى ، دار الفرقان ، عمان الأردن ، الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٥٧١) **نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني** ، محمود مفلح ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر ، الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

(٥٧٢) **نقوش على واجهة القرن الخامس عشر** ، عبد الرحمن صالح العشماوي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية ، الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(٥٧٣) **النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة** ، د. محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، بدون ذكر الطبعة ، ١٩٥٧م .

(٥٧٤) **نماذج من الرواية المصرية** ، يوسف الشاروني ، وزارة الثقافة ، جمهورية مصر العربية ، ١٩٧٧م ، بدون ذكر الطبعة .

(٥٧٥) **هجمات مضادة في التاريخ الإسلامي** ، د. عمادالدين خليل ، مكتبة النور القاهرة ، مصر ، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٧٦م .

(٥٧٦) **الهزيمة النفسية عند المسلمين** ، د. عبد الله الخاطر ، صادر عن المنتدى الإسلامي ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٥٧٧) **هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي** ، عابدة المؤيد العظم ، دار المنارة ، جدة السعودية ، الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

(٥٧٨) **الهم الكبير** ، د. عماد الدين خليل ، مخطوط مسرحية لم تنشر .

(٥٧٩) **هموم ناشر عربي** ، محمد عبد الله سالم ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، الأولى ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

(٥٨٠) **واقعنا المعاصر** ، محمد قطب ، مؤسسة المدينة ، جدة ، السعودية ، الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٥٨١) **الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد** ، د. أحمد بسام ساعي ، دار المنارة ، جدة ، السعودية ، الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥٨٢) **الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني** ، د. حلمي محمد القاعود ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(٥٨٣) **الواقعية في الرواية الحديثة في بلاد الشام** ، د. إبراهيم حسين الفيومي ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٣م ، بدون الطبعة .

(٥٨٤) **وحي القلم** ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

(٥٨٥) **الوساطة بين المتنبي وخصومه** ، علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، الثانية .

(٥٨٦) **وصايا إسلامية في أدب الذرية** ، د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، بدون ذكر الطبعة .

الصحف :

(١) صحيفة الحياة
(٢) صحيفة الرياض
(٣) صحيفة المدينة
(٤) ملحق الأربعاء ٢١ ذي الحجة ١٤١٩هـ .
(٥) الملحق الثقافي لصحيفة الراية المغربية

المجلات :

(١) آداب الرافدين .
(٢) آداب الرافدين ، صادرة عن جامعة الموصل ، بغداد ، العراق .
(٣) الأدب الإسلامي
(٤) أهلا وسهلا
(٥) إسلامية المعرفة
(٦) البعث الإسلامي
(٧) البيان
(٨) التضامن الجزائرية
(٩) التضامن الجزائرية .
(١٠) الحرس الوطني
(١١) حضارة الإسلام
(١٢) حضارة الإسلام .
(١٣) حضارة الإسلام .
(١٤) حضارة الإسلام .
(١٥) حضارة الإسلام .
(١٦) الدعوة
(١٧) سوق عكاظ ، ملف ثقافي صادر عن نادي الطائف الأدبي .
(١٨) عالم الكتب

(١٩) فصول
(٢٠) الفيصل
(٢١) قوافل
(٢٢) قوافل .
(٢٣) مجلة الأمة
(٢٤) مجلة الجامعة المستنصرية
(٢٥) المجلة العربية
(٢٦) مجلة بحوث كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى
(٢٧) مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإمارات
(٢٨) مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة قطر .
(٢٩) المسلم المعاصر
(٣٠) الموارد العراقية
(٣١) الموارد العراقية .
(٣٢) الهداية
(٣٣) هدى الإسلام
(٣٤) الوعي الإسلامي

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
التمهيد	١
الباب الأول **الشخصية : مؤثرات ومعالم**	
الفصل الأول : السيرة .. مصادر ومؤثرات ومعالم	٣٠
في البدء	٣١
المبحث الأول : مصادر المعالم	٣٢
أولا : الحياة وحركتها	٣٢
ثانيا : الوثائق والكتابات	٣٦
ثالثا : الحوار واللقاء	٣٨
رابعا : مصادر أخرى	٣٩
المبحث الثاني : المؤثرات	٤٥
أولا : التشكل الاجتماعى وآثاره	٥٤
ثانيا : التشكل الثقافي والعشق القديم	٥٩
ثالثا : التشكل النفسى والحساسية	٦٦
رابعا : بناء الأستاذ .. وواقع التأثر	٧١
خامسا : الموصل ، وظلال المكان في النفس	٨١
سادسا : الزمن ومواقف الحياة	٨٩
سابعا : الأمة .. آمال ومصير	٩٩
ثامنا : المرجعية التأصيلية والسياق	١٠٣
* وبعد :	١٠٨
الفصل الثاني : معالم الشخصية	١١٠

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني : المنظور النقدي والأعمال الإبداعية	٢٩٥
أولا : في الرواية .. من خلال نموذج مختار من نقده	٣٠٠
ثانيا : في المسرحية .. من خلال نموذج مختار من نقده	٣٠٩
ثالثا : في الشعر .. من خلال نموذج مختار من نقده	٣٢٠
رابعا : في القصة .. من خلال نموذج مختار من نقده	٣٣٨
خاتمة البحث ونتائجه	٣٤٧
المراجع والمصادر	٣٤٩
فهرس الموضوعات	٣٩٥